وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية



قسم التاريخ

التواصل الثقافي والروحي بين الجزائر والمشرق العربي

(مصر – الحجاز)

في القرن 18م وأوائل القرن 19م – دراسة من خلال المصادر-

أطروحة مُقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة :

ربيعة قريزة

إشراف الأستاذين :

أ.د/ صالـح بوسَليم

أ.د/ محمّد الزيـن

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
د/ بن قومار جلول	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة غرداية
أ.د/ بوسَليم صالح	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة غرداية
أ.د/ الزين محمّد	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً مساعداً	جامعة سيدي بلعباس
أ.د/ الأحمر قادة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د/ الشافعي درويش	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة الجلفة
د/ جعفري أحمد	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة غرداية

السنة الجامعية:1443-1444هـ/2021- 2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

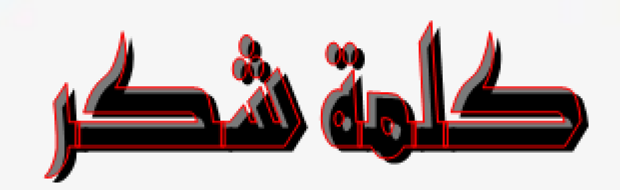
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ صدق الله العظيم

[سورة المجادلة الآية: 11]



الإهداء

إلى روح أمي الطاهرة...



لم أجد أصدق وأنبل من كلمة الشكر والتقدير هي أبسط ما يمكن تقديمه

إلى المشرفين الفاضلين الدكتور "صالح بوسليم" والدكتور "الزين مُحَمَّد"

لست وحدي من يقدركما فأنتما من الأساتذة الدين يصعب أن نقول في حقهما كلمة شكرا وعرفان.

فشكرا على كل النصائح والتوجيهات القيمة المقدمة من طرفكما

فجزكما الله عني خير الجزاء.

والشكر الكبير لعائلتي التي كانت سندا ودعما للوصول إلى تحقيق طموحاتي وأهدافي

شكر خاص

صديقتي الغالية سليماني خضرة "نريمان" التي كان لها الدور الكبير والداعم

في إخراج الرسالة فيما هي عليه.

ربيعة قريزة

قائمة المختصرات:

الكلمة/ المصطلح	المختصر
بدون طبعة	ب ط
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تصحيح	تص
تصدير	ت ص
تعريب	تعر
تعليق	تع
تقديم	تق
أجزاء	ج
دراسة	در
دون سنة نشر	د س ن
دون مكان نشر / دون مكان طبع	د م ن/ د م ط
الصفحة / صفحات متتالية	ص/ ص ص
طبعة/ طبعة خاصة	ط/ ط خ
العدد	ع
قسم	ق
مجلد	مج
مراجعة	مر
توفي	ت

مقدمة

يُعدُّ موضوع التواصل الفكري والعلمي والروحي بين الجزائر ومصر وبلاد الحجاز خلال القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي من موضوعات التاريخ الاجتماعي الثقافي، وهو في الحقيقة دور يفتقد إلى إلقاء الضوء عليه؛ ليتمكّن الباحث من خلال هذه الدراسة إلى تفسير العديد من الأحداث والروابط التاريخية التي تربط بين أقطار العالم الإسلامي مغربه ومشرقه، بعد أن ظل مستكيناً في النفوس.

واللافت للانتباه أن الهجرة العلمية للجزائريين نحو بلاد المشارق والمغارب عرفت نشاطًا ملحوظًا في العصر الحديث، وقد تحكّمت في ذلك مجموعة مختلفة من العوامل. ومن هذا المنطلق؛ جاء موضوع هذه الأطروحة الموسوم بـ :" **التواصل الفكري والروحي بين الجزائر والمشرق العربي (مصر–الحجاز) خلال القرن 18م وأوائل القرن 19م – دراسة من خلال المصادر–**".

- **أسباب ودواعي اختيار الموضوع:**

تعود أسباب اختيار موضوع الدراسة إلى جملة من العوامل الموضوعية والذاتية، نذكر منها:

– ميولاتي الشخصية نحو البحث في موضوعات التاريخ الثقافي للشعوب، خاصة الرحلات الحجازية لما تحمله من مشاعر روحانية؛ على اعتبار أن الثقافة مرآة عاكسة لمدى رقي وتحضر أي شعب من الشعوب.

– محاولة إثبات أن التاريخ العربي والإسلامي وحدة واحدة؛ حاولت الأصابع الأجنبية تمزيقه وإيجاد الفرقة بين بلاد المغارب والمشرق العربي والإسلامي.

– وجود نخبة من العلماء الجزائريين ذاع صيتهم في كل أرجاء العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، لكنهم لم ينالوا حظهم من الدراسات وغفلت الكثير من الأبحاث عن إسهاماتهم الحضارية.

– مبالغة المؤرخين الغربيين وبعض أنصار المدرسة التاريخية الفرنسية، في تزييف الحقائق وتصوير الجزائر في تلك الفترة بصورة حالكة ورجعية، لذا وجب عليّ البحث لإبراز سمات الثقافة الإسلامية التي كانت من المرتكزات الأساسية خلال العهد العثماني، وكشف بعض النقاط المضيئة في ذلك العهد.

– شغفي بالبحث في تاريخ الحج على العموم، هو تحقيق لرغبة دفينة في زيارة هذه الأرض الطيّبة، لأداء فريضة الحج مستقبلا إن شاء الله.

– أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ نذكر منها:

– المساهمة في إثراء المكتبة العربية والمغاربية بالدراسات الخاصة بالعلاقات بين الجزائر والمشرق العربي والإسلامي في العصر الحديث، نظرا لافتقارها إلى هذا النوع من الدراسات.

– محاولة إبراز دور العلماء والحجاج الجزائريين في التواصل بين الجزائر وبين المشرق العربي (مصر– الحجاز)، خاصة وأن كثير من مشايخ الجزائر وأعلامها سافروا للمشرق العربي طلبًا للعلم أو للحج أو لتتبع مشايخ وطرق التصوف

– إبراز بعض الحقائق معرفية حول الدور الذي قامت به الرحلة كأساس للتواصل بين الجزائر والمشرق العربي، واستعراض تأثير الرحلات التي قام بها الرحَّالَة وطلاب العلم والتجار من الجزائر للمشرق العربي على حركة العلم والثقافة في الجزائر، وما نقلته هذه الرحلات من بعض أساليب الحياة من بلدان المشرق العربي للجزائر وتأثرت بذلك مناطق القبائل الجزائرية بشكل انعكس على ثقافتها وما تلقته هذه القبائل من تعاليم دينية نقلها طلاب العلم والعلماء الذين خاضوا تجربة الرحلة من الجزائر لبلدان المشرق العربي.

– توضيح مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي، ومساهمة العلماء في ذلك ودورهم في الحياة الثقافية، ومدى تأثير الجانب السياسي على الثقافي.

– حدود الدراسة:

يبدأ الإطار الزماني لهذه الدراسة بالفترة الممتدة من مطلع القرن الثامن عشر إلى غاية سنة 1830م؛ تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهي إحدى الحلقات الغامضة في جوانب شتى، لكونها لم تحظ بدراسة متخصّصة وارتكاز زمن البحث على هذه المدة الطويلة، مكّنني من ملامسة بعض عناصر الاستمرارية والقطيعة في تاريخ ركب الحج، وما واكبه من تطورات في العلاقات الجزائرية المشرقية من خلال فريضة الحج.

أما المجال المكاني الذي يحدد الإطار الجغرافي لموضوع الدراسة، فيمتد على حيّز مكاني واسع يشمل جهتين اثنتين من العالم العربي، الأولى تمثل في الجزائر، ذات الامتداد الأصيل والكبير. والجهة الثانية من مجال الدراسة، تتجلى في المشرق العربي بمكوناته الجغرافية المتمثلة في مصر وبلاد الحجاز، وهي أقاليم كبرى ارتبطت بالجزائر منذ الحضارات القديمة، وشكّلت جميعا مظاهر عديدة للتلاقح الحضاري في ظل العالم المتوسطي.

– إشكالية الدراسة:

تتركز إشكالية الدراسة في الإجابة عن التساؤل الآتي:

إلى أي مدى ساهمت الرحلة الحجية وعلماء ومشايخ الجزائر في خلق التواصل الثقافي والروحي بين الجزائر وبلاد المشرق العربي (مصر والحجاز) منذ مطلع القرن الثامن عشر ميلادي إلى غاية سنة 1830م؟.

وتتفرع عنها مجموعة من التساؤلات، وهي:

– كيف شكّلت الرحلة أساسًا للتوصل بين الجزائر وبلدان المشرق العربي؟.

– ما أهم الرحلات التي قام بها الرحّالَة وطلاب العلم والتجار من الجزائر إلى بلدان المشرق العربي؟.

– ما أوجه التأثير التي نقلتها الرحلة من بلدان المشرق العربي للجزائر وانعكاس ذلك على أوجه الحياة لدى القبائل الجزائرية؟.

– من هم أهم الرحّالَة الذين خاضوا تجربة الرحلة من الجزائر لبلدان المشرق العربي؟ وما أبرز المحطات في هذه الرحلات؟.

– بم اتّسمت الأحوال الثقافية في الجزائر والمشرق العربي (مصر وبلاد الحجاز) خلال العهد العثماني؟.

– وهل كانت مصر والحجاز أحسن حالا علميا وثقافيا من الجزائر ؟ أم أن هناك أسباب أخرى أدّت بهؤلاء العلماء إلى الذهاب إلى مصر والبقاع المقدسة والبقاء بها ؟. فيما تجلّى دور جامع الأزهر والمسجد الحرام

والنبوي في دعم أواصر التواصل الفكري والروحي بين الجزائر ومصر والحجاز؟. ومن هم أبرز العلماء الجزائريون الذين تركوا بصماتهم هناك بالمشرق؟ وبم تميّز هؤلاء العلماء؟ فيما يكمن دورهم العلمي بمصر؟.

- وهل كان لهم دور في وجود صلات وروابط ثقافية وروحية بين الجزائر ومصر وبلاد الحجاز أثناء العهد العثماني ؟ وما أبرز مظاهر التواصل العلمي والروحي بين الجزائر والمشرق العربي (مصر وبلاد الحجاز) ؟ وبم تميزت ؟ وكيف انتقلت الطرق الصوفية بين هذه البلدان ؟.

- الدراسات السابقة لموضوع الدراسة:

تجدر الإشارة أن الباحثة قد عثرت على بعض الدراسات الهامة التي لها صلة ببعض جوانب موضوع الدراسة؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- دراسة الأستاذ مصطفى الغاشي في كتابه المعنون بـ: **"الرحلة المغربية والشرق العثماني في محاولة بناء الصورة"**[1]، والتي أفادتني كثيرا في موضوع الرحلات الحجازية وذكر مسالك ركب الحج المغربي.

- **كتاب: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830م**، وهو في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر للأستاذ الباحث عبد القادر صحراوي، تناول في هذا الكتاب ظاهرة التصوف ونماذج من متصوفة الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين، من خلال الوقوف على الدور السياسي والاجتماعي للصوفية وردود السلطة العثمانية، وكذا السياسة الدينية للسلطة العثمانية في التعامل مع الحركة الصوفية؛ باعتبارها إحدى القوى الدينية المتنامية آنذاك.

- كتاب:" **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، ودورها الثقافي والسياسي(925-1246هـ/1520-1830م)**" ، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية للباحثة لزغم فوزية؛ تناول بالبحث والدراسة البيوتات العلمية الشهيرة بالجزائر خلال العهد العثماني، ومصنّفات أفرادها ورحلاتهم وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة آنذاك.

---

[1]- مصطفى الغاشي: **الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة**، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2015.

– مذكرة ماجستير للباحثة ليلى غويني، والموسومة بـ:" **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**". وتناولت صورا عديدة من تلك المشاهدات التي ارتسمها الرحالين الجزائريين عن الأحوال الثقافية في مختلف الحواضر العلمية الجزائرية أثناء العهد العثماني.

– أطروحة دكتوراه علوم في تحقيق المخطوطات للباحث عبد الجليل شقرون؛ المعنونة بـ:" **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد؛ دراسة تحقيق**". وقد تناولت بالدراسة تعريفا لأهم الرحالة الجزائريين في العهد العثماني ورحلاتهم، ثم ركّزت على ابن عمار الجزائري ورحلته.

– أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي تندرج ضمن أدب الرحلة للباحث الطاهر حسيني، وعنوانها: " **الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني؛ أنواعها وخصائصها** "، وقد تناولت بالتفصيل أنواع الرحلات التي قام بها الجزائريون في العهد العثماني ودوافعها، كما ركّزت بالبحث في الجانب الفني في الرحلة الجزائرية خلال العهد العثماني، انطلاقا من استراتيجية العنونة إلى البناء الهيكلي، انتهاء بإبراز العلاقة التي تربط بين بنياتها ؛ بين السرد والوصف، بين الشخصية الرئيسية التي تمثل الأنا، والشخصيات الأخرى التي تمثل الآخر، وبين هذه جميعها وبنية الزمان والمكان.

– رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث للباحثة عواطف مُحَّد يوسف نواب، والموسومة بـ: "**كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين؛ دراسة تحليلية نقدية مقارنة**"، جامعة أم القرى، السنة الجامعية 1420هـ/1999م.

– ورقة بحث للأستاذة الباحثة عواطف بنت مُحَّد بن يوسف نواب، بعنوان:" **قراءة مقارنة في الرحلة الحجازية بين رحالة مسلم ورحالة غربي في القرن 13هـ/19م؛ رحلة الناصري وبيرتون أنموذجاً**"، يهدف هذا البحث إلى توضيح ما انطوت عليه هذه الرحلات وما يقابلها من رحلات المغاربة؛ بأخذ أنموذج لرحالة مغربي وآخر لرحالة غربي، لبيان الفرق الشاسع بين النموذجين.

ولنفس الباحثة ورقة بحث أخرى بعنوان:" **نماذج من مشاركات بعض الرحالة العلماء المغاربة في المجتمع المكي في القرن11هـ/17م**"، حاولت إلقاء الضوء على بعض هؤلاء العلماء الرحالة الأفذاذ الذين قدموا لمكة المشرفة وجاوروها مع غيرهم ، وكان منهم من توفى ودفن في ترابها ، ومنهم من عاد إلى موطنه . وبعد

الاطلاع على بعض كتب تراجم القرن 11هـ /17م وجدت عدداً من العلماء الرحالة المغاربة ممن كانت لهم إسهامات ملموسة بها ؛ خاصة وأن علماء المغاربة كان مرحباً بهم فيها.

- رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر للباحث بوسعيد أحمد والموسومة بـ:" **ركبُ الحج الجزائري خلالَ العهدِ العثماني دراسةٌ تاريخيةٌ من خلالِ الرّحلات الحجازية**"، عالجت هذه الأطروحةُ موضوعَ سفَرِ الجزائريين إلى بلاد الحجاز خلال العهد العثماني 1518-1830م، من أجل أداءِ مناسك الحج مع قدومِ كلِّ موسمٍ من مواسمه، كما ركّزت على الإطار المنظم الذي كان يجمع الحجاج الجزائريين في تلك الرِّحلة المقدسة، وهو ما عُرِف باسم "ركب الحج". وبيّنت مدى استقلالية ركب الحج الجزائري عن بقية الأركاب المغاربية، كما عرّفت بأسماء بأشهر البيوتات التي تولَّت مهام إمارة ركب الحج، وكيف كان يتمُّ التزوُّد والتحضير لخروج الركب من الجزائر في ذلك العهد...الخ.

- المنهج المتّبع في الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التركيبي، باعتباره منهجا صالحا لوصف الأحداث والحقائق التاريخية، وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا وموضوعيا بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية, ولن يكون ذلك إلا عن طريق الاجتهاد والتمحيص والانتباه إلى الأصول والمراجع التي يستند إليها الباحث التاريخي في البحث، مع محاولة نقدها والتعامل معها بطريقة موضوعية، من أجل الوصول إلى حقيقة تاريخية يستطيع الباحث أن يضعها بين أيدي القُرَّاء.

كما استعنت بالمنهج المقارن، وقد دعتني إلى ذلك ضرورة اللجوء إلى المقارنة، بين الفينة والأخرى، بين المتون الرحلية المعتمدة، سواء في جانبها الكمي أو الكيفي، وأحيانا مع بعض الرحلات الحجازية لبلاد المغارب.

وقد حاولت معالجة الموضوع بروح محايدة سالكةً في ذلك الوسطية في الأخذ بالآراء حول القضايا المتعدّدة قدر الإمكان, ومحاولةً تأييد ما أذهب إليه من طروحات بأدلة واثباتات تعتمد في الغالب على الوثائق الأصلية .

- خطة الدراسة:

ولمعالجة هذا الموضوع والإجابة عن التساؤلات السابقة، أفردت خطة تتكون من فصل تمهيدي، وثلاث أقسام، بحيث يتضمن كل قسم فصلين، وجاء المحتوى كما يأتي:

الفصل التمهيدي عنونته بـ: الرحلة مظهر من مظاهر التواصل الثقافي والروحي، تناولت فيه: الرحلة بين المفهومية والتعريف،كما تطرقت إلى نشأة الرحلة وتطورها ، ثم عرجت إلى دوافعها وأنواعها.

أما القسم الأول، فقد جاء بعنوان: واقع الحياة الثقافية بالجزائر والمشرق (مصر-الحجاز)، وقسّمته إلى فصلين: خصّصت الفصل الأول للحديث عن: واقع الحياة العلمية بالجزائر خلال القرن 18م وبداية القرن19م. وتحدّثت فيه عن المراكز التعليمية في الجزائر، وأهم العلوم المتداولة.

أما الفصل الثاني؛ فعنونته بـ: مظاهر الحياة العلمية في مصر والحجاز خلال القرن 18م وبداية القرن19م.وتحدّثت فيه عن الحياة العلمية في مصر خلال القرن 18م، كما عالجت فيه أيضا الحياة العلمية والدينية بمكة والمدينة، وذلك بالتطرق إلى أهم المراكز العلمية في مكة ، وأخيرا تناولت فيه أهم العلوم التي اشتهرت بالحجاز ، وكذا العوامل المؤثرة في الحركة العلمية في الحجاز، ودور الوافدين في الحياة العلمية.

أما القسم الثاني؛ فعنونته بـ التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي (مصر- الحجاز)، حيث خصّصت الفصل الأول للحديث عن الصلات الفكرية بين الجزائر ومصر، وتناولت فيه إلى بعض مظاهر التواصل الثقافي بين مصر والجزائر من خلال تبيين دور جامع الأزهر في التواصل بين الجزائر ومصر، خاصة رواق المغاربة، ودوافع تواجد الجزائريين بجامع الأزهر .

كما لم نغفل الإشارة إلى إجازات العلماء الجزائريين بمصر ، واستمرارية التواصل الفكري بين العلماء الجزائريين والمصريين عبر تبادل المؤلفات والمصنّفات، وتوثيق التواصل العلمي من خلال استشارة العلماء في المسائل العلمية والدينية.

أما الفصل الثاني؛ فخصّصته للحديث عن مظاهر الصلات الثقافية بين الجزائر والحجاز، وتطرقت فيه إلى طرق التواصل بين الجزائر والحجاز، كالتعريف بأشهر قراء الحجاز خلال الفترة المدروسة، وأوقاف الجزائر والحجاز ودورهما في التواصل ، مع الإشارة إلى أهمية الصرة في تأمين ركب الحج ، ودور العلماء في التواصل ،ثم عالجت مزارات علماء الجزائر بالحجاز؛ كالمسجد الحرام والمسجد النبوي دوره في التواصل ، وكذا الحلقات والجهود العلمية للعلماء في المسجد الحرام والنبوي، ودور علماء الجزائر في التواصل مع بلاد الحجاز من خلال الوقوف على بعض المناظرات والمحاورات العلمية، مع الإشارة إلى علاقة العلماء بحكام الحجاز.

وأخيراً القسم الثالث الذي جاء بعنوان: الصلات الروحية بين الجزائر والمشرق العربي (مصر– الحجاز) خلال القرن 18م وبداية 19م، والذي قسّمته إلى فصلين، فالفصل الأول خصّصته للحديث عن مظاهر الصلات الروحية بين الجزائر ومصر، وعالجت فيه: التصوف باعتباره مظهر من مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر ومصر، مع الإشارة إلى أهم الطرق الصوفية بالجزائر ومصر، ثم مظاهر التواصل الصوفي بين الجزائر ومصر، ودور الزوايا والتكايا والخانقهات والأربطة في التصوف بمصر، ودور زوايا الجزائر في التواصل الروحي.

أما الفصل الثاني فعنونته بـ: الصلات الروحية بين الجزائر والحجاز، تناولت فيه أهم الطرق الصوفية بالحجاز، كما عالجت فيه أهم أعلام الجزائر المتصوفة بالحجاز ودورهم في التواصل الروحي ، كما تطرقت إلى أهم أعلام الحجاز من المتصوفة ،ثم الحركة الوهابية بمفهومها ومؤسسها والدعوة الوهابية وعلاقتها بالجزائريين.

وأما خاتمة البحث، فقد تضمّنت مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات التي توصّلت إليها، وذيلتها بعدد من الملاحق والفهارس، وثبت للمصادر والمراجع المعتمدة.

– عرض نقدي لأهم المصادر والمراجع:

اعتمد البحث على وثائق ومصادر ومراجع ومقالات كثيرة، وفيما يلي استعراض لأهمها:

– أولا: الوثائق الأرشيفية:

أ)– الوثائق الغير منشورة:

– الوثائق الخاصة بسجلات المحاكم الشرعية، من أهمّها: سجلات محكمة الباب العالي، وكذلك سجلات محكمة القسمة العسكرية، سجلات تقارير النظر، تبيّن مستحقات رواق المغاربة من وقف سالم القصبي، ومحكمة القسمة العربية لغير الموظفين الموجودة دار الوثائق القومية المصرية.

– وثائق أوقاف الحرمين الشريفين بسجلات المحاكم الشرعية بالمركز الوطني للأرشيف بئر خادم بالجزائر العاصمة.

– وثائق المراسلات الموجودة بالمكتبة الوطنية الحامة (قسم المخطوط والوثائق) بالجزائر العاصمة.

ب)– الوثائق المنشورة:

وهي المصدر الأساسي لأيّ بحث تاريخي، وقد تنوعت مصادرها كالآتي:

– "سالنامه ولاية الحجاز"، وهي عبارة عن كتاب يحمل معلومات تقويمية وعلمية وتعليمية يصدر مرة كل عام بمكة، وقد ألقت هذه السالنامات الضوء على الكثير من القضايا المهمة والتي استفاد منها البحث؛ كإسهامات السلاطين العثمانيين في عمارة المسجد الحرام ، وفي إقامة بعض الأوقاف من مدارس ومستشفيات ومكتبات والخدمات التي قدموها للأهالي والحجاج، أيضاً أوردت السالنامات أسماء الأربطة الموجودة بمكة ومواقعها ، والمعروف أن هذه الأربطة أدّت دوراً اجتماعياً عظيماً تجلى في إيواء الكثير من طلبة العلم القادمين من بلادهم، والذين قصرت بهم النفقة عن إيجاد السكن ، فهيئت لهم المكان المناسب ليتفرغوا لطلب العلم. كما أوضحت السالنامه أسماء المدارس الخاصة بتعليم الصبيان أو ما يُعرف بـ " الكتاتيب " وأماكن وجودها، وعرفت بأسماء المدرسين بالمسجد الحرام وما يصرف لهم من رواتب شهرية، وغير ذلك من معلومات خدمت البحث وأثرته .

– سجلات "ديوان الروزنامة" التي تشمل معلومات مالية وإدارية عن مصر منذ العصر العثماني وحتى نهاية القرن التاسع عشر.

- سجلات الديوان العالي، ويضاف إلى هذه الوثائق سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة والمتمثلة في الوثائق المنشورة في كتاب: عبد الله بن مُحَّد بن زاحم المسمى: "كتاب قضاه المدينة ".

كما استفاد البحث كذلك من كتاب نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، الأوقاف- المدارس- المكتبات، للدكتور سهيل صابان، فهو كتاب قيّم يحتوي على طائفة كبيرة من النصوص العثمانية التي ترصد الأوضاع الثقافية في الحجاز أوقافً ومدارس ومكتبات إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، وتتركز هذه الحركة الثقافية في مدينتي مكة والمدينة ، حيث تضمن الحرمين الشريفين ، والكتاب يشمل " 108 وثائق أصلية عثمانية يسبقها ترجمات لهذه الوثائق، منها ما تتعلق بالحياة الثقافية بمكة مباشرة، وقد أثرت البحث بما تحويه من معلومات قيمة عن أسماء بعض الأوقاف والمدارس والمكتبات المنشأة في فترة البحث، كما أوضحت الوظائف الموجودة في تلك المؤسّسات من إشراف وتدريس ومراقبة وترميم وتجليد وحفظ للكتب.

- ثانيا: المخطوطات

تمثّلت في مخطوطات العلماء والمشايخ الذين تطرقت لهم خلال الدراسة، نذكر منها على سبيل المثال:

- ابن العنابي مُحَّد بن محمود بن مُحَّد الجزائري (ت.1267 هـ/1851م): **السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود**، مخطوط، عدد الأوراق 78، مكتبة البلدية بالإسكندرية-4562 ج.

- توزينت أبو عبد الله مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن أحمد التلمساني (ت. 1118هـ/1707م):**ثبت**، مخطوط.

- الجبرتي حسن بن ابراهيم: **العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين**.

- العُجَيمي حسن بن علي بن يحي(ت.1113هـ/1702م): **خبايا الزوايا**، مخطوط، (ترجم به مشايخه ومن اجتمع بهم)، غ.م.

- ثالثا: المصادر العربية المطبوعة

أما بالنسبة لأهم المصادر المطبوعة، والتي استفاد منها البحث فمنها:

-كتاب: " **الرحلة إلى المغرب والمشرق**" لأبي العبَّاس شهابُ الدِّين، أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى المقَّري التِّلِمْساني (ت.1041هـ/ 1631م) ، والواضح من عنوان الكتاب أنّه يؤرخ للرحلة التي قام بها المقري؛ انطلاقا من المغرب الأقصى، حيث كان يقيم سنة 1027هـ/1618م.

ويحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة، منها ما يتعلق بحياة المقّري الشخصية، وبالأحوال الثقافية والأدبية في عصر المؤلف في البلدان التي زارها، وبعض القضايا الفقهية. وقد أفادني ما ذكره الكاتب عن الحياة الثقافية في كل من المغرب والجزائر، ولقائه بالعلماء المغاربة ومناظراته العلمية معهم.

– كتاب:" **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاّة الحرم**"؛ للإمام الحنفي علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (ت. 1125هـ/1713م)؛ وهو كتاب مهم في تاريخ مكة، سار فيه مؤلفه على منهج الحوليات. يمثل هذا الكتاب مرجعًا قيمًا لباحثي العلوم التاريخية بصورة خاصة والآثار والجغرافيا ومعظم تخصصات العلوم الإنسانية على نحو عام، حيث يركّز هذا الكتاب على بعض الموضوعات التاريخية الهامة والتي تشغل اهتمام المؤرخين وباحثي التاريخ من مختلف الاتجاهات الفكرية. وقد أثرى الكتاب بمعلوماته القيمة الكثير من موضوعات الأطروحة .

– كتاب:" **تاريخ مكة : اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**"؛ لمؤلفه مُحَّد بن علي بن فضل الطبري المكي، وهو كتاب يتناول تاريخ ولاة مكة المكرمة من زمن الرسول ﷺ حتى زمن المؤلف في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وهو سجل حافل بتاريخ مكة مرتّب، شمل التاريخ العام لمكة منذ النشأة وحتى العصر الحالي.

– كتاب:" **تاريخ المدينة لابن شبة** "، وهو أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري؛ ولا سيما مساجد المدينة المنورة التي ذكرها الرحالة . ويعتبر هذا الكتاب من المراجع الهامة بالنسبة للباحثين والمتخصّصين في مجال دراسات الحديث الشريف؛ حيث يقع كتاب تاريخ المدينة المنورة في نطاق علوم الحديث الشريف والفروع وثيقة الصلة من علوم فقهية وسيرة وغيرها من فروع الهدي النبوي.

– كتاب:" **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** "؛ لمؤلفه نور الدين علي بن عبد الله السمهودي ، الذي قدّم فيه ما اطلع عليه من تواريخ المدينة، ومعالمها ، وآثارها ، حيث قدّم الكتاب صورة طيبة عن بعض أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والأحوال العمرانية ، للمسجد النبوي .

– كتاب:" **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برأ وبحراً** 1226هـ/1811م"؛ لصاحبها أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني المغربي (1147-1249هـ/1734- 1833م)، وتعتبر رحلته من أشهر الرحلات المغاربية، يرجع إليها في معرفة حال العالم الإسلامي وخاصة الحجاز، فالترجمانة هي عبارة عن شبه موسوعة تضم معلومات إضافية واستطرادات متنوعة ربط فيه مؤلف الرحلة بين الجانب التاريخي والجانب السياسي، كما تعرض لبعض الجوانب العلمية والفكرية والمساجلات العقائدية، وقد استفدت من الرحلة خاصة في الجانب العلمي و العمراني و الاجتماعي.

– كتاب:" **فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته**"؛ للعلاّمة أبو راس الناصري الجزائري، وهي تدوين لرحلتين قام بهما صاحبهما تفصل بينهما مدة عشرين سنة، كتبها في شكل مذكرات، عني فيها بإسهاب بتدوين كل الجوانب، سواء العلماء الذين اتصل بهم في البلدان التي زارها، أو الدروس التي حضرها، والشيوخ الذين استجازهم، وما سمع من أحاديث، وما روى من الأشعار.

وعموما يمكن إدراج رحلة أبي راس الناصر ضمن الرحلات المغاربية التي اتخذت طابعا فهرسيا، وهي الرحلات التي استخدمها الجزائريون والمغاربة على حد سواء، للتعبير عن الكتب التي جمعت أسماء العلماء والأسانيد والمرويات والقراءات على الشيوخ، والمصنّفات المجازة ونحو ذلك .

– كتاب:" **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، والتي تعرف بالرحلة الورثيلانية للحسين بن مُحَمَّد الورثيلاني (ت.1193هـ/1779م)، والتي تُعد من أهم الرحلات التي اعتمدت عليها، لاحتوائها على المعلومات في مختلف أقسام الدراسة ،وتوفرها على مختلف الجوانب الحضارية لمصر والحجاز، خاصة أنه أخد على من سبقه في الحج؛ بمثابة موسوعة للتاريخ الفكري والروحي.

- كتاب :"**تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**" أو تاريخ الجبرتي كما يسمى؛ لمؤلفه عبد الرحمن بن حسن الجبرتي(ت.1237هـ/1822م)، يعتبر من أهم كتب التاريخ في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين؛ إن لم نقل المصدر المصدّق الوحيد الذي يصف مصر دون حيد إلى حاكم أو تحيّز إلى شخص، وهو أهم المصادر لتاريخ مصر ، كما تضمن التراجم وسير الحكام والعلماء، حيث يسرد في كل سنة الحوادث التي عرفتها مصر خلال هذه الفترة، وقد اعتمدت عليه في أغلب الفصول .

- كتاب:" **رحلة ماء الموائد**" للشيخ أبي سالم العياشي المغربي(ت.1090هـ/1680م) ، وتُعرف بالرحلة العياشية، وتقع في جزئين، وهي في حقيقة الأمر وثيقة لا تقدر بثمن في دراسة الحركة الفكرية والروحية في بلاد المغارب وباقي أنحاء البلاد العربية، وهي من ضمن الرحلات الحجازية التي اعتمدت عليها في الدراسة من منطلقين؛ فالأول أنها سلكت مسلك ركب الحج الجزائري في ذهابه وايابه، أما المنطلق الثاني؛ فلأن رحلة العياشي كانت بمثابة بوصلة للرحالة الذين جاؤوا من بعده، فكلهم تكلموا عن هذه الرحلة، وأخذوا منها الكثير من المعلومات؛ ناهيك أن أبا سالم العياشي حج ثلاثة مرات، فعرّف بالحجاز ومصر وبمسالكها وجمع فيها المؤلف مشاهدات وملاحظات ثلاث رحلات حجازية، وقد اعتمد الرحالة الجزائري الورثيلاني كثيرا على رحلة ماء الموائد، ونقل منها الكثير من الأحداث.

- كتاب:" **الرحلة الحجازية– الحضيكي**"؛ لمؤلفها أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت. 1189هـ/1776م) ، تعكس هذه الرحلة صورة عن الحياة الفكرية للمغاربة و المشارقة، فهي موسوعة علماء وإجازات والتي انعكست على شخص الحضيكي، فأصبح عالما ومتصوفا ذا قيمة كبيرة، رغم صغر سنه أثناء رحلته إلى الحجاز، فقيل عنه أنه ذو علم واسع وسلوك قويم وهمة عالية، لذا ساهم تكوينه في أن يصبح من كبار علماء المغرب إنتاجا، وبذلك أغنى التراث الأدبي والمغربي والعربي بمؤلفاته.

- كتاب:" **رحلة ناصر الدرعي**" للرحالة أبو مدين عبد الله بن أحمد بن الصغير الدرعي المغربي، 1152هـ/ 1739م، وحملت الرحلة في طياتها معلومات ومشاهدات عن البلدان التي مر بها ومشاهد

الحرمين الشريفين، وترجمة للعلماء الذين التقي بهم، كما قدم لنا وصفا للمسجد النبوي الشريف، لذا عد بعض المؤرخين كتابه موسوعة تاريخية حضارية، مشابهة لرحلة العياشي والورثيلاني.

- كتاب" **الرحلة الحجازية الصغرى**"؛ لأبي عبد الله مُحَّد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت. 1239هـ/1823م)، قام بهذه الرحلة عام 1211هـ/1776م، وقد تضمّنت مشاهدات عن المناطق المقدّسة في بلاد الحجاز.

- كتاب:" **الرحلة الناصرية الكبرى 1709–1710م**"، لمؤلفها أبو العباس أحمد بن مُحَّد بن ناصر الدرعي (ت. 1129هـ/1717م) ، تُصنّف الرحلة الناصرية الكبرى واسمها بالكامل " الرحلة الناصرية إلى الديار النورانية"، ضمن كتب الرحلات الحجازية، تكتسي هذه الرحلة أهمية بالغة عند الجغرافيين والمؤرخين؛ لكونها تمد المؤرخ بمادة دسمة وحية عن المكان والزمان المراد دراسته، فهي بمثابة ميدان خصب للدراسات التاريخية.

وقد اعتمد المؤلف في تدوين رحلته هذه على تجربته الشخصية ووقوفه بنفسه على المشاهد والآثار والاتصال بالعلماء مباشرة للرواية عنهم، وعلى مصادر كثيرة ومتنوعة منها ما طبع لاحقا، وهذا ما أفادني في فصول الدراسة.

- كتاب:" **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم القرن الثاني عشر والثالث عشر**"؛ لمؤلفه أحمد بن مُحَّد الحضراوي المكي الهاشمي، وقد استفاد البحث من الجزء الرابع من كتاب التراجم، وهو عبارة عن تراجم علماء وأمراء كان لهم ذكر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين من شيوخ المؤلف وأصدقائه ومن عاصرهم من فضلاء وعلماء عصره.

- كتاب:" **تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاّتها الفخام**"؛ لمؤلفه مُحَّد بن أحمد بن سالم بن مُحَّد المالكي المكي الصباغ المكي، تناول فيه أخبار البيت حرام والمشاعر والأحكام فجمع فيه شتات ما تفرق من الأخبار والأحكام في كتب التاريخ، وما جاء في كتب الحديث والفقه وغيرها، وقد اشتمل على معلومات وأخبار قيّمة أفادت الكثير من فصول الأطروحة.

– **رابعا: المراجع العربية والمعرّبة:**

– كتاب :"**المجتمع المصري تحت الحكم العثماني**"؛ لمؤلفه ميكل ونتر. يُعد هذا الكتاب إضافة للمكتبة العربية، حيث قدّم فيه دراسة للتاريخ الاجتماعي للمجتمع المصري في فترة الحكم العثماني، أين أفدت منه كثيرا.

– كتاب:" **تاريخ الجزائر الثقافي**"، لمؤلفه أبو القاسم سعد الله رحمه الله (ت. 1436هـ/2013م)، وخاصة المجلد الأول الذي يشتمل على جزئين، خصّصهما للفترة العثمانية(1500–1830م)، وتكمن أهمية الكتابين في أنهما يتناولان مواضيع عدّة، تتعلق بالحياة الثقافية بالجزائر، وعلماء الجزائر، والرحلات الحجازية، والإجازات، وإبراز أهم مظاهر الصلات الثقافية مع البلاد العربية، ومضامينها والعلماء الذين من كانوا في طليعة تلك العلاقات الثقافية .

– كتاب:" **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** "؛ لمؤلفه عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني الفاسي (ت. 1382هـ/1962م)، وقد جمع فيه أسماء أكبر مجموعة من معاجم المشيخات والمسلسلات والفهارس، حيث ترجم فيه المؤلف لكثير من علماء وفقهاء ومتصوفة الجزائر والمغرب في الفترة المدروسة، فذكر فهارسهم وإثباتاتهم ، وقد أفدت منه في رصد وتوثيق الكثير من السند العلمي بين علماء المشارق والمغارب خلال الفترة المدروسة وتواصلهم الفكري والثقافي. كما يدخل هذا الكتاب في إطار مجال تخصّص علم الحديث وله صلة بالمجالات الأخرى؛ ولاسيما العلوم الفقهية والتفسير، ودراسات السيرة النبوية، والثقافة الإسلامية.

– كتاب:" **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**"؛ لمؤلفه مُحمّد بن مُحمّد بن عمر قاسم مخلوف التونسي (ت.1360هـ /1942م) ، يقع في قسمين ، والذي يهمنا هو القسم الأول الأكبر حجماً ، الذي خصّصه للمحدثين عموماً، وقد ترجم لأعلام فقهاء المالكية في الجزائر والمغرب الأقصى، ولم يهمل المؤلف التوزيع الجغرافي. فهو يترجم بالتتالي لفقهاء الحجاز، والعراق، ومصر، وإفريقيا والأندلس المشهورين. وقد أفدت منه معرفة الكثير من ومتصوفة الجزائر والمغرب وتفاعلاتهم وعلاقاتهم.

- كتاب:" **الأعلام**"؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين؛ لخير الدين بن محمود الزركلي (ت. 1396هـ/1976م) وهو عبارة عن معجم تراجم للمشاهير، اشتمل على التعريف لأشهر علماء ومفكري العرب والمستشرقين، فهو من الكتب الموسوعية ، فقد ترجم في سائر العلوم واحتوى على كثير من تراجم المشايخ وعلماء الجزائر والمغرب .

– خامسا: **المراجع باللغة الأجنبية**: نذكر منها على سبيل المثال:

- BUSSON DE JANSSENS **: Contribution à l'étude des Habous publics algériens**, Alger, 1950.
- Louis RINN :**Marabouts et Khouan: Étude sur l'islam en Algérie**. Avec une carte indiquant la marche, la situation et l'importance des ordres religieux musulma,Adolphe jourdan, Alger,1884.
- Shaler,W. : **Esquisse de l'État d'Alger**, traduction M.X, Blancher, Paris, 1830 .
- Shaw: S, T: The **Finincial and Administrative Organization and Development of Ottoman**, Egypt(1517-1798) Princeton .New Jersey, 1964.
- Lewis, B., Khādim al-Ḥaramayn, in: Encyclopaedia of Islam, t.03, éd. 1990.
- **Gerald** ,de Gaury**: Rulers of Mecca,** Published by George G. Harrap & Co. LTD (1951), London, 1951.
- DEPONT OCTAVE /COPPOLANI XAVIER, **LES CONFRÉRIES RELIGIEUSES. MUSULMANES**. Adolphe jourdan. 1897.
- Carsten Niebuhr, **Description de l'Arabie faite sur des observations propres et des avis recueillis dans les lieux mêmes**, sans édition,1774.

وإذ لم أذكر بعض المصادر و المراجع الأخرى، فهذا ليس معناه لعدم أهميتها، و إنما لكونها موجودة في ثبت المصادر والمراجع... ومهما اجتهد الباحث، فإنه من الصعب عليه الاطلاع على كل ما كُتب حول الفترة المقترحة للدراسة والبحث فيها، لأن البحث الأكاديمي هو عمل متواصل، وكتاب مفتوح، بحاجة إلى الإثراء المستمر، إما من صاحبه، أو من الأجيال القادمة.

– صعوبات البحث:

لا يكاد يخلو أي بحث علمي أو عمل جاد من الصعوبات ولا العقبات التي تواجه أي باحث، ولكنها تختلف باختلاف طبيعة وموضوع البحث، ومن جملة الصعوبات التي واجهتني؛ نذكر:

- لاشك أن موضوع البحث يتعلق بأوضاع الجزائر والمشرق العربي(مصر والحجاز) أو ما بينهما من صلات ثقافية وصوفية، وهو في حد ذاته من الأمور الصعبة، خاصة أنها تتعلق بمجموعة من العلماء الذين هاجروا من الجزائر إلى الحجاز ومصر في مرحلة زمنية لم يكن انتشار المطبعة فيها سهلاً حتى يمكن تسجيل كل حركات الهجرة، وفي الوقت نفسه كانت سبل المواصلات غير متيسرة، بل كانت الرحلات بين المنطقتين تأخذ مسافة زمنية كبيرة .

- اتساع فترة الدراسة ومجالها، مما صعب عليّ ترتيب الأفكار والأحداث والإحاطة بكل ما دُوّن في علوم ومصنّفات وإجازات ورحلات خلال قرابة القرن ونصف تقريبا .

- ندرة المصادر والمراجع التاريخية الخاصة بحركة هجرة أو انتقال هؤلاء العلماء من بلاد الجزائر إلى المشرق العربي والإسلامي.

- صعوبة التعامل مع مخطوطات وكتب الرحلات المخطوطة، التي تحدثت عن تلك الفترة الزمنية، حيث وجدت في العديد من المرات صعوبة في قراءتها بسبب الخط، وأخذ مني وقت طويلا في استخلاص المعلومات.

- صعوبة حصر المادة العلمية، خاصة أني درست ثماني رحلات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين؛ ناهيك عن صعوبة التعامل مع نص الرحلة من ناحية الأسلوب واللغة وكثرة الكلمات الغامضة.

- عدم وجود اهتمام كبير لدى المستشرقين للكتابة عن هذا الموضوع من ناحية، حيث إنهم كانوا لا يرغبون في تأكيد تلك الصلات بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي، ومن ناحية ثانية لتكريسهم فكرة أن هناك فوارق بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي.

وقد حاولت الاطلاع على بعض أمّهات الكتب التي تعرضت للعلوم الإسلامية التي كانت تدرس في الحجاز أو في الأزهر الشريف، وقد ساعدني في ذلك المكتبات والخزائن العامة والخاصة على اطلاعي على الكثير مما هو مفقود من بعض المصادر والمراجع التي تناولتها، وساعدتني أيضا في جمع المادة العلمية وتنسيقها حتى يخرج هذا البحث إلى النور.

وفي سبيل جمع المادة العملية المتعلقة بالموضوع، قُمت بزيارات لعدد من المكتبات العامة والخاصة داخل الجزائر وخارجها، ومن المكتبات التي زرتها أو استفدت من مقتنياتها داخل الوطن: المكتبة الوطنية بالحامة (قسم المخطوط والوثائق)، والمركز الوطني للأرشيف الجزائري ببئر خادم، والمكتبة الجامعية ببوزريعة لجامعة الجزائر02، والمكتبات الجامعية لجامعات وهران، وقسنطينة، وسيدي بلعباس، وغرداية.

وبالنسبة لمكتبات خارج الوطن، فقد زُرت مكتبة جامعة القاهرة، ومكتبة جامعة عين شمس، ومكتبة جامعة الزقازيق، ومكتبة الإسكندرية، ومكتبة الازهرية، وجامعة الدول العربية، ودار الوثائق القومية بالقاهرة.

كما زُرت مكتبة مركز مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بالمملكة المغربية، والمكتبة الوطنية المغربية بالرباط، والخزانة الملكية الحسينية بالرباط، ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز بفاس بالمملكة المغربية.

كما قمت بزيارة مركز الأرشيف العثماني بإسطنبول، ومكتبة السليمانية بمدينة اسطنبول، ومكتبة جامعة اسطنبول، هاته المكتبات التي زرتها ساعدتني كثيرا في الوصول إلى مصادر الدراسة.

ولا يفوتني في هذه المقدّمة أن أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العميق لأستاذي الدكتور بوسَليم صالح والمشرف المساعد الأستاذ الدكتور الزين مُحَّد؛ لتفضّلهما بالإشراف على أطروحتي، فقد بذلا جهداً كبيراً وصبراً في إشرافهما على هذه الدراسة، كما أشكرهما على نُصحهما لي حول مختلف القضايا التي عالجتها الدراسة، وما لاقيته منهما من دعم وتشجيع غير محدود، والشكر موصول للسّادة أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم الكبيرة لإتمام هذا العمل العلمي بالصورة العلمية المرضية.

كما أشكر جامعة غرداية؛ ممثلة في قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية وجميع الأساتذة والزملاء الذين ساعدوني في بحثي عن المصادر والمراجع التي ساعدتني على دراستي والذين أمدوني بنصح أو مشورة.

فإن كنت قد وفقت؛ فهذا بعون من الله وتوفيقه لي، وإن كنت قد قصرت فمن نفسي، وحسبي أنني على أول الطريق، وأتعهد أمام الله، ثم أمامكم أن أكون من خير المخلصين لأساتذتي، ولخدمة البحث العلمي، ولتعويض ما قصرت فيه في مستقبل حياتي العلمية إن شاء الله.

والله ولي التوفيق.

الطالبة الباحثة: ربيعة قريزة.

غرداية في: 25 جوان 2022م.

الفصل التمهيدي: الرحلة مظهر من مظاهر التواصل الثقافي والروحي

أولا: الرحلة بين المفهومية والتعريف

ثانيا: أدب الرحلة

ثالثا: نشأة الرحلة وتطورها

رابعا: دوافع وأنواع الرحلة

خامسا: أهمية أدب الرحلات في تدوين التاريخ

– تمهيد:

ارتبطت حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالسفر الدائم والسعي في أرجاء الأرض، فتعددت الأغراض والدوافع والأسباب والغايات التي كانت تدفع الإنسان للسفر فعادة الترحال أصبحت متأصلة فيه "ولد الإنسان رحالة"، ولعل من أهم الأسباب والغايات التي تدفع الإنسان، وخاصة المسلم للسفر والترحال هو ذلك الدافع الديني المتمثل في أداء فريضة الحج، فالرحالة كثيرًا ما ينتقلون من أماكن عديدة، فيمرون على بوادي وحواضر فيولد لديهم انطباعات حول هذه المجتمعات.

أولا: الرحلة بين المفهومية والتعريف

أ) الرحلة لغة:

تعددت التعريفات للفظ رحلة، وهو ينتمي للجذر اللغوي رَحَلَ، واسم المرة منه "رحلة: رحلًا ورحلة: جعل عليه الَّرحل، فالبعير مرحول ورحيل. وفلان رحيلًا وترحالًا ومرتحلًا: ظعن، فهو راحل"[1].

وفِي الحَدِيث "إِذا ابتلت النِّعَال فَالصَّلَاة فِي الرّحال" جمع أرحل ورحال وَيُقَال حط فلَان رَحْله وَألقى رَحْله أَقَامَ، "الرحلة" الارتحال جمع رَحل وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز الرحيم {رحْلَة الشتَاء والصيف}[2] وَكتاب يصف فِيهِ الرحَّالَة مَا رأى وبعير ذُو رحْلَة ذُو قُوَّة على السّير، "الرحلة" مَا يرتحل إِلَيْهِ يُقَال الْكَعْبَة رحْلَة الْمُسلمين وَأَنْتُم رحلي كثير الارتحال[3]، وعالم رحْلَة يرتحل إِلَيْهِ من الْآفَاق ويعبر ذُو رحْلَة قُوَّة على السّير، "الرحول" كثير الارتحال وَالرَّاحِلَة، "الرحولة" الرَّاحِلَة، "الرحيل" الارتحال وَالْقَوِي على الارتحال وَالسير،

---

[1] أحمد رضا: **معجم متن اللغة –موسوعة لغوية حديثة–**، دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، 1377هـ/1858م ج2، ص562.

[2] سورة قريش: الآية 2.

[3] ابراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، دط، القاهرة، 1989م، ج1، ص ص 334-335.

"المرتحل" الارتحال وموضعه وَمَوْضِع الرحل، "المرحل" من الْجمال الْقوي، "المرحل" الْمسَافَة، يقطعهَا السائر فِي نَحْو يَوْم أَو مَا بَين المنزلين جمع مراحل"[1].

فالرحلة لغة هي الترحيل والارتحال، ويقال رحل الرجل إذ سار، فالرحلة نعني بها السير، أي الانتقال من مكان لآخر[2].

كما يعرفها ابن منظور في لسان العرب على أنها: "الرحلة في اللغة الترحيل والإرتحال بمعنى الأشخاص والارتحال، يقال رحل الرجل إذا سار"[3].

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي "ارتحل البعيرُ: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا كتَرَحَّلُوا، والاسم الرِّحلة والرُّحلة بالضم والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضم: الوجه الذي تقصد، والسفرة الواحدة"[4].

من التعريفات السابقة تبين أن:"المعنى المحوري هو الانتقال أو السفر إلى مكان بعيد ركوبًا كما هو واضح، وقيد البعد يؤخذ من الركوب والتجهز له"[5].

فالرحلة من الناحية اللغوية تجمع على أن الرحلة هي الانتقال من مكان إلى مكان آخر.

ب) الرحلة اصطلاحًا:

لا شك أن تعريف الرحلة سيكون صعبًا، مثل تعريف أي جنس أدبي آخر، كالشعر والرواية نظرًا لتعدد مضامينها وأساليبها، ولتداخلها مع خطابات أخرى كالجغرافيا والتاريخ ... [1].

---

[1] مُحَمَّد حسن حسن جبل: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم –مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها**، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010م، ج2، ص 775.

[2] اسماعيل بن حماد الجوهري: **تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، بيروت–لبنان، 1399هـ/1979م، ج4، ص 1707.

[3] ابن منظور الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دار صادر، ط1، بيروت، د س ن، ج11، ص276.

[4] مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، لبنان، 2008م، ص1005.

[5] إبراهيم مصطفى وأخرون: المرجع السابق، ص 335.

فالرحلة هي كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجًا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وإنجاز الرحلة أي كتابتها تتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لتدوين أحداث سفره، والرحلة نعني بها من خلال هذا المعنى هي كتابة وخطاب حال إشغال واهتمام الباحثين بها[2].

كما تعرف على أنها: انتقال واحد أو جماعة، أو عائلة أو قبيلة أو أمة، من مكان إلى آخر بمقاصد مختلفة وأسباب متعددة ... وإن كان انتقال رجل أو جماعة لكشف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية ... سميت برحلة[3].

وفي تعريف آخر للرحلة يعبر على أنها ساعدت على اكتشاف موطن الإنسان وأكدت للإنسان مدى انتشاره وتوزعه على سطح الأرض، ويقوم بها رجال دين وعلم ورحالة من هواة السفر والترحال، وآخرون استهوتهم المغامرة ودفعتهم إلى كشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس[4].

ثانيا: أدب الرحلة

يعتبر الرحلة من فروع العلوم الحديثة نسبيًّا، وإن امتدت جذورها عبر التاريخ، والثابت أن "فن الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي، فيه عمومًا فائدة للمؤرخ، مثل الباحث في الأدب والجغرافيا وعالم الاجتماع وغيرهم، كما هو ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع، وفي اكتشاف معالم وأقطار ووصفها والحكم عليها وعلى المجتمع فيها حُكَّامًا ومواطنين، فهو وصف في النهاية لكل من طبع

---

[1] شعيب حليفي: **الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل**، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، دط، القاهرة، 2002م، ص10.

[2] جميلة روباش: **أدب الرحلة في المغرب العربي**، رسالة دكتوراه، تخصص: العلوم في الأدب الجزائري القديم، إشراف: محمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، 2014-2015م، ص 08.

[3] زكريا العابد: **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوربية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2006-2007م، ص 15.

[4] حسين محمد فهيم: **أدب الرحلة** ، دار عالم المعرفة، دط، الكويت ، 1978م، ص11.

من ذلك وسواه في ذهن الرحَّالَة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط يتآزر في ذلك الواقع والخيال وأسلوب القصصي والحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها[1].

وتعرف الرحلة بكونها: "منة من الله، ونِحْلَة تكسب غليظ الطباع غاية الرقة والانطباع وتعقب من كابد لها نصبًا علمًا غزيرًا وأدبًا"[2]، وأنها كذلك: "الهجرة والانتقال والاستكشاف والسياحة، فالسياحة هي الضرب في الأرض بقصد العبادة والتنزه أو الانتقال لكشف أمور علمية أو تاريخية وبعد هذه الأغراض ختم تعريفه قائلًا: "وقد أحدثت تغييرًا في أكثر فروع العلم والتاريخ والشعر ولا سيما أواخر القرن الثامن عشر الميلادي"[3].

والرحلة "لون من التأليف بين الدافع الوجداني والتأمل في رصيد المشاهدات والظواهر بدقة والبحث عن الأسباب والنتائج ببصيرة واعية"[4].

وهي "منابع ثريَّة لمختلف مظاهر الحياة ومذاهب أهلها على مر العصور واعتُبِرَ الرحَّالَة ناقلًا ليقدمها لمختلف الباحثين"[5].

أ) الرحلة عند العرب القدامى:

وتعتبر الرحلة من الأساسيات التي قامت عليها حياة العربي القديم، وقد ذكرت رحلة الشتاء والصيف في القرآن الكريم، وسوف نتعرض لها تاليًا، وقد اختلفت الدوافع عند العربي القديم عنها فيما تلاه، ومن ذلك:

---

[1] عمر بن قينة: **في الأدب الجزائري الحديث تأريخًا... وأنواعًا، وقضايًا... وأعلامًا**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1995م، ص97.

[2] ابن زاكور الفاسي: **نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تح: ضيف مصطفى بوكراع محفوظ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، د ع ط، الجزائر، 2011م، ص40.

[3] بطرس البستاني: **دائرة المعارف**، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، دط، تهران، 1870م، ج10، ص264.

[4] إسماعيل زردومي: **فن الرحلة في الأدب المغربي القديم**، رسالة دكتوراه في الأدب القديم، باتنة، 2004-2005م، ص18.

[5] حسين محمود حسين: **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، ط2، لبنان، 1983م، ص5.

– مدح الملوك والرؤساء:

وقد برع الشاعر القديم، بوصفه قائمًا مقام الرحّالَة، في التغني برحلته للممدوح، ووصف المشاق للأهوال التي كابدها حتى وصل إليه، وقد استلزم ذلك المبالغة في وصف صعوبة الطريق ومشاقه، لعلمه بما سيترتب على ذلك من زيادة في التقدير، وعِظَم في المكافأة.

وقد أوردت لنا المصادر العديد من تلك النماذج المرتحلة عن أوطانها بهدف التمدح والارتزاق على أبواب الملوك، ومن ذلك الأعشى الشاعر الجاهلي الشهير، وكم أنه "كان كثير التنقل والأسفار البعيدة فى أنحاء الجزيرة يمدح سادتها وأشرافها، وفى ديوانه مديح للأسود بن المنذر وأخيه النعمان وإياس بن قبيصة الطائي والى الحيرة من بعده، ويظهر أنه كان يقيم بها كثيرًا. وفيه أيضًا مديح لقيس بن معد يكرب الكندي، ولسلامة ذي فائش أحد أمراء اليمن، ولبني عبد المدان بن الديّان سادة نجران، ولهوذة بن على سيد بنى حنيفة. وكان يفد على سوق عكاظ، ويمدح من يمر به فى طريقه إليها من شيوخ العرب وأشرافهم، ولا يكتفى الرواة بما يدل عليه شعره من الرِّحلَة إلى الحيرة واليمن وديار كندة في حضرموت ونجران وعكاظ بل يذهبون به إلى الفرس وعمان وبلاد الشام متغلغلًا فيها إلى حمص وأورشليم (بيت المقدس) ويجتازون به البحر إلى نجاشي الحبشة، ويُجْرُون على لسانه شعرًا يتحدث فيه عن هذه الرحلات البعيدة"[1].

– التنقل وراء المطر:

كذلك كان من أهم الأسباب التي تقف وراء التنقل والترحال عند العربي القديم، السعي وراء المطر والكلأ، فمتى احتبست الأمطار جفت الأرض وأجدبت وحلّ الهلاك والفناء على القطعان والرّعاء. ولطول ما كان يحدث لهم من ذلك سموا الجدب سنة، فيقولون: أصابتنا سنة أتت على الأخضر واليابس. ومن أجل ذلك كثرت عندهم الرحلة فى طلب العشب والكلأ، فترحل القبيلة بإبلها وأغنامها

[1] شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، ط11، مصر، د س ن، ج1، ص336.

إلى مراع جديدة، وليس في الجزيرة بحيرات إلا ما يقال من أن هناك بحيرة مالحة في الرّبع الخالي، وليس بها كذلك غابات ولا أنهار جارية"[1].

ب) الرحلة في القرآن والسنة:

لقد حمل مصطلح الرحلة في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، دلالات من نوع خاص، وأهداف متنوعة، منها المنفعة التجارية: حيث تضمنت سورة (قريش) لفظ (رحلة) في قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[2]، فقد كان الكفار في الجاهلية يخرجون للتجارة، بواقع رحلة كل صيف، وأخرى كل شتاء، "كان أهل مكة تجارًا يتعاورون ذلك شتاء وصيفًا، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرون على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب في حيّ من أحياء العرب، وإذا قيل حِرْمِيٌّ خُليَ عنه وعن ماله، تعظيمًا لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن"[3].

وذكرت الكثير من المصادر أنه "كانت لهم رحلتان في كلّ عام للتجارة، إحدهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام، وكان الحرم واديًا جدبًا لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بها بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء.[4]

وكانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لأحد بمكّة مقام، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرُّف، فشقّ عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام"[5].

---

[1] شوقي ضيف: المرجع السابق، ج 1، ص21.

[2] **سورة قريش**: الآية 1-2.

[3] محمد بن جرير أبو جعفر الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه/ 2000م، ج24، ص ص 617- 624.

[4] الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد: **معالم التنزيل تفسير البغوي**، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار الطيبة للنشر والتوزيع، د ط، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1409ه/1989م، مج 08، ص547.

[5] أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحق الثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت ، 1422ه/ 2002م، ج 10، ص302.

وهنا ارتبطت بالعادة التي كان أهل مكة يتميزون بها في ترحالهم إلى الشام واليمن في فصلي الشتاء والصيف وذلك لغرض التجارة [1]، بحكم موقع مكة بواد غير ذي زرع[2].

إضافة إلى أنه قد جاءت لفظة "رحل" في القرآن الكريم بمعنى البعير وهي مرادفة للراحلة، وتتجلى في الألفاظ الآتية الواردة في القرآن الكريم، مثل: لفظة الظعن، الحج، السفر، الهجرة ولفظة السير.

وقد نالت الرحلة نصيبًا من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد شجع الرسول ﷺ، على الرحلة في سبيل طلب العلم، وذلك من خلال حديثه "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة"[3].

لأن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ مزيد كما يقول العلامة ابن خلدون في التعلم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل، تارة علمًا وتعليمًا وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها[4].

ومن أهم الرحلات الدينية فرارًا بالدين الهجرة إلى أرض الحبشة، وجاءت تلك الهجرة بناء على توجيه نبوي كريم، حيث أنها في ذلك الوقت كانت تحت حكم الملك النجاشي، والذي كان يتصف بالعدل والمروءة، فرأى النبي عليه السلام، فيها أرضًا آمنة، تصلح لهجرة المؤمنين المستضعفين لها، وقد "رأت قريش في دعوة محمد ﷺ غير ما توقعت، فقد بدأت الدعوة تنتشر بين مختلف الفئات والطبقات، فبدأت تشن عليه حربًا شاملة، فكان الرسول ﷺ، يدعو الناس في الأسواق والمنازل والأندية والمواسم،

[1] سميرة أنساعد: **الرحلات الجزائرية إلى المشرق، دراسة في النشأة والتطور والبنية**، دار السويدي، ط1، الإمارات، 2011م، ص19.

[2] قوله تعالي في الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ سور إبراهيم، الآية 37.

[3] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1417هـ-1997م، ج14، ص26.

[4] عبد الرحمان بن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1431هـ/2001م، بيروت، ج1، ص744.

ويغتنم موسم الحج فيدعو القبائل، فكانت قريش توجه وراءه من يقول عنه أنه مجنون وساحر، فكان يلقى الصد ممن يدعوهم اشتد أذى الكفار على أصحاب النبي -ﷺ- فقال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد[1] "فكانت الهجرة إلى الحبشة"[2].

وقد حرص صحابة رسول الله ﷺ، على المعرفة والاستيضاح لكل ما سنه ﷺ، من أمور دينهم ودنياهم، فأبو هريرة ﵁، يعد من أحرصهم عليه مبادرًا بالسؤال وكان الرسول ﷺ، يعلم فيه هذا ويحثه عليه، فالعلم يؤخذ بالاستفسار والتقصي[3]، وتناولت عواطف محمد يوسف نواب هذا العنصر في كتابها، حيث قالت: إن الرسول ﷺ، أمر أصحابه بالفرار إلى الحبشة، وذلك لأجل تجنب الفتنة ثم هاجر عليه أفضل الصلاة والسلام، إلى المدينة المنورة هروبًا من أرض الشرك، كما حث الرسول ﷺ، على الترحيب بطلبة العلم الذين يقدمون على مسجده من أجل التعليم[4].

وانطلاقًا مما ذُكر في مفهوم الرحلة في القرآن والسنة نجد أن هذه الأخيرة كانت متمخضة عن دوافع عديدة كنصرة دين الله ومشاهدة آيات الله في الأرض والتدبر فيها، وجاء الحض الإلهي على الرحلة بصيغ وطرق مختلفة، منها قوله تعالى[5].

ثالثا: نشأة الرحلة وتطورها

---

[1] محمد حسن حسن جبل: المصدر السابق، ج30، ص213. وينظر أيضًا: صهيب عبد الجبار، **الجامع الصحيح للسنن والمسانيد**، ج16، ص28.

[2] أحمد معمور العسيري: **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417 هـ/96 – 97م**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1417هـ / 1996م، ص60.

[3] عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين. –دراسة تحليلية مقارنة–**، مكتبة الملك فهد الوطنية، دط، الرياض، 1417هـ-1997م، ص37.

[4] نفسه: ص32.

[5] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾. سورة الملك: الآية 15.
ومعنى الآية: سهَّل لَكُمُ السُّلوك فِيهَا وذلَّلها لكم {فامشوا} فامضوا {فِي مناكبها} طُرُقِهَ". ينظر: أبو عبد الله محمد الإلبيري: **تفسير القرآن العزيز**، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، ط1، القاهرة، 1423هـ-2002م، ج5، ص13.

تعددت الرحلة بتعدد أسبابها ودوافعها متأثرة في ذلك بالظروف المحيطة بها باعتبارها الدافع والحافز الذي يضمن ويؤمن سلامة الرحلة، وجذور الرحلة في الإسلام نستطيع تقسيمها إلى مرحلتين هامتين:

أ) عصر النبوة والخلفاء الراشدين:

ربما كانت الرحلة الأولى في تاريخ الرحلات تعود إلى رحلة الإسراء والمعراج في قوله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، وتُحِيل الآية الكريمة على أن السير من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لا يُبلغ إلا برحلة وراحلة.

ورحلات الرسل كانت لتبليغ الدعوة الإسلامية ونشر تعاليم الإسلام، ومثال ذلك معاذ بن جبل[2]، الذي توجه إلى اليمن بأمر من رسول الله ﷺ[3]، إضافة للرحلات فهم أحكام الشريعة ومراجعة الأحاديث النبوية ورحلات الوفود لاعتناق الإسلام.

ب) رحلات العرب ابتداء من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي:

---

[1] سورة الإسراء: الآية 1.

[2] **معاذ بن جبل**: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي سعد أخي سلمة بن سعد، وأمه هند بنت سهل من جهينة ثُمَّ من بني الربعة. وأخوه لأمه عَبْد الله بْن الجد بْن قَيْس من أَهْل بدْر. وكان =لمعاذ من الولد أم عبد الله وهي من المبايعات وأمها أم عمرو بنت خالد بن عمرو بن عدي بن سنان بن نابئ بن عمرو بن سواد من بني سلمة". ينظر: أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد البغدادي: **الطبقات الكبرى**، تح: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1410هـ - 1990م، ج3، ص 439.

[3] عواطف مُحَمَّد يوسف نواب: المرجع السابق، ص44.

باعتبار أن رحلات هذه الفترة اصطبغت بالصبغة الجغرافية التاريخية، ومن ثم يمكن إدماجها في التراث العربي الجغرافي والتاريخي؛ وذلك نظرًا لما ساهمت به من معلومات غزيرة وقيمة انبثقت من استقصاء الرحَّالَة ومعاينتهم، وكان ذلك على النحو الآتي:

القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كان التميز في ذلك المجال من نصيب العرب، وكان من أبرز الرحَّالَة في ذلك القرن ابن خرداذبة[1] في كتابه "المسالك والممالك"، وهو كتاب في علم البلدان، وكان بدوره قد لعب دورًا هامًّا في معرفة ممالك ومسالك العالم الإسلامي، سمي بعد ذلك بالجغرافيا الوصفية كمصطلح حديث، ويؤكد ابن حوقل[2]، أهمية كتاب المسالك والممالك وذلك بقوله: "وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجبهاني وتذكرة أبي الفرج قدامة ابن جعفر"، وذكرت سميرة أنساعد أن ابن خرداذبة دافعه في التأليف كان بدافع تنظيم أمور البريد.

أما عن الجاحظ[3]، فقد برع في التأليف الجغرافي، ووصف البلاد، فقد ألَّف مؤلفًا عنوانه "كتاب الأمصار وعجائب البلدان" على حسب ما ذكر المسعودي[4]، وقام بتأليف كتاب أسماه "التبصر

[1] **ابن خرداذبة**: هو عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة أبو القااسم كان خرداذبة مجوسيًا أسلم على يَدي البرامكة، وتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحي الجبل ونادم المعتمد وخص به. قال ياقوت في معجم الأدباء: كان أبو الفرج الأصفهاني إذا أورد عنه شيئا في كتابه أعقبه بالوقيعة فيه والتنقيص له ويقول إنه كثير التخليط قليل التحصيل ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك، كتاب أدب السماع، كتاب الطبيخ، كتاب اللَّهْو والملاهي، كتاب جمهرة الْأَنْسَاب للْفرس، كتاب الأنواء، كتاب الندامى والجلساء، كتاب الشَّرَاب". ينظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، اعتناء: رضوان السيد، مطبوعة المتوسط، دط، بيروت، 1413هـ/1993م، ج19، ص ص344-345

[2] **ابن حوقل**: هو "أبو القاسم مُحَّد بن حوقل البغدادي الموصلي، رحالة، من علماء البلدان، كان تاجرًا، رحل من بغداد سنة 331هـ، ودخل المغرب وصقلّيّة، وجاب بلاد الأندلس وغيرها. ويقال: كان عينًا للفاطميين له (المسالك والممالك)". ينظر: خير الدين فارس الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م، ج6، ص 111.

[3] **الجاحظ**: هو أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي أحد النسّاء. وقال أبو القاسم البلخي: الجاحظ كناني من أهل البصرة. وكان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره وعلا قدره واستغنى عن الوصف". ينظر: ياقوت الحموي: **معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1414هـ/ 1993م، ج5، ص2101.

[4] **المسعودي ابي الحسن بن علي**: صَاحب كتاب مروج الذَّهَب فِي أَخْبَار الدُّنْيَا، وَغير ذَلِك، قيل: إِنَّه من ذُرِّيَّة عبد الله بن مَسْعُود – رضي الله عَنه– أصله من بَغْدَاد، وَكَانَ إخباريًّا مفتيًا عَلامَة ، رحل إِلَى الْبَصْرَة فلقى بهَا أَبَا خَليفَة الجمحي وَلم يعمر على ماذكر، مَاتَ

بالتجارة)، التي كانت تحوي مختلف السلع التي كانت تستورد في تلك الفترة ابتدأها من الهند والصين وأحمد ابن جعفر اليعقوبي صاحب كتاب البلدان.

أما في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فقد شهد هذا القرن ظهور رحَّالَة كبار أهمهم: "المسعودي" صاحب كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وقد شهد هذا العصر أيضًا "ابن حوقل" وكتابه "صورة الأرض"، بالإضافة إلى "الإصطخري" بكتابه "المسالك والممالك"[1].

القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقد شهد ذلك القرن رحلات مهمة قام بها الطبيب البغدادي "ابن بطلان[2]، عام 404هـ/1013م، إلى الشام ومصر وأنطاكيا والقسطنطينية وفي منتصف القرن الخامس الهجري، ظهر رحَّالَة وجغرافيو المغرب الإسلامي من بينهم "أحمد بن عمر العذرى"، صاحب "نظام المرجانفي المسالك والممالك"، أضف إلى ذلك كتابي "البكري" المعنونين بـ "المسالك والممالك"، و"معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع" باعتباره أول معجم جغرافي.[3]

القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي: فقد شهد نقلة حضارية كبرى في طريقة التدوين التي عرفتها هذه الأخيرة إضافة إلى أهمية الآثار التي خلفوها, وأبرز ما ميَّز هذا القرن من رحلات، رحلتان باعتبارهما جغرافيتين "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لصاحبها "أبي عبد الله مُحَّد الإدريسي"، وهو أكبر

سنة خمس وَأَرْبَعين أَو سِتّ وَأَرْبَعين وثلاثمائة". ينظر: الحسن علي المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2005م، ص ص 6-7. ينظر أيضا: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود مُحَّد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، ط2، مصر، 1383هـ/1964م، ج3، ص456.

[1] المسعودي: المصدر السابق، ص 09.

[2] **ابن بطلان**: هُوَ "أَبُو الْحسن الْمُخْتَار بن الْحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلَان، نَصْرَانِيّ من أهل بَغْدَاد، لازم أَبَا الْحسن ثَابت بن إِبْرَاهِيم بن زهرون الْحَرَّانِي الطَّبِيب، واشتغل عَلَيْهِ وانتفع بِهِ فِي صناعَة الطِّبّ وَفِي مزاولة أَعمالهَا. وَكَانَت بَين ابْن بطلَان وَابْن رضوَان لمراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة وَلم يكن أحد مِنْهُم يؤلف كتابا وَلَا يبتدع رَأيا إِلَّا وَيرد الآخر عَلَيْهِ ويسفه رَأْيه فِيهِ. ينظر: السعدي الخزرجي ابن أبي أصيبعة: **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، د ط، بيروت، د س ن، ص325.

[3] مُحَّد البكري : **المسالك والممالك** ، تح: جمال طلبة، دار الكباب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، ج1، ص ص هـ - و.

جغرافي في بلاد المغرب والأندلس والرحلة الثانية لصاحبها الذي طاف العالم الإسلامي خاصة الجهة الشمالية صاحب رحلة "تحفة الأصحاب ونخبة الأعجاب" وهو "أبو حامد الغرناطي الأندلسي"[1].

ويذكر حسن محمود حسين في كتابه "أدب الرحلة" عند العرب أن الرحلات في هذا القرن أخذت الطابع الأوربي في كتاباتها ويتجلى ذلك من خلال وصف الدكتور حسن محمود لرحلة الأندلسي "مُحَّد بن جبير"، والمعنونة بـ "تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار، حيث قال عنها: "إن هذه الرحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغنى عنها المؤرخ أو الجغرافي أو أديب يريد أن يدرس هذه الفترة المهمة في حياة الشرق الإسلامي، وقد رفع بها صاحبها هذا الضرب من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية". يعني أنه اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العربي.

القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي:

ويعتبر كتاب "معجم البلدان" لصاحبه ياقوت الحموي[2]، من أبرز الكتب الشاملة التي تم تأليفها في تلك الحقبة، فقد جمع بين المنهج الوصفي، والجانب الاستقرائي، مما يعمم استفادته من رحلاته الكثيرة من فوائد جغرافية عديدة وهذا المعجم لا يعد معجمًا جغرافيًّا فقط، وإنما هو أيضًا كتاب تاريخ وأدب ومرجع من أعظم المراجع التي يمكن الاعتماد عليها.

أضف إلى ذلك الرحَّالَة الأندلسي "ابن سعيد"[3] في الجهة الشرقية صاحب كتاب "المغرب في حلى المغرب" و"المشرق في حلى المشرق".

---

[1] شوقي ضيف: **الرحلات**، دار المعارف، ط4، مصر، 1956م، ص19.

[2] **ياقوت الحموي**: هو عبد الله ياقوت بن عبد الله، الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار، الملقب شهاب الدين، أسر من بلاده صغيرًا، وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، وجعله في الكتاب، لينتفع به في ضبط تجائره، وكان لا يعلم شيئًا سوى التجارة، وكان ساكنًا ببغداد. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، د ط، بيروت، د س ن، ج6، ص 127.

[3] **ابن سعيد**: هو علي بن موسى بن سعيد المغربي الغماري الأديب نور الدين، ينتهي نسبه إلى عمار بن ياسر، ورد من الغرب وجال في الديار المصرية والعراق والشام، وجمع وصنف ونظم، وهو صاحب كتاب "المغرب في أخبار المغرب" ومؤلفات كثيرة. توفي بدمشق في

وفي نهاية القرن نجد صاحب الرحلة المغربية الأديب الفقيه "محمّد العبدري"[1] باعتبار أنه بدأ رحلاته (688هـ/1289م).

القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي: شهد هذا العصر الرحّالَة الشهير ابن بطوطة، صاحب "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار" ابن بطوطة[2]، "ويعد من أشهر الرَّحّالين شرقًا وغربًا"[3]، بالإضافة إلى رحلة "ابن خلدون"[4] رحّالَة القطر المغاربي.

وقد بلغ ابن بطوطة من دقة الرصد أنه لم يُذكر أنه اعتمد على سماع، وإنما كان يورد ما يتناقله الناس من اخبار، تأييدًا لما قد رآه بعينيه، ومن ذلك أن "أبا عنان لما أحضر ابن بطوطة بين يديه عاتبه على عدم الاجتماع به لما قدم لفاس... فقال: «يا مولانا إنما أتيت بقصد المثول بين يديك، ولكن لما دخلت المدرسة التي شيدتها ولم أكن وقفت على مثلها فيما شاهدته في المعمور كلّه، قلت: والله لابد لي أن أتمم عملي وأبرّ في قسمي بالوصول إلى أقاليم السودان حتى أشاهده وأقسم أنّ ليس في المعمور كلّه مثلها! فحقق الله ظني وأبرّ يميني، هذا موجب تأخيري عن المثول بين يديك"[5].

شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة". ينظر: محمّد بن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، ج3، ص ص 103-104.

[1] **محمّد العبدري**: هو "محمّد بن محمود العبدري فاضل. أصله من بلنسية، له الرحلة المغربية".ينظر: عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، مكتبة المثني- دار إحياء التراث العرب، د ع ط، بيروت، 1376هـ-1957م، ج12، ص03.

[2] **ابن بطوطة**: هو محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة: رحالة، مؤرخ. ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى. وخرج منها سنة 725هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس، اليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وبلاد التتر وأواسط إفريقية. ينظر: ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تق وتح: الشيخ محمّد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م، ج1، ص09.

[3] فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1وط2، القاهرة، 1423هـ/2002م، ص 488.

[4] **ابن خلدون** : هو صاحب علامة أمير المؤمنين المستنصر بالله بفضل الله إبراهيم بن أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر الحفصي الموحد، استقرّ بالمغرب فاستكتبه بالحضرة السلطانية المرينية أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس، فقبض عليه، وامتحنه، واعتقله بسجن دار الإمارة". ينظر: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر: **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن**، تح: محمّد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1396هـ / 1976م، ص297.

[5] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص9.

- القرن التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين:

فبعد ابن بطوطة وابن خلدون جاء "الحسن بن مُحَمَّد الوزان"[1] المعروف باسم "ليون الإفريقي" (وصف إفريقيا) ويعتبر من خاتمة الرَّحَّالين الذين ربطوا الرحلة بالجغرافيا، لتشهد الرحلات تراجعًا ملحوظًا لشدة الحروب وتعرف معاودة بعد عصر النهضة وما انجر عنها من تجديد لوسائل العمل وأساليبه، وأشهرت الرحلات في بداية النهضة بالبعثات العلمية إلى أوروبا التي قام بها "رفاعة الطهطاوي" في كتاب "تخليص الإبريز في تاريخ باريز" والذي ترأس فيها البعثة العلمية التي قام بها مُحَمَّد علي[2] سنة 1824م.

مما سبق، يتبين لنا أن الرحلة تعتبر من الأعمدة الأساسية التي تربط بين الشعوب، وتساهم في نقل الثقافات، وتلعب الدور الرئيس في اصطفاف البشر خلف راية الثقافة الإنسانية، وكم عرفت الأمة العربية من الرحلين من يبعث على الفخر، كما أشرنا آنفًا، فقد ترك العرب من المؤلفات السالف ذكرها ما يعد تنظيرًا حقيقيًّا لتدوين الرحلة، وإرهاصات قوية لظهور أدب الرحلات في ثوبه الحديث، وسوف نتناول في المبحث الآتي دوافع أدب الرحلات وأنواعها.

القرن الحادي عشر هجري /السابع عشر ميلادي:

ومع حلول العصر الحديث، يتغير اتجاه الرحلات من المشرق والمغرب إلى أوروبا، ولعل هذا مرجعه التطور الحاصل بدول الغرب خاصة بعد الثورة الصناعية، وبعدما كانت الرحال تشد نحو مصر والحجاز،

---

[1] **الحسن الوزان** : هو "الحسن بن مُحَمَّد الوزان، أبو علي، الغرناطي أصلًا، الفاسي دارًا، المسمى في أسره يوحنى الأسد، والمعروف عند الإفرنج باسم (ليون الإفريقي)، جغرافي من العلماء، رحالة، مؤرخ أندلسي. ولد في غرناطة، وهاجر طفلًا مع أبيه وبعض أقاربه إلى فاس. ينظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص 218.

[2] **مُحَمَّد علي**: هو "مُحَمَّد علي باشا الأرناؤوط خديوي من القاهرة، كان أصله من الأرناؤوط، وقدم عسكريًا مع عساكر الترك القادمين لأخذ مصر من الفرنسيين لما استولى الفرنسيين عليها، وكان الفرنسيون قاصدين التوصل من هناك إلى افتكاك الهند من الإنكليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة، وسهل أبواب التجارة، وأنشأ معامل السلاح والسفن، وترجمت الكتب النافعة في فنون شتى من لغات شتى إلى العربية، فنشأ في مصر جيل جديد وعصر جديد، بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة". ينظر: الدمشقي الميداني: **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تح وتع: مُحَمَّد بهجة البيطار- من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، ط2، بيروت، 1413هـ/ 1993م، ص1241.

والشام والعراق تغيرت الوجهة باتجاه فرنسا، وبريطانيا وانجلترا وأمريكا، وغيرها من الدول الغربية، ولم يكن الغرض منها التعلم فحسب، بل كانت لأغراض أخرى أيضا كالسياسة، والاقتصاد والسياحة والاستطلاع "فكانت رحلات العرب إلى الغرب من أهم الوسائل التي عرفتهم بمظاهر الحضارة الأوروبية"[1].

وقد نتج عن رحلات العرب، والمسلمين العديدة نحو دول الغرب، خلال العصر الحديث الكثير من المؤلفات، التي وصف فيها الرحالون مشاهدتهم وسجلوا عبرها انطباعاتهم، وأرائهم كما نقلوا خلاصة ما طالعوه من كتب الغربيين الفكرية والأدبية، مما جعل هذه المؤلفات، التي تنتمي إلى فن الرحلة تؤدي دورا فعالا في تعريف الآخرين بالحضارة الغربية، ونشر أفكار أو نظم ومبادئ جديدة في المجتمع العربي، فكانت بذلك وسيلة من وسائل الاحتكاك بالغرب لدى الإنسان العربي، وحصول التغيير فيه، وفي مظاهر الحياة والمجتمع[2].

رابعا: دوافع وأنواع الرحلة

قبل الولوج إلى محتوى المبحث، يجب أن ننوه إلى أن أنواع الرحلات ترتبط كثيرًا بدوافعها، حيث ارتبطت الرحلة دائمًا بغرضها، وإن كانا يفترقان أحيانًا، كما سنورد في مبحثنا هذا.

هذا، وقد ازدادت الرحلات خاصة بعد الفتوحات الإسلامية، نظرًا لتوفر الأمن الذي يعتبر العامل المهم والأساسي في استمرارية الرحلة وضمان سلامتها، وهو ما حفَّز الرحَّالَة على القيام برحلاتهم التي تعددت دوافعها وأنواعها، وفي هذا السياق نجد أن أنواع الرحلات تعددت حسب تعدد دوافعها وهو ما سنعالجه في مبحثنا هذا، كل على حدة، وذلك من أجل المزيد من التفاصيل. ويمكن إجمال دوافع الرحلة في النقاط الآتية:

-رحلات طلب النجدة كالهجرة والفرار من الفتنة أو الإيذاء

---

[1] حسن محمد فهيم: المرجع السابق، ص ص 45- 46.

[2] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص ص 66- 67.

- رحلات لطلب الدين كالرحلة لأجل طلب العلم أو الحج أو الرباط في سبيل الله

-رحلات لطلب الدنيا كسفر التجارة والكسب

- رحلات السفارة ويقصد بها العلاقات بين الدول

- رحلات السياحة[1].

وينبغي التنويه بأعظم الرحلات على الإطلاق، وهي الهجرة النبوية الشريفة من مكة إلى المدينة، بعد اشتداد إيذاء الكفار للنبي ﷺ[2].

أ) دوافع الرحلة:

يمكن تقسيمها كالآتي

1- الباعث الروحي:

يتجلى هذا الباعث في الشوق والحنين لزيارة بيت الله الحرام (الرحلات الحجازية)، وقد عبّر عن هذا الرحَّالَة ابن عمار في رحلته فقال: "لما دعتني الأشواق النافقة الأسواق إلى مشاهدة الآثار والأخذ من الراحة بالثأر وأن أهجر الأهل والوطن وأمتطي ظهر السهر والسرى لبيت داعيها وأعطيت كريمة النفس ساعيها، علمًا مني أن ليس يظفر بمرادي من لا يتابع الإصدار للإيراد، ولما انبرى هذا العزم، وانبرى والتضى لاعج الشوق، وانضرم وباح الوجد بالسر المكتوم، شرعت إذ ذاك في المقصود"[3].

2- الباعث العلمي:

[1] عواطف مُحَّد يوسف نواب: المرجع السابق، ص ص 24-42.

[2] تقي الدين الفاسي: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ-2000م، ج2، ص392.

[3] أحمد بن عمار نحلة: **اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، مطبعة فونتانة، د ط، الجزائر، 1902م، ص3.

وذلك من أجل أهداف تعليمية وبغية طلب العلم يقول ابن خلدون: "الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[1]، والتي كان لها الفضل في انتشار الثقافة والعلوم في مختلف البلدان.

ويجمع شوقي ضيف بين الغرضين: الديني والعلمي، فيقول: "لعل مسيرة قوافل الأندلسيين إلى مكة سنويًّا لأداء فريضة الحج وزيارة القبر النبوي الشريف هي التي جعلتهم يولعون بالرحلة والأسفار فى العالم الإسلامي وما وراءه من بلدان وشعوب فى آسيا وأروبا وخاصة فى أنحائها الشرقية لاكتشاف المجهول من تلك الشعوب وما بديارهم من ظواهر كونية. وأيضًا فإن تعدد مراكز الثقافة فى العالم العربي وفى الأندلس نفسها منذ عصر أمراء الطوائف حبّب الرحلة إلى المشغوفين بالعلم والعلماء"[2].

وقد كان الرحَّالَة المسلمون يعتبرون السفر من أجل أداء المناسك الدينية محض جهاد في سبيل الله، وفي ذلك يقول ابن بطوطة، واصفًا دخوله الحرم النبوي الشريف: "وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف وانتهينا إلى المسجد الكريم فوقفنا بباب السلام مسلمين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستلمنا القطعة الباقية من الجذع الذي حن إلى رسول الله صلى الله عليه، وانصرفنا إلى رحالنا مسرورين بهذه النعمة العظمى مستبشرين بنبل المنة الكبرى حامدين الله تعالى على البلوغ إلى معاهد رسوله الشريفة ومشاهده العظيمة المنيفة داعين أن لا يجعل ذلك آخر عهدنا بها وأن يجعلنا ممن قبلت زيارته وكُتِبت في سبيل الله سفرته"[3]، وتأمل آخر الفقرة، وسوف تتبين كم كان هؤلاء الرحَّالَة يحتسب مشقة السفر لبيت الله الحرام في سبيل الله.

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون: **مقدمة بن خلدون**، دار الهدى، دط، الجزائر، 2009م، ص618.

[2] شوقي ضيف: مرجع سابق، ج8، ص527.

[3] ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، د ع ط، القاهرة، ج1، ص86 .

ويقول صاحب كتاب المسالك والممالك: "ففصّلت بلاد الإسلام عشرين إقليمًا وابتدأت بديار العرب فجعلتها إقليمًا؛ لأنّ فيها الكعبة ومكّة أمّ القرى وهى واسطة هذه الأقاليم"[1].

ويذهب أبو القاسم سعد الله إلى قوله في هذا المجال "المقصود بالرحلة العلمية تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عمومًا والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانًا[2]، ويسترسل أبو القاسم سعد الله في حديثه المطول والمشوق بضربه لأمثال عن الذين سافروا في طلب العلم فيذكر لنا: "عاشور ابن موسى القسنطيني" الذي تنقل لعدة بلدان في سبيل طلب العلم مدة قدرت بعشرين سنة، فسمحت له بالاطلاع والملاحظة وتعلم لهجات لمختلف القبائل والشعوب والبلدان، إضافة إلى أنه زار تلمسان والمغرب الأقصى ثم رجع لبلاده قسنطينة لتكون الوجهة لتونس وانتصب للتدريس بالزيتونة، وكان يكثر الحكايات ويستحضر الشعر في جلساته العلمية ثم توجه بأهله للحجاز إلى أن وافته المنية سنة 1074م[3].

ومن بين الذين ذكرهم أبو القاسم سعد الله كذلك "ابن حمادوش"، باعتبار رحلته غير حجازية (ق 12هـ/18م) قام بها لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر لتطوان ومكناس وفاس، ثم عاد للجزائر من تطوان وقد وصف الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والاقتصادية. ولم يكن ابن حمادوش وحده الذي زار المغرب الأقصى، فقد ذكر أبو القاسم أيضًا علماء آخرين زاروا أو رحلوا للمغرب وأبرزهم عالم تلمسان: "مُحَّد الزجاي" الذي كان من معاصري "الباي مُحَّد الكبير"[4].

---

[1] أبو اسحاق إبراهيم الاصطخري: **مسالك والممالك**، دار صادر، د ط، بيروت، 2004م، ص3.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ج2، ص ص 396-397.

[3] نفسه: ص ص 397-398.

[4] نفسه: ص ص 383-385.

ولعل آخر هذه الرحلات رحلة ابن الدين الأغواطي التي كتبها في أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر، استجابة لطلب مساعد القنصل الأمريكي بالجزائر(وليام هودسون)[1] ، وقد تحدث الأغواطي في رحلته عن الصحراء وقراها وواحاتها وتقاليدها وذكر توات وأولوف، وتحدث أيضًا عن جزء من الجزيرة العربية، وجربة[2]، وقابس[3]، وشنقيط، ونحوها.

ويضيف أحمد رمضان أحمد في كتابه الرحلة والرحالة المسلمون، أن أهم بواعث الرحلة **"الباعث التجاري"** التي اتسع نطاقها عند المسلمين في العصور الوسطى، وتجاوزوا الارتحال في البر، ليذهبوا للمتاجرة على الشواطئ والموانئ بل ظهر منهم الحاذقون من أجل سيران والبحرين وعمان. ولم يكتف المسلمون بالارتحال من أجل التجارة إلى شرق الدولة الإسلامية بل تعدوا ذلك إلى غرب العالم فوصلوا ساحل بحر البلطيق فتبادلوا المتاجر مع روسيا وفنلندا والسويد والنرويج[4].

ب) أنواع الرحلة:

كانت الرحلة عنصرًا قويا في الحياة، لذا تعددت أنواعها تبعًا للأغراض والدوافع والأسباب والغايات التي كانت تقام من أجلها، فيمكن تصنيفها كالآتي:

---

[1] **هودسون**: جاء للجزائر في سنة 1825م، لكي يساعد شيلر في مهمته كقنصل، وقد بقي في الجزائر إلى أن تعرف على الحاج ابن الدين الأغواطي في عام 1829، اشتغل بعد عودته لواشنطن كاتبًا في وزارة الخارجية. ينظر: ابن الدين الأغواطي: **رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2011م، ص81.

[2] **جَرْبَةُ**: جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس يسكنها البربر، وقال أبو عبيد البكري: وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة، وفيها بساتين كثيرة، وأهلها مفسدون في البر والبحر، وهم خوارج، وبينها وبين البر الكبير مجاز". انظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج2، ص118.

[3] **قَابِسُ**: مدينة اولية موغلة في القديم، وربما ترجع الى زمن الفينيقيين، الذين أرسوها ميناء ومصرفا تجاريا من المصارف الشرقية لقرطاج، تقع هذه المدينة في الجنوب الشرقي من إفريقية، على خليج يحمل اسمها وكان قديما يسمى خليج سرت الصغير تميزا له عن خليج سيرت الكبير الموجود في طرابلس الغرب، وقابس جنوب مدينة صفاقس. ينظر: الهام حسين دحروج: **مدينة قابس منذ الغزو الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، اشراف: مُحَمَّد بركات البيلي، جامعة القاهرة، مصر، 1421هـ/2000م، ص ص 02-03.

[4] أحمد رمضان أحمد: **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي للطباعة والنشر، د ط، جدة، د س ن، ص ص 12-13.

1- رحلات طلب العلم:

تعددت بتعداد أنواعها فكان القصد منها أو الغرض أداء المناسك أو الفريضة أو الجهاد في سبيل الله، فقد أشار القرآن إلى الرحلة العلمية في رحلة موسى عليه السلام، ولقائه الرجل الصالح الخصر عليه السلام، واصطحابه لغرض التعلم[1]. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[2].

2- الرحلات الاستطلاعية:

وتعتبر وليدة التطور والتقدم الحضاري الذي عرفه العالم في أزهى عصوره ونرجعها للرحّالَة الشغوفين بالمغامرة والتجوال فيرتحلون فترة طويلة تتراوح بين شهور وسنوات، يقوم الرحّالَة أثناءها بتدوين ما يشد انتباهه بالإعجاب أو بما خالف ما تعود عليه. وميّز هذا النوع من الرحلات "الرحّالَة الحسن بن محمّد الوزان الفاسي" الأسد الإفريقي[3].

وهو ما جاء في مقدمة كتاب ابن بطوطة: "وهناك نوع من الرّحلات يمكن أن يطلق عليه اسم الرحلات الاستكشافية وهي غير الرحلة التي تكون أصلا لغرض السياحة وهي التي يقوم بها اصحابها من أجل اكتشاف بلاد جديدة والاطلاع على أحوالها.

ويمكن أن ندرج في هذا النوع من الرّحلات ما قام به أحد عمالقة الأدب الجغرافي في تاريخ الاسلام، ويتعلق الأمر بالشريف الإدريسي السبتي الذي قدم إلينا «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» هذا الكتاب الذي يعتبر معلمة من المعالم التي يعتزّ بها العالم الإسلامي على الصعيد الدولي.

---

[1] عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي: **الرحلة في الاسلام – انواعها وآدابها**، مكتبة الدر العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1992م، ص25.

[2] سورة الكهف: الآية 60.

[3] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص11. ينظر ايضا: الطيب بوسعد: **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني**، في مجلة الواحات، ع 15، جامعة غرداية، 2011 م، ص437.

فهو أي الإدريسي، ولو أنه لا يتعرض كثيرًا للوقائع التي حدثت له أثناء أسفاره ولا يتعرض غالبًا لشيء من أحواله الشخصيّة، لكنّ تأليفه ذو صلة قوية بموضوع الرحلات باعتباره يخطط المراحل للجوّالين والمسافرين، وباعتباره مصدرًا اعتمد على الرحلات السابقة لغيره"[1].

3- الرحلات الدينية:

قال الله تعالى:﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2]. فالحج ركن من أركان الإسلام، ويعتبر فرصة من أجل ملاقاة الأمم الإسلامية، ونقطة مهمة لتبادل المعارف بالتدريس والإجازات، وهو السبيل في إضفاء المعلومات والفوائد الجمة على مكاتب الرحلات.

وأصبحت بذلك هذه الرحلات مصادر، كونها تحتوي على معلومات تخص المشرق من مسالك وعادات ويبدو أن "ابن جبير الكناني الأندلسي "هو أول من كتب الرحلة الحجازية أواخر القرن السادس الهجري[3].

في هذه الرحلات يقول أبو القاسم سعد الله "أنهم يسجلون عواطفهم المتأججة لرؤية الحجاز وأهله والتبرك بترابه وهوائه"[4]. ومن أشهر الرَّحَّالين للحج نذكر رحلة "ابن جبير"، رحلة "العبدري"، رحلة "ابن بطوطة" وغيرهم[5].

4- الرحلات الاقتصادية:

وذلك نظرًا لما كانت تحظى به التجارة من أهمية خاصة خلال العصر العباسي بعد اتساع نطاق التجارة ليتعدى حدود الدولة الإسلامية[1]، وقاموا بدور الوساطة التجارية بين المشرق الممثل في الصين

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص145.

[2] سورة الحج: الآية 27.

[3] محمد ماكمان: **الرحلات المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري/ السابع عشر الثامن عشر الميلادي** ،كلية الاداب والعلوم الانسانية، ط1،الرباط، 2014م، ص21.

[4] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص387، ينظر الملحق رقم 01 :ص 393.

[5] سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص 26.

والهند وفارس والغرب الممثل في سوريا ومصر ولبنان، وبلغوا إفريقيا السوداء فبادر الرحَّالَة الأوائل في العمل على تهيئة طريق البحث للرحَّالَة المسلمين، كما ساهمت هذه الرحلات في نشر الإسلام في كثير من الأقطار مثل إندونيسيا وأقاليم من الفلبين والصين[2].

5- الرحلات السياسية:

وتندرج وراءها أنواع منها الإدارية، السفارية والأمنية.

أما الإدارية، فهي تلك التي ينجزها الرحالون، وذلك بأمر من الدولة لغرض مصالحها الإدارية التي تشمل الطرق ونظام البريد. ويحتوي هذا النوع إلا على المعلومات العلمية. إضافة للرحلات الأمنية، هذه الأخيرة يقوم بها السلطان أو من ينوب عنه، وذلك بغية تفقد الأقاليم والإشراف على استتباب الأمن والقضاء على التمرد[3].

أما الرحلات السفارية[4] فيقول "ناصر عبد الرزاق" في كتابه: "هي وليدة التقدم الحضاري ونشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها، من أجل التفاوض فيما بينها وكان هذا التفاوض بطول مجالات شتى"[5].

ويضيف شوقي ضيف قائلًا « أن السفارات لا تفترق بين الدول العربية والدول المجاورة من دول غربية وغير غربية، وقد يرحلون حبًا للاستطلاع كما رحل "سلام الترجمان" بأمر من الخليفة "الواثق

---

[1] سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص 26.

[2] مُحَّد ماكمان: المرجع السابق، ص23.

[3] إسماعيل الزردومي: المرجع السابق، ص21.

[4] **السفارية**: بدأ التأليف السفاري أيام السعديين، علمًا بأن العلاقات الدبلوماسية مندرجة منذ القدم أما الكتابة الرحلية الدبلوماسية قد بدأت مع الدولة السعدية، وأول رحلة هي التي وضعها سفير المنصور الذهبي "علي بن مُحَّد التامكروتي" إلى الخليفة العثماني مراد الثالث سنة 997هـ. ينظر: مُحَّد العسافي الأندلسي: **الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية**، تح: عبد الرحمن مودن، دار السويدي، ط1، الإمارات، 2003م، ص19. ينظر كذلك: مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص11.

[5] ناصر عبد الرزاق الموافي: **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار النشر للجامعات المصرية، ط1، القاهرة، 1995م، ص33.

بالله[1]" (224هـ/841م) للبحث عن سد الصين الكبير الذي يقال: إن الإسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج»[2].

فلقد تعددت الرحلات، كل حسب وجهة نظره في عملية تصنيفها، فهناك من يرى أنها ستة أنواع: الحج الحرب والسفارة باعتبارها رحلات قبل ظهور الإسلام وأما بعد مجيء الإسلام فنجد: الحج، طلب العلم، رحلة التجوال والطواف[3].

وهناك من يرى أن مجموعها خمسة عشر رحلة، وهي الرحلات: الحجازية، السياحية، الرسمية الدراسية الأثرية، الاستكشافية، الزيارية، السياسية، العلمية، المقامية، البلدانية، الخيالية الفهرسية، العامة والسفارية[4].

وفي مجمل القول فإنه أيًّا ما كان الغرض من الرحلة ونوعها فإنها في أغلب الأحيان سلوك إنساني حضاري، يؤتي ثماره على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها.

وينبغي علينا التنويه بأنه "أيا كانت دوافع الرحَّالَة المعلنة منها والخفية. فقد اتصف أغلبية الرحَّالَة، ولو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة والوصف والتقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق. كما حرص معظمهم على التفرقة بين المشاهدة والرواية عند تسجيل معلوماتهم. هذه كلها سمات قد أصبحت الآن بمثابة قواعد أساسية من منهجية البحث الحقلي في الدراسات الإثنوجرافية بالمعنى الحديث.

خامسا: أهمية أدب الرحلات في تدوين التاريخ

---

[1] **الواثق بالله:** هو "هارون الواثق بالله بن مُحَمَّد المعتصم بالله بن هارون الرشيد. م سنة 232هـ، من خلفاء الدولة العباسية وكان كريمًا عارفًا بالآداب والأنساب". ينظر: بكر أبو زيد: **طبقات النسابين**، دار الرشد، ط1، الرياض، 1407هـ/1987م، ص58.

[2] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص9.

[3] صلاح الدين الشامي: **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة**، منشأة المعارف، د ط، الإسكندرية، 1982م، ص ص71-92.

[4] سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص 26.

إذا تأملنا ما سبق عرضه، فسوف نلاحظ أن:

اكتساب الرحلة أهمية كبيرة عبر التاريخ، ومن ثم فقد اهتم بها الرحَّالَة المسلمون في كتاباتهم، حتى إن بعضهم قد استعان بمن يدون له إملاءاته أثناء الرحلة، مما يعمق العلاقة بين التدوين الرحلي والتدوين التاريخي.

فنجد أن "زكي حسين" قد حدد في كتابه أهمية الرحلات بقوله: «وحسبنا لتبيان فضل الرحَّالَة المسلمين أن ينتهي بنا المطاف إلى أن دراستهم على نحو وافٍ دقيق لابد منه لكل بحث في تاريخ التجارة أو النظام السياسي أو التاريخ الاجتماعي في الشعوب الإسلامية والأمم التي اتصلت بها فإن ما كتبه الرحَّالَة المسلمون من وصافين وجغرافيين تعد وثائق عظيمة الشأن في تاريخ الإنسانية, وفي استطاعة الباحث أن يستخرج منها شتى الحقائق ومختلف ضروب المعرفة» [1].

ونجد أن الرحلة تتعرض لجميع نواحي الحياة أو تكاد، وذلك من خلال توفرها على مادة وفيرة تخدم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، لذلك فهي تكتسب قيمة علمية وأخرى أدبية. أما العلمية اكتسبتها من خلال ما تحويه من معارف جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وغيرها، وبذلك فإن الرحَّالَة يمثل دور الناقل لمختلف المعارف التي يحتاجها المؤرخين وعلماء الاجتماع وكمثال على ذلك فالرحَّالَة أثناء رحلته يدون مشاهداته الجغرافية، فيصف مثلًا البلدان والأقاليم والمدن والمسالك إضافة للمناخ والنبات، فنجد من خلال هذا أن هذه المعلومات مرجعا أساسيًّا ومعينًا للعالم الجغرافي.

كما تميز الخط البياني لكتب الرحلات بالصعود والهبوط، وإن كانت السمة السائدة هي الصعود، والتشعب والتنوع في هذا العلم، من التفنن في التصانيف، وقد بلغ الخط البياني لهذا الفن ذروته في القرنين: الثالث والثامن الهجريين، وذلك باعتبار الأول يمثل مرحلة السبق والتشوف لاستكناه ذلك

[1] زكي محمد حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د ط، مصر، 2012م، ص128.

العلم، والثاني يمثل مرحلة النضج الازدهار على يد ابن بطوطة، مما هد الطريق أمام من جاء بعده، وأشهرهم الحسن الوزان المعروف بـ (ليون الإفريقي).

وقبل الولوج لبحث العلاقة بين التدوينين: التاريخي والرحلي، لابد من التعرض لمفهوم الإثنوجرافيا، وهذا ما سيزيد إيضاح العلاقة محل الدراسة وضوحًا وجلاء.

1- الإثنوغرافيا:

هي ذكر أوصاف وعادات وتقاليد الشعوب التي يزورها الرحَّالَة، "وإذا جاز لنا أن نحدد موضوع الإثنوجرافيا، كما هو متعارف عليه أكاديميًّان نقول ببساطة: إنه الوصف الدقيق والمترابط لثقافات المجتمعات الإنسانية، فموضوع الإثنوجرافيا يتعلق أساسًا بوصف طبائع البلدان وخصال أهلها وأسلوب حياتهم"[1].

ولا شك في كون التوصيف الإثنوجرافي نوعًا من التدوين التاريخي إذ نستطيع العرف على السمات المجتمعية السائدة في عصر ما، إبان حكم ملك ما، أو ما شابه ذلك، وهو ما يدخل في صلب التدوين التاريخي.

وقد استطاع الرحَّالَة المسلمون الأوائل ربط التدوين الإثنوجرافي، والرصد الإنثروبولوجي للشرائح السكانية بالتدوين التاريخي، وإن كان ذلك قد ورد في كتاباتهم عرضًا، ومن هذا المنطلق، فقد تكررت في كتاباتهم عبارة (ومن عاداتهم)، كقول القزويني بعد وصف بلاد النوبة: "ومن عاداتهم تعظيم الملك الذي اسمه كابيل، وهو يوهم أنه لا يأكل، ويدخلون الطعام عليه سرًا، فإن عرف ذلك أحد من الرعية قتلوه لوقته، ويشرب شرابًا من الذرة مقوى بالعسل، ولبسه الثياب الرفيعة من الصوف والخز والديباج، وحكمه

[1] حسين محمد فهيم: **أدب الرحلات**، في مجلة عالم المعرفة، ع 138، الكويت، 1923-1990م، ص12.

نافذ في رعيته، ويده مطلقة يسترق من شاء ويتصرف في أموالهم، وهم يعتقدون أنه يحيي ويميت ويصح ويمرض"[1].

وهذا النص يحيلنا إلى التعرف على بلاد النوبة في فترة حكم الملك كابيل، واعتقاد الرعية فيه، من حيث القدرات الاستثنائية، وخوارق الأفعال.

وقد ذكرت المصادر التاريخية الكثير عن التتار وقائدهم جنكيزخان، ولكن الأمر يبدو مختلفًا في حديث كتب الرحلات عن التتار، ف "من عاداتهم أنه متى خرج من قبل واحد منهم شيء من الصيود أدب بحسب ما تقدم من أمره بل ربما قتلوه، ويسوقون تلك الصيود كسوق الغنم، وتواتر الرسل إلى السلطان بصورة حالها وكثرتها وقلتها، فإذا ضاقت الحلقة، وتراكمت الصيود، مشحونة بغرائب الوحوش، والحيوانات السهلية والجبلية، ودخل هو وأولاده وخواصه، وتفوقوا في القتل والقبض والتفرج، وربما استشرف القان من مكان عال، لينظر فروسية أولاده، وقوة مراسهم، فإذا تخلف من تلك الصيود بعد ذلك شيء، اجتمع ولدانهم وصبيانهم، وشفعوا إلى السلطان في إطلاق ذلك المتخلف"[2]، وهو ما يعد محض تدوين تاريخي، وتأريخ لفترة حكم جنكيز خان.

وقد أوردنا النموذجين السابقين من باب الاستدلال على اتساع التدوين الإثنوجرافي، وخروجه عن التدوين التاريخي، ولا ريب أن الرحلات كانت بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة وهو ما ذهبت إليه "عواطف بنت محمد يوسف نواب" في قولها: "الرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها لأنها تستخدم الجغرافيا وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور بل ورصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم وكذلك الاقتصادية ويتبعها السياسية بنسب متفاوتة وعرض

---

[1] زكريا بن محمد بن محمود القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، د ط، بيروت، د س ن، ص25.

[2] شهاب الدين العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1423هـ، ج3، ص110.

ذلك بزي الأدب وطابعه فهي وثائق تقدم لنا صورة حية عن المجتمع الإسلامي وتطوره أو تأخره وأسباب ذلك"[1].

لذلك نجد أنها قدّمت إسهامات بالغة الأهمية، وذلك نظرًا لما حوته من معلومات في مجال الجغرافيا، التاريخ، الأدب، الاقتصاد، الأخبار، السير، الاجتماع والسياسة فضلًا عن كونها ذات تشويق وذلك راجع لكون الرحَّالَة مولع بنقل كل ما يسمع أو تقع عينه عليه، فالرحالة أديب ومؤرخ وفقيه وعالم اجتماع وشاعر خاصة عند الاقتراب من مكة المكرمة أو المدينة المنورة كرحلة "العياشي"، لذلك نجد أن الرحلة عدت بمثابة دواوين لأصحابها[2].

هناك من يرى أن الرحلة بنصوصها قيمة مصدرية وثائقية مهمة عن جزيئات اليوم الدقيقة المنفعلة بتيارات الحياة العامة حيث التفرد والتشاكل سمتان لخصوصية المفرد والجمع في ملمح الوجود البشري في صورته الثقافية والاجتماعية، وحيث التاريخ صورة التحويل لمفردات الثقافة إلى بنية اجتماعية وصياغة التكتل الجماعي إلى قيمة ثقافية[3]، وبهذا فإننا نستقي من نصوص الرحلة وثائق للحياة الثقافية والعلمية للعديد من تاريخ البلدان والمناطق وما يحدث بها من تلاقح علمي للرحَّالَة وعلماء البلاد المطروقة أو الواقعة في مسار الرحلة[4].

---

[1] عواطف مُحَّد يوسف نواب: **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (دراسة تحليلية مقارنة)**، إدارة الملك عبد العزيز، د ط، الرياض، 1429هـ، ص20. ينظر كذلك: زكي مُحَّد حسن: المرجع السابق، ص127.

[2] عواطف مُحَّد يوسف نواب: المرجع السابق، ص ص 12-14.

[3] طاهر بن علي: **المكون السيسيو ثقافي لإنسان الصحراء- مقاربة مؤرخ في نصوص الرحلة**، في مجلة دراسات تاريخية، ع1، الجزائر، 2013م، ص113.

[4] سليمان القرشي: **دور الرحلات الحجية في نشر الكب وتداولها بين المشرق والمغرب**، في مجلة رحال، دار مثقفون بلا حدود، ع1، قبرص، 2008م، ص48.

وكتب الرحَّالَة من أهم الكتب التي اهتمت بالجانب العلمي، وذلك نظرًا لإشارتها لهذا الجانب، فقد قام الرحَّالَة بكشف المنابع التي استقوا منها علومهم، وسجلوا النشاط العلمي للعلماء الذين أخذوا عنهم وأهم الأماكن التي تلقوا فيها علمهم.

ومن خلال هذا تأتي القيمة العلمية التاريخية للرحلات اعتبارًا من كونها مصادر دُوِّنَت من طرف شهود عيان، عاصروا الحدث، وقاموا بتسجيله في حينه، وقد احتوت المعلومات على اتساع فروعها: العلمية، الأدبية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية، ويمكن لهذه المعلومات أن تخلوا من مجموعة من كتب التاريخ العامة أو الخاصة المتخصصة في الجانب السياسي[1].

على أن ما أورده الرحَّالَة لمسلمون في كتبهم لا يخلو من مزج بين التاريخ والأسطورة، ومن ذلك تكرار عبارة (حُكي أن – ذُكر أن) في كتبهم، "وحكي أن بعض الملوك وصل إلى هذه الجزيرة وشاهد القصر هو ومن معه من جنوده، فلما صاروا في الجزيرة أخذهم الخدران في مفاصلهم وغلب عليهم النوم، فبادر بعضهم إلى المراكب فنجوا وتأخر البعض فهلكوا. وذكر أن أصحاب ذي القرنين رأوا في بعض هذه الجزائرة أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب، ولهم أنياب خارجة من أفواههم حمر مثل الجمر"[2]، وهذا ما يضعف من القيمة التوثيقية للروايات التاريخية الواردة بكتبهم، ويحمل إيرادها على وجه الائتناس التاريخي بدلًا من حملها على وجه الاستشهاد والاحتجاج.

ومن الجدير بالذكر أنه قد "كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث إنها أكثر المدارس شقيقًا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين"[3].

ومما يصب في صميم ما سوف نتناوله كون نص الرحلة يعتبر –بصورة عامة– مصدر من مصادر المعرفة العامة المبرزة للظواهر الفكرية، ويعتبر أيضًا رابطة ثقافية تصور جوانب شتى من النشاط الفكري

---

[1] سليمان القرشي: المرجع السابق، ص25.

[2] سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي : **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، كلية التربية– جامعة عين شمس، القاهرة، 1428هـ/ 2008م، ص216.

[3] حسين مُحَّد فهيم: المرجع السابق، ص19.

والسياسي في العالم خلال مرئيات الرحال[1]، هذا وقد ساهمت الرحلة في إيصال فن من الفنون أو علم من العلوم إلى قطر من الأقطار لم يُعرف قط وذلك من خلال المكتبات العلمية للرَّحَّالَة، كونه يقوم بهذه الرحلة بغرض علمي بحت، فنجد مثلًا رحلة مُحَّد بن يحي الرباحي خير دليل في ذلك، إذ سافر من مصر إلى الأندلس وبرحلته هذه بدأت مرحلة جديدة في الدراسة النحوية تقوم على القراءة المنظمة لكتب النحو على نحاة متخصصين ومن ثمة بدأ التأليف النحوي بالأندلس[2].

وهذا ما يعني وضع الرحلة في الاعتبار كهمزة وصل بين المشرق والمغرب، لاعبة الدور الأكبر والرئيس في التواصل بين الشعوب، وهذا ما سوف نتعرض له في أطروحتنا.

خاتمة الفصل:

ومما تقدم، يمكن القول:

– لقد اهتم العرب بالرحلة اهتمامًا كبيرًا، وأولوها عناية فائقة، وكان لها أعظم الأثر في نفوسهم، خاصة وأن شملها المنهج النبوي بالتوجيه الإشارة، وتمثل ذلك في رحلة الإسراء والمعراج، بوصفها رحلة إعجازية، ونزول الآيات القرآنية العديدة التي تدعو للتنقل والسير في الأرض، للتفكر في خلق الله، ومشاهدة آثار السابقين على سبيل الاتعاظ والمشاهدة، والاستفادة من حضارات الأقوام الغابرة، وتمثل التوجيه النبوي في إرشاد لمسلمين، وقد اشتدت وطأة الاضطهاد الديني عليهم، بالهجرة إلى الحبشة، مما كان له أبلغ الأثر في ارتسام ملامح تشوبها هالة من التقديس حول الرحلة والارتحال؛ طلبًا لفوائد جمة.

– من الملاحظ تاريخيًّا أنه قد ازدهرت كتب الرحلات في ثوبها الجغرافي، بعد حركة التدوين التي بدأت في العصر الأموي، فكان ازدهار كتب الجغرافيا في القرن الثالث الهجري.

---

[1] مُحَّد بن عبد العزيز الدباغ: **جولة مع ابن بطوطة في رحلته**، في مجلة المناهل، ع 59، المغرب، 1999م ص125.

[2] مُحَّد فهمي حجازي: **دور رحلة مُحَّد بن يحي الرباحي**، في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مصر، ع7، مج 2، 1995م، ص121.

- اصطبغت حركة التدوين الجغرافي بالصبغة الإثنوجرافية في المراحل التالية، فحرص الرحَّالَة المسلمون على التدوين الإثنوجرافي، واختلط ذلك كله بالنشاط السكاني (الإنثروبولوجي)، مما مهد الطريق بشدة لظهور علم أو أدب الرحلات في العصر الحديث، وهذا ما يعني أن الأمة الإسلامية أمة تعنى بالتدوين والنشاط التوثيقي في أدق صوره.

- تعتبر المصادر الجغرافية الإسلامية في ثوبها الرحلي من المصادر التاريخية التي تخدم البحث التاريخي شكلًا ومضمونًا، وإن كان الباحث يرى أن في ذلك شيء من النظر، وذلك للأسباب الآتية:

1) افتقار العديد من الكتب للمنهجية التدوينية التاريخية، وافتقاد التسلسلية التاريخية المطلوبة للحكم على واقعة ما، فالأحداث التاريخية، رغم فائدتها، تأتي عرضًا في سياق جغرافي، وتعتمد المنهج التاريخي الموضوعي، في اعتمدت أغلب المصادر التاريخية المنهج الحولي، وهذا لا يقلل من القيمة التاريخية لكتب الرحلات، وإن كان يضعفها.

2) الابتعاد عن المنهج التحليلي والترجيح بين الروايات، فالرحَّالَة يكتفي بمجرد الذكر ولا يحلل الروايات، مما يبعد بكتب الرحلات عن المنهجية التاريخية، رغم احتوائها على الكثير القيِّم منها.

3) عدم الاطمئنان إلى بعض كتب الرحلات، من حيث عدم ذكر المصادر ما يشير إلى مؤلفها، مثل (رحلة بنيامين التطيلي)، فقد شاب ذلك الرجل الكثير من الغموض، مع عدم توفر المعلومات الكاملة عن شخصيته، "فهل كان بنيامين من علماء اليهود الذين ازدهر بهم القرن الثاني عشر في إسبانية الإسلامية والنصرانية؟ إننا نشك في ذلك؛ لأن كتب الأنساب اليهودية الخاصة بذلك الجيل، التي سجلت بإسهاب تراجم جميع العلماء المعروفين وفصلت ذكر مؤلفاتهم وآثارهم العلمية والأدبية، لا تذكر اسم بنيامين إلا مقرونًا بهذه الرحلة. وأغلب الظن أن هذا الرجل كان وجيهًا من وجهاء اليهود في

قشطالة، بل تاجرًا تعنيه الشؤون الاقتصادية، بدلالة هذا الاهتمام الفريد الذي يبديه في الأحوال التجارية للبلدان التي زارها، أكثر من اهتمامه بالعلماء الكبار الذين عرفهم في أثناء تجواله"[1].

4) اعتماد الكثير من كتَّاب كتب الرحلات على ما سبقهم من الكتب، وعمل تلخيصات لكتب سابقة، مثل كتاب صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، وهو ما يشي بكثرة الكتاب اللذين اعتمدوا هذا المنهج.

وفي النهاية، ينبغي الإشارة إلى أن التدوين العلمي في فروع العلم الأخرى قد حظي بدقة أكبر، سواء في النقل أو التوثيق، مما لا يقدح فيه كقدحه في الأول، وهو ما يشي بدقة العلوم المنقولة عن الشرق إلى بلاد المغرب العربي، ومنها القطر الجزائري محل الدراسة، وهو ما سوف نتعرض له في الفصول التالية.

---

[1] الرابي بنيامين التطيلي النباري الأندلسي: **رحلة بنيامين التطيلي**، تر: عزرا حداد، در وتق: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، 2002م، ص ص 7-8.

القسم الأول: واقع الحياة الثقافية بالجزائر والمشرق

- الفصل الأول: واقع الحياة العلمية في الجزائر خلال القرن 18م وبداية القرن 19م.
- الفصل الثاني: مظاهر الحياة العلمية في مصر والحجاز خلال القرن 18م وبداية القرن 19م.

الفصل الأول: واقع الحياة العلمية في الجزائر

خلال القرن 18م وبداية القرن 19م.

- أولا: المراكز التعليمية في الجزائر.
- ثانيا: العلوم المتداولة.

– تمهيد:

إن الحديث عن الواقع العلمي لمكانة العلم والتعليم في أي مجتمع لوجدنا أنها تعكس صورة المجتمع: تطوره أو تخلفه، لاعتبارهما أساسيين لثقافة كل شعب من الشعوب، ولو أسقطنا حديثنا هذا على الجانب العلمي في الجزائر خلال العهد العثماني لذهبنا إلى ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله حينما قال: "إن الدولة لم يكن لها أي دخل في هذا الميدان، فلم يكن للدولة الجزائرية عندئذ وزير لشؤون التعليم ولا مدير أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية، لقد كانت هموم الدولة منحصرة في الحفاظ على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب للخزينة وتوفير أجور الجند والمعدات الحربية فلقد كان التعليم يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية"[1]. إذن لم يكن للتعليم نصيب في الترقية والتنمية ناهيك عن بعض المحاولات التي كانت ناجمة لتلبية دينية وليس لشعور علمي[2].

في حين نجد معظم أو جل القناصل والرحَّالَة الأوربيون يصفون الجزائر بأوصاف قاسية وقبيحة بالتصرفات المنافية لكل حضارة فيعتقدون أن الجزائر وكر للصوصية، معقل للأسرى الأوروبيين، يذوق النصارى فيها مختلف أنواع العذاب ولكن الواقع غير ذلك[3]، وينفي القنصل شالر وجود العلم والتعليم في الجزائر ويدعي أن السكان يحتقرون العلوم ويكتفون بتعليم القرآن[4].

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص ص 313-314.

[2] هناك بعض الاستثناءات في هذا المجال وتتجلى في محاولات كل من باي الغرب مُحَّد الكبير وصالح باي في بايليك الشرق، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجري، فقد اهتما بالتعليم وبذلا جهودًا كبيرة من أجل النهوض به، ولكن أبو القاسم سعد الله رأى في ذلك بغية في جلب الشهرة والمدح، ولا سيما عند الباي مُحَّد الكبير الذي أرسل بالمال إلى بعض علماء المشرق والمغرب طلبًا للثناء والسمعة، وهكذا لم تكن خدمة التعليم هي الهدف الرئيسي لهذين البابين. ينظر: نفسه، ص314.

[3] مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص31.

[4] Shaler, **Esquisse de l'état d'Alger**, traduction M.X, Blancher, paris, 1830, P: 77, Paragraphe: «il est intule de l'état des science à Alger ou elles n'existent pas ou elles sont méprisées, le coran est toute leur littérature».

فنجد أن كلًّا ونظرته الخاصة في هذا المجال، وإذا كان الرحَّالَة الأوربيين قد وصفوا الجزائر بما كنا قد ذكرناه سابقًا بانعدام العلوم والتقهقر الحضاري، جدير بنا أن نتطلع إلى وجهة نظر الرحَّالَة الجزائريين والمغربيين في المجال العلمي، متناولين في ذلك ما ذكروه عن كل موطن زاروه خلال تنقلاتهم داخل الجزائر مقتصرين في ذلك على البعض من الرحلات سواء أكانت جزائرية أو مغربية.

أولا: المؤسسات التعليمية في الجزائر

تعد المؤسسات العلمية، من مساجد وزوايا وغيرها من روافد التعليم، من المرتكزات العلمية الرئيسة، والتي ارتكزت عليها الأمة الإسلامية منذ عهدها الأول، وقد كان للعثمانيين الهمة في إنشاء تلك المراكز، والرغبة في إعمار القطر الجزائري.

كانت المساجد والزوايا والمدارس والكتاتيب تتصدر المشهد، فكان الأئمة يستحثون الناس بخطبهم الرنانة، مع ابتعاث الأمور التي تزيد من التماسك المجتمعي، بالإضافة إلى استلهام النماذج التاريخية السامقة، من شخصيات الصحابة والرعيل الأول، ممن يصح الاقتداء بهم في حياة المسلم.

أ) المساجد:

لعبت المساجد دورًا كبيرًا في الحركة العلمية الإسلامية على مر العصور، ومن ذلك مسجد قباء[1]، أول مسجد وُضع في الإسلام[1]، وكذلك الجامع الأزهر[2]، والجامع الكبير في قرطبة الإسلامية[3]، وغيرها من المساجد التي قامت بأدوار تاريخية عظمى في تاريخنا الإسلامي.

[1] **مسجد قباء**: أول مسجد بني في الإسلام، وأول مسجد بني في المدينة النبوية، ومن حيث الأولية فإن المسجد الحرام أول بيت وضع للناس ومسجد قباء أول مسجد بناه المسلمون، وهو أيضًا أكبر مساجد المدينة بعد المسجد النبوي. يقع بقرب مدينة النبي من جهة الجنوب نحو ميلين، بُني المسجد من قِبل النبي مُحَمَّد وذلك حينما هاجر من مكة متوجهاً إلى مدينة. ينظر: عبد الرحمن بن مُحَمَّد ممتاز: **النسائم اللطيفة في فضائل المدينة الشريفة**، مركز البحث العلمي واحياء الثراث الإسلامي، ط2، مكة المكرمة، 1434هـ، ص ص 80-82.

يعود تأسيس معظم المساجد في الجزائر إلى أفراد المجتمع بدافع ديني، حرصًا على الثواب[4]، تتمثل وظيفتها بالدرجة الأولى في العبادة والتعليم[5]، وكان الاهتمام بها وصيانتها والاعتناء بها[6] كبيرًا خلال الفترة العثمانية[7]، وقد كان لهذه الأخيرة نصيب وافر من قبل الرحلات فقد تطرق البعض للحديث عنها وإدراجها ضمن حديثهم وعليه فنجد أن من بين المساجد والجوامع التي ذكرت الجامع الأعظم ويسمى بالجامع الكبير وهو أعظم مسجد بالعاصمة ومساحته نحو مائتي متر مربع، وهو مسجد مالكي، اختلف في تاريخ بنائه ما بين عاميْ: 1018م و 1097م[8].

وقد أورده "ابن حمادوش" في رحلته وذلك أثناء ذكره لعادة أهل الجزائر في ليلة القدر وذلك بقوله: "وعادة متولي الجامع الكبير يفرغ قنطارًا أو أكثر شمع، يفرقه على ثلاثين شمعة خضر ما بين

---

[1] أبي الفرج ابن الجوزي: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: مُحَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1412هـ - 1992م، ج3، ص95. وينظر أيضًا: ابن الأثير الجزري: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1417هـ / 1997م، ج2، ص06.

[2] أبو المحاسن ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ج4، ص54.

[3] خليل إبراهيم السامرائي وأخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2000م، ص190.

[4] مصطفى بن حموش: **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولوكس والوثائق العثمانية**، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2011م، ص19.

[5] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص 245.

[6] ارتفع عدد المساجد بالجزائر عند دخول العثمانيين إليها، خاصة بمدينة الجزائر، والتي شاهدها فانتوري دي برادي إلى اثني عشر مسجدًا جامعًا، وعدد كبير من المساجد الصغيرة ومن المساجد التي تأسست على أيديهم مسجد خير الدين وجامع كتشاوة الذي تأسس خلال ق 11هـ، وأوقف عليه حسن باشا في سنة 1209هـ/1795م أوقافًا وخصص رواتب لاثنين من المدرسين، ينظر: سعاد فويال: **المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة، د ط، الجزائر، 2010م، ص72. وينظر: فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر**، دار سنجاق الدين للكتاب، ط1، الجزائر، 2009م، ص80.

[7] أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، طبعة خاصة، الجزائر، 2007م، ص14.

[8] علي تابليت: **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، منشورات ثالة، الجزائر، د ط، الجزائر، 2010م، ص113.

ثلاثة أرطال إلى الأربعة في كل واحدة"[1]، ويضيف قائلا: "... فتحت دكاني وكنسته وجلست فيه بعد صلاة ظهر الجامع الكبير"[2]، ويورد كذلك في رحلته أنه اجتمع مع ابن عمار وذلك عند الشهادة بإجازة الورززي لابن حمادوش فقال: "اجتمعت مع ابن عمار في الجامع الكبير وأكثر الطلبة حاضرون"[3].

وتناوله ضمن رحلته كذلك الرحَّالَة المغربي أبو القاسم الزياني في قوله: "أما مدينة الجزائر فكانت قرى لبني مزغنة من صنهاجة[4] والذي أسس المدينة بلكين بن زايد الصنهاجي عام واحد وستين وثلاثمائة والذي بنى مسجدها الأعظم يوسف بن تاشفين[5] اللمتوني"[6]، وذهب أبو رأس الناصري هو

---

[1] عبد الرزاق ابن حمادوش: **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2011م، ص125.

[2] نفسه: ص 114.

[3] نفسه: ص 259.

[4] **بنو صنهاجة**: بطن من البرانس من البرب، مساكنهم ببلاد المغرب، وهم بنو صنهاجة بن برنس بن بربر، ويقال بنو صنهاج بن أوريع ابن برنس بن بربر، ويقال: إنهم من حمير من عرب اليمن وليسوا من البربر. قاله الطبري، والمسعودي، وعبد العزيز الجرجانين وابن الكلبي، والبيهقي وحكى ابن حزم: أن صنهاج إنما هو ابن امرأة اسمها بصلي، وليس له أب معروف، وإنما تزوجت بأوريع وهو معها فولدت له هوازن فكان صنهاجة أخًا هوازن لأمه. ينظر: أبو العباس القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، ط2، بيروت ، 1400هـ - 1980م، ج1، ص317.

وصنهاجة وكنانة قبيلتان من حمير، وهما من البربر، وقيل: بربر من العماليق إلا صنهاجة وكنانة فإنهما من حمير، واشتهر بهذه النسبة جماعة كثيرة من المغاربة. ينظر ايضا: عبد الكريم السمعاني: **الأنساب**، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، دار المعرف العثمانية، ط1، الهند، 1397هـ-1977م، 8ج، ص337.

[5] **يوسف بن تاشفين**: هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم المصالي، الصنهاجي، اللمتوني، الحميري أمير المسلمين وملك الملثمين وسلطان المغرب الأقصى، وهو الذي بنى الجامع الأعظم لمدينة الجزائر 1068 وتوفي أبو يعقوب 1106م. ينظر: أبو راس الناصري: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق: مُحَّد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 1986م، ص123.

[6] أبو القاسم الزياني: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًا وبحرًا**، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، ط2، الرباط، 1412هـ/ 1991م، ص149.

الآخر لذكر الجامع الأعظم حينما أشار لذكر عالمها الحاج مُحَّد بن الشاهد الذي كان يدرس في الجامع الأعظم بالجزائر محط أهل التنسك المخبئين، الوافين الذي بناه أبو تاشفين[1].

ويعتبر هذا المسجد تابعًا للمذهب المالكي وكانت صومعته ترتفع عن مستوى الأرض خمسة أمتار وكانت كل المساجد مرتبطة فيما يتعلق بالإعلان أو الدعوة للصلاة[2].

وأطلق اسم الجامع الأعظم على بعض الجوامع في بعض المدن التي زارها الرحَّالَة على غرار مدينة الجزائر وهو ما أورده الورثيلاني في رحلته في قوله "زرت الجامع الأعظم ببجاية القريب من برج اللؤلؤة الذي كان فيه تسعون مفتيا"[3].

وقد ذكر كذلك الجامع الأعظم ببسكرة قاهرة عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك فإنه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها[4]، ويضيف الورثيلاني قائلًا: "المسجد الجامع ببسكرة الأكبر الواسع ذي البنيان الشامخ فلم يوجد فيما علمت أحسن منه ولا أوسع ولا أعظم في المساجد المعلومة غير أنه كالعدم في زمننا لا ندرس العلم وأهله إذ لا تجد طالبًا يقرأ القرآن أو يتعلم مسألة من العلم فيه"[5].

وفي خِضَم حديثنا عن منطقة بسكرة فقد حظيت بالوفير من المعلومات عنها من خلال الرحلات، وخاصة مساجدها فنجد أن العياشي قد ذكره في قوله: "بها مسجد سيدي عقبة[6]، الذي

---

[1] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص96.

[2] عبد الرحمن الجيلالي: **الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا،** في مجلة الأصالة، وزارة الثقافة، الجزائر، ع8، 1972م، ص126.

[3] الحسين بن مُحَّد الوثيلاثي: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار،** تح: بن مهنا القسنطيني، دار المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2011م، ص76.

[4] نفسه: ص 199.

[5] نفسه: ص 239.

[6] **سيدي عقبة:** هو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر بن النضر بن مالك الفهري يقال له صحبة والأظهر أنه لا صحبة له سكن مصر ووفد على معاوية ويزيد بن معاوية روي عن معاوية قوله روي عنه ابنه

قال: إنه منسوب إلى البلد، وقبره الآن مشهور، وعليه مسجد عجيب، وبه مأذنة كبيرة متقنة البناء، وفي أعلاه عمود، ومن دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه ويكتب اسمه واتخذوا في ذلك عادة مستمرة"[1].

ويقول عنه أبو العباس الهلالي السجلماسي في رحلته "جامع سيدي عقبة فيه كثير من الطلبة ولم نرَ بأعظم منه"[2]. ويضيف العياشي قائلًا: "إن في بسكرة قبر أبي الفضل -ﷺ- وحوله مسجدًا وفيه مأذنة في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وأدراجها مائة وأربعة وعشرون درجة وهذا المسجد في غاية السعة إتقان البناء لكنه خال من المدرسين والقراء بالرغم من عظم المدينة"[3].

ويوجد كذلك مسجد الشيخ الإمام عبد الرحمن الأخضري[4] الذي ذكره العياشي في رحلته، وقد ورد كذلك في رحلة الزياني في قوله: "عبد الرحمن الأخضري، صاحب المنظومة في المنطق المسماة بـ (السلم المرونق) وله منظومة في السلوك تشابه المباحث الأصلية وله مقدمة في الفقه يتعاطاها أهل تلك البلاد"[5].

= أبو عبيدة بن عقبة واسمه مرة وعبد الله بن هبيرة وعلي بن رباح ومجير بن ذاخر وعمار بن سعد... يقال: له صحبة ولم تصح شهد الفتح بمصر واختط بمصر وولي الإمرة على المغرب لمعاوية بن يزيد بن معاوية وهو الذي بنى قيروان إفريقية وأنزلها المسلمين... واستشهد بإفريقية وبنى قيروان إفريقية وأنزلها المسلمين قتلته البربر بالمغرب سنة ثلاث وستين وولده بها. ينظر: أبو القاسم علي ابن عساكر: **تاريخ دمشق،** تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ- 1995م، ج4، ص 528.

[1] عبد الله بن مُحَمَّد العياشي: **الرحلة العياشية (ماء الموائد)**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، ط1، الإمارات العربية، 2006م، ص539.

[2] نفسه: ص 166.

[3] نفسه: ص540.

[4] **عبد الرحمن الأخضري**: وهو إمام جامع بين لمي الظاهر والباطن له تأليف مشهور وكرامات مأثورة واشتهر بتأليفه منظومة في السلوك رائقة النظم فائقة الحسن حلوة. ينظر: نفسه، ص542.

[5] أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص150.

ومن بين المساجد المذكورة في الرحلات كذلك ما أورده العياشي، فبالقرب من زواغة، مسجد صغير محكم الصنعة في أرض مرتفعة وكله ملبس بالجص الأبيض وله إشراق وبريق يظهر من مكان بعيد[1]. ويذكر كذلك عن المسجد الذي نزل إليه بورقلة فيقول: "دخلنا مدينة واركلا [2] لحضور صلاة الجمعة وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية خطب فيها الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير، مع إدغام أكثر حروفها"[3].أما الزياني فقد تحدث هو الآخر عن ورقلة وذكر أن فيها مسجد مخصوص لصلاة الإباضية المعتزلة[4].

وقد ذكره العياشي كذلك في رحلته، بحيث قال: "دخلت جامعًا آخرًا، وهو مسجد متقن الصنعة مجصص الأرض والحيطان، وعلى بابه أماكن وفي جوانبه معدة للوضوء وقضاء الحاجة، ومكان لتسخين الماء، فأعجبني غاية. فلما دخل المؤذن كبر في أذانه أربعا آخر، فأنكرت ذلك في نفسي إذ القوم مالكية في ظني. فلما دخل الناس للصلاة ابتدروا زوايا المسجد يتيممون، فقلت عجبًا، هؤلاء كلهم من ذوي الأعذار؟ ثم وقع في نفسي أنهم عزابة روافض، ثم سألنا ذلك فإذا المسجد مسجدهم يصلون فيه، وهم طائفة من الإباضية من أتباع عبد الله بن إباض يوافقون المعتزلة في أكثر عوائدهم"[5].

---

[1] عبد الله بن مُحَّد العياشي: المصدر السابق، ص132.

[2] **واركلا**: ورجلان، واكلان، ورقلة، وارقلان وهذه الأسماء كلها تدل على رقعة واحدة من هذا الوطن قديمًا وحديثًا إلا أن الاسم المعروف به الآن واجلان، وورقلة اسم لعاصمة بلاد كثيرة تحت نفوذها، يسكنها أخلاط من البربر، والأعراب ورجال الحشان.

ينظر: إبراهيم بن صالح أعزام: **غصن البان في تاريخ وارجلان**، تر وتح: إبراهيم بحاز وسليمان بو معقل، المطبعة العالمية، ط1، غرداية، 2013م، ص ص 56-57.

[3] عبد الله العياشي: المصدر السابق، ص ص 114-115.

[4] أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص149.

[5] عبد الله بن مُحَّد العياشي: المصدر السابق، ص117.

كما تطرق لذكر هذا المسجد بورقلة "ناصر الدين سعيدوني"، وذكر أنه يوجد مسجدان لمالكي المعروف بجامع سيدي عبد القادر الجيلاني، والمسجد الخاص بأتباع المذهب الإباضي وهو مسجد أعجب به العياشي في رحلته[1].

ومن بين المساجد كذلك التي وردت في الرحلات مساجد مدينة قسنطينة بحيث تحدث الورثيلاني عن ذلك فقال: "كل مسجد من مساجدها فيه ولي صالح دفن في المسجد، وينسب إليه، فيقال: مسجد فلان كسيدي أحمد بن عين الناس وسيدي أبي عبد الله الشريف، وهو من بين المساجد الواقعة بالحي العربي العتيق[2]، وسيدي عبد المؤمن وسيدي الرماح وسيدي مفرج وسيدي عمر الوزان[3]، وسيدي عبد الكريم الفكوان وسيدي عبد اللطيف وغيرهم[4]. وذكرها الزياني كذلك في رحلته وذلك عند اجتماعه بالمسجد العتيق بإمامه وخطيبه الوالي الصالح أبي البركات سيدي مبارك ابن الفقيه العلامة سيدي عمر الصائغي ثم اجتمع بها بالفقيه العلامة الصوفي أبي الحسن علي ابن مسعود لوتيسي واستأنس بمذكراته ومحاضراته[5].

وقد أثنى حسن الوزان هو الآخر في كتابه وصف إفريقيا على قسنطينة فقال: "متحضرة جدًا ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالجامع الكبير والمدرستين والزوايا الثلاث والأربع"[6].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000م، ص 523.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 143.

[3] **جامع سيدي عمر الوزان**: موقعه برحبة الجمال قررت السلطات المحتلة في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي إزالة الجامع لإقامة منشآت على أنقاضه نقلت رفاته من مسجده الأصلي إلى جامع سيدي عبد الرحمن القروي المجود أيضًا برحبة الجمال على مقربة من جامع الشيخ عمر الوزان ودفنت رفاته على سيار المحراب. ينظر: كمال غربي: **المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط خ، الجزائر، 2011م، ص148.

[4] الحسين الورثيلاني: مصدر سابق، ص366.

[5] أبو القاسم الزياني: مصدر سابق، ص183.

[6] الحسن بن مُحَّد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: مُحَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983م، ج2، ص56.

وختاما لما قلناه عن المساجد فنجد أنها قد لعبت دورًا تعليميًا كما ذكرها أبو القاسم سعد الله بأنها تعتبر منشطًا للحياة العلمية والاجتماعية، ويضيف قائلًا: "إن دروس هذه الجوامع كانت تضاهي بل تفوق أحيانًا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها وتعدد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وكانت علومهم مضرب الأمثال في العمق والإحاطة"[1].

ب) الزوايا:

من أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني والزوايا ونحوها[2] تحولت إلى معاهد للتعليم وقد سهلت هذه الزوايا مهمة سرعة انتشار التعليم، لأن المباني كانت جاهزة[3]. وقد حظيت الزوايا هي الأخرى بقدر معلوماتي من الرحلات، فقد ذكر أبو العباس الهلالي السجلماسي أنه قد زار قرية سيدي عقبة، في قوله: "ثم ارتحلنا فوصلنا قرية سيدي عقبة بعيد الزوال وهذه القرية عظيمة وفيها زاوية للحجاج ذهب إليها الدراويش فأخبروا أن صاحبها أضافهم ضيافة أحسن من ضيافة البسكري"[4]، وذكرها الزياني فقال: "بسكرة من أحسن المدن بها مساجد معتبرة البناء وفي شرقها زاوية على مسجد الصالح التابعي عقبة بن نافع الذي أسس مدينة القيروان في خلافة عثمان رضي الله عنهما"[5].

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 273-274.

[2] نفسه: ص262.

[3] العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، في مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة، ع01، الجزائر، 1980م، ص61.

[4] أبو العباس السجلماسي: المصدر السابق، ص166.

[5] أبي القاسم الزياني: المصدر السابق، ص149.

كما انتشرت الزوايا في إقليم توات انتشارًا واسعًا، فأضحت الزاوية مركز إشعاع حضاري ومكان تنظيم وتربية، فكانت دائمًا الرافد العلمي والفكري في منطقة توات[1]. ويضيف أبو القاسم سعد الله أن الزوايا أصبحت مقصدا للطلبة، من ذلك زاوية خنقة سيدي ناجي[2] وزاوية مُحَمَّد بن علي المجاجي (أبهلول)، وزاوية القيطة، وزاوية[3] ابن علي الشريف[4]".

وذكر الورثيلاني أنه زارها فقال عنها: "زرت سيدي عقبة وسيدي خالد وعبد الرحمن الأخضري صاحب التآليف المشهورة والتصانيف المذكورة"[5].

أما الزياني فقد زار ضريح الشيخ عبد الرحمن الأخضري، وقال عنه: "ضريح العلامة الصالح في زاويته المشهورة به وهو سيدي عبد الرحمن الأخضري صاحب المنظومة في المنطق المسماة بالسلم المرونق"[6]. وهو على مرحلة من زاوية سيدي عقبة[7]. كما ذكره العياشي في رحلته بقوله: "ودخلنا بلاد الزاب وزرنا زاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الأخضري وفي نفس السياق ذكر العياشي أنه توجد زاوية

---

[1] مُحَمَّد الصالح حوتية: **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة/ الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي– دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر، ج1، 2007م، ص233.

[2] **خنقة سيدي ناجي**: وقد قال عنها الرحالة الورثيلاني" الخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار في وسط وادي بين جبلين، وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها وفي البركة". ينظر: الحسن الورثيلاني: نزهة الأنظار، ج1، المصدر السابق، ص251.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 268. ويذكر أن خمسة قبائل قصدت مع الشيخ سيدي المبارك المكان فاستوطنت وبنت مساكنها به فظهرت معالم لمدينة مقسمة الى خمسة أحياء رئيسية، ولما ذاع صيت زاويتها ومدرستها الناصرية، أصبحت المدينة تلقب أيضا بـ "تونس الصغيرة" محاكاة لـ تونس وجامع الزيتونة. ينظر: أحمد السعداوي: **التواصل بين ايالتي تونس والجزائر**، في مجلة السبيل، مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، ع1، تونس 2016م، ص ص 01-17.

[4] **زاوية سيدي مُحَمَّد الشريف**: كان مُحَمَّد الشريف من الأولياء المكرمين جدًّا في مدينة الجزائر والذي توفي سنة 948هـ/ (1542-1543م) كما يدل بذلك التسجيل القريب من ضريحه "توفي الشيخ المبارك سنة 1984م، وهو الإمام الشريف العفيف أربعين من ثمانية وتسعمائة"، وقد كان يشرف على هذه الزاوية وعلى الأوقاف الكثيرة المخصصة لها وكيل بمساعدة شاوش وكلاهما كانا من الأندلسيين، ينظر: يحي بوعزيز: **أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين**، مجلة الثقافة، السنة 11، ع63، 1981م، ص16.

[5] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص49.

[6] أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص150.

[7] مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص172.

بالقرب من نفزاوة[1]، يقال لها (جمنة) نسبة إلى قبر رجل صالح من الصالحين يدعى سيدي حامد الجمني"[2]. ويقول: "نزلنا بأوقروت[3] وجدنا بإحدى قراها بدغامشة[4] زاوية عبد الله بن طمطم وزاوية سيدي مُحَّد عمر بن مُحَّد بن صالح الأنصاري الخزرجي الشامي[5] تيكورارين[6].

وبالإضافة إلى ذلك فقد ذكر ابن حمادوش أن من عادة أهل الجزائر دائمًا زيارتهم لقبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي، فيحضرون لختم البخاري ويتهيؤون للعيد[7]، والذي أقام بناءه الحاج أحمد (1696م)، وجدد على عهد عبدي باشا، ويضم أضرحة وادي دادة وسيدي منصور والحاج أحمد باي قسنطينة[8].

وكانت هذه الزاوية تحتوي على مسجد صغير له منارة أنيرة، مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمنة الزوايا وهو الشكل الذي استورده الأتراك إلى الجزائر.

وبالجملة فإن الزوايا كانت بمثابة مخازن للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون وعملت على احتضان اللغة والثقافة العربية ونشرها بشكل واسع فكان ذاك شكل من المقاومة للجهل والأمية وهذا حسب ما ذكره يحي بوعزيز في كتابه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري[9].

---

[1] **نفزاوة**: مدينة من أعمال إفريقية بينها وبين قابس ثلاثة أيام ويقال نفزاوة من نواحي الزاب الكبير، بها جامع وأسواق وحمام ينظر: ياقوت الحموي: المرجع السابق، ص296.

[2] عبد الله العياشي: المصدر السابق، ص126.

[3] **أوقروت**: وهي عبارة عن مجموعة من القصور الكثيرة، يسكنها مزيج من الناس من عائلات وجماعات من شرفاء المرابطين، وعرب، وموال، وهي من القرى الواقعة في منطقة تيكورارين بإقليم توات، ينظر: مُحَّد الصالح حوتية: المرجع السابق: ص61.

[4] **دغامشة**: هي قرى كثيرة ببلاد التوات. ينظر: عبد الله مُحَّد العياشي، المصدر السابق، ص80.

[5] أحمد مريوش: المرجع السابق، ص169

[6] **تيكورارين**: تقع في الجزء الشمالي لواحة توات وهي قصور كثيرة ذات نخيل جم وهي معدودة من بلاد بتجورارن وتعني باللهجة المحلية المخيمات، وتعرف اليوم بالقورارة. ينظر: عبد الله العياشي: المصدر السابق، ص81.

[7] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص126.

[8] علي تابليت: المرجع السابق، ص56. وينظر أيضًا، أحمد مريوش: المرجع السابق، ص165.

[9] يحي بوعزيز: **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 1985م، ص ص 19-20.

ج) المدارس:

تعد المدارس من بين المراكز التي تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية[1]، فخلال العهد العثماني شهدت الجزائر انتشارًا واسعًا للمدارس الابتدائية، بحيث كان لا يخلو منها حي من الأحياء في القرى والمدن، بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، وهذا ما جعل جميع اللذين زاروا الجزائر ينبهرون من كثرة المدارس وانتشار التعليم بها وندرة الأمية بين السكان[2].

وبناء عليه نجد أن الرحلات هي الأخرى قد تناولت بعض المدارس فها هو المقري قد ذكر في رحلته إلى المشرق والمغرب أنه كانت زيارته لمدرسة أولاد الإمام بتلمسان 1010هـ، هذه الأخيرة التي ذاع صيتها بالمغرب باعتبارها أول مدرسة أسست بتلمسان الزيانية على عهد أبي حمو موسى الأول (707-708هـ/1307-1308م) أمر ببنائها في أول عهده، وعين للتدريس فيها الأخوين عبد الرحمن وعيسى ابني الإمام[3].

وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله: "إن الفرنسيين قد وجدوا بعد احتلال تلمسان خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام"[4].

كما أشاد الحسن الوزان على وجه الخصوص، بعناية أهل تلمسان بتشييد المدارس والإنفاق عليها بقوله: "توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينة لها أئمة وخطباء، وخمس مدارس حسنة

---

[1] أحمد مريوش: المرجع السابق، ص15.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص274.

[3] أحمد المقري: **رحلة المقري الى المغرب والمشرق**، تح: مُحَّد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2004م، ص140.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص ص 274-275.

جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية"[1]، باعتبار أن الوزان كانت زيارته للجزائر عشية استقرار العثمانيين بالجزائر، ويضيف العيد مسعود عن المدارس في تلمسان فيقول: "أما في الغرب الجزائري فقد كان يوجد في مدينة تلمسان، التي يتراوح سكانها بين 12و14 ألف نسمة تقريبًا، ثلاث مدارس عليا وخمسون مدرسة ابتدائية"[2].

أما ابن حمادوش[3]، فيذكر كذلك في رحلته أنه كان يلتقي مع ابن عمار في مدرسة الجامع الكبير فيقول: "كنت أجتمع مع ابن عمار إما في بيته وإما في مدرسة الجامع الكبير"[4]، باعتبارها مدرسة للتعليم الثانوي والعالي فقد ذكر أحمد مريوش أن هذه الأخيرة تعد من بين المدارس التي ذكرها وأشاد بها الفرنسيون بعد احتلالهم لتلمسان مع مدرسة أولاد الإمام التي ذكرت سابقًا[5].

وتعدد ذكر المدارس في الرحلات المتطرق إليها آنفًا، فنجد أن الرحَّالَة أبي العباس الهلالي السجلماسي ذكر أن بلاد الزاب[6]، هي الأخرى كانت بها مدارس فذكر قائلاً: "نزلنا قرية أولاد

---

[1] الحسن الوزان: المصدر السابق، ص19

[2] العيد مسعود: المرجع السابق، ص71.

[3] **ابن حمادوش**: هو أبو محمد عبد الرزاق بن محمد بن أحمد بن حمادوش، أو أحمدوش الجزائري، ولد سنة 1107هـ/1695م في مدينة الجزائر، من عائلة متوسطة الحال من طبقة الحرفين، اشتغل بقرائته الكتب والعلم، اشتهر أيضا بعلم النبات والطب والصيدلة والفلك والمنطق والنحو والآداب، غلبت على تآليفه العلوم التجريبية، عاصر الكثير من الاحداث في ق18م، منها احتلال الإسبان لمدينة وهران وثورة احمد الريفي المغربي وفراره إلى الجزائر وقد شاهد ثورة احمد الريفي عيانا وروي احداثها بكثير من التفصيل في رحلته. تتلمذا علي يد الكثير من الشيوخ في بلده الجزائر منهم: الشيخ محمد بن ميمون، ومن مؤلفات ابن حمادوش المشهورة: رحلته التي سماها "لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والآل"و" تأليف في صورة الكرة الارضية" و" تأليف في الطاعون"، ولا توجد معلومات عن سنة ومكان وفاته لكن بعض المراجع تشير ظنيا انه تجاوز التسعين سنة. ينظر: محمد شارف: **ابن حمادوش، طبيب جزائري من القرن الثامن عشر**، في مجلة الفضاء المغاربي، مج04، ع01، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2020م، ص ص 99-102.

[4] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص256.

[5] أحمد مريوش: المرجع السابق، ص15.

[6] **بلاد الزاب**: منطقة واسعة تقع جنوب غرب إفريقية، كانت في الأصل عبارة عن قرى عديدة تعرف كل واحدة منها بالزاب وإقليم الزاب يقع يبتدئ غربًا من تخوم مسيلة ويحده شمالًا جبال مملكة بجاية ويمتد شرقًا إلى بلاد الجديد التي توافق مملكة تلمسان، وجنوبًا إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى واركلا وهذه المنطقة شديدة الحرارة رملية لا يوجد بها إلا اليسير من الماء

جلال، وبها مدرسة للطلبة المهاجرين وهم يسمون الغرباء مهاجرين وكانوا يقرؤون المختصر الفقهي ولا يشتغلون بغير الفقه"[1]. وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن البعض من المدارس كانت سائدة وذات شهرة علمية في الفترة العثمانية، مثل: المدرسة القشاشية التي ذكرها أبو راس الناصري قد أشار إليها في مخطوطه (عجائب الأسفار)، وقال عنها أبو القاسم سعد الله: "أنها منسوبة إلى جامع القشاش، والظاهر أن المدرسة متصلة بالزاوية أي الزاوية القشاشية، ولهذه المدرسة أستاذًا مكلفًا بتدريس الشريعة الإسلامية والتوحيد بالإضافة إلى عشرة أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى، وهكذا استمرت مدرسة القشاش في تغذية التعليم الثانوي والعالي في مدينة الجزائر، ومع ذلك فإن الفرنسيين قد حولوها بمجرد احتلالهم سنة (1247هـ/1831م) إلى مخازن للجيش"[2].

أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية من مدارس مدينة الجزائر، فقد عرفت هي الأخرى إشعاعًا ثقافيًا خاصة في عهد صالح باي الذي أسس الكتانية عام (1190هـ/1776م) لتعليم مختلف العلوم وقد جعل بها نظامًا خاصًا، وقد تطرق كمال غربي للتفصيل في هذه المدرسة، حيث تم إنشاؤها كما تقدم من طرف صالح باي[3]، وجعل لها وللمسجد أوقافًا يصرف دخلها عليهما خدمة

= وقليل من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب لكن عدد حدائق والنخل بها لا يحصى، يشتمل الإقليم على خمس مدن وعددًا كثيرًا من القرى. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ص139.

[1] نفسه: ص 154. وينظر أيضا أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج2، ص 545.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص282.

[3] **صالح باي**: هو صالح بن مصطفى ولد بمدينة أزمير على ساحل بحر إيجة غرب الأناضول من أسرة متوسطة الحال، اضطرته الظروف أن يغادر موطنه الأول ويلتحق بحامية الجزائر، ولصالح باي مآثر عمرانية وخدمات ثقافية عديدة منها تأسيسه لمسجد ومدرسة سيدي الكتاني (1775م) وبناؤه مدرسة ملحقة بالجامع الأخضر (1789م) كما شيّد بمدينة عنابة مسجدًا ظلّ باسمه. أما عن خدماته الثقافية فتتمثل بالخصوص في توفير الظروف الملائمة للمدرسين وطلبة العلم بقسنطينة. **ينظر**: ناصر الدين سعيدوني: **الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني**، مجموعة دراسات أكاديمية وبحوث علمية، البصائر، ط خ، الجزائر، 2013م، ص ص72-73.

للدين والعلم واشتهرت المدرسة منذ تأسيسها باسم المدرسة الكتانية[1]، وعمل صالح باي على تنظيم العمل بها بكل حرص ودقة إذ حدد شروط الالتحاق بها وقوانين الإقامة وأجرة المدرسين وغيرها[2].

ومن أشهر المدارس كذلك مدرسة الخنقة، هذه الأخيرة التي أشاد بذكرها الورثيلاني في رحلته فقال عنها: "والخنقة لها فضل عظيم سيما إظهار العلم فيها فإنهم مشتغلون النحو والفقه والحديث خصوصًا مختصر البخاري"[3]. وتنتسب أيضا مدرسة الخنقة إلى مؤسسها أحمد بن ناصر (1171هـ/1758م) لذلك تسمى بالناصرية، وكانت مقصدًا لطلبة الزيبان، ووادي سوف، والأوراس وحتى قسنطينة وعنابة[4].

وإضافة لمدرسة الخنقة، هناك مدرسة أخرى وهي مدرسة مازونة، التي تطرق إليها أبو راس في رحلته "فتح الإله ومنته"، بحيث تحدث عنها فقال إنه انتقل إليها فأنتفع به الكثير من الطلبة في الأحكام الخاصة بالقرآن الكريم وأحكامه وأنصاصه وما يتعلق به ويضيف قائلًا إنه انتقل منها لا يحمل معه لا مال ولا شيء سوى معرفته للفقه دون غيره[5].

وتعد مدرسة مازونة[6] من أبرز المدارس الكبرى المحلية بابايليك الغرب، وعرفت بمدينة العلم والعلماء والمثقفين بفضل العلوم الدينية واللغوية التي كانت تلقن بها. وهذه الأخيرة كانت مدرسة فقهية متخصصة في العلوم الدينية كالفقه والأصول وتفسير القرآن ودراسة علوم الحديث[1].

---

[1] كمال غربي: المرجع السابق، ص 196.

[2] نفسه: ص 197.

[3] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص252.

[4] نفسه: ص284.

[5] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص21.

[6] **مازونة:** تعني أرض الرجال الأقوياء، ومازونة اسم قبيلة من زناتة لأن اسم أبيهم مازون، تقع مازونة في قلب جبال الظهرة، أثارت إعجاب كثير من الرحالة والجغرافيين القدماء، ولمدينة مازونة موقع جغرافي هام وأهمية اقتصادية واستراتيجية وتاريخية، فهي محاطة بالجبال، وملتقي الطرق التجارية من الشرق الى الغرب وكل هذا جعلها تستقطب اليها الأنظار على مر العصور. ينظر: فاطمة غالم–عبد القادر بوباية: **مدرسة مازونة ودورها في الحركة العلمية والثقافية،** في مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، مج6، ع23، أوت 1437هـ/2016م، ص ص 381-382.

وهذه المدرسة لها أهمية كبيرة في الغرب الجزائري، وهي من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني[2].

وبالجملة فإن الفضل يعود للمدارس في انتشار العلم وتعليم العلوم وما يميز هذه المدارس خلال العهد العثماني هو انتشار صيتها الذي كان ناجما عن مدى اهتمام أصحابها وبالتالي كانت مركز لاستقطاب رواد العلم من مختلف المناطق.

وإذا تساءلنا عن الممول الحقيقي والأساسي لهذه المراكز التعليمية لوجدنا أنها الأوقاف بالدرجة الأولى ولكن هل كانت هذه الأخيرة مسخرة لخدمة العلم والعلوم أم أنها مستغلة لأغراض أخرى؟

د) الأوقاف:

هي تلك المؤسسة التي تتكفل بسد حاجات المشتغلين بالتعليم من فقهاء ومعلمين وطلبة باعتبارها مؤسسة تغطي نفقات القائمين على المساجد والمدارس والأضرحة والزوايا، والأكثر من ذلك تقديم المساعدة للمحتاجين والغرباء وأبناء السبيل وتتعهد أماكن العبادة والتعليم بالصيانة والإصلاح[3].

ولكن الأوقاف على حسب ما ذكرت بعض الرحلات فقد كانت عرضة للاستغلال فها هو الورثيلاني يقول في هذا الصدد "زرت قسنطينة لا يقل رزقها ولا يدوم فيها الغلاء لا تخلو عن العلم غير أن تدريسه فيها انما يكون في بعض الأوقات كالشتاء أو الربيع أما سائر الأوقات فليس فيها العلم

---

[1] عبو ابراهيم: **مدرسة مازونة الفقهية ودورها التاريخي والحضاري**، في مجلة الحوار الثقافي، ع01، مج7، جامعة معسكر، ص251.

[2] عطابي جمال: **معالم وأعلام مدينة مازونة التاريخية**، في مجلة الدراسات التاريخية، مج05، ع10، جامعة أحمد زبانة،– غليزان، 2007م، ص 247.

[3] أحمد مريوش: المرجع السابق، ص ص 46-47.

الغزير ولا انعدامه رأسا فليس يفقد جملة ولا يستمر كلية فولاتها لم يشتغلوا ببناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف والأحباس"[1].

وكرر اشمئزازه عن حال الأوقاف كذلك عند زيارته لبسكرة حيث قال: "مدينة بسكرة مشهورة بالعلم والولاية والجد في طلبهما، ولكن بسكرة اجتمع عليها أمرات ظلم الأتراك وظلم الأعراب استولى الأتراك عليها استيلاءً عظيمًا وما كان من المدارس والأحباس التي لم توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها وينتفعون بها أتم انتفاع كالأملاك الحقيقية المباحة بل هي ليست لهم ولا أنهم من أهلها وتمردوا عليها وطغوا عليها وهذا ما كان سببًا في إندراس العلم وأهله من كل وطن يوجد فيه ذلك"[2].

ولكن الباحث أحمد مريوش يذهب للحديث عنها فيرى أن قصر المدة التي كان يقضيها كثير منهم في الحكم، بالإضافة إلى العنف الدموي والانقلابات، كل ذلك يعتبر السبب وراء عدم تطور هذه المنشآت، ومنع الكثير منهم من وقف أوقاف جديدة عليها وتعهدها بالعناية ويضيف قائلًا: "حقًا إن منشآتهم العلمية لم تتطور فتصبح جامعات ومعاهد راسخة القدم ولكن الحد الأدنى من العناية بهذه المنشآت يدل على نوايا بعضهم الحسنة والخيرة"[3].

وإذا تطرقنا لبعض الأوقاف التي وضعها العثمانيون لوجدنا أهمها الأوقاف التي وضعت باسم الجامع الجديد[4] تثبت مدى الأهمية التي أعطيت لهذا الجامع من قبل لطبقة التركية الحاكمة لمدينة

---

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج3، ص345.

[2] نفسه: ص241.

[3] أحمد مريوش: المرجع السابق، ص53.

[4] **الجامع الجديد**: إنّ بناء هذا الجامع يعود إلى سنة 1070هـ ـ 1660م، وقد تم بناؤه على أوامر حامية المدينة "الانكشارية" وصرف عليه أموال مؤسسة سبل الخيرات، هذا الجامع كان مخصص للطبقة الحاكمة العثمانية في مدينة الجزائر ومن المحتمل أن هذه الطائفة شيّدت هذا المسجد من أجل إعطائه نفس أهمية الجامع الأعظم المالكي الذي كان يخص السكان الأصليين لمدينة الجزائر.
ينظر: ناصر الدين سعيدوني: **الوقف في الجزائر أثناء القرن 18 والقرن 19: معالجة مصادره، إشكالية البحث فيه**، البصائر، د ط، الجزائر، 2001م، ص96.

الجزائر بالإضافة إلى تلك الأوقاف التي وضعها شعبان باشا على جامع[1]، الذي وضعه فقد خصص له أوقافًا قدّرت بسبعة عقود على حسب ما جاء في كتاب ناصر الدين سعيدوني في كتابه الوقف في الجزائر.

1- المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال العهد العثماني:

✓مؤسسة أوقاف جامع الأعظم:

لقد احتلت هذه المؤسسة المرتبة الثانية بعد مؤسسة الحرمين من حيث الأهمية وكذلك بالنظر إلى عدد أوقافها ، وقد عرضنا أوقاف هذه المؤسسة وعلى منوال المؤسسة الأولى داخل مخارج مدينة الجزائر من خلال أصناف الأوقاف، هذا بالإضافة إلى أوقاف هذا الجامع تضم خاصة بالمؤذنين والحزابين بهذا الجامع ، حيث وجدنا على سبيل المثال لا الحصر 52 عقد باسم مؤذنين وحزابين الجامع الأعظم[2].

✓ مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية:

وتسمى بأوقاف الأحناف وهي التي تقوم بإدارة المساجد والأوقاف الحنفية، وقد تدعمت مكانتها في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، من حيث مداخيلها ونظرا لانتسابها إلى المذهب الحنفي من جهة ولغنى الطائفة التركية وجماعة الكراغلة التي كانت توقف أملاكها لفائدة المساجد الحنفية من جهة أخرى[3]

---

[1] **جامع شعبان باشا:** يعود إنشاء هذا الجامع إلى الحاج شعبان باشا هذا الداي الذي اختير حاكمًا للجزائر"دايا" سنة 1689م، وقد قتل 1694 بالضبط بعد سنة من تشييده لهذا الجامع فلقد كان هذا الأخير ذا أهمية فقد كان يحتوي على موظفين إمام واحد وخطيب ورئيس مؤذنين وحزابين وبعض الرجال المكلفين بتنظيف المسجد وإنارته. ينظر: نفسه، ص 100.

[2] عقيل نمير: **حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر «أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية »**، في مجلة دراسات في العلوم الانسانية والإجتماعية، مج1، ع2، ص ص 119-120.

[3] عبد الرحمان بوسعيد: **الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر،** مذكرة ماجستير، اشراف: دحو فغرور، جامعة وهران، 2012م، ص ص 12-15.

وقد أخذت هذه المؤسسة على عاتقها مهمة الإشراف على المساجد التي كانت تتبع المذهب الحنفي، كما تولت الإنفاق أيضا على الزوايا والمدارس والفقراء والموظفين[1].

✓ **أوقاف مؤسسة بيت المال:**

شكلت مؤسسة بيت المال أحد التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية للجزائر والتي تدعمت في العهد العثماني، حيث كانت تشرف على الأحباس وتتولى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة كما تهتم بشؤون الخراج وتحرص على شراء العتاد، كما كانت أيضا تهتم بإقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشيد أماكن للعبادة من مساجد وزوايا وتقوم بأعمال خيرية وإنسانية كدفن فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات وتقديم الهدايا في كل عيد إلى الباشا وحاشيته، كما كانت تدفع شهريا مبالغ مالية معينة إلى خزانة الدولة[2].

✓ **مؤسسة أوقاف الأندلس:**

لقد أسس سكان الأندلس الوافدين إلى الجزائر عدة مؤسسات خيرية يهدفون من خلالها إلى التضامن فيما بينهم من جهة وإلى خدمة فقرائهم من جهة أخرى، وقد خص الكثير منهم جامع الأندلس والزاوية الملحقة به بكثير من الهبات والأوقاف حتى أصبحت هذه الأوقاف توفر دخلا وافرا ومردودا سنويا محترما مما استوجب إدارة خاصة تتولى استخلاصه وتوزيع فائضه على المحتاجين من أهل الأندلس، وبعد أن نظمت أوقاف الأندلس أصبح لها وكيل يقوم بشؤونها يعرف بوكيل الأندلس[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 237-238.

[2] كمال منصوري، فارس مسدور: التجربة ا **الجزائرية في ادارة الأوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل**، في مجلة أوقاف، الكويت، ع15، 2008م، ص ص 85- 100.

[3] فلة القشاعي موساوي: **أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني**، في مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر02، ع2، مج1، ديسمير 2001م، ص ص 168-170.

✓ **أوقاف الزوايا والأضرحة: (الأولياء والمرابطين)**

أوقاف الأولياء والمرابطين يتولى الإشراف عليها وكيلهم وتنفق مداخيلها على أضرحة الأولياء وزواياهم كما تنفق أيضا على الفقراء. أما الزوايا، فكان من أغنى أوقافها زاوية الولي دادة وزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي[1] التي كانت جميع الفئات الاجتماعية توقف عليها، بل وحتى من خارج الجزائر. وقد بلغت عقاراتها 69 عقارا أما مداخيل أوقاف هذه الزاوية فقد قدرت بستة آلاف فرنك كانت توزع على لفقراء .

ولقد تمت أوقاف الأولياء بوتيرة سريعة بسبب تشجيع الحكام للتصوف من جهة ودافع التقوى من جهة أخرى ودوافع سياسية من جهة ثالثة كجلب رضا السكان ومواجهة دعاية الطرق الصوفية المناهضة لهم. وقد يكون الوقف وفاء لنذر[2]

✓ **أوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة:**

أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المعوزين من الجند وصيانة بعض الثكنات والحصون والأبراج، فضلا عن العديد من المرافق العامة كالطرق والعيون وغيرها، إذ كانت كل هذه المرافق تحضى بالعديد من الأوقاف وخصص لكل مصلحة من هذه المرافق العامة وكيل خاص يرعى أوقافها ويتعهد بشؤونها[3] ، إضافة إلى أوقاف المرافق العامة، هناك أوقاف الثكنات التي كان عددها في أواخر العهد العثماني بمدينة الجزائر سبع ثكنات، ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود

---

[1] **سيدي عبد الرحمن الثعالبي(ت885هـ/1470)**: هو عبد الرحمان بن مُحَّد بن مخلوف الثعالبي كنيته أبو زيد، ولد ونشأ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر تنتمي أسرته الى الثعالبة، اعتبر من كبار علماء عصره وصلحائهم، تعلم الثعالبي في قريته ثم انتقل الى بجاية، وأخذ فيها من علمائها، ثم انتقل الى تونس وبعدها الى القاهرة، ومنها الى تركيا ثم الحجاز، أين أدى فريضة الحج ثم قفل راجعا إلى بلاده بعدما زار معظم أقطار المشرق. ينظر: مختار حساني: **عبد الرحمان بن مُحَّد الثعالبي**، في مجلة بحوث، جامعة الجزائر1، مج07، ع01، 2007م، ص ص 77-82.

[2] أسعد عليوان: **أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية**، في مجلة الإحياء، ع01، مج9، ، ص 306.

[3] كمال منصوري، فارس مسدور: المرجع السابق، ص ص85-100.

الذين ترقوا في رتبهم العسكرية حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يجوزه الواقف[1].

ثانيا: العلوم المتداولة

لقد حظيت العلوم التي كانت متداولة خلال العهد العثماني بنصيب من خلال المصادر المحلية، فانتشار العلوم غالبًا ما يعود إلى وفرة المراكز العلمية، التي تحويه. وفي هذا الصدد يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون "إن العلوم انما تكثر حيث العمران، وتعظم الحضارة... "[2]، وبالإضافة إلى وفرة المراكز التي كانت تحويه فكان هناك أيضًا الاعتناء بمختلف العلوم من قبل طلبتها يقول أبو راس الناصري لما زار أم معسكر: "رغم صعوبة العلوم المدروسة إلا أن الطلبة كانوا يصلون إلى 780 طالبًا"[3]. ويقول كذلك أبي العباس الهلالي السجلماسي حين نزوله في عين ماضي[4]: "طلبة العلم بها كثر وأهل هذه القرية كثير منهم يحفظون القرآن"[5]، ويضيف أبو راس الناصري "رحلت لمازونة كثيرة المجالس وطلبتها نجاب"[6].

ويضيف التمقروتي "في الجزائر عند نزولنا طلبة العلم لا بأس بهم إلا أن حب الدنيا وإيثار العاجلة والتمسك بها غلب عليهم كثيرًا"[7].

---

[1] عبد الرحمان بوسعيد: مرجع سابق، ص ص 39-47.

[2] مُحَمَّد الجزائري بن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: مُحَمَّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص45.

[3] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص22.

[4] **عين ماضي**: بلدية من بلديات الأغواط تبعد عنها 60 كلم[2]، ينظر: أبي العباس الهلالي السجلماسي: المصدر السابق، ص141.

[5] أبي العباس الهلالي السجلماسي: المصدر السابق، ص 141.

[6] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص43.

[7] علي بن مُحَمَّد التمكروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية 1589**، تح: مُحَمَّد الصالحي، دار السويدي، ط1، لبنان، 2007م، ص159.

وتلك العلوم، والتي كانت تضمها مكتبات تحوي كتبًا يلجأ الطلبة إليها، وكان الزائر يضم العديد من الكتب المهمة. يقول في هذا الصدد التمقروتي في رحلته: "الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا وتوجد بها كتب الأندلس كثيرًا"[1]، ويضيف أبو العباس الهلالي أنه دخل القنادسة[2]، فدخل خزانة الكتب أدخله إياها رجال العصر الأعيان على حد قوله العلامة النبيه العدم النظير... أبو الحسن سيدي علي بن مُحَّد بن عبد الله الحاحي وأبو عبد الله سيدي مُحَّد بن مُحَّد بن أبي زيان، فيقول "رأيت بها من الكتب جملة مرغوبًا فيها، منبئة باعتناء جامعها ومقتنيها، منها الاقتضاب لابن السيد البطليوسي على آداب الكتاب لابن قتيبة وهو كتاب مهم يحتاج إليه الناظر في مشروحه غاية"[3].

ولقد تطرق أبو القاسم سعد الله، الى موضوع وفرة الكتب في الجزائر خلال العهد العثماني وأكد أن الجزائر تعتبر بلدًا من طليعة البلدان كثيرة الكتب وشهد بذلك بعض الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال أنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب التي وجدوها ومن تنوعها ومن جمالها والعناية بها. ويضيف أبو القاسم سعد الله أن الكتب المتداولة كانت تجلب من الأندلس ومصر والحجاز[4].

وكانت اسطمبول والمغرب أيضًا من البلدان التي اقتنى منها الجزائريون المخطوطات، وفي هذا الصدد يقول الرحالة ابن حمادوش: "وفي سوم السبت، السادس عشر من محرم، اشتريت شمائل

---

[1] علي بن مُحَّد التمكروتي: المصدر السابق، ص159.

[2] **القنادسة**: تقع داخل التراب الجزائري، قريبة من مدينة بشار بحوالي 125 كم جنوب غرب فكيك، وكانت تسمى العوينة أو عوينة القنادسة نسبة للشيخ مُحَّد بن أبي زيان القندوسي الذي أسس بها زاوية القنادسة. ينظر: مُحَّد ابن احمد الحضيكي: **الرحلة الحجازية**، ضبط وتع: عبد العالي لمدابر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، د ط، الرباط، 2011م، ص83.

[3] أبي العباس الهلالي السجلماسي: المصدر السابق، ص ص 106- 107.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 286-287.

الترمذي[1] وشرحها لابن مخلص واشتريت مفيد الحكام لابن هشام، وفي يوم الأحد اشتريت مختصر القزويني، والدواني، ومضحكات ابن عاصم.

فتعدد الكتب إنجز عنه تعدد العلوم، ولو جئنا للتعرف على هذه العلوم المدروسة في تلك الفترة والمتناولة لوجدنا مدى الاهتمام الواضح بالعلوم النقلية على غرار العلوم العقلية ومقصدنا هنا بالعلوم النقلية العلوم الشرعية التي كانت منتشرة.

وفي هذا السياق يقول المؤرخ المرحوم أبو القاسم سعد الله: "إن أغلب إنتاج الجزائر خلال هذا العهد ينحصر في العلوم الشرعية والصوفية والمجالات الأدبية وبالرغم من أنه كان يفتقر إلى الأصالة والجدة فان أكثر التأليف فيه يبرهن على سيطرة العلوم المذكورة على الحياة الفكرية عندئذ"[2]، ونستهل حديثنا عن العلوم بما يأتي:

أ) العلوم النقلية

1- علوم القرآن الكريم:

لقد كان القرآن الكريم متداولًا في المساجد والزوايا وتعددت قراءته بتعدد المراكز التي يدرس فيها يقول أبي العباس الهلالي السجلماسي: "طلبة العلم بعين الماضي كثيرون وكثير من أهل القرية منهم يحفظون القرآن"[3].

ويضيف قائلًا: "في جامع سيدي عقبة مدرسة متصلة به فيها طلبة يقرأون القرآن"[4]، أما أبو راس الناصري فيذكر أنه ذاهب فالتقى مع الشيخ أبي عبد الله الشيخ مُحَمَّد بن لينة فسأله الشيخ عن الوجهة؟ فقال له لمازونة من أجل قراءة الفقه فقال له الشيخ والقرآن؟ فرد عليه أبو راس: "نعرفه

[1] **الترمذي صاحب الشمائل**: هو مُحَمَّد بن عيسى بن سورة بن السلمى الترمذي (ت. سنة 279هـ)، ينظر: ابن حمادوش: المصدر السابق، ص111.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص90.

[3] أبو العباس الهلالي السجلماسي: المصدر السابق، ص141.

[4] نفسه: ص166.

بأحكامه وأنصاصه وما يتعلق به، فقد أنتفع بي كثير من الطلبة في الأحكام ودرستها لهم"[1] باعتبار أن أبا راس كان في أم معسكر قاصدًا مازونة.

1-1 التفسير:

حظي علم التفسير باهتمام كبير من طرف علماء الجزائر، إما على مستوى التدريس أو التأليف أو الجمع بينهما، ولعل في حادثة دخول الإمام المفسر الورزازي التطواني التي أوردها ابن حمادوش في رحلته والذي كان أحد طلبته، دليلا على هذا التنامي والاهتمام، فقد توافد الطلبة على الإمام الورزازي الزائر لهم من حاضرة تطوان العلمية " ليريهم كيف يبتدئ الناس التفسير، فاجتمعوا له ضحى في مسجد المدرسة وأخذ يشرح بما طالع في « الكشاف »[2] "

كما ان طبيعة التكوين العلمي التقليدي يظهر في حرص الطلبة والعلماء بعلم التفسير، وسعي الطلبة للأخذ عن علماء هذا الفن ومعرفة كيفية تناول المدرس درس التفسير وطريقة تدريسه للناس، وازالة الغموض وفهمه وهو ما جعل من هذا القرن وتراثه التفسيري يجاوز ويفاوت القرون الماضية في هذه الدراسة زمن العثمانيين، كما ونوعا، كما بظهور أعلام مفسرين جدد، ونوعا بظهور التأليف في بعض مسائل التفسير أو ظهور التفسير كانت تقام حلقات القران والتفسير في مجالس حضرة الباي، وفي شهر رمضان حيث يحضر هاته المجالس العلماء والاعيان[3].

1-2 علم القراءات:

اشتهر الجزائريون بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها و كانت بعض المراكز في أنحاء الجزائر قد عرفت بالحذق في هذا الاختصاص مثل "زواوة" [4] حتى أنها كانت مقصد العلماء و طلبة العلم للإتقان و البراعة التي اشتهر بها قرائها وقد عرفت زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بزواوة

[1] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص20.

[2] ابن حمادوش : المصدر السابق، ص 263.

[3] ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص12.

[4] **زواوة**: منطقة القبائل شرق الجزائر العاصمة.

بأنها معهد متخصص في تعليم القرآن الكريم وتفسيره، وتدريس القراءات بالروايات العشر المشهورة " حتى أن هيئتها المشرفة ومنذ عهد المؤسس لم تسمح بتدريس الفقه بحجة أن هذا العلم يمكن أن يشكل منافساً خطيراً على حساب حفظ القرآن الكريم والروايات[1].

فيذكر عبد الرزاق ابن حمادوش: "في يوم الأربعاء، رابع شوال، كلَّف الطلبة الشيخ الورززي ليريهم كيف يبتدئ الناس التفسير فاجتمعوا له ضُحى في مسجد المدرسة"[2].

ويضيف أبي العباس الهلالي السجلماسي أنه وبالقرب من الأغواط وجد أهل قرية يسردون تفسير في الثعالبي والحارث باعتبارهما من فقهاء الجزائر اهتما بتفسير القرآن والحديث[3].

وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله عن طريقة التفسير: "نحن نتصور أن معظم المفسرين للقرآن الكريم في مجالس الدروس كانوا يكررون في الغالب أقوال المفسرين المتقدمين، فما يخرجون عليها برأي جديد يتلاءم مع العصر"[4].

2- علوم الحديث:

فلقد كان الاهتمام واضحًا بالأحاديث النبوية من خلال قراءة وتدريس أهم الكتب التي اهتمت بالتدوين لها.

2-1 صحيح البخاري:

نستهل حديثنا بما ذكره ابن حمادوش: "وفي تاسع شعبان أذن لي في أن أرجع إلى وظيفتي من حضور البخاري"[5]. وكانت طريقة سرد البخاري[1]، وذكر طريقة سرده تدوم أيام وأيام وكان يتناقله

---

[1] مُحَمَّد ميمون: زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي، ص 41.

[2] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص263.

[3] أبو العباس الهلالي السجلماسي: المصدر السابق، ص141.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص12.

[5] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص121.

القراء من شخص لآخر وكل يوم يقرأ جزء إلى غاية ختمه يقول ابن حمادوش: "وهذه عادة الجزائر دائمًا، فيذهب الناس إلى خارج باب الواد، قبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله ببركاته فيحضرون ختم البخاري أيضًا ويتهيأون إلى العيد"[2].

ويذكر العياشي: "دخلت واركلا فيها جامع يسمى جامع المالكية أما عن إمام المسجد فلديه كتب أجزاء من الموطأ ومن الإكمال ومن البخاري وبعض شرائح المختصر"[3].

ويذكر ابن حمادوش قائلًا: "وفي يوم الأحد، الحادي عشر من رجب، الموافق الثامن وعشرين من يوليه ابتدأنا سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير، وقفنا على كتاب الوضوء"[4].

ويقول العياشي كذلك: "في سيدي عقبة التقيت مع رجل من فقهاء البلد يدعى سيدي عبد الواحد الرماني وهو رجل من أهل الخير قرأ عليَذ أول صحيح البخاري من رواية أبي ذر"[5].

ويضيف ابن حمادوش في هذا الصدد قائلًا: "بدأنا ختمة جديدة من البخاري في الجامع الكبير ابتدأنا يوم الأحد وتممنا عشرة يوم الأربعاء[6].

---

[1] **صحيح البخاري**: هو كتاب في الحديث النبوي الشريف اسمه الكامل الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه، وصاحب الكتاب هو مُحَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزدية، كان أجداده فرسًا على دين المجوس ولد في بخارى سنة 194 هـ/ 809م، اشتغل بجمع الحديث من جميع الأمصار، ينظر: أبو عبد الله مُحَّد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، المكتبة الثقافية، د ط، بيروت، د س ن ، ص20.

[2] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص126.

[3] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص116.

[4] عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق، ص216.

[5] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص540.

[6] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص257.

2-2 الموطأ[1]:

كان هو الآخر من بين العلوم التي كانت تدرس بحيث نجد أن أبو راس الناصري أورده من خلال رحلته وذكر بأنه قد حضر له وهو يدرس من قبل الحاج مُحَّد بن الشاهد عالم الجزائر وعاملها وهو فقيه وعلامة درس الموطأ في الجامع الأعظم بالجزائر الذي بناه أبو تاشفين[2].

ومن بين الإشارات إليه كذلك أن العياشي وجد مجموعة من أجزاء الموطأ حين دخوله لواركلا في إحدى مكتباته[3].

3- علم الفقه وأصوله:

انتشرت دراسة الفقه والتأليف فيه خلال العهد العثماني مثلما انتشرت الأحاديث والتفاسير فلقد كان سائدًا، وفي إطار هذا يقول أبو القاسم سعد الله: "رغم جو المحافظة السائد في الجزائر خلال العهد العثماني إلا أن بعض الفقهاء كانوا متحررين في تناولهم للمسائل الفقهية ولقضايا العصر والحياة الاجتماعية بصفة عامة"[4]، ونلمس انتشار الفقه من خلال الرحلات فنجد أن الزياني ذكر أن في بسكرة مقدمة في الفقه للعلامة الصالح في زاويته المشهورة سيدي عبد الرحمن الأخضري هذه المقدمة في الفقه يتعاطاها أهل تلك البلاد[5].

أما الورثيلاني فيقول: "والخنقة قرية مباركة طيبة في وسط وادٍ بين جبلين ولها فضل عظيم سيما إظهار العلم فيها فإنهم مشتغلون بالنحو والفقه والحديث خصوصًا مختصر البخاري لابن حمزة وأما

---

[1] **الموطــأ**: وهو كتاب في الحديث رُتِّبَ على أبواب الفقه، جمعه الإمام مالك بتوجيه من الخليفة أبي جعفر المنصور، ويعد من أوائل الكتب التي أُلِّفَت في الحديث، مؤلفه هو مالك بن أنس بن أبي عامر بن نمرد الأصبحي، نسبة إلى قبيلة ذي أصبح اليمنية = وهو إمام من أهل المدينة وأهل الحديث، ولد بالمدينة عام 711م أخذ العلم عن نحو 100 شيخ، توفي 795م، **ينظر**: مالك بن أنس الأصبحي: **الموطأ**، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار القلم، د ط، بيروت، د س ن، ص90.

[2] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص96.

[3] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص116.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 265.

[5] أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص150.

علم الكلام والمنطق فمنعدم، وقد سألهم الورثيلاني عن عدم الاشتغال بعلم التوحيد فكان ردهم أن الله لا يحتاج في معرفته إلى دليل أو برهان أو إتقان العقائد كأنه ضروري عندهم ورأى الورثيلاني أن العلم بحقائق الصفات[1]. أما إذا جئنا للحديث عن متون الفقه لوجدنا:

ـ دراسة إلقاء وشرح مختصر الخليل[2]: يعتبره أبو القاسم سعد الله أساس الانطلاق في التفكير الفقهي[3]، وقد درسه أهل الجزائر فنقلته الرحلات بحيث قال السجلماسي: "طلبة عين ماضي يقرأون مختصر الشيخ خليل"[4]، ويضيف قائلًا: "أهل عروس الزيبان يقرأون المختصر"[5].

– أما أبو راس الناصري فيذهب لقوله: "لما قدمت إلى أم معسكر وجدتهم في الربع الرابع من مختصر الشيخ خليل"[6].

– ويضيف أبوراس الناصري: "وفي مازونة روى الشيخ ابن ناقلة قلوب الطلبة برحيق مختوم وبيَّن لهم ما خفي من معاني مختصر الشيخ خليل"[7].

وكان العلماء متحررين في تفسيره لا يفسرونه تفسيرًا جامدًا.

يضيف أبو راس الناصري قائلًا: "ختمت على الشيخ المشرقي درس الشيخ خليل"[8].

---

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص256.

[2] **مختصر الخليل**: هو كتاب في فقه المالكية بيَّن فيه صاحبه المشهور في المذهب مجرًا عن الخلاف، وفيه فروع كثيرة وعرف بمختصر خليل، لأن عباراته مختصرة، ومؤلف هذا المختصر هو خليل بن اسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين أبو المودة حامل لواء المذهب المالكي في زمانه بمصر، درس بالمدرسة الشيخونية حج وجاور المدينة المنورة التي توفي بها عام 818هـ-1415، وقد وضع شرقًا لمختصر ابن الحاجب، ينظر: محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص 256.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص65.

[4] أبو العباس السجلماسي: المصدر السابق، ص141.

[5] نفسه: ص166.

[6] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص21.

[7] نفسه: ص 45.

[8] نفسه: ص21.

أما العياشي فأعجب بالكتب التي وجدها في ورقلة (واركلا) في إحدى مكتباتها مكتبة إمام مسجد فيقول: "دخلت واركلا فيها جامع يسمى جامع المالكية أما عن إمام المسجد فلديه كتب أجزاء من بعض شرح المختصر"[1].

أما الرحَّالَة الورثيلاني هو الآخر أورد ذكر هذا المتن الفقهي بقوله: "في الزاب تدرس مسائل المختصر للشيخ خليل"[2].

ومن خلال هذا، نجد أن مختصر الشيخ خليل كان من بين المتون الفقهية السائدة، والتي نالت شهرة فاقت المتون الأخرى.

4- التصوف:

يُعَرِّف ابن خلدون التصوف على أنه من العلوم الشرعية الحادثة في المِلَّة الإسلامية ويرجع أصله إلى الزهد والعبادة والابتعاد عن الدنيا وملذاتها[3]، فلقد سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني، ونلمس ذلك من خلال: كثرة الأضرحة، فكل منطقة إلا وفيها ضريح وَلِي من أولياء المنطقة يتركون فيه وفي هذا الشأن يقول ابن حمادوش: "من عادة الجزائر دائمًا عندما يصبحون من ليلة القدر، يذهبون إلى قبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله ببركاته"[4].

بالإضافة إلى ضريح الثعالبي يقول العياشي: "في بسكرة قبر سيدي عقبة فهو مشهور ويزار"[5].

---

[1] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص116.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص 42.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: سهيل زكار، دار الفكر، د ط، بيروت، 2001م، ص611.

[4] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص126.

[5] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص539.

ويضيف الزرياني قائلًا: "في بسكرة ضريح العلامة الصالح سيدي عبد الرحمن الأخضري وله مقدمة في الفقه يتعاطاها أهل البلاد"[1].

أما التمقروتي، فيقول: "زرت بجاية فهي دار علم وعمل، مستقر العلماء والصالحين منهم الولي الصالح المتبرك به أبو مدين شعيب[2] بن حسين الأنصاري"[3].

إضافة إلى تعدد الزوايا التي ساهمت في نشر الطرق الصوفية وخاصة ما عرف بالزاوية الخلواتية التي أشاد بذكرها الباحث أحمد مريوش بقوله: "هذا الصنف من الزوايا يدَّعِي فيه شيوخه المعرفة بالأسرار الدينية الغيبية الخاصة ولهم القدرة على توزيعها لأتباعهم من الأخوات والمريدين، حيث يفرضون عليهم أذكارًا خاصة في صلوات معزولة ومظلمة ومحدودة تعرف بأذكار الورد بعد صلوات العصر والمغرب والصبح، ويعرف شيوخ أصحاب هذا الصنف من الزوايا بالطريقيين بمعنى أن لهم طريقة مفروضة عمل الأتباع من المريدين"[4].

ولكن وجهة نظر مُحَّد بن ميمون الجزائري في كتابه (الدولة البكداشية) كان رأيا أرى فيه المعارضة فنجد أنه رأي التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني إنحراف عن قالبه الذي عرف به فأضحى يقول: "إن التصوف قد تحول إلى دروشة، تتبلور في التسولات بالأضرحة والقبور والتسلي ببسط الأكف عند المزارات في الحل والترحال والركون إلى الخرافات الخيالية وكل من يتصفح مؤلفات ذلك العصر الخامل ومصنفاته الباكية يجد نفسه يعيش في عالم الأموات، فهذا يرقب خروج الدجال من

---

[1] أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص150.

[2] **أبو مدين شعيب**: بن الحسين الأنصاري (520- 594هـ/ 1126م-1197م) تأثر كثيرًا بالإمام الغزالي والشيخ أبي يعزى في ميدان التصوف. ينظر:علي بن مُحَّد التمكروتي: المصدر السابق، ص43.

[3] نفسه: ص43.

[4] أحمد مريوش: المرجع السابق، ص22.

المشرق وذاك ينتظر ظهور الدابة، وذلك يتوقع انقضاء الدنيا وفناء المادة، والنفخة الأولى في الصور، ومن ظفر بكتاب ابن سيرين لتأويل رؤياه فقد فاز بكل ما يتمناه"[1].

أما أبو القاسم سعد الله أن صفات المتصوف ليست بالسهلة لدى الكثيرين من رجال الدين، لكنها كانت موجودة عند بعضهم في مسار تاريخ الجزائر الثقافي حيث يقول: "رغم أن هذه الصفات قد تبدو خالية أو صعبة المنال فإن الشواهد كثيرة على وجود من توفرت فيه أو كادت لعل سير بعضهم خير شاهد على ذلك فهم قد أضافوا إلى العلم الزهد والتصوف والتجرد عن الهوى"[2]، وهو يستهل بعبد الرحمن الثعالبي الذي تداولته الرحلات فتناوله ابن حمادوش بقوله: "يذهب الناس إلى قبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي[3] نفعنا الله ببركاته"[4].

أما من حيث العقيدة: فقد اعتمدت عقيدة[5] السنوسي[6] فكانت متداولة وفي هذا الصدد يقول أبي العباس الهلالي السجلماسي: "في عين ماضي يقرأون صغرى السنوسي[7]"، أما الورثيلاني فقال:

[1] مُحَمَّد الجزائري ابن ميمون: المصدر السابق، ص ص48-49.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص481.

[3] **عبد الرحمن الثعالبي**: هو عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد (1384-1470م)، صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلماؤها. ينظر: عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتي العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1400هـ/1980، ص 90.

[4] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص126.

[5] **عقيدة السنوسي**: مؤلف يشمل علم العقيدة وأولها تأليف العقيدة الكبرى المسماة "عقيدة أهل التوحيد" وقد وضع لها شرحًا وبعدها ألَّف العقيدة الوسطى مع شرحها أما العقيدة الصغرى فقد كانت أشهرهم وعنها يقول التنبكتي: "من أجل العقائد لا تعادلها عقيدة". ينظر: مُحَمَّد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص262.

[6] **السنوسي**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف السنوسي التلمساني (832-895هـ)، عالم تلمسان في عصره وصالحها، له تصانيف كثيرة أم البراهني ويسمى العقيدة الصغرى وعقيدة أهل التوحيد ويسمى العقيدة الكبرى، ينظر: أبو العباس السجلماسي: المصدر السابق، ص141

[7] نفسه: ص141.

"أنه ذهب لقرية تدلس وعند خروجه منها ودّعوهم جماعة منهم تلميذه سيدي مُحَّد السكلاوي إذ كان يقرأ عليه كبرى الشيخ السنوسي قراءة وتحقيق"[1].

5 – علوم اللغة:

5–1 اللغة العربية:

يظهر من النصوص بعض الرحالة المغاربة بأن بعض المناطق من البلاد الجزائرية، كانو لا يكثرون بالقواعد اللغة العربية، فالإمام يلحن لحنًا فاحشًا في خطبته ويخطئ خطأ غير مغتفر في عبارته دون انتباه منه أو ملاحظة من المستمعين له على الأقل، وذكر هنا العبارات مُحَّد بن ميمون لجزائري في تعليقه على ما قاله العياشي عند دخوله لأحد مساجد مدينة ورقلة (واركلا)، فيقول العياشي: "وكان دخولنا للمدينة عشية الخميس وأقمنا بها يوم الجمعة واليومين الذين بعده ودخلنا للمدينة لحضور صلاة الجماعة، وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية، وخطب الخطيب خطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها حتى كأنها همهمة، فكنت أتخوف ألا تصح لنا معه جمعة إن كانت الصلاة كخطبته فنجى الله فأحسن قراءة الفاتحة فما ظننا أن صلاتنا معه مجزية ودعا في خطبته للإمام المهدي فلما فرغ من الصلاة بعثت بعض أصحابنا ليسأله عن المهدي المدعو له في الخطبة، أهو المنتظر أم أحد المنتحلين ذلك ممن مضى، فسأله عن ذلك فإذا هو لا يفقه شيئًا من ذلك وقال: "أظنه النبي ﷺ فعلمت أنه إنما وجد الخطبة مكتوبة في صحيفة عنده فحفظها كما وجدها، إلا أنه لم يحرر حفظها ونقلها ولعلها من خطب بعض من كان في أيام المهدي بن تومرت"[2]، وفي ظل حديثنا عن عدم الإلمام باللغة العربية يضيف أبي العباس الهلالي السجلماسي قائلًا: "عند زيارتنا لقرية أولاد جلال يجهلون العربية إلا أحدًا يعرفها وهو سيدي مُحَّد بن المودع في بسكرة"[3].

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص61.

[2] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص ص114–115.

[3] أبو العباس السجلماسي: المصدر السابق، ص158.

ويضيف قائلًا: "نزلنا قرية عين ماضي فكانوا لا يرحلون للعلم بل يقنعون بما عندهم ويأخذ بعضهم عن بعض ويلازمون قراءة الفقه، أخبرني شيخ منهم ذو سن عالية أنه استمر يقرأ المختصر خمسة وعشرين عامًا وأنه لا يعرف إعراب البسملة ولا يقرأ شيئًا من كتب النحو، ثم التقيت بأنجبهم فيما رأيت سيدي مُحَمَّد الأحمر حفيد سيدي أحمد بن سالم فقد حضضته على قراءة العربية فقال: لا نجد من يقيم لنا هنا يعلمنا ولا نقدر على السفر للتعلم... وأخبروني أن لا أحباس لديهم وإنما يقرأون لله تعالى"[1].

5-2 علم النحو:

يذكر أبو القاسم سعد الله أن الجزائريين لم يُأَلفوا كثيرًا في علوم اللغة، فقد اهتموا بالنحو خصوصًا وتركوا لنا إنتاجًا طيبًا فيه[2]، فانشغلوا بالنحو وعلى ضوء هذا قال الورثيلاني: "للخنقة فضل عظيم سيمًا إظهار العلم فيها فإنهم مشتغلون بالنحو"[3]، ويضيف أبو راس الناصري في سياق حديثنا عن النحو أن الألفية[4]، كانت متداولة فيقول: "ذهبت للقيطنة وقد اجتمعت بجموع الطلبة فقرأت لهم الجزء الأول أربع مرات والثاني كذلك فلما ظهرت بي علامات النفع للطلبة تنافس المشايخ في أخذي لتدريس أولادهم"، وهذا دليل على قابليتهم لتعليم أصول النحو وعلومه، ويواصل أبو راس الناصري حديثه فيقول: "شهرت للتدريس بـ "أم معسكر" وفي آخر القرن الثاني عشر أكثرت من تدريس "الألفية"[5]، وبذلك أخذت ألفية ابن مالك حظًا وافرًا من عناية الجزائريين.

---

[1] أبو العباس السجلماسي: المصدر السابق، ص ص141-142.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص157.

[3] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص252.

[4] **الألفية**: هي في علم النحو ومؤلفها ابن مالك الشافعي الأندلسي كان صدرًا في النحو والمعاني والبيان جمع فيها قواعد العربية وقد عرفت أيضًا باسم الخلاصة وهي مكونة من ألف بيت من الشعر التعليمي. ينظر: مُحَمَّد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص258.

[5] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص24.

3– 5 التلغيز:

كانت الألغاز نوعًا من الرياضة الأدبية والتي يتعاطاها الفقهاء والشعراء، وكانت عبارة عن أبيات، وقد تطرق ابن حمادوش لذلك فقال: "لقد كانت الألغاز متداولة لدرجة عجز البعض عن حلها"[1]، وكان علماء الألغاز يتبادلونها محاولين تعجيز بعضهم البعض لأنها كانت تنم عن الذكاء فكثر وارده من علماء، ومن باب التفصيل نذكر بعض الألغاز التي وردت في رحلة ابن حمادوش:

أَلَا أَيُّهَــا الْغَــادِيَّ عَلَــى ظُهْــرٍ أَجُــودًا ... يَشَــقُّ الفيــافي فَدْفَــدًا بَعْــدَ فَدْفَــدٍ

تَحْمِــــلُ رَعَــــاكَ اللهُ مَــــنِّيُّ تَحِيَّــــةِ ... تحِيِّــيّ بِهَــا أَهْــلُ الْمُجَــالِسِ فِي غَــدٍ

وَ قُــلُّ لهــم مَــا سَــبْعَةٍ خَلِقُــوا معًــا ... وَمَــــا سَــــبْعَةٍ فِي ثَــــوْبِ زُمُــــرُّدٍ

حَــوَاجِبَهُمْ سَــبْعُونَ فِي وَجْــهِ وَاحِــدِ ... وَأَعْيُــنِهِمْ تَسَــعُونَ فِي خَلْــقِ هُدْهُــدٍ

أَبُــوهُمْ لَــهُ حَرْفَــانِ مِــنَ اِسْــمِ جَعْفَــرٍ ... وَحَرْفَــانِ مِــنَ اِسْمِــيّ عَلِــيّ وَمُحَمَّــدٍ[2].

يقول ابن حمادوش: "فتداولناه بيننا حتى بلغ كل عالم وأديب في البلد، فلم يقتضى بكرته ولم نجد علمًا عند أحد به، حاول في الإجابة عليه يحيى الشاوي فنقله ابن حمادوش إلى بركات بن باديس فأجابه بأنه لم يفهم الجواب"[3]. والملاحظ أن اللغز كان يحتاج لتمكن لغوي ومعرفة في الأدب الجزائري.

ويوجد كذلك في رحلة المقري مجموعة من الأبيات الدالة على توارد الألغاز فتوالت بين مفتي الجزائر وعالمها سعيد قدورة والمؤلف أبي العباس أحمد المقري فكتب سعيد قدورة ملغزًا:

يَا بَارِعًــــا أَرَبَّى عَلَــــى ذَوِي النُّهَــــى ... وَلَا مــعًا يَسْــمُو عَلَــى نَجْــمِ السـهى

لَفْــــظَ تَــــرَاهُ فِي كِتَــــابِ اللهِ ... آتَــــى مَثَّــــنِي يَا أَخَــــاهُ اِنْتِبَــــاهٌ

وَلَمْ يُــــثْنِ فِيــــهِ واصــــطبحه ... فِي التســــفر الْمَبْــــرُورَ تَسْــــتَطِبْهُ

---

[1] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص ص 131-132.

[2] نفسه: ص 130.

[3] نفسه: ص131.

وَالْأَصْـــــــــــلَ إِنَّ قَلْبَتَـــــــــــهُ دَلٌّ عَلَـــــى مُحْتَفِـــــلٍ لِلْـــــبِلَادِ وَالـــــرَّذْلَا
وَإِنَّ تَصَـــــفُّحَ آخـــــرًا قَـــــدْ جَـــــرْدًا فـــــاكلان اثنـــــان مِنْـــــهُ تَجَنُّـــــدًا
وَإِنَّ تُصَـــــــــحِّفُ أَوَّلَ الْحُـــــــــروفِ فَإِسْـــــمٍ لِنَـــــوْعِ آلـــــةِ مَعْـــــرُوفِ

ويسترسل سعيد قدورة في لغزه هذا للمقري ويرجع عليه المقري قائلًا:

يَا فُقَهَـــــاءَ حَضْـــــرَةِ الْجَزَائِـــــرِ وَمَـــــنْ بِهَـــــا قَـــــاطِنٌ وَزَائِـــــرٌ
طَلَّبْـــــتُم لُـــــدِّيَّ عِلْـــــمِ النَّحْـــــوِ وَالِـــــيَنَّ سَـــــدَدَ السِّـــــهَامِ نَحْـــــوَي
وَقَـــــدْ ذَكَّـــــرَتْ مَعْهَـــــدِيٌّ بِفَـــــاسِ صُـــــحْبَةِ قَـــــوْمِ عَـــــاطِرِيِّ الْأَنْفَـــــاسِ
فَـــــــــاِعْرِبُوا حُبَـــــــــاكُمِ اللهَ الَّا إِلَى رُبَّ تَحَـــــــــوَّزُوا المــــــــــؤملًا
إِذْ غَايَـــــةِ الْمَوْقِـــــفِ الَّـــــذِي اِسْـــــتَمَدَّ لِـــــنَعَمِ طَاعَـــــــةِ اللهِ الصَّـــــــمَدِ
كَـــــذَلِكَ إِنَّ الْمَـــــاءَ إِنَّ تَيَسُّـــــرًا وَمَـــــنْ يُعَـــــانِي الْعِلْـــــمُ رَشَـــــدٌ أَبَصَـــــرًا
وَفِي كَـــــلَامِ خَالِـــــدِ إِيمَـــــاء للصـــــيافي فِي قَوْلِـــــكَ إِنَّ الْمَـــــاءَ[1]

ويظهر من خلال هذا أن الألغاز كانت متداولة بين العلماء ومحتواها كان ينم عن مدى تمكن أصحابها فنجد أن اللغة المستعملة كانت صعبة الفهم ولها العديد من الإيحاءات والإيماءات.

ب) العلوم العقلية:

ظلت العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة والنحو والبيان وغيرها الشغل الشاغل للمراكز التعليمية في الجزائر بما فيها المدارس، وأدى التركيز عليها إلى عدم العناية بالعلوم الأخرى وهو ما أدى إلى انحطاط وضعية العلوم العقلية خلال العهد المدروس.

ولو ابتدأنا الحديث عن أبرز العلوم لكان الترتيب كالآتي:

[1] أحمد المقري: المصدر السابق، ص ص 74-73.

1- الطب:

باعتبار أن الضرورة تقتضيه فيلجأ إليه الإنسان في حياته اليومية، وكانت الأعشاب هي المقصد لأي مرض أو داء، فكان التداوي بالأعشاب شائعًا ومعروفًا يقول ابن حمادوش: "وفي ثاني عشرة خرجت مع بعض الإخوان، أحدهم يرف الأعشاب لنتعلم منه الأفثمون قطعنا منه ما شئنا في جبل بومعزة تحت بوزريعة"[1].

ويضيف ابن حمادوش قائلًا: "وفي يوم السبت سابع ربيع الثاني خرجت مع سيدي مُحَّد كحنجل، وكان عشَّاب بلدنا، لنتعلم منه العشب فتعلمت ما تيسر مع ما كنت تعلمت من غيره فالحمد لله على ذلك فأنا عشَّاب وصيدلاني وطبيب في بعض الأمراض"[2].

وكانت مصادر الطب العربي متوفرة في الجزائر، فكانت الكتب الطبية متوفرة لاسيما كتب ابن رشد وابن سينا وداود الأنطاقي[3].

كما وفرت العديد من الطرق العلاجية، فما كان هناك مرض إلا واكتشف له الجزائريون طريقة بسيطة للتغلب عليه. يقول الباحث المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "كان الجزائريون يتغلبون على الحمى بنبات الشندقورة ونحوه، والجروح بزبدة ساخنة تصب على المكان المصاب، والجذري يحفظ المريض في حالة دفء وإعطائه حبات من الكرمس في العسل... أما على المستوى العام فلقد كانت الحكومة تلجأ لحفظ الصحة إلى الحجر الصحي عندما تعلم انتشار الطاعون والأمراض المعدية في إحدى السفن الداخلية إلى الجزائر"[4].

ويشاطره الرأي ابن حمادوش فيقول: "وفي ثالث رجب الموافق آخر يوم من يوليه قدم علينا مركب من الإسكندرية بالحجاج وفيه الوباء، فمنعهم الباشا الدخول، حمية من أن يقوم ممرض على

---

[1] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص120.

[2] نفسه: ص164.

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص420.

[4] نفسه: ص418.

مصلحتهم إلى ثامن عشرة موافق خامس عشر أوغسطس، أذن لهم في الدخول، بعد تحقق سلامتهم من المرض المذكور"[1].

ويضيف الباحث المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن مما زاد في سوء الحالة الصحية أن الحكام كانوا لا يهتمون بأمور الصحة ولا يولونها العناية اللائقة بها ناهيك عن بعض المحاولات كمحاولة صالح باي قسنطينة عام 1787 بفرض حزام صحي حول عنَّابة ومنطقتها لمنع انتقال العدوى إلى مدينة قسنطينة[2].

بالإضافة إلى الباي مُحَّد بن عثمان[3]، الذي كانت له في الطب اليد الطولى والمرتبة العليا فهو يصف إلى الناس الأدوية وينفع لهم ما حضر عنده حتى إن المساكين وغيرهم يفزعون إليه في ذلك كما يفزعون إلى الطبيب الماهر ومن طِبِّه جمع الشيخ عبد اللطيف كتابه (المنهل الروحي والمنهج السري في الطب النبوي)[4].

---

[1] عبد الرزاق ابن حمادوش: المصدر السابق، ص121.

[2] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص560.

[3] **مُحَّد عثمان باشا**: (ت 1205هـ/ 1791م) تولى مُحَّد عثمان منصب الداي بعد موت الداي باشا بوصباع (1179هـ/1205م)، وعرف بالشجاعة والحزم وكرم الأخلاق من عدل وإحسان وتفضيل للمصلحة العامة والتزام بالتقشف وحرص على التقيد بأحكام الشريعة، وهذا ما تؤكده أعماله، بحيث قام بالمحافظة على أموال العامة وإنفاقها على المنشآت الخيرية إضافة إلى هذا قام باختيار بايات اشتهروا بالكفاءة والمقدرة مثل صالح باي ومُحَّد الكبير، وقام بتنظيم الدفاع عن البلاد، فأنشأ عدة أبراج هذا وقد عمل على توثيق صلاته مع حكام البلدان الإسلامية خارج نطاق الدولة العثمانية فعزز علاقته بسلطان المغرب مولاي مُحَّد بن عبد الله (1757-1790م)، ووافته المنية في سن متقدمة بعد حكم دام زهاء ربع قرن. ينظر: بلبروات بن عتو: **الداي مُحَّد عثمان باشا وسياسته 1766-1791م**، في مجلة عصور، جامعة وهران1، ع06-07، ديسمبر 2005م، ص ص 79-80

[4] أحمد بن مُحَّد بن علي بن سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013، ص156.

لقد أدى عدم الاهتمام بالطب إلى كثرة الوباء وتطوره فنجد أن الزياني قد أقام بالجزائر أربعة وعشرين يومًا وهو في طريق الذهاب إلى المشرق فيظهر من كلامه عند نزوله بها أنها مازالت تعاني من أثر الوباء فيفضل الزائر النزول في الخيام المضروبة[1].

أما عن قسنطينة فقد كان الوباء منتشرًا وخلف آثارًا سيئة فقال الزياني: "كان عامًا في العمائر التي بينها وبين الجزائر فما نزلنا منزلًا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم"[2].

2- علم الحساب:

باعتبارهما من العلوم العقلية فقد وُصِفَا بضعف العناية بهما فقد تم التطرق إليهما في مجالسهم لبعض هذه العلوم ولكن دراستها لم تكن إلا للاستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة أما الحساب فكانت دراسته بغية الاستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة كالاعتماد عليه في التجارة والفرائض وتقسيم التركات، بينما الفلك يدرس لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة وليس الملاحة[3].

ونظرًا لعدم العناية والاهتمام فلقد أشاد يذكر أن الأوربيين انتقدوا التعليم بالجزائر، وذكر من عاش فترة طويلة في الجزائر أن العلماء هناك لا يعرفون إلا قليلًا من الحساب وأن الآلات الحسابية مثل الإسطرلاب كان ينظر إليها نظرة فضولية لا علمية كما رأى كذلك أن الجبر والحساب العددي لم يكونا معروفين لشخص واحد من بين عشرين ألف نسمة، فلاحظ أن التجار كانوا يحسبون بالأصابع[4].

3- علم الفلك:

أما الفلك فكانت تنحصر الأعمال الفكرية في تقويم الصلوات وحركة الليل والنهار وتعديل بعض الكواكب. ويذكر الورثيلاني في رحلته أن نقيب كسوة الكعبة في مصر تعجب حين علم أن

[1] أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص147.
[2] مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص39.
[3] فوزية لزغم: المرجع السابق، ص 73.
[4] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص403.

الورثيلاني لا يستعمل علم الكيمياء باعتباره هو الآخر علم من العلوم العقلية التي أضحت علمًا يهرب منه العلماء[1].

ومهما كان نوع العلوم التي كانت تدرس، إلا أنها كانت تنتهج طريقة لتدريسها هذه الطريقة أوردها ابن زاكور في رحلته؛ أن الطالب يلازم شيوخه سنوات طويلة أو شهورًا عديدة يحضر الجلسات ويشارك في الحلقات ويجمع الشارد والوارد ويبرهن على الطاعة والإعجاب، فهذا المنجلاني يلازم السجلماسي أربعة عشر عامًا أما جمع الجوامع للسبكي يتفرغ له الطلبة أربعة أشهر ويوم ختم الكتاب فرصة احتفال كبير تلقى فيه الأشعار وتعمه البركات ويغادر بعد ذلك عدد من طلبة الجزائر راجعين إلى أهلهم[2].

أما الباحثة فوزية لزغم فذهبت إلى القول بأن هناك طريقتان: الطريقة الأولى التي تتمثل في السرد، وفيها تتم عملية إزالة الغموض، وبذلك يطيلون الدروس فالدرس الأول يمتد من طلوع الشمس إلى غاية الزوال والثاني من الزوال، إلى غاية غروب الشمس يتمكن الشيخ من إلقاء ألفية مالك في عشرة أيام، بينما الطريقة الثانية فتفتح الكتب المراد درسها أواخر الخريف أو أوائل الشتاء فيقللون الحصص ويطالعون عليها كثيرًا من الشروح والحواشي[3].

- **خاتمة الفصل:**

ومما تقدم يمكن القول:

- تأثرت العلوم التي كانت منتشرة في الجزائر بالمؤلفات المتداولة في ذلك الوقت.

- شهدت الحركة التداولية للمؤلفات نسبًا متفاوتة، وذلك تبعًا لاهتمام الطلاب بها، وإقبالهم عليها.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المراجع السابق، ج2، ص ص 403-404.

[2] ابن زاكور: **نشر أزاهر البستان**، نقلًا عن: مولاي بلحميسي: **المرجع السابق**، ص ص33-34.

[3] فوزية لزغم: المرجع السابق، ص ص67-68.

- كان للعهد العثماني تأثير كبير في نوعية الكتب التي تم تدريسها، مثل كتب التفسير والفقه وعلوم الحديث، مما كان يُعتنى به.

- أوردت كتب الرحلات والمصادر الاهتمام بعلوم اللغة العربية، مع إهمال وتجاهل الفروع لأخرى.

- يلاحظ ان الوقف كان بمثابة الداعم الأول للحياة العلمية بالجزائر، خاصة اهتمام الحكام العلماء به.

- إن معظم العلوم كانت عبارة عن تقليد أعمى، حيث غابت روح التفنن والابتكار، فلم يعرف الحكم العثماني للجزائر ما عرفه نظيره في عصر ملوك بني الأحمر، رغم تجاور الحضارتين، وتقارب المدى الزمني، فجاء الحكم العثماني للجزائر جافًّا، خاليًا من النضارة وروح التجديد.

- كان جل علماء ذلك العصر لا يحكمون العقل، بل ينحون نحو التسليم إلى من سبقهم من رجال التقليد يتباهون بالاحتفالات والمظاهر التي تبعث على الرفعة والسمو للدولة العثمانية العلية.

الفصل الثاني: مظاهر الحياة العلمية في مصر والحجاز

خلال القرن 18 م وبداية القرن 19 م

أولا: الحياة العلمية في مصر خلال القرن 18م

ثانيا: العـلــوم وأثرهما في الحياة الثقافية

ثالثا: الحياة الديـــنية في مصر

رابعا: الحياة العلمية والدينية بالحجاز

خامسا: العلوم التي اشتهرت بالحجاز

سادسا: العوامل المؤثرة في الحركة العلمية في الحجاز

– تمهيد:

كانت مصر من أهم المراكز العلمية، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، على مر التاريخ، وذلك لثرائها العلمي، وتعدّد العلماء الوافدين إليها. وقد كانت مصر من أهم المراكز في الشرق العثماني خلال الفترة الحديثة، ويرجع ذلك إلى ما كانت تحتضنه من مؤسسات تعليمية كبرى؛ كالمساجد والمدارس، بالإضافة إلى علماء وشيوخ كبار، وأدّى الموقع الجغرافي المتوسط لمصر دورًا كبيرًا في استقطاب العلماء والمفكرين من كافة أرجاء العالم الإسلامي.

وقد كان الجامع الأزهر من المساجد التي اعتبرت مصدر إشعاع كبير، واستطاع ذلك الصرح العظيم أن يحوي كافة طلاب العلم من كافة الأجناس، حتى إنه كان يقسم لأروقة، كرواق المغاربة مثلًا، فكان يقصدها المغاربة وغيرهم[1]. وبني الجامع الأزهر في سنة ستين وثلاثمائة[2].

وقد تناولنا آنفًا أنواع الدوافع التي تحدو بصاحب الرحلة إلى قطعها، لكن الأمر في ذلك القرن كان يتميز بالروح الدينية العالية، حيث الرغبة الجارفة في التعلم في الأزهر، وتأجج الوازع الديني لذلك، مع علو المكانة والشرف الذي كان طالب العلم في الأزهر يحصل عليه.

ومن ذلك المنطلق، فقد كثرت الرحلات الوافدة إلى الشرق عامة في تلك الحقبة، ولا يمكن القول: إن الأزهر قد لعب دوره التاريخي دون أن تتوفر له الأسباب المجتمعية والثقافية الملائمة لذلك الدور الذي اضطلع به، وسوف نحاول في هذا الفصل أن نستعرض أهم العوامل التي ساعدت على ارتسام ملامح الحياة العلمية في مصر.

[1] مصطفى الغاشي: **الرحلة المغربية والشرق العثماني– محاولة لبناء الصورة–**، دار الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2015م، ص 522.

[2] جلال الدين السيوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح: مُحَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، مصر، 1387هـ/1967م، ج1، ص 147.

أولا: الحياة العلمية في مصر خلال القرن 18م

تُعد مصر من أهم المراكز في الشرق العثماني خلال الفترة الحديثة، ويرجع ذلك إلى ما كانت تحتضنه من مؤسسات تعليمية كبرى: كالمساجد والمدارس، بالإضافة إلى علماء وشيوخ كبار ولذلك كان يقصدها المغاربة وغيرهم، للتزود بالعلم خصوصًا في جامع الأزهر، حيث خصص رواقًا سمي "برواق المغاربة"، وهذا ما جعل الرحَّالَة المغاربة يحرصون على زيارة مصر، ولقاء علمائها والجلوس إليهم، في جامع الأزهر للأخذ عنهم، وبناء على ذلك فإن ما دونه الرحَّالَة المغاربة، من أخبار ولقاءات مع علماء مصر ومناظراتهم العلمية، وأوصاف للمعالم الثقافية والدينية، يشكل مادة مصدرية لا يمكن الاستغناء عنها، عند دراسة الأحوال الثقافية والدينية لمصر في هذه الفترة[1].

وقد كان فضل الأزهر على الحركة العلمية عظيمًا، "فقد اتسع صدره للواردين من العمال والطلاب في كافة البلاد، مكان لهم من الدراسة الهادئة والبحث المنظم، مما أفاد الحضارة الإنسانية بأجزل الفوائد، بما أخرجوا من فرائد الكتب في الفقه والحديث والتفسير واللغة"[2].

ويمكن أن نوضّح مدي الحياة العلمية في مصر خلال القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر الميلادية من خلال العناصر الآتية:

أ) التعليم في مصر:

كان التعليم في مصر، في تلك الحقبة من الحكم العثماني، يعتمد، كما أشرنا على الأزهر كمحور رئيس، وكانت تلك المؤسسة العلمية هي الرمز الأول في شتى مناحي الحياة، ناهيك عن الاحترام العميق من العثمانيين لمؤسساته وهيئاته، ولم تكن مراحل التعليم الأولية سوى تهيئة للالتحاق بالأزهر، باعتباره الشرف الرفيع، والمكانة العليا التي سيحصل عليهما الطالب بعد تخرجه فيه.

---

[1] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص 522.

[2] مُحَّد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح: **الأزهر في ألف عام**، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، القاهرة، 2011م، ج1، ص 112.

1- دور الكتاتيب في التنشئة العلمية:

كانت الكتاتيب أو ما يُعرف بـ (مكاتب تعليم الصبية)، من أهم دور العلم في العالم الإسلامي، حيث ظهرت في هذه الكتاتيب في عهد الفتوحات الإسلامية العظيمة، وهي مدرسة أولية.

ولم تكن الدولة هي التي تعين الكتاتيب وتساعدها بكل الوسائل، بل ظلت نظامًا حرًا يعتمد على استغلال بعض المعلمين، وهي كفترة إعداد للتلميذ، يتعلم فيه القراءة والكتابة والقرآن والحديث الشريف، ومعرفة قواعد الإسلام الأساسية، كما كانت الكتاتيب أداة لتهذيب النشئ وتعليمهم بعض آداب السلوك الاجتماعي والقيم الاجتماعية، بغض النظر عن أصولهم الاجتماعية بهدف جعلهم مسلمين ورعايا مطيعين[1].

وكانت الكتاتيب "بالمدرسة الأولية أو الابتدائية أشبه، ولم تكن الدولة هي التي تعين الكتاتيب، وتنفق عليها، وتدبر أمر خطة التعليم فيها، بل ظلت الكتاتيب منذ أن أنشئت نظامًا حرًّا، يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم، وكانت في بعض العصور تعاني من بعض ذوي اليسر، أو من الأوقاف التي يحبسها أغنياء المسلمين"[2].

ومن المفروض أن يكون الكتاب مكانًا واسعًا، طلق الهواء، تدخله الشمس، وقد اختلفت أحجام الكتاتيب، وعدد ما تضم من أطفال، تبعًا لحجم الأوقاف التي أوقفت عليها، فمنها ما كان يضم مائة طفل، ومنها ما كان يضم ثمانية أو عشرة أطفال، ومنها ما كان يتوسط بين ذلك، فيضم عشرين أو ثلاثين طفلًا"[3].

[1] نللى حنا: **ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية ق 16م– 18م**، دار المصرية العثمانية، د ط، مصر، 2004م، ص98.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، دار المعارف، ط 6، مصر، 2002م، ص75.

[3] علي مبارك: **الخطط التوفيقية الجديدة**، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، ط1، مصر، 1305هـ، ص90.

ويبدو أنه لم يكن هناك منهج محدد يدرسه الأطفال في الكتاتيب، فقد اختلف ذلك المنهج من كتاب لآخر، تبعًا لعوامل متعددة منها الشروط التي حددها الواقف في وقفيته، وفيها ما يرتبط بقدرات المؤدب والعَرّيِف ودرجة تعليمية، وقدرات الأطفال، وكانت الكتاتيب في القرى تقتصر على دراسة أو تحفيظ القرآن دون سواه، في حالة الكتاتيب التي تديرها بعض الفقهاء العاميين، أما في حالة الكتاتيب التي يديرها الفقهاء الآخرون، فكان دور الكتاب يتعدى تحفيظ القرآن إلى تعليم القراءة والكتابة.

2- دور المساجد والمدارس في العملية التعليمية:

كان الطفل بعد أن ينتهي من الدراسة في الكتاتيب، يتجه إلى جامع الأزهر أو أحد المساجد الكبرى أو المدارس، التي كانت كذلك بمثابة طور التعليم العالي، حيث لم يكن هناك سن محدد للالتحاق بهذه المدارس، وهي مدارس المساجد، إنما كان المتتبع أن يلتحق بها الطالب في سن المراهقة على وجه التقريب، بعد أن يكون قد انهى دراسته في الكتاب، ومن المفروض أن يكون الطالب حافظًا القرآن الكريم كله، أو جزء منه[1]. ولا شك في أن تلك المدارس الموطئة للانتساب للأزهر تأثرت فيها مصر بنظيراتها من المدارس في إسطنبول. "والملاحظ في الدولة العثمانية تداخل الثقافي والتعليمي بالديني، ولعل ذلك يتجلى في كون المدارس التعليمية في إسطنبول كانت جزءًا لا يتجزأ من المساجد"[2]. وكان مرجع ذلك إلى عاملين:

أنَّ الدراسات في عصور الإسلام الأولى كانت دراسات دينية، تشرح الدين الجديد، وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه، وهذا كله يتصل بالمسجد أوثق اتصال.

---

[1] كمال حامد مغيث: **مصر في العصر العثماني 1517-1798م- المجتمع والتعليم**، تق: رؤوف عباس، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الانسان، ط1، مصر، 1997م، ص ص172-175.

[2] ابن عثمان المكناسي: **رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م**، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2003م، ص30.

أما العامل الثاني، فهو اشتهار الخلفاء الراشدين بالقصد في إنفاق أموال المسلمين، فاتخذوا من المساجد مراكز لتعريف شؤون الدولة، ومصالح المسلمين"[1].

ومن المدارس كذلك المدرسة الصلاحية[2]، والكمالية[3]، والظاهرية[4]. وتقسم الدراسة في هذه المدارس إلى ثلاث مراحل: مرحلة الابتدائية للطلبة الملتحقين بالأزهر، بعد خروجهم من الكتاتيب مباشرة ثم ينتقل من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة أعلى منها، تدرس بها الكتب المتوسطة ثم ينتقل إلى المرحلة النهائية حيث تدرس أمهات الكتب وأصعبها على طائفة من كبار العلماء[5].

ثانيا: العلـوم وأثرها في الحياة الثقافية:

كانت علوم العرب في صدر الإسلام لا تخرج عن علوم الدين والفقه، ولكن نتيجة لحركات التوسع في الفترة الإسلامية إلى أقصى المغرب والأندلس غربًا، وهكذا دخلت علوم جديدة إلى جانب علوم الدين واللغة، فأطلقوا على العلوم التي أخذوها من الأمم الأخرى بالعلوم العقلية، أما علومهم تسمى العلوم النقلية[6].

وقد جرت العادة على هذه التسمية في الكتب والمصادر التي أرَّخت لتلك الفترة من تاريخ الحركة العلمية الإسلامية، باعتبار أن "العلوم الّتي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعيّ للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقليّ يأخذه عمّن وضعه.

[1] علي عبد الواحد وافي: **لمحة في تاريخ الأزهر**، دار الفتوح للنشر والتوزيع، ط2، مصر، 1355هـ/ 1936م، ص12.

[2] **المدرسة الصلاحية**: وتوجد بجوار قبر الإمام الشافعي، ويقال لها: تاج المدارس، ومن أعظم مدارس مصر، بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة اثنين وسبعين وخمسمائة. ينظر: جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، ج2، ص 257.

[3] **المدرسة الكاملية**: وهي مدرسة لتدريس الحديث النبوي. ينظر: نفسه: ص259.

[4] **المدرسة الظاهرية**: بناها جركس الخليلي، وكان الشروع في عمارتها سنة ستة وثمانين وانتهت في رجب سنة ثمانية وثمانون. ينظر: نفسه: ص 259.

[5] كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص185.

[6] عبد الله عزباوي: **المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر**، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، مصر، 1997م، ص13.

والأوّل هي العلوم الحكميّة الفلسفيّة، وهي الّتي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشريّة إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتّى يقفه نظره ويحثّه على الصّواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني هي العلوم النّقليّة الوضعيّة، وهي كلّها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشّرعيّ، ولا مجال فيها للعقل"[1].

أ) العلوم النقلية:

تنقسم العلوم النقلية إلى العلوم الشرعية وعلوم اللغة، حيث تشتمل العلوم الشرعية على علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه والتصوف والتوحيد[2]، وقد اهتم علماء مصر في القرن الثامن عشر بهذه العلوم اهتمامًا كبيرًا، شأنهم في ذلك شأن جميع العلماء المسلمين، ويرجع ذلك إلى سيطرة الثقافة الدينية على المجتمعات الإسلامية في ذلك الوقت.

1- علوم القرآن الكريم:

وتشتمل علوم القرآن كل ما يتعلق بعلوم القران الكريم من أحكام الترتيل والتجويد وعلم القراءات والتفسير وأسباب النزول والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ[3]. ويمكن تعريفه باعتباره «علمًا» بأنه: المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية مبدأ نزوله، وكيفية هذا النزول، ومكانه ومدته، ومن ناحية جمعه وكتابته في العصر النبوي، وعهد أبي بكر وعثمان، ومن ناحية إعجازه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهة، وأقسامه وأمثاله، ومن ناحية ترتيب سوره وآياته وترتيله وأدائه إلى غير ذلك"[4].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر العربي، بيروت، 1431هـ/2001م، ج1، ص549.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص171.

[3] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو: **الواضح في علوم القرآن**، دار الكلم الطيب- دار العلوم الإنسانية، ط2، دمشق، 1998م، ص 8.

[4] علم الدين أبو الحسن السخاوي: **جمال القراء وكمال الإقراء**، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1419هـ/ 1999م، ج1، ص 11.

وقد كان لمصر دورها في علم القراءات، فكانت مدرسة مصرية في هذا العلم تنسب إلى ورش[1]، واستمر تفوق مصر في علم القراءات في القرن 18م، إذ نجد أن علماء البلاد الإسلامية الأخرى كانوا يلجأون إلى علماء مصر لنصح والإرشاد، وأما علم التفسير فقد اتجه مفسرو القرن 18م في مصر، إلى جانب شرح التفاسير السابقة إلى تفسير القرآن، حيث بلغ عدد المؤلفات في علم التفسير في مصر في القرن 18م، حوالي 30 كتابًا.

ومن علماء القرن 18م، الشيخ أحمد البقري ومُحَّد المنير السمنودي (ت. 1199هـ/1785م) من مؤلفاته "شرح طيبة النشر" ومن علماء التفسير، الشيخ أحمد الدمنهوري(ت. 1192هـ/1778م)، ألّف "الفيض العميم في معنى القران الكريم"[2]، كما تغطى هذا العالم مختلف الموضوعات[3].

2- علم الحـديث:

ينقسم علم الحديث الى قسمين هما: علم الحديث رواية، علم الحديث دراية[4]، ويتم القسم الأول بمتن الحديث، أما القسم الثاني فيهتم بسند الحديث، وقد احتلت علوم الحديث مكانة رفيعة في المجتمع المصري ضمن القرن 18م، الذي كان المجتمع يهتم بعلوم الدين وتسيطر عليه الثقافة الدينية،

---

[1] **ورش**: شيخ الإقراء بالديار المصرية أبو سعيد، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو. وقيل: اسم جده عدي بن غزوان القبط، الإفريقي مولى آل الزبير، قيل: ولد سنة عشر ومائة. جود ختمات على نافع ولقبه نافع: بورش لشدة بياضه، والورش: لبن يصنع، قيل: لقبه بطائر اسمه ورشان، ثم خفف فكان لا يكرهه، ويقول: نافع أستاذي سماني به. كان في شبيبته رواسًا، وكان أشقر أزرق ربعة سمينًا قصير الثياب ماهرًا بالعربية انتهت إليه رئاسة الإقراء. ويقال: إنه تلا على نافع أربع ختمات في شهر واحد، مات بمصر في سنة سبع وتسعين ومائة". **ينظر**: شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، د ط، القاهرة، 1427هـ/ 2006م، ج8، ص 58.

[2] عبد الله العزباوي: المرجع السابق، ص ص14-16.

[3] نللى حنا: المرجع السابق، ص205.

[4] **علم الحديث رواية ودراية**: رواية وهو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير، أما علم الحديث دراية فهو علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وما يتعلق بذلك من معرفة اصطلاح أهله. ينظر: الحسين بن مُحَّد شواط: **علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية-سيرة المصطلح وحده ومفهومه**، مكتبة الألوكة، د ع ط، السعودية، 1436هـ/2015م ص ص2-4

ومن علماء هذا القرن محمد الزرقاني (ت.1122/1710م)، وأحمد الدمنهوري، ومحمد مرتضى الزبيري (ت.1205هـ/1791م)، وقد بلغ عدد المؤلفات في علم الحديث في مصر خلال القرن 18م حوالي 70 مؤلفًا[1].

3- علم الفقـه وأصوله:

وكانت في مصر أربعة مذاهب فقهية، حيث بلغت المؤلفات الفقهية حوالي 112 كتابًا، وقد انحصر التأليف في علم الفرائض "المواريث" في مصر في القرن 18م، في شرح قواعده التي حددها القرآن، وقد بلغت عدد الكتب المؤلفة للمواريث في مصر خلال القرن 18م، 32 كتابًا، ومن بين الفقهاء في المذاهب الأربعة، الشيخ محمد الخادمي الفقيه الحنفي[2]، وحسن الجبرتي الذي ألّف في عدة علوم مختلفة، من مؤلفاته الفقهية "نزهة العينين في زكاة المعدنين".

ومن فقهاء المالكية الشيخ أحمد النفراوي (ت. 1125هـ/1713م)، وهو من أشهر فقهاء المالكية في بداية القرن 18م، ومن مؤلفاته "شرح الرسالة النورية"[3]، أما عن مشايخ المذهب الشافعي فنذكر على سبيل المثال "الشيخ حسن المحلى (ت. 1170هـ/1756م) "، و"أحمد السجاعي (ت.1198هـ/1783م) "، ومن مؤلفاته "شرح على الستين مسالة"[4].

ب) العلوم العقلية:

وقد أفاض ابن خلدون في بيانها، وأوضحها بقوله: "وأمّا العلوم العقليّة الّتي هي طبيعيّة للإنسان من حيث إنّه ذو فكر فهي غير مختصّة بملّة بل بوجه النّظر فيها إلى أهل الملل كلّهم ويستوون

---

[1] عبد الله العزباوي: المرجع السابق: ص ص20-24.

[2] أبي سعيد الخادمي الحنفي: **مجامع الحقائق والقواعد وجوامع الروائق والفوائد في أصول الفقه والقواعد الفقهية**، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، مصر، 2000م، ص 6.

[3] عبد الجواد صابر اسماعيل: **مجتمع علماء الأزهر ابان الحكم العثماني 1517-1797م**، دار الكتب والوثائق القومية، دط، القاهرة، 2016م، ص 289.

[4] عبد الله العزباوي: المرجع السابق، ص 32.

في مداركها ومباحثها. وهي موجودة في النّوع الإنسانيّ منذ كان عمران الخليقة، وتسمى هذه علوم الفلسفة والحكمة[1].

1- الفلسفة:

تشمل الحكمة وآداب البحث، وهو علم يبحث في كيفية إجراء المناظرة بين المتناظرين، وكانت هذه العلوم لا تحظى باهتمام كبير من العلماء المصريين في القرن 18م، لعدة عوامل، منها: موقف فقهاء السنة من الفلسفة، باعتبارها خطر على الدين، حيث شن الفقهاء السنيون على الفلاسفة حملات، ومن أشدها التي شنها الإمام الغزالي في كتابه "تصافت الفلاسفة". وكانت حركة التأليف في العلوم الفلسفية في مصر خلال القرن 18م هي "شرح الأصول القديمة" أو "وضع الحواشي لشروح وضعت من قبل" أو "تنظم المنظومات".

ومن العلماء الذين ألفوا في القرن 18م أحمد الملوي (ت1181هـ/1767م)، وألّف في علم المنطق ومن مؤلفاته "أرجوزة في لوازم الشرطيات"[2].

نرى أنَّ المصريين الذين وقفوا من العلوم الفلسفية وقفة متشددة إنما بنوا كثيرًا من مواقفهم على أقوال السلف، الذين رفضوا تلك العلوم، وارتأوها ملهاة للعقل، مفسدة للدين ولا سيما العقيدة. وعن الفلسفة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا ما زال علماء المسلمين وأئمة الدين يذمونه ويذمون أهله وينهون عنه وعن أهله حتى رأيت للمتأخرين فتيًا فيها خطوط جماعة من أعيان زمانهم من أئمة الشافعية والحنفية وغيرهم فيها كلام عظيم في تحريمه وعقوبة أهله"[3].

2- الرياضيات:

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص629.

[2] عبد الله العزباوي: المرجع السابق، ص ص49-68.

[3] تقي الدين ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، تح: عبد الرحمن بن مُحَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د ع ط، المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج 9، ص 7.

وتشمل الحساب، والجبر والمقابلة والهندسة، فأما الحساب فهو صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم وبالتفريق، ومزاولة الأعداء لاستخراج المجهولات الحسابية[1]، قام العلماء بدور هام في تطوير الرياضيات، حيث بلغت عدد المؤلفات في هذا العلم خلال القرن 18م حوالي 21 كتابًا، ومن بين العلماء في مصر نذكر "حسن الجبرتي" والذي كان على رأس المشتغلين بالعلوم الرياضية في مصر، من أشهر مؤلفاته في الرياضيات "العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين" ألفه عام 1758م[2]، "الشيخ مُحَّد الغمري" ومن أشهر مؤلفاته (القواعد الحسابية في تحويلات الأكياس الرومية الى الأكياس المصرية)

3- علم الفلك:

لم يخلُ القرن الثامن عشر الميلادي في مصر من المشتغلين بالفلك والتأليف فيه، بل إن هذا العلم كان من العلوم التي ازدهرت، وبالرغم من ذلك فقد اضطربت التقاويم في ذلك الوقت، وقد شاع التنجيم في مصر خلال هذا القرن، لاعتقاد الناس بأن حظوظهم مرتبطة بالأفلاك وحركاتها، وكانت هناك مدرسة في علم الفلك على رأسها "رضوان أفندي الفلكي(ت1710م)" الذي لم يكن أزهريا، وانما كان من المماليك[3].

4-الكيمياء:

أما بالنسبة للكيمياء فقد اهتم المصريون في القرن 18م بالكيمياء القديمة، أي تحويل المعادن الخسيسة كالرصاص والقصدير والنحاس والخارصين إلى المعدنيين الكريمين الذهب والفضة، وقد قوي هذا الاتجاه في مصر بفضل المغاربة، لكن أصاب هذا العلم بعض الجمود ويرجع هذا إلى محاربة العلماء المسلمين لهذا العلم، باعتباره ضرب من ضروب السحر كما اعتبر ارتباط الأشغال بالكيمياء بالزغل؛ أي تزييف النقود وغشَّها، بالإضافة إلى العزلة التي عاشت فيها مصر وغيرها من الولايات

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة، المصدر السابق، ص ص 482- 483

[2] الحسن الجبرتي: **العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين**. ينظر الملحق رقم 2 صفحة 394

[3] عبد الله العزباوي: المرجع السابق، ص ص 50-52.

العثمانية، ومن أشهر العلماء في هذا العلم في القرن 18م، نجد الشيخ مُحَمَّد الغمري، وكان حيًا (1124هـ/1712م)[1]، بالإضافة إلى العالم أحمد الدمنهوري[2] .

5- الطــب والصيــدلية:

كان الطب في مصر خلال القرن 18م، مبنيًّا على السحر والشعوذة وخاصة في الريف، كما انتشر ذلك النوع من الطب الذي يعتمد على ما تصنعه العجائز أو ما يسمى بالركة[3]، ونوع أخر من طب عرف باسم الطب النبوي وهو أشتات من المعلومات القائمة على دراسة الإشارات الطبية والصحية الواردة في الأحاديث النبوية[4] .

كانت طائفة الأطباء تنقسم إلى قسمين: القسم الأول يعمل بالتطبيب والقسم الثاني بالعمليات الجراحية، ويعرف القسم الأول بالحكماء، حيث كانت معلوماتهم الطبية لا تتعدى غالبًا، أصول تلقوها بطريق التواتر والنقل ويطبقونها على جميع الأمراض أو الاطلاع على الكتب القديمة، مثل كتاب القانون لابن سينا[5].

---

[1] **مُحَمَّد الغمري**: الحسني، الشافعي المالكي، حاسب، نباتي، نحوي، من آثاره: مقالة في علم النبات وخواصه، المقتطفات الفكرية على الدائرة التاريخية. ينظر: عمر رضا كحالة: المصدر السابق، ج11، ص 113.

[2] **أحمد الدمنهوري**: شيخ الجامع الأزهر، وأحد علماء مصر المكثرين من التصنيف في الفقه وغيره. كان يعرف بالمذاهبي لعلمه بالمذاهب الأربعة. تعلم بالأزهر، وولي مشيخته. وتوفي بالقاهرة. من مؤلفاته: القول الصريح في علم التشريح، الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة. ينظر: خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج1، ص 164.

[3] **الركة**: وهو في اصطلاح النساء العجائز قطعة من الخشب، يدق عليها الكتان لإزالة ما علق به من المواد الغريبة، وكان يعهد به إلى النساء فكن يجتمعن ليلًا للقيام بما فرضه عليهن أزواجهن أو أسيادهن من الأعمال، ويدور الحديث بينهن أثناء ذلك على الافتخار بنجاح وصفة إحداهن لبنت من بناتهن أو لأحد أفراد العائلة، ومن هنا جاءت تسمية الركة. ينظر: عبد الله العزباوي: المرجع السابق، ص99.

[4] راندا بليغ: **ارتباط الطب في مصر القديمة بما يعرف بالطب البديل أو التكميلي**، في حولية الأثرين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، ع08، القاهرة، 2005م، ص ص 78-80.

[5] عبد الله العزباوي: المرجع السابق، ص ص 99-100.

وكانت الأمراض مقسمة إلى أربعة ساخنة وباردة وحارة ورطبة، أما الأدوية التي يصفونها لمرضاهم لا تخرج عن المسهلات أو الممسك بالبطن والمرطبات، أما قسم الجراحين فكان يشتغل به الحجامون والحلاقون الذي يعتمدون على التجربة والممارسة في أداء أعمالهم، ومن أهم العمليات الطبية الحجامة والفصادة.

أما الصيدلية فكانت العقاقير تباع في دكاكين العطارة بحالتها الطبيعية، وفي أواخر القرن 18م كان في القاهرة ثلاث صيدليات، واحدة يديرها يوناني، والأخريان يديرهما جماعة من البنادقة، وكان التأليف في الطب لا يخرج في الغالب على الطب العربي اليوناني القديم. ومن أهم العلماء الذين ألفوا في علم الطب بمصر خلال القرن 18م علي الخياط كان حيًا (1213هـ/1798م). ومن مؤلفاته "فتح الرحمان في بدء خلق الانسان" وحسن الجبرتي[1].

6- التاريخ:

تميز القرن 12هـ/18م بظهور عدد من المؤرخين العلماء، بذلوا جهدا كبيرا في سبيل رصد واقع المجتمع المصري إبان هذا القرن بأمانة وصدق وموضوعية، وتميزت مؤلفاته التاريخية بتنوع المنهج التاريخي ، فمنهم من اقتدى بسنة السابقين وسار على المنهج التقليدي، فأرخ لمصر منذ أقدم العصور وحتى عصره، ومنهم من قصر جهده على التأريخ لمصر في العصر العثماني فقط دون غيره من العصور، وفريق ثالث خص بعض الصراعات والفتن التي استشرت في هذا القرن بالتأريخ، وفريق رابع ألف في التراجم[2].

---

[1] نفسه، ص 100.

[2] أبو وردة السعدني: **المؤرخون في مصر في العصر العثماني الى ظهور عبد الرحمن الجبرتي 1170/963هـ**، مركز التاريخ العربي للنشر، ط1، اسطنبول، 2020م، ص439.

ومن بين مؤرخي هاته الفترة ابن الوكيل صاحب كتاب "تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب" وهو أول مؤرخي مصر القرن الثاني عشر الهجري[1]، أحمد شلبي ابن عبد الغني الشهير بأحمد جلبي صاحب كتاب "أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني"[2]، والمؤرخ المصري الشهير عبد الرحمن الجبرتي صاحب كتاب " عجائب الآثار في التراجم والأخبار" المعروف بتاريخ الجبرتي.

7- الجغرافيا:

ومعناه صورة الأرض، وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض، وعروض البلدان الواقعة فيه، واطوالها، الى غير ذلك[3]، اهتم المصريون بابراز وتسجيل كل ما يخص التضاريس والطقس والمناخ وكل ما يفيد المسافرين بمصر، ومن المؤلفات الجغرافية التي أسهم بها المصريون في مجال الرحلة والجغرافيا "درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة" للشيخ الجزيري [4]، إضافة الى كتب النازل التي وضعت نظماً كتابٌ عنوانه "وصف المنازل من مصر إلى مكة، ومن الشام إلى مكة، ومن دمشق إلى مكة ومن القدس" الذي نظمه فتحي أفندي (القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي). وأبرز خصائص هذه الكتب جاءت على نهج الجغرافيا التقليدية، كما احتوت على معلومات تتعلق بوصف المنطقة والحدود[5].

ثالثا: الحياة الديـــنية في مصر

[1]يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل:**تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب**، تح: مُحَمَّد الششتاوى، الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص06.

[2] أبو وردة السعدني: المرجع السابق، ص 487.

[3]بطاش كبرى زادة: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1405هـ/1985م، مج01، ص361.

[4] الجزيري عبدالقادر بن مُحَمَّد الأنصاري الحنبلي: **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، تح وتع: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1403هـ/1983م، ج1، ص ص 21-22.

[5]جين هاتاواي وكارل ك بربير: **البلاد العربية في ظل الحكم العتماني 1516-1800م**، تر: مُحَمَّد شعبان صوان، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2018م، ص 186.

أ) المساجد والجوامع:

كانت مصر تضم منشآت ومعالم دينية كبرى، تجسد المكانة التي ظلت مصر تمثلها في العالم الإسلامي، فيما يتعلق بالعلوم الدينية والدنيوية، وهذا ما تعكسه رحلات المغاربة خلال الفترة الحديثة[1].

وقد عرفت مصر هذا النوع من المراكز العلمية وهي المساجد والجوامع منذ إنشاء عمرو بن العاص لجامعة فيها، وأخذت حركة بنيان المساجد والجوامع تتزايد، وظلت المساجد تؤدي وظيفتها التعليمية، إلى جانب ما كان يؤدي فيها من شعائر العبادة مع وجود المدرسة، بل لعلها تفوقت على المدرسة، وحضت بنشاط فكري ملحوظ[2].

ومن الجوامع الإسلامية في مصر التي بدأ التدريس بها جامع الفسطاط الذي أنشأه عمرو بن العاص، بعد أن تم له فتح مصر سنة 21هـ/641م، وكذلك جامع أحمد بن طولون الذي تأسس سنة 263هـ/876م[3]. ومن أشهر وأكبر المساجد في مصر المسجد الأزهر، حيث كانت إشارة الرحّالَة المغاربة للجامع الأزهر قوية باعتباره أهم مركز علمي بأرض مصر، وإذ كانوا لم يتركوا لنا وصفا دقيقا لهندسته ومعالمه العمرانية، فإن إشارتهم إلى دوره العلمي يجعله المؤسسة الصانعة للثقافة في مصر، بل لمشارقه والمغاربة[4].

1- الجـــامع الأزهر:

[1] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص525.

[2] مُحَمَّد كمال الدين عز الدين: **الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة: دراسة في التاريخ والمؤرخين- 784-922هـ/1382-1517م**، رسالة دكتوراه، تخصص: التاريخ، كلية البنات، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، مصر، 1409هـ/1989م، ص74.

[3] كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص174.

[4] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص522.

يُعد جامع الأزهر منذ نشأته بمثابة جامعة لأنه يتوسط العالم، وكان على صلة وثيقة بمدارس بغداد إبَّان الدولة العباسية، وكان على اتصال بالمعرفة والثقافة في مدارس قرطبة بالأندلس، و تبعًا لهذا الاتصال العسكري والروحي، فقد شكل حلقة وصل بين مصر والعالم الإسلامي كله[1]. أنشأه الفاطميون بعد عام من تأسيس مدينة القاهرة، في الرابع والعشرين من جمادى الأولى 359هـ/ 970م، وصلى فيه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ثاني خلفاء الدولة الفاطمية، صلاة الجمعة في شهر رمضان سنة 361هـ/972م، باعتباره الجامع الرسمي للسنة الجديدة

ويقع في الجنوب الشرقي من مدينة القاهرة على مقربة من القصر الكبير[2]، ولما بدأت حلقات الدرس في هذا الجامع، كان الهدف منها تدريس الفقه الشيعي[3]، ويعد الأزهر أول عمل فني معماري أقامه الفاطميون في مصر ولا يزال قائما حتى اليوم، ويعتبر الوزير يعقوب بن كلس أول من فكر في اتخاذ الجامع الأزهر معهدا للدراسة المنظمة المستقرة، حيث استأذن الخليفة العزيز بالله سنة 378هـ/988م في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء، للقراءة والدرس ويعقدون مجالسهم بالأزهر، كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر، وهكذا يمكن القول بأن الأزهر أكتسب صفته العلمية الحقيقية، كمعهد للدراسات المنظمة وأنه بدأ حياته الجامعية الحافلة، منذ أوائل العصر الفاطمي[4]، حيث كان كمركز تعليمي، يقوم بالدعاية لهذا المذهب الشافعي[5]، وأهمل في عهد الأيوبيين لسنين باعتباره مركز للدعوة الشيعية، وحوله إلى جامعة سنية فأكتسب شهرة فريدة ومكانة خاصة، غير أنه لم يكتسب

[1] أحمد مُحَّد عوف: **الأزهر في ألف عام– إبريل سنة 970هـ– أبريل سنة 1970م**، مجمع البحوث الإسلامية، د ط، مصر، 1970م، ص13.

[2] سعاد ماهر: **الأزهر أثر وثقافة**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د ع ط، مصر 1962م، ص ص7-8.

[3] عبد الرحيم عبد الرحمان: **المغاربة في مصر في العصر العثماني1517–1798م– دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية**، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط، تونس، 1982م، ص97.

[4] سعاد ماهر: المرجع السابق، ص9.

[5] ميكل ونتر: **المجتمع مصري تحت الحكم العثماني**، ترجمة: إبراهيم مُحَّد إبراهيم، مراجعة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، مصر، 2001م، ص197.

موقعًا خاصًا سوى أثناء الحقبة العثمانية، بعد سقوط الفاطميين أصبح حرًا لتدريس فقه المذاهب السنية الأربعة: الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي وأمتد نشاطه بمثابة جامعة متكاملة[1]

وقد عرف الأزهر في أواخر القرن 8هـ/14م وبداية القرن15/9م مكانة خاصة، أحتل نوعًا من الزعامة الفكرية والثقافية، أنه يعتبر العصر الذهبي للأزهر[2]، وبلغ الأزهر في العهد العثماني قمة زعامته للمؤسسات التعليمية التي كانت قائمة ومزدهرة في عهد الأيوبيين والمماليك، فأظهر العثمانيون احترامًا عظيمًا للأزهر وعلمائه ولم يحاولوا التدخل في مناهج التعليم القائمة فيه أو في شؤونه المختلفة، وبسبب تلك المكانة التي أحرزها الأزهر في العصر العثماني، وشهرته العظيمة فقط أصبحت المدارس الأخرى، وكليات مساجد القاهرة الأخرى تدور في فلكه[3].

ومن أهم المدارس التابعة له: المدرسة الإصلاحية بجوار الإمام الشافعي، والمدرسة الأقبغاوية، والمدرسة العينية وغيرهم[4]، وخلال القرنين 17م و18م أصبح الأزهر مؤسسة علمية حقًا، وملاذًا للعلماء، وفي هذا السياق يذكر العياشي بأن الأزهر كانت تدرس به العلوم العقلية والعلوم الإشراقية والصوفية، فيذكر العياشي: "بتنا تلك الليلة بالجامع الأزهر، لأنها ليلة السبع وعشرين، وفي الحقيقة كل الليالي بذلك المسجد كليلة القدر معمورة بالذكر والتلاوة والتعليم...فهو عديم النظير في مساجد الدنيا"[5] ومن خلال ما دوَّنه الرحَّالَة المغاربة أن الأزهر ظل من أهم المؤسسات العلمية والدينية التي زارها وأشادا بها وبدوها العلمي والديني آنذاك[6].

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان: المرجع السابق، ص98.

[2] سعاد ماهر: المرجع السابق، ص12.

[3] مُحَّد عبد المنعم خفاجي- علي علي صبح: **الأزهر في ألف عام**، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، القاهرة، 2011م، ص ص 121-122.

[4] كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص164.

[5] أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية 1661-1663م**، حققها وقدمها: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006م ج1، ص162.

[6] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص522.

1-1 بــنــية الأزهر:

يحتوى جامع الأزهر على خمس مآذن وتبلغ مساحته حوالي 12 ألف متر مربع، وهو محاط ببوائك مقامة على أعمدة من الرخام، كتب على حوائطها آيات قرآنية، وللجامع كذلك تسعة أبواب، أشهرها باب المزينين، وكان به 10 محارب، ولم يبق منها سوى ستة محارب أهمها المحراب الأصلي، كما يوجد بها أروقة التي عنى بإنشائها سلاطين المماليك، لتضم الطلاب الوافدين من مختلف العالم الإسلامي[1].

وكان الطلاب ينتظمون في هذه الأروقة أو الدور وكان يسكنون ويدرسون ويتسلمون جراياتهم، وتقسم هذه الأروقة على أسس عرقية وإقليمية، وكانت هناك أروقة للأتراك والشوام والمغاربة وأهالي مديرية الشرقية وما إلى ذلك.

وأما الدراسة، فتسير على نسق ما كان يحدث في العصور الوسطى، إذ كانت غير رسمية، متروكة لاجتهاد الطالب واختياره، بل أن المؤسسة نفسها لم تكن له متطلبات للالتحاق، أو مقررات محددة للدراسة أو امتحانات، وكان الطالب هو الذي يحدد الدرس الذي يحضره، والتعليم في الأزهر لم يكن يخضع لنسق معين، على النقيض من نظام المدارس العثمانية، الذي كان منتظمًا أكثر من ذلك بكثير، ويعتمد على التدرج الهرمي، فالشيخ يصل إلى درجة الأستاذية بإجماع زملائه رغم ضرورة وجوب التأكيد الرسمي على ذلك من السلطات المصرية[2]، أما الكتب المقررة للتدريس فمعظمها للعلماء الأولين: كجلال الدين السيوطي وأنس بن مالك وغيرها من الكتب العلمية والدينية والأدبية[3].

2-1 رواق الــمغاربــة بالأزهر:

---

[1] أحمد مُحَمَّد عوف: المرجع السابق، ص39.

[2] ميكل ونتر: المرجع السابق، ص ص193-194.

[3] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص523.

يُعد رواق المغاربة من أقدم الأروقة التي شهدها الأزهر، بل أنه كان أقدم من عهد قايتباي الذي أمر بإنشاء مساكن لطلاب الأزهر، وكان الرواق يقع في الجانب الغربي على يمينه الداخل من باب المغاربة، أحد أبواب الأزهر التسعة الرئيسية القديمة، حيث كان أحدهما يحمل هذا الاسم، وكان للرواق بابان، وبه خمسة عشر بائكة على أعمدة من رخام أبيض، وفيه مساكن علوية، ومكتبة كبيرة كانت زاخرة بالمصادر في كل الفروع، كانت مفتوحة أما طلاب العلم من المغاربة وغيرهم من الطلاب والعلماء، وكان العون المادي للرواق، من تجار المغاربة في القاهرة والمدن المصرية الأخرى، والراغبين في الأعمال الخيرية والبر، ومشجعي العلم من التجار والأثرياء المقيمين بالبلدان المغربية ذاتها[1].

وقد أشار إليه الرحَّالَة الورثيلاني عند زيارته للجامع الأزهر بقوله: "وزرت أيضًا من بالزهر من العلماء والطلبة وغيرهم، واجتمعت مع أبي الحسن شيخ رواق المغاربة.."[2]، ويتضح أن لكل رواق شيخ يديره ويكون من أبناء المغاربة المشتغلين بالتدريس في الأزهر، المتخصصين في الفقه المالكي، ويكون له وكيل في حالة غيابه[3].

كان الأزهر مسجدًا وجامعة، يضم هيئة تدريس تبذل جهدًا كبيرًا في تعليم طلاب العلم، وقيادة الجماهير، وكان بينهم الصوفي والشاعر والمشرع والكاتب، بل كان منهم من أتقن اللغات الأجنبية، كالشيخ حسن الجبرتي، الذي يجيد الفارسية والتركية وغيره من العلماء والأدباء والأعيان[4].

وكانت مصادر تمويله في الغالب من الأحباس العامة والخاصة، حيث في ظل الدولة الفاطمية كانت الأحباس تحت إشراف قاضي القضاة ولها ديوان خاص، وقد نما هذا المصدر بشكل واسع في ظل المماليك، واستمرت الأعطية العامة والخاصة، على مر العصور وتوالت أوقاف السلاطين والأمراء والكبراء على الجامع الأزهر، وكانت ترتب إما بصفة عامة أو تخصص لأساتذة المذاهب أو الأروقة

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان: المرجع السابق، ص ص99-100.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص427.

[3] عبد الرحيم عبد الرحمان: المرجع السابق، ص101.

[4] كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص178.

المختلفة وطلبتها، أو للإنفاق على تدريس مادة معنية، ولا سيما علوم القرآن والحديث، وكان شيخ الجامع يشرف على الأوقاف ونظارتها[1].

1-3 شـــــيخ الأزهر:

هو أعلى منصب في هيكل إدارة الجامع، وكانت نشأة منصب شيخ الأزهر في أواخر القرن 11هـ/17م، نحو نهاية القرن 17م، مؤشرًا على نهضة الأزهر ولقد تأكد هذا المنصب الخاص بالشيخ في القرن 18م، حيث ضعف الحكم العثماني[2]، وكان الهدف من تعيين الشيخ ليتحمل مسؤولية إدارة الجامع، الذي ازدادت مشاكله وتعددت أعماله، بعد تطوره إبان حكم المماليك[3]، ومن بين أول ستة مشايخ للأزهر كان هنالك خمس من المالكية، ولم يكتسب الشافعية احتكارهم للمناصب إلا ابتداء من الشيخ السادس فصاعدًا، وكان أول شيخ للأزهر هو مُحَمَّد بن عبد الله الخراشي الذي توفي عام 1101هـ/1690م، وخلفه مُحَمَّد النشرتي، وبعد وفاته سنة 1709م، نشب صراع عنيف أدى إلى قتل عدد من الناس، وكان الصراع بين اتباع شيخين: النفراوي والقليني على المنصب ليتعين القليني ثم خلفه مُحَمَّد شنن ثم علي النقيض ثم إبراهيم موسى الفيومي سنة 1724م وغيرهم من المشايخ التي توالت على منصب شيخ الأزهر[4].

وإلى جانب الأزهر الشريف، كانت مصر تضم منشآت ومعالم دينية كبرى، تجسد المكانة التي ضلت مصر تمثلها في العالم العربي والإسلامي، فيما يتعلق بالعلوم الدينية والدنيوية، وهذا ما يعكسه

---

[1] سعاد ماهر: المرجع السابق، ص15.

[2] أحمد مُحَمَّد عوف: المرجع السابق، ص55.

[3] ميكل ونتر: المرجع السابق، ص194.

[4] نفسه: ص ص194-195.

رحالات المغاربة خلال الفترة الحديثة، فمسجد السلطان حسن حسب ما ذكره الرحالتين نقلا عن الرحَّالَة العياشي في قولهم: "هو مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من بلاد في فخامة البناء"[1].

وبالإضافة إلى هذا المسجد ذكر الرحَّالَة المغاربة بعض المساجد المشيدة على بعض الأضرحة نذكر منها مسجد السيدة نفيسة، ومسجد الإمام الشافعي، ومسجد عقبة بن نافع وغيرهم من المساجد، كما ذكر الرحَّالَة الجامع الصغير الأسيوطي بباب رواق الحنفية[2].

ومن المساجد البارزة في مدينة الإسكندرية مسجد الشيخ عبد الله الحجاز، وهو من المساجد إذ يزيد عمره 150سنة والمسجد المعلق بابن علوان داخل الثغر، ومن الجوامع جامع العبادات، وجامع العطارين في وسط المدينة بالقرب من سوق باب البحر، والجامع الكبير الأعظم المعروف بالجامع الغربي، وتدرس فيه المالكية، وجامع الجيوشي، وجامع الشاذلية وكان للطريقة الشاذلية، وجامع سعيد بك وغيرهم[3]، من المساجد والجوامع في الإسكندرية وفي مصر، وقد أدت المساجد دور تقديم التعليم الأساسي للمسلمين الذين لا يبتغون لأنفسهم بالضرورة طريقة الاشتغال بالعلم، وحدث هذا بالقاهرة وغيرها من المدن المصرية[4].

ب) التصــوف:

[1] أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية 1709-1710م**، تح وتق: عبد الحفيظ ملوك، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2011م، ج1، ص 297. وينظر أيضًا: الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص401.

[2] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص299. وينظر أيضًا: الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص 414-417.

[3] ناصرة عبد المتجلي إبراهيم: **الإسكندرية في العصر العثماني الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، تقديم: لطيفة سالم، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، القاهرة، 2013م، ص391.

[4] نللى حنا: المرجع السابق، ص94.

اختلف العلماء حول تحديد أصل كلمة التصوف ومفهومها، فالتصوف مصدر الفعل الخماسي المصاغ من صرف، ويعني الإنسان الذي يلبس ملابس الصوفية أو يتكلف لبسها فهو صوفي وجمعها الصوفية أو متصوفة[1].

وقد قيل: أن التصوف وليد الإسلام الديني والسياسي والعقلي والعرفي فلم يخرج عن حدود القرآن والحديث والتشبه بالنبي وأولياء الدين والزهد والتعبد وتقديم الآخرة على الدنيا، وفي التعريف الاصطلاحي للتصوف الإسلامي، نلاحظ تعددية في التعريفات، حيث يرى ذو النون المصري أن المتصوفة قوم آثروا الله عز وجل على كل شيء فآثرهم الله عز وجل على كل شيء[2].

والتصوف طرح النفس في العبودية وتعلق القلب بالربوبية، وقيل: كتمان الفاقات ومدافعة الآفات، وتصفية القلب عن مرافقة البرية ومرافقة الأخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازل الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقة، واتباع رسول الله في الشريعة[3].

وقد اختلفت الآراء حول نشأة التصوف في مصر إلى ثلاثة اتجاهات، حيث يرى أصحاب الاتجاه الأول أن التصوف في مصر، بدأ منذ أن جعل الله صلاح الدين الأيوبي من سعيد السعداء خانقاه[4]، لفقراء الصوفية، قادمين ومن بلاد بعيدة[5].

---

[1] عبد القادر صحراوي: **الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني1520-1830م**، دار هومه، ط1، الجزائر، 2016م ص16.

[2] مُحَّد صبري الدالي: **التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث**، دار الكتب والوثائق القومية، د ط، القاهرة، 2012م، ص ص 15-16.

[3] مُحَّد بن بريكة البوزيدي الحسني: **موسوعة الطرق الصوفية**، دار الحكمة، د ط، الجزائر، 2009م، مج 11، ج2، ص 295.

[4] **الخانقاة**: وهي كلمة فارسية ومعناها البيت، وهي حديثة في الإسلام في حدود الأربعمائة، وجعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة والتصوف، أما خانقاه سعيد السعداء: وقفها السلطان صلاح الدين وكانت دارًا لسعيد = السعداء عنبر، عتيق الخليفة المستنصر، فلما استبد الناصر صلاح الدين بالأمر وقفها على الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمائة، وهي أول خانقاة عملت بالديار المصرية. ينظر: جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، ص260.

[5] عامر النجار: **الطرق الصوفية فى مصر نشأتها ونظمها وروادها**، دار المعارف، ط5، مصر، 2007م، ص23

أما أصحاب الاتجاه الثاني فيرون أن التصوف في مصر، لم يبدأ إلا في القرن الثالث هجري، وأن ذا النون المصري[1] أول صوفي مصري، وأول من تَصَوَّفَ فيها، وأما الاتجاه الثالث يرى أصحابه أن مصر عرفت ما يُعرَف بالتصوف منذ القرن الأول الهجري، وظهرت كظاهرة اجتماعية، وجدت في المجتمع بشكل فردي ثم جماعي بعد ذلك[2].

وقد شجعت الدولة العثمانية الطرق الصوفية، التي أدت دورًا كبيرًا في تثبيت وتدعيم النفوذ العثماني داخل الأناضول كنوع من التأييد الرمزي الكامل لفتوح السلاطين العثمانيين، ومنحت بعض الامتيازات للطرق وشيوخها، منها الإعفاء من الضرائب[3].

وكان للطرق الصوفية خصائص ومميزات، مثل لبس الخرقة أو لبس المرقعة ويكاد يعرف عن أصحاب الطرق الصوفية المختلفة أنهم أخدوا الخرقة من فلان عن فلان في سلسلة عنعنة طويلة تنتهي إلى الأمام علي كرم الله وجهه ومن المميزات الذكر وآيات القرآن الكريم[4].

وقد بلغ عدد الطرق الصوفية التي أمكن إحصاء أسمائها ثمانين طريقة، بعضها طرق قائمة بذاتها ولها تاريخ طويل، وبعضها مجرد فروع لفرق أكبر وأقدم[5]، وهناك طرق رئيسية وأخرى متفرعة عنها.

وتميز كتابات الدراسين بين الطرق الصوفية التي تلتزم الشريعة وتلك الطرق الخارجة على التعاليم، التي تغض النظر على الشريعة، مركزة على الجانب الإيماني وحده، فمثلًا من بين الطرق التي كانت منتشرة في مصر نجد القادرية والشاذلية، وكذلك الرفاعية والأحمدية والأزدية وغيرها[6].

---

[1] **ذا النون المصري**: أصله من الأقباط الإثيوبيين، لكنه ولد في مصر، وكان من شيوخ الصوفية الأجلاء، وهو المؤسس الحقيقي للتصوف الفلسفي في الإسلام، صنف في الأحوال والمقامات، وكانت له نظرية في المعرفة ونظرية في المحبة، توفي بالجيزة في مصر حوالي سنة 240هـ/ 859م. ينظر: محمد صبري الدالي: المرجع السابق، ص.24.

[2] محمد صبري الدالي: المرجع السابق، ص ص 23-24.

[3] كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص ص 191-192.

[4] عامر النجار: **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها ورروادها**، دار المعارف، ط5، مصر، د س ن، ص ص 29-32.

[5] كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص193.

[6] ميكل ونتر: المرجع السابق، ص210.

ولم تكن للطرق الصوفية دائمًا نُظُمًا مُحَكَّمَة تتبع سلطة مركزية، وترتبط بمذهب واحد، وإنما كانت غالبًا روابط غير مُحَكَّمَة، تعمل على أصعدة إجتماعية مختلفة ولديها إيمان وممارسة يختلفان اختلافات كبيرة[1].

ومن الطرق الصوفية الرئيسية بمصر الطريقة الشاذلية وهي أقدم الطرق الصوفية من الناحية الفكرية وكان أبوها الروحي هو أبو مدين شعيب (ت 589هـ/1193م)، غير المؤسس الفعلي أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م)[2]، والطريقة الأحمدية والرفاعية والبرهامية نسبة إلى إبراهيم الدسوقي، وكانت الأحمدية تنقسم إلى 16 طريقة، أما الطريقة الرفاعية لا فروع لها، وحتي الطريقة القادرية لم تكن لها فروع، اما الطريقة الشاذلية فتفرعت عنها عدة طرق، وكان الاختلاف بينهم في الملبس وبالذكر والأوراد أو الأحزاب أو التعابير، وارتباط بتعدد أنواع الطرق الصوفية في مصر في العصر العثماني بتنوع طقوسه ومصادر تلك الطقوس، ومن أنواع المتصوفة في مصر آنذاك نزلاء الزوايا والتكايا والخانقاهات والربط[3]، وهم سكان البيوت الصوفية، فكانت الزوايا أهم بيوت للصوفية وأكثرها عددًا وانتشارًا[4].

---

[1] أبو الفضل الإسناوي: **الطرق الصوفية في مصر وموقف الشارع المصري منها**، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتجية، مصر، 2004م، ص 07.

[2] ميكل ونتر: المرجع السابق، ص212.

[3] **الربط**: جمع رباط، والرباط في الأصل هو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة، والرباط المواظبة على الأمر، وقد مر الرباط في تطوره بمرحلتين متميزتين اختلفت فيهما وظيفته، وهما المرحلة العسكرية ثم مرحلته الثانية التي تحول فيها إلى منشأة دينية اجتماعية، والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم. ينظر: مُحَمَّد الأمين بلغيث: **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي، اشراف: عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، 1406-1407هـ/1986-1987م، ص 36.

[4] مُحَمَّد صبري الدالي: المرجع السابق، ص 104

ومن أهم الزوايا في مصر خلال القرن 12هـ/ 18م، نجد زاوية عبد الرحمان كتخدا، وزاوية علي النقيب، وزاوية الموافي وغيرها من الزوايا، وشهدت هذه الزوايا تطورًا فتحولت بعضها إلى مساجد منها زاوية الأحمدية[1].

وأما التكايا فكانت بمثابة بيوت صوفية خاصة للأتراك، وذات مهام تعليمية ودينية وتميزت بإقامة حفلات الذكر والسماع أي والإنشاد[2]، وكان موقف الصوفية من العلم والمعرفة ينقسم إلى فريقين متباينين فريق ينكر العلم والمعرفة ويرفضها، وفريق يؤمن بأهميتها[3].

وقد لاحظ الرحَّالَة المغاربة كثرة وتعدد الطرق الصوفية في مصر، فكانت الإشارة من الرحَّالَة إلى ذلك متفرقة، حيث لم يخصصوا وقتًا طويلًا للحديث عن هذه الظاهرة[4]. وهو ماذكره الرَّحَّالتين الدرعي والورثيلاني وما نقلوه عن الاحتفال في مصر بالمحمل المصري حيث يكون حضور الطوائف الصوفية لمراسيم الاحتفال لافتًا للانتباه من قادرية وبدوية ودسوقية وغيرها وفي هذا يقول الرحَّالَة الدرعي عن وطائف ومشايخ الصوفية، نقلًا عن العياشي: ".. كل طائفة من مشائخ الصوفية شيخهم ولوائهم رافعين أصواتهم بالذكر: كالقادرية والرفاعية والبدوية والدسوقية حتى السعاة يأتون بشيخهم فيمرون بين يدي الباشا.."[5].

ويذكر الورثيلاني رأي الصوفية فيما يخص شرب القهوة قائلًا: "وكان الصوفية مع إحدى الطائفتين..."[6]، وهو الشيء الذي جعل من مصر بلدًا كثير الصالحين والأولياء، من المتصوفة بما في ذلك بعض الشيوخ فروع الزوايا المغربية، بمصر كزاوية الناصرية، حيث يذكر الرحَّالَة أحمد بن ناصر الدرعي عن تعيين نقيب لزواية الناصرية في مصر مانصه: ".. قدمنا نقيبًا على المريدين المنتسبين إلينا

---

[1] نفسه: ص ص 105-106.

[2] محمد صبري الدالي: المرجع السابق، ص 106.

[3] كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص195.

[4] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص527.

[5] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص 611.

[6] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، 403.

بمصر، الشيخ محمد بن منصور السبطي، وأذنًا له بتلقين الأوراد لمن رغب في الانتظام في سلك أشياخنا"[1].

وفي هذا العدد نجد الرحَّالَة أحمد بن ناصر الدرعي وهو شيخ الزاوية الناصرية يعمل على الدعوة للطريقة الناصرية، وذلك من خلال تلقين الأوراد ومبادئ الطريقة الناصرية للمصريين، وأنه يدعي في الرحلة رغبة المصريين في إتباع طريقتهم بل يعمل على تأطيرها وذلك بتقديم نقيب على المريدين المنتسبين من الناصرية[2].

ج) الأضرحة والمزارات:

لعل من أهم المظاهر البارزة في المجتمع المصري آنذاك والتي شد انتباه الباحث هي شغف المصرين بزيارة المقابر والأضرحة، كعمل من أعمال التقوى أو كنشاط اجتماعي، قد لفت انتباه الكثير من المراقبين والرحالين، حيث يذكر المؤرخ التركي مصطفى علي، أنه في كل يوم جمعة ابتداء من صلاة الفجر، تتجمع جمهرة من الناس في طريقهم نحو القرافة راجلين أو راكبين وهم يظهرون في طريق المقابر وهذه بالنسبة للقاهرة، فهناك مزيج من التدين والرغبة في زيارة الأضرحة من أجل التعبير عن الاحترام للأولياء ومن أجل التشفع بهم لدى الله[3].

وبوجود الرحَّالَة المغاربة في مصر، حرصوا على زيارة عدد كبير من الأضرحة والقبور، نظرًا لما تمثله زيارتهم من التواصل بين الأحياء والراحلين، وفرصة للترحم واستمداد البركة حسب اعتقادهم، وكانت مقبرة القرافة أحد أهم المزارات التي كان يحرص على زيارتهم، نظرًا لاحتوائها على عدد كبير من المزارات والمشاهد، لأشهر الأسماء والشخصيات، فارتباط الرحَّالَة المغاربة بمصر يمكن تفسيره باحتوائها

---

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص612.

[2] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص 527.

[3] ميكل ونتر: المرجع السابق، ص ص260-261.

على أماكن شبه مقدسة، وحملها دلالات دينية، ومقبرة القرافة، تضم مساجد وزوايا ومدارس، وهي أماكن ظلت تُسْتَغَل كمزارات وتحيا فيها المواسم[1].

يذكر الطيب الفاسي:" وزرنا المشهد العظيم المحتوى على جماعة من أهل البيت رجالا ونساء، أشهرهم السيدة النفيسة الطاهرة[2]، إليها ينسب المشهد وبها يُعرف وعليه بناء عظيم وبإيزائه مسجد وبيوت تسكن... وقبرها معروف بإجابة الدعاء، فهو ترياق لنيل كل مراد كقبر ابن عمها موسى الكاظم رضي الله عن جميعهم ببغداد "[3] ، حيث تؤدي الأضرحة دورًا بالغ الأهمية في المعتقدات الدينية لدى المصريين، وذلك بإضافة الطابع النسائي إليها، بحيث جعلها ذات جاذبية خاصة للنساء، حيث يوجد بالقاهرة كذلك سيدات نسبهن إلى النبي ﷺ، مثل: رقية، وسكينة، وعائشة، إضافة إلى نفيسة وغيرهم[4].

كما يذكر الرحالة زيارتهم لقبر الإمام الشافعي: "وزرنا قبر الإمام الذي لا ينبغي لأحد دخل مصر أن يهمل زيارته. .. وهو من المشاهد الكريمة والمآثر العظيمة له أوقاف كثيرة ويتخذ عند قبره كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه الناس كثيرون... "[5].

وذكر أحمد بن ناصر الدرعي زيارته لقبري الإمامين الشهيرين قائلًا: "وزرنا أيضًا الإمامين الشامخين الهامين الحاملين لرأسه مذهب الإمام مالك وحاميه وناصره أشهب رضي الله عنهما وقبراهما متجاوران يستجاب الدعاء عندهما. مجرب...".

---

[1] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص526.

[2] **السيدة نفيسة**: هي السيدة العابدة، الزاهدة، المجتهد، الورعة، نفيسة ابنة الأمير الحسن بن زيد بن حسن السبط ابن الامام علي بن أبي طالب، يقع مشهد السيدة نفيسة في منطقة السيدة النفيسة المسماة قديما بدرب السباع، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق. ينظر: تقي الدين المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، وضع حواشيه: خليل المنصف، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1418هـ/1998م، ج4، ص 324.

[3] أبي عبد الله مُحَّد بن الطيب الفاسي: **الرحلة الحجازية**، تح وتق: نور الدين شويد، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2014م، ص ص 313-314.

[4] ميكل ونتر: المرجع السابق، ص263.

[5] طيب الفاسي: المصدر السابق، ص ص 312-313. ينظر ايضا: أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص299.

كما يذكر زيارته لقبر عقبة بن نافع الصحابي ﷺ، وزرنا أبا الفيض ذا النون المصري وأبا الحفص وعمر بن الفارض وقبور السادات بني الوفاء وكذلك قبر الشيخ أبي عبد الله المغاروي يقول الرحالتين في هذا: "على حرف الجبل مشرف على القرافة كلها"، ويذكر الدرعي فضل القرافة قائلًا: "ففضل القرافة وما اشتملت عليه من المزارات أشهر من أن يذكر وأظهر من أن يشهر: وقد ورد في الآثار أنها بقعة من الجنة...."[1].

وقد أورد الرحَّالَة الورثيلاني زيارته لمزارات القاهرة، خاصة المقبرة (القرافة)، وزيارته لقبر السيدة نفيسة، والإمام الشافعي حيث يذكر نقلًا عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني: أن جماعة من الأولياء يحضرون كل يوم لزيارة الإمام الشافعي ﷺ، وهو حقيق بذلك وجدير، فإنه بالمحل الذي لا يدرك علمًا ولا عملًا وحالًا وفتوة وحسن أخلاق... فقد اتفق العلماء على أنه ليس في أصحاب إمام الأئمة مالك -ﷺ- أثبت ولا أعلم ولا أفقه من الإمام الشافعي، ويذكر زيارته كذلك الإمامين الشهيرين، عبد الرحمان بن القاسم وناصره أشهب وعبد الله المغاوري وذا النون وغيرهم من الأولياء[2].

ومن المقابر التي توجد بالقاهرة تربة المجاورين وسمي هذا المكان بتربة المجاورين، لأنه قريب من الجامع الأزهر وبه يدفن غالب أهله والمجاورين له وكما توجد أيضًا مقبرة القرافة الصغرى التي تضم عددًا من قبور السلاطين الأمراء كقبر السلطان "قايتباي". وقد ذكر الرحالتين المقبرة تربة المجاورين: "وزرنا تربة المجاورين وما اشتملت عليه من الأئمة المحققين، العلماء العاملين..."[3]. ويذكر سبب اسم تربة المجاورين كما ذكرنا سابق ويضيف قائلًا: "بل الأماكن القريبة من الجامع كلها تسمى حارة المجاورين. إذ لا يسكنها في الغالب إلا العلماء والغرباء والفقراء..."[4].

---

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق: ص299.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص414-416.

[3] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص ص299-301. وينظر: الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص 416-417.

[4] نفسه: ص 417.

ويذكر الرَّحالتين زيارتهم لقبر خليل ﷺ، والشيخ عبد الله المتوفي بمقبرة القرافة الصغرى، والسلطان قايتباي، واصفين قبر هذا السلطان "وعلى قبره بناء عظيم، وبإزائه مسجد متقن، ومحلات لسكنى الفقراء، وهو لا يخلو من عمارة، وعلى رأس القبر حجر مبني عليه بناء حسن فيه أثر قدمين شاع عند الناس، أنها قدما النبي ﷺ، وهناك حجر آخر فيه أثر قدم أخرى"[1].

ويذكر الورثيلاني إعجابه بالشيخ الشاذلي لزيارة أضرحة الأولياء، ولكون طبيعة شخصية الرحالتين الدينية الصوفية، ويتضح تعلقهم وحبهم لزيارة مزارات البلدان التي طافوا بها وخاصة مصر، بما يوضحه الرحَّالَة الورثيلاني في قوله: "وبالجملة فالذي زرناه تلك المدة لا يزار إلا في أيام عديدة، ومع ذلك وجدنا حلاوة ما وجدناها في غيرها من الزيارات فإني قد جبلت على حبها من صغري وقد كثرت مُنايا غربًا وشرقًا وقبلة، بمعنى وجودها مُنى للأحياء والإموات، فمهما ذكر لي وَلِيٌّ أو صالح أو عالم حيًا أو ميتًا إلا ذهبت إليه.."[2].

وكان يقام فوق قبر الأضرحة مساجد كبيرة لأشهر الأولياء، أما فوق قبر الولي الأقل شأنًا بناء صغير مربع ناصع البياض، تعلوه قبة، ويشيد فوق القبر تركيبة من الحجر أو من الخشب، وفوق القبر كسوة مزركشة بالمخمل أو الحرير ويحاط التابوت وهي التركيبة التي فوق القبر من الخشب يحاط بنوع من السور مصنوع من الخشب أو النحاس، ويمكن أيضًا أن يوجد القبر داخل إحدى الزوايا، أو مجموعة مدفن، أو مدفن قائم بذاته وتقسم الأولياء المدفونين في قرافات القاهرة إلى ثلاث فئات رئيسية: آل بيت النبي والعلماء والمتصوفة[3].

وكان الضريح؛ بمثابة النواة العلم الديني والصوفية، وكذلك الصلاة والعبادة فكان المغاربة في مصر أول ما يزورونه وآخر ما يزورنه، وهذا ما يؤكده حديث الرحَّالَة وتمجيده للأولياء والأضرحة

---

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص ص299-300.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 435.

[3] ميكل ونتر: المرجع السابق، ص ص 262-263.

خلال مزاراتهم لهم خاصة في القاهرة فقد ضمت أشهر الأضرحة في القرافة، التي أصبحت مراكز تجمع من المباني ومساكن للمتصوفة وفقراء الناس والأسبلة والمساجد والزوايا والكتاتيب وغيرها.

رابعا: الحياة العلمية والدينية بالحجاز

أ) المراكز العلمية في مكة:

1 – التعريف بمكة:

تُعد مكة المكرمة أكثر مكان مبارك من الله سبحانه وتعالى، وهي مسقط رأس النبي صلى الله علي وسلم، وفيها بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين ومعتمرهم، هي مهبط الوحى نزل بها القرآن الكريم منها انطلق شعاع العلم والمعرفة[1]. وهي بلد الله الأمين من أقدم مدن العالم وأهمها، اختارها الله سبحانه وتعالى من بين بقاع الأرض موضعا لبيته الحرام، وهي سُرَّة الأرض ومركزها[2]، كما تعتبر كبرى مدن الحجاز التي سماها الله عز وجل في الآية ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالآخرة يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[3].

تقع مكة المكرمة في الجانب الغربي من جزيرة العرب، في بطن وادٍ ضيّق طويل[4]، ضمن سهل تهامة الساحلي الممتدة على طول ساحل البحر الأحمر من أقصى شماله عند خليج العقبة الى نهايته

---

[1] الشريف مسعود مُحَّد آل زيد: **تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد(1299/1041هـ–1881/1631م)**، دار القاهرة، ط1، 2005م، مصر، ص ص219-203.

[2] آمال رمضان عبد الحميد صديق: **الحياة العلمية في مكة 1916–1703م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2006م، ص26

[3] سورة الأنعام: آية رقم 92.

[4] فهمي توفيق مُحَّد مقبل: **تاريخ مكة المكرمة عبر العصور**، في مجلة الدرعية، المملكة العربية السعودية، ع 43/42، 1429هـ/2008م، ص.400

الجنوبية عند باب المندب، في منطقة تحيط بها التلال الجرداء والجبال المتشابكة والأودية الجرانيتية وهي عبارة عن واد مستطيل الشكل[1]، تحيط به جبال شامخة من جميع الجهات[2].

تقع على دائرتي عرض 43/ 21 درجة شمالا وخط طول 39/83 درجة شرقا، وترتفع عن سطح البحر حوالي 333مترا.[3] ويميل مناخ مكة إلى الجفاف، وهي شديدة الحرارة صيفا[4]، إلا أن وطأة حرارتها تخف تدريجيا مع الغروب، فيصبح ليلها لطيف الهواء نسبيا، ومكة قليلة المياه ، مياه آبارها قليلة اشهرها بئر زمزم[5]، الذي يعتبر من أعظم وأطيب ماء على وجه الأرض، ويستعمل أهل مكة مياه الأمطار[6]، التي يحتفظون بها في السدود وأحواض و مصانع كبيرة[7]، وهي قليلة.

وبمكة المكرمة الكعبة الشريفة مهد الديانات ومقصد العرب في الجاهلية وقبلة بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[8].

1-1 مسميات مكة المكرمة:

---

[1] المقدسي البشاري محمد بن أحمد: **أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة المدبولي، ط3،، القاهرة، 1991م، ص 71.

[2] السباعي أحمد: **تاريخ مكة– دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران**، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ط4، 1999م، مكة المكرمة، ج1، ص21.

[3] عبد الملك بن عبد الله بن دهش: **الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به –دراسة تاريخية وميدانية–**، د م ن، ب ط، مكة المكرمة، 1415هـ/1995م، ص27، ينظر الملحق رقم 18، ص 412.

[4] زكرياء بن محمد بن محمود القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، د ع ط، بيروت، 1978م، ص85.

[5] **زمزم:** اسم للبئر المشهورة في المسجد الحرام، بينها وبين الكعبة المشرفة ثمان وثلاثون ذراعا. وسميت زمزم لكثرة مائها ، وقيل : لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا، فقد ضمت هاجر ماءها حين انفجرت وخرج منها الماء وساح يمينا وشمالا فمنع بجمع التراب حوله، وروي : « لولا أمكم هاجر حوطت عليها الملأت أودية مكة ». ينظر: حسين بن عودة: **الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب السنة المطهرة** ، دار ابن حزم، ط 1، الأردن، 2002م، ج 1، ص 13.

[6] أبي القاسم بن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، د ع ط، بيروت، 1992م، ص37.

[7] الفكاهي محمد بن اسحاق: **أخبار مكة في قديم الدهر وحدبثه**، تح: عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة، ط 2، بيروت، 1994م، ص97، انظر ايضا، تؤدة بنت محمد علي الشريف: **العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب في العصر العباسي الأول**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص05.

[8] سورة الحج: الآية 27.

يجدر الذكر بأن مكة المكرمة سميت بالعديد من الأسماء، ومنها ما يأتي: "مكة"[1] و"بكة"[2]، و"البلد الأمين"[3]، و" أم القرى"[4]، ولها أيضا أسماء ذكرت في المراجع الأدبية والتاريخية والأثرية نذكر منها، أم الرحمن، الناسة، الباسة، صلاح، البيت العتيق، الحرم، العرش، القادسة، طيبة، العروض، المعطشة، ...الخ[5]. كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى بالاعزاز والتبجيل، قال النووي رحمه الله ولا يعلم بلد أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض[6].

وقد اختلف المؤرخون في أسباب تسميت "مكة" حيث يرى بعضهم أنها سميت بهذا الاسم، لأنها تذهب الذنوب أو لأنها تخرج الفاجر، وهناك من يرى أنها سميت مكة لقلة مائها، فالأرجح أن اسمها أخذ من لغة الجنوب[7]، مستندا إلى بيت الحرام، "فمكة" أو "مكرب" كما ذكرها بيطليموس كلمة يمنية مكونة من "مك" و"رب" ومك: بمعنى بيت فتكون مكرب بمعنى "بيت الرب" ، ومن هذه الكلمة أخذت مكة: مكة أو بكة بقلب الميم باء على عادة أهل الجنوب[8]. ولعل اسم مكة كان يعرف باسم مكرب، أي مقدس، ثم تحول الاسم إلى مكة[9] وهناك قول يشير إلى أن أول من أطلق اسم بكا "بكة "هم العمالقة الذين سكنوا مكة وبكة كلمة بابلية معناها البيت[10].

---

[1] **مكة:** في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾. سورة الفتح، الآية 24.

[2] **بكة:** في قوله تعالي: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، سورة آل عمران، الآية96.

[3] **البلد الأمين:** قال تعالي: ﴿ والتين والزيتون وطور سنين وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾. سورة التين، الآية 03.

[4] **أم القرى:** قال تعالي: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، سورة الشورى، الآية 07.

[5] اسماعيل أحمد اسماعيل حافظ: **أسماء مكة المكرمة في القرآن الكريم وكتب السيرة والأدب والتاريخ والآثار**، في مجلة الدارة، داره الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، س4، ع04، 1399هـ-1978م، ص ص142-156.

[6] أحمد الشيخ مُحَمَّد الحضراوي: **العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، مطبعة الميرية**، مكة المحمية، 1314هـ، ص 06.

[7] كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: منير البعلبكي ونبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968م، ج1، ص216.

[8] GERALD DE GAUEY **:Rulera of mecca.londen Gerge GHARRAP CO**.LID.P24

[9] ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 216.

[10] فهمي توفيق مُحَمَّد مقبل: المرجع السابق، ص 404.

وقد جعل الله تعالى بمكة البيت الحرام الذي هو قيام للناس وأمان، العبادة فيه مضاعفة الأجر فيما سواه، فإن الصلوات الخمس تتضاعف فيه، لما روي عن جابر بن عبد الله[1]، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة"[2].

وتُعد مكة المكرمة إحدى أكثر المدن زيارة في العالم، ويفضل زيارتها في شهر رمضان المبارك، وقد تفردت مكة المشرفة عن سائر مدن العالم قاطبة بوجود الكعبة المشرفة، بيت الله الحرام ومواضع مناسك الحج.

2- الحياة العلمية في مكة:

2-1 الكتاتيب:

تُعد الكتاتيب من أبرز معاهد التعليم في الإسلام[3]، أدت دوراً فاعلاً في إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في مكة، كمؤسسة تعليمية تخرج في جنباتها كثير من الأجيال، الذين حفظوا القرآن الكريم وتعلموا قواعد القراءة والكتابة، وتربوا على المبادئ والأخلاق الحميدة، ثم أصبحوا بعد ذلك قادة منابر وأصحاب فكر في المجتمع، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية انتشرت الكتاتيب في كافة أرجاء الدولة الإسلامية، وظهرت بعد فترة وجيزة ثلاثة أنواع من الكتاتيب وهي:

- كُتَّاب خاص بتعليم القراءة والكتابة، ويكون عادة في منازل العلماء[4].

---

[1] **جابر بن عبد الله**: هو بن عمرو حرام الأنصاري، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد 70هـ/690م. ينظر: ابن حجر العسقلاني: **تهذيب التهذيب**، المصدر السابق، ج1، ص122.

[2] أحمد بن شعيب النسائي: **السنن الكبرى**، تحقيق: عبد الغفار سليمان، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ/1991م، ج2، ص33.

[3] **الكتاتيب**: ومفردها كتاب، وهو مكان مخصص لتعليم الصبيان والبنات على حد سواء. أنظر: الشريف مسعود محمد ال زيد، المرجع السابق، ص 239.

[4] صالح باقارش وعبد الله محمود السبحي: **أصول التربية**، دار الثقة للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ، ص211.

– كُتَّاب خاص بتعليم القرآن الكريم، ومبادئ الدين الإسلامي، ومكانه المعتاد المسجد أو ملحق به.

– كُتَّاب خاص بتعليم الخط بأنواعه، ومكانه أيضًا المسجد أو ملحق به[1].

ومن أشهر كتاتيب مكة المكرمة حوالي 33 كتابا، تضم بها 1100طالبا، وكانت موزعة في جميع أنحاء مكة المكرمة على النحو الآتي: سوق الليل أربعة كتاتيب، القرارة خمسة كتاتيب، القشاشية ثلاثة كتاتيب، شعب عامر خمسة كتاتيب، النقا واحدة، السليمانية واحدة، المسفلة وجياد واحدة، الشبيكة أربعة كتاتيب، حارة الباب ثلاثة كتاتيب، الشامية ستة، والعدد الإجمالي حسب التقرير العثماني ثلاثة وثلاثون كتابا[2]، نذكر منها:

–كتّاب الشيخ أحمد العجمي:

وكان مقره في منزل بجوار بازان القشاشية، ويتراوح عدد الطلاب به بين 70-80 طالبا، وقد تطور هذا الكتاب فيما بعد، وأصبح مدرسة أهلية يدرس بها جميع العلوم التي تدرس في المرحلة التحضيرية آنذاك، وقد أطلق على هذه المدرسة اسم مدرسة الترقي التعليمية.

–كتّاب الشيخ عبد المعطي إبراهيم النورى:

كان يمثل جزءا من المسجد الشهير بمسجد الشيخ سافر بحلة الشبيكة، وكان الشيخ عبد المعطى من علماء مكة الأفاضل، ولذلك كان يدرس طلابه القرآن الكريم تلاوة وحفظة، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب والعلوم الدينية، وكانت أعداد الطلاب بهذا الكتاب تتراوح بين 50-70 طالب[3].

–كتّاب الشيخ أحمد فودة:

[1] عبد الله عبد الدائم: **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1981م، ص146.

[2] حجاز ولاية سالمانة: **برنجى دفعة**، مطبعة سنده طبع اولنمشدر، سنة 1301هـ، ص63.

[3] عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: **الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما**، مطبعة النهضة الحديثة، ط1، مكة المكرة، 1986م، ص ص 20-21

وكان في منزل صاحبه بحي أجياد، وقد تراوح عدد الطلاب به بين 60-70 طالبا، ومن الذين تعلموا به كل من الشريف شرف رضا والشريف مُحَّد عامر.

-كتّاب الشيخ أمين الماحي:

كان مقره بمنزل صاحبه بحي الشبيكة، ويدرس به القرآن الكريم تلاوة وحفظة والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب والعلوم الدينية[1].

-كتّاب الشيخ حسين العبادى:

وكان في منزل الشيخ حسين العبادى بن الفلق، وعندما انتقل الشيخ إلى حي أجياد، نقل الكتاب معه، وكان به عدد كبير من الطلاب، ويدرس به القرآن الكريم تلاوة وحفظة والتجويد والقراءة والكتابة، والحساب ومبادئ العلوم الدينية[2].

وقد تميزت كتاتيب مكة بالتنظيم، وهذا من أجل تحقيق جملة من الأهداف والغايات من أهمها:

- المناخ الديني الروحي الذي شمل بردائه البلد الحرام، ولا سيما أن القادم إلى مكة يكون طالبًا للزاد الروحي عادة قبل التجارة والرزق الدنيوي، فكان لابد لأهل الحرم أن يأخذوا قسطًا من العلوم الدينية الأولية.
- تحقيق رغبة أولياء الأمور في تعليم أبنائهم القرآن الكريم وحفظه أو حفظ بعض سور منه ليمكّنهم من أداء واجباتهم الدينية كالصلاة.
- تأهيل الطلبة للالتحاق بإحدى المدارس لمواصلة تعليمه أو الانضمام إلى حلقة من حلقات الدرس بالمسجد الحرام.

---

[1] أسامه بن مُحَّد آل عز الدين الرسي الحسني: **مكــة وشعــابـها**، وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية، دط، السعودية، 1439هـ/2018م، ص310.

[2] أسامه بن مُحَّد آل عز الدين الرسي الحسني: المرجع السابق، ص310.

وكانت طرق التدريس في المكاتب عن طريقين وهما:

- إما عن طريق تلقين الفقيه لطلابه بعض الجمل وتكرارها من قبلهم بصوت مرتفع وبشكل جماعي، ثم ترديدها من قبل الطلاب مرات عديدة[1].

- أو عن طريق أداة الكتابة على الألواح، حيث تتم بواسطة : القلم، الذي يصنع من أغصان الشجر أو القصب أو الخيزران[2]، ومادة الكتابة هي الحبر الذي يصنع من الفحم، أو قشور الرمان، ثم يطبخ علي النار حتي تصبح المادة سوداء[3].

2-2 المدارس:

ذكرت المصادر الحجازية الكثير من المدارس[4] التي أنشئت في مكة المكرمة، والتي اشتهرت بسمعتها العلمية، فالعديد من علماء القرن الثامن عشر كان لهم نصيب التدريس بها، مما شكل عامل جذب العديد من الطلاب. ومن أشهر المدارس في مكة المكرمة، نذكر:

- **مدرسة الأرسوفي:** وهي أقدم مدرسة في مكة، أسسها عفيف الدين الأرسوفي سنة571-591هـ /1175-1194م، وكانت تقع بجوار باب العمرة[5]، ثم توالى إنشاء المدارس في مكة[1].

---

[1] مي العيسي: **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، دارة الملك عبد العزيز، ب ع ط، المملكة السعودية، 1996م، ص290. ايضا: عبد الله أبو داهش: **الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية 1200-1351هـ/1785-1932م**، مطابع الفتراء، ب ط، أبها-السعودية، 1423هـ، ص42

[2] عبد الله ناصر السبيعي: **الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية 1350- 1380هـ**، دار الوطنية الجديدة، ط1، 1407هـ، ص30.

[3] استخدمت هذه الطريقة في صنع الحبر في منطقة نجد. ينظر: حمد بن إبراهيم السلوم: **التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية بين السياسة والنظرية والتطبيق**- نظرة تقويمية، ددن، ط1، 1416هـ/1996م، ج2، ص17.

4 **المدارسُ والمدرَسُ:** الموضع الذي يدرس فيه، والمدرَس: الكتاب، والمدارس الذي يقرأ الكتب ويدرسها، ودرس الكتاب، يدرسه درسًا ودراسة. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج2، ص 136. الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، د ع ط، بيروت، 1994م، ص702.

[5] **باب العمرة:** أحد الأبواب في الجهة الغربية للمسجد الحرام ،كان يعرف قديما بباب بني سهم، وبما أنه أصبح من عادة البلد أن يخرج ويدخل الحجاج الذين يذهبون إلى التنعيم من هذا الباب سمي بباب العمرة، أنشأه أبو جعفر المنصور في عمارته. انظر: باسلامة حسين عبد الله: **تاريخ عمارة المسجد الحرام**، تهامة للنشر، ط 4، جدة، 1984/1405م،ص ص 128-129.

- **مدرسة السلطان قايتباي**[2]: نسبة إلى السلطان قايتباي، تقع بجانب المسجد الحرام عند باب السلام[3].

- **مدرسة داوود باشا (الداودية):** أنشأها أحد ولاة مصر خلال القرن 10هـ/16م.

- **مدرسة تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف:**

وهي مكان مخصص بتدريس القرآن الكريم حفظا وتلاوة، اضافة الى الأحاديث الشريفة[4].

- **المدرسة الباسطية:** تقع في الجهة الشمالية من الحرم المكي على يسار الداخل من باب العجلة،[5] بناها زين الدين عبد الباسط الدمشقي، الذي كان له اهتمام في انشاء المدرس[6]

- **المدرسة السليمانية:** وتعدّ هذه المدرسة أرقى المدارس الأربعة، فقد عين القاضي حسين الحسن مدرسا فيها ثم رقاه السلطان سليم[7].

- **المدرسة الشرابية:** تقع على يمين الداخل من باب السلام، بناها لأمير شرف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي المستنصري العباسي عندما قدم الى الحج[8].

---

[1] الفاسي تقي الدين محمد: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، دار إحياء الكتب العربية، ط1، مكة المكرمة، 1956م. ج1، ص330.

[2] **السلطان قايتباي**: ولد سنة 826هـ/1422م، دخل مصر سنة 839هـ/1435م تولى السلطنة سنة 872هـ/1468م، وهو من مماليك الظاهر جقمق، وهو من أحسن السلاطين، توفي سنة 901هـ/1496م. ينظر: احمد زيني دحلان الملكي: **تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية**، المطبعة البهية، د ط، مصر، 1306هـ، ص 102.

[3] الشريف مسعود محمد آل زيد: المرجع السابق، ص 257.

[4] محمد بيومي: **مخصّصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من 923-1220هـ/1517-1805م**، دار القاهرة، ط1، القاهرة، 2001م، ص ص 361-362.

[5] تقي الدين السخاوي: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، دراسة وتح: جميل المصري، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، مكة المكرمة، 1419هـ، ج2، ص 428.

[6] مطر فوزية حسين: **تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406هـ/1986م، ص ص 365-366.

[7] عبد الرحمان صالح عبد الله: **تاريخ التعليم في مكة المكرمة**، دار الشروق، د ع ط، جدة، 1403هـ/1982م، ص 325.

[8] الطبري علي بن عبد القادر: **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، تح: أشرف أحمد جمال، المكتبة التجارية، ط1، مكة المكرمة، 1416هـ/1996م، ص80.

2-3 المساجد:

كانت مكة المكرمة من أكثر مناطق الحجاز اهتماما بالعلم واتصالا بالثقافة وذلك لمكانتهما الدينية، وبذلك يعدّ المسجد أول مؤسّسة تعليمية تنطلق لأداء عملها في الحجاز فهي بمثابة الجامعة للتعليم والتدريس، ومن بين أهم مساجدها:

- مسجد الحرم المكي:

يُعدّ المسجد الحرام من أكبر دور العلم التي يتلقى فيها العديد من الناس على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ، مختلف العلوم خاصة العلوم الشرعية، ذلك أن المسجد الحرام لا يخلو من الرواد على مدار العام، حيث الكعبة المشرفة قبلة المسلمين التي تحج إليها آلاف مؤلفة من المسلمين كل عام ليؤدوا فريضتهم التي كتبت عليهم، والذين بلا شك كان بينهم كثير من العلماء أدوا رسالتهم العلمية في المسجد الحرام واستفاد منهم طلبة العلم[1].

كما هو من أشهر الأماكن التي أذاعت العلوم المختلفة، حيث كانت تعقد حلقات العلم في أروقته على وجه العموم، وهذا ما أشار إليه الرحالة المغاربة مركّزين على المسجد الحرام أكثر من غيره عن بقية المساجد بمكة، لاسيما وأن المجاورين فيه من مختلف بلدان الإسلام يتنوعون في فنونهم العلمية، إضافة إلى علماء الحجاز أنفسهم، الأمر الذي جعل من المسجد الحرام مدرسة يتم فيها تدريس مختلف العلوم وفي أوقات مختلفة لكون أغلب علماء المسجد الحرام والمجاورين يسكنون بجوار الحرم، مما جعل الحلق والمجالس العلمية فيه مستمرة من الصباح حتى المساء[2].

[1] أبو القاسم الزياني: **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تح: رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، المطبعة الأمنية، الرباط، ص336. ينظر ايضا. العياشي: المصدر السابق، ج1، ص152. ينظر الملحق رقم 19، ص 413.

[2] عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف: **الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي وحضارته، جامعة صنعاء، كلية الآداب، 1424هـ/2003م، ص39.

وكان المسجد الحرام لا يخلو من رواد العلم على مدار العام على الرغم من الاختلافات المذهبية، بل واستمرت فيه حلقات العلم وكانت هذه الحلقات تزداد كثرة في موسم الحج وشهر رمضان المبارك، حيث يكثر في هذه المواسم زوار بيت الله الحرام، وتكثر الحلقات العلمية فيه فمنها حلقات دائمة والتي تتمثل في الحلقات العلمية التي يعقدها شيوخ مختصون في أيام معلومة يحضرها طلبة العلم وتكون على شكل حلقة، حيث يجلس العالم في صدر هذه الحلقة ويتحلق حوله طلبة العلم مستمعين[1].

أما القسم الثاني من الحلقات فهي المؤقتة وهي التي تعقد لفترة قصيرة و بشكل مؤقت في المواسم مثل موسم الحج وشهر رمضان المبارك[2].

ومع ذلك لم تكن المساجد الأخرى بمكة، لا سيما مساجد المشاعر المقدسة المعروفة بمنأى عن التعايش و النشاطات العلمية آنذاك، فقد احتوت هذه المساجد إسهامات علمية متنوعة، خصوصا في مواسم الحج من كل عام، لذلك لا تستبعد أيضا انتشار بعض الحلق العلمية أو الدروس في مساجد مكة الأخرى في ظل ملاءمة الظروف، ومناسبتها في كثير من هذه المساجد التي تفردت بعمارتها وتنميتها والتي شهدت في الوقت نفسه زيارات لبعض العلماء وطلابهم ممن يحرصون بطبيعة الحال أثناء ذلك على تداول بعض المعلومات الواردة عن هذا المكان وقدسيته[3].

- **مرافق المسجد الحرام:**

---

[1] عمر عبد الجبار: **دروس في ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام**، دار نفيس، ط1، مصر، 1379هـ، ص17.

[2] مشعل نايف الدهاس عايض: **الحجاز من خلال كتب الرحلة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين- دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أم القري، مكة، 2008م، ص 190.

[3] أبو القاسم الزياني: **تحفة الحادي**.. ، المصدر السابق، ص 377.

والمتمثلة في الرموز الدينية داخل الحرم المكي، وهي: الكعبة، مقام إبرهيم، الصفا والمروة، حجر إسماعيل، بئر زمزم، الحجر الأسود، المطاف والمسعى[1].

- **التعليم في المسجد الحرام:**

بدأ تعليم الدين الحنيف في المسجد الحرام، منذ بدأ المعلم الأول النبي مُحَّد صلي الله عليه وسلم، يُعَلِّم أصحابه أمور دينهم ودنياهم حول الكعبة المشرفة، فكان عليه الصلاة والسلام، يجلس بالحرم الشريف ويلتف حوله الناس يسألونه في أمور الإسلام[2].

واستمرت حلقات العلم تدار في المسجد الحرام، واستمر العلماء والفقهاء في أداء رسالتهم العلمية به، وفي العصر العثماني وخلال فترة البحث نجد أن المسجد الحرام شهد حركة علمية نشطة، حيث ازدادت الحلقات العلمية، وانتشرت في كافة أروقته وساحاته المحيطة بالمطاف، وتعددت الدروس العلمية، واتسعت الحلقات لتشمل أبناء مكة والزائرين لها والمجاورين فيها لطلب العلم[3].

ولقد كان للعلماء حرية عقد حلقات الدرس دون وجود رقيب عليهم حتى استحدث منصب شيخ العلماء عام 1817م، وهو من أهم الوظائف الدينية العلمية والإدارية التي أوجدها الشريف مُحَّد

---

[1] مُحَّد إبراهيم فهيم: **ملامح النشاط الإجتماعي في مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري –الثامن عشر الميلادي**، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2009م، ص ص46-47.

سوف يتم شرح بالتفصيل في فصل التواصل الروحي بين الجزائر والحجاز.

[2] شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، المصدر السابق، ج1، ص443.

[3] عبد اللطيف بن دهيش: **نظرة علي تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى عام 1303هـ/ 1885م**، بحث ضمن كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث العثمانية، زغوان، الطبعة الأولى، 1990م، ج1، ص101- 102.

بن عون إذ أقام عبد الله سراج رئيسًا على علماء مكة ثم صار التداول عليها من بعده[1]، وقد بلغ عدد المدرسين بالمسجد سنة 1825م حوالي 107 مدرسا[2].

ومن أشهر المساجد الموجود آنذاك نذكر:

- مسجد خالد بن الوليد:

ويقع بحارة الباب، قيل سمي بذلك لأن خالد بن الوليد غرز فيه رايته يوم فتح مكة، وقد جرت عليه عدة تعميرات منها التي أجراها ناظر التكية المصرية حسن أفندي عام
(1280هـ / 1863م) وممن تولى التدريس فيه أحمد بن سالم حمام من مواليد مكة عام(1292هـ/ 1873 م)، درس في المسجد فترة طويلة من عمره حتى أصابه الهرم ولازم دارة إلى أن وافته المنيه[3].

- مسجد الجن:

يقع أمام مقبرة المعلاة، وبابه على الشارع العام (الأوتوستراد) الذي يوصل إلى المعابدة، وهو المكان الذي قرأ رسول الله ﷺ، على الجن ربعا من القرآن الكريم، وعلى إثر ذلك نزلت سورة الجن على الرسول ﷺ، فبنى المسلمون مسجد الجن[4]، ويطلق عليه اسم مسجد البيعة لأن الصحابة بايعوا رسول الله ﷺ في ذلك الموضع.

- مسجد التنعيم (مسجد عائشة):

[1] عبد الملك الغازي المكي الحنفي: **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، مح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط1، مكة المكرمة، 1430هـ/2009م، ج4، ص65.

[2] سالنامه: **ولاية الحجاز**، الطبعة الثانية، عام 1303هـ، ص ص71- 74.

[3] مُحَمَّد طاهر الكردي المكي: **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، دار خضر، ط1،بيروت، 1420هـ/2000م ، ج3، ص77.

[4] **قال الله سبحانه وتعالى** : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ سورة الجن ، الآية 1- 2.

وهو حد الحرم من جهة المدينة، وبينه وبين أبواب المسجد الحرام حوالى (06) كلم، ولا يجوز تجاوزه باتجاه مكة المشرفة، إلا لمن كان محرم، وأحرم النبي ﷺ للعمرة من هذا المكان، وهو مقصد من يريد العمرة الأن. ويسمى أيضا مسجد عائشة "، حيث أمر الرسول ﷺ أخاها عبد الرحمن بأن يأخذها الحرم بالعمرة من التنعيم، وذلك بعد أن حجت مع الرسول ﷺ حجة الوداع. وهو الآن مسجد ضخم فخم، يمكن الوصول إليه عند طلب ذلك من أي سائق أجرة ، فهو معروف جدا، ومن المعالم الأساسية لمكة[1].

5- مسجد الخيف:

الخيف ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف، ويقع في مكة في سفح جبل منى الجنوبي قريبا من الجمرة الصغرى، وقد صلى فيه النبي ﷺ والأنبياء من قبله، فعن يزيد بن الأسود قال: شهدت مع النبي ﷺ، حجته، فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف[2].

ب) الحياة الدينية في مكة:

إن الحديث عن الأحوال الدينية بمكة يشمل التطرق إلى المناصب الدينية كالقضاء، والإفتاء، وإضافة إلى منصب سدانة البيت الحرام، كما أن ظهور الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، أدى إلى نشاط في الأوساط الدينية يستدعي دراسته، والوقوف على آثاره العلمية بمكة.

1- القضاء:

---

[1] أسامه بن مُحَمَّد آل عز الدين الرسي الحسني: المرجع السابق، ص 188.

[2] عاتق بن غيث البلادي: **معالم مكة التاريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، مكة المكرمة، 1400هـ/1980م، ص271.

تُعدُّ وظائف القضاء ومناصب القضاة من أهم الوظائف في الدولة العثمانية بصفة عامة، بإعتبار أن القضاة هم الحراس على أحكام الشرع يقضون بها ويضعونها موضع التنفيذ، ويلوذ بهم ذوو الحقوق المهضومة من أجل الحصول على حقوقهم[1].

وقد أجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء والحكم بين الناس، وقد تولاه النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله، فكانوا يحكمون للأممهم بالعدل.

وكان القضاء بمكة له المنزلة الكبرى لدى الدولة العثمانية، ولا أدل من ذلك من أنه لا يتم تعيين قاضي إسطنبول إلا بشرط أن يكون قد تولى منصب القضاء من أحد الحرمين الشريفين[2].

ومن المعروف أن المذاهب الأربعة في الحجاز كان معمولا بها في ذلك الوقت حتى وقت قريب، وكان مذهب الدولة العثمانية هو المذهب الحنفي، حيث دخل الحجاز في التبعية العثمانية عام 923هـ/1517م، وأول قاض وصل إلى مكة المكرمة من استانبول هو القاضي مصدر الدين، وكان ذلك عام 943هـ/1536م، إلا أن القضاة كانو يقيمون القاضي الشافعي والحنفي والمالكي بطريق النيابة، وقد أدرك هذا المؤرخ علي بن عبد القادر الطبري في عام 1035هـ/1626م[3].

2- الافتاء:

---

[1] مُحَمّد علي فهيم بيومي: **قضاة مكة المكرمة إبان الفترة 1220-1366هـ/1805-1848م**-دراسة وثائقية من واقع أرشيف، دار الوثائق القومية، القاهرة، جامعة الأزهر، ص 311.

[2] إسماعيل حقي أوزون: **أمراء مكة في العصر العثماني**، ترجمة :خليل مراد، مركز دراسات الخليج العربي، ب ع ط، البصرة، 1989م، ص89. ايضا: عبد اللطيف بن دهيش: **الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة في مطلع القرن العشرين**، بحث ضمن كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية، د ع ط، زغوان، 1988م، ص197.

[3] علي بن عبد القادر الطبري: **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، تح وتق: أحمد الجمال، المكتبة التجارية، ط1، مكة المكرمة، 1416هـ/1996م، ص ص 189-190.

أفتاه في الأمر، أي أبانه له وأفتاه في المسألة يفتيه، والإفتاء هو الاخبار بحكم الله بدليل شرعي من غير إلزام[1].

ومن المعروف أن وظيفة الإفتاء في الحرمين الشريفين، تعتبر من الوظائف المعاونة لنظام القضاء[2]، وقد شهدت مكة المكرمة وجود مفتى المذاهب الأربعة مفتى حنفي، مفتي شافعي، مفتي مالكي، مفتي حنبلي[3].

وكانت وظيفة الإفتاء يتولها الذي يتصف بالشجاعة ونزاهة لأن المفتي هو المترجم للشريعة، يصدر قرارات بشأن مسائل الدين والحق ويعتبر لقب المفتي مفخرة لبعض منهم، وصاحب مكانة مرموقة[4].

وقد شغل المفتون وظائفهم على الأغلب مدى الحياة، كما كان المفتون في الحنفية كالقضاة لهم الزعامة والمكانة الاجتماعية على من سواهم من أرباب المذاهب الأخرى[5].

3- السدانة[6]:

[1] عثمان بن عبد الرحمان: **أدب المفتي والمستفتي**، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1986م، ص 23. ينظر أيضا: محفوظ بن الصغير وعبد الكريم حامدي: **الفتوى في الإسلام الواقع والأفاق**، اصدار وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، 2015م، ص21

[2] رتشارد بيرتون: **رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز**، تحقيق: عبد الله عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1991م، ج2 ص117.

[3] ابراهيم فوازان: **إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة**، مطابع الفرزدق، ط1، الرياض، 1408هـ/1981م، ص 34.

[4]- LOUIS RINN: **Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie** : avec une carte indiquant la marche, la situation et l'importance des ordres religieux musulmans, Alger, 1884, p07.

[5] عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: **الحرم الشريف والجامعة**، نادي مكة الثقافي الأدبي ط2، مكة، 1411هـ/1991م ص36.

[6] **سدانة الكعبة**: هي خدمة الكعبة، والسدنة هم خدام الكعبة الذين يقومون بفتحها وإغلاقها، ويعرفون أيضًا بالحجبة، لأنهم يحجبون الكعبة عن العامة. انظر: مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، 1415هـ/ 1994م، ج4، ص235.

وكانت السدانة بادئ ذي بدء بيد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ثم انتقلت إلى ابنه من بعده، وظلت في ذريته، ثم انتقلت إلى جرهم ثم خزاعة، ثم قريش، ثم استقرت في واحد منهم وهو عثمان بن طلحة[1]، وعندما فتح النبي ﷺ مكة (الفتح العظيم) في غزوة وقعت في العشرين من رمضان في العام الثامن من الهجري الموافق لـ 10 جانفي 630م، دعا عثمان بن أبي طلحة وتلا قوله تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[2]، ثم دفع إلى عثمان مفتاح باب الكعبة وقال له: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر"[3]، وجاء من بعده أبنائه وتوارثوا المفتاح جيل بعد جيل، وعرفوا في التاريخ بآل الشيبي.

ج) الحياة العلمية في المدينة المنورة

لقد ازدانت مدينة رسول الله ﷺ، بالعلم والتعليم في القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر الملادية، ويتضح ذلك من خلال التطور الملحوظ في جميع المجالات.

1- تعريف بالمدينة المنورة:

تقع المدينة المنورة على بعد حوالى 497كم من مكة المكرمة، وعلى خط طول 36/39 درجة وعلى دائرة عرض 28/34 درجة، تقع المدينة المنورة من الجهة الجنوبية جبل عير ومن الشمال جبل أحد ووادي قناة ومن الشرق اللابة (الحرة الشرقية) ومن الغرب (اللابة الغربية) [4].

2- أسماء المدينة المنورة:

---

[1] **عثمان بن طلحة**: هو عثمان بن أبي طلحة أسلم يوم الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وشهد فتح مكة مع النبي ﷺ، وكان ثالث ثلاثة دخلوا الكعبة مع النبي ﷺ. انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنوؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ/1991م، ج3، ص10.

[2] سورة النساء: 58.

[3] عبد الملك بن هشام المعافري: **السيرة النبوية**، تح: مصطفي السقا، وآخرين، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، 1355هـ، ج3، ص413.

[4] خالد بن علي بن حسين صباغ: **لإصابة في معرفة مساجد طابة**، مطابع الرشيد، ط1، المدينة المنورة، 1421هـ، ص 6.

هناك أسماء كثيرة أوصلها بعض المؤرخين إلى المائة ، ويعود السبب في تعدّد أسمائها الى علوّ قدرها وعظيم مكانتها عند المسلمين، والعرب تستدلّ على فضل الشيء وعلوّ مكانته بكثرة أسمائه. وللمدينة عدّة أسماء، وهي من القرى التي ورد اسمها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، مثل: المدينة[1]، أرض الله[2]، الدار[3]. وذكر السمهودي أن للمدينة أكثر من مائة اسم أوردها في كتابه، وهنا نذكر منها بعض الأسماء المشهورة: المدينة المنورة[4]، قبة الإسلام، دار الإيمان، أرض الهجرة، مثوى الحلال والحرام، طيبة آكلة القرى، يثرب[5]، البارة، البحرة، الجابرة، الحبيبة، المهجر[6].

3- المؤسّسات العلمية في المدينة المنورة:

3-1 الكُتّاب (الكتاتيب):

-كتاب الحرم النبوي: وكانت هي أشهر مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، ويقوم بأمرها كبار المحفظين وتأتيهم الرواتب التي تكفيهم من مصر ومن الدولة العثمانية[7].

[1] قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ سورة التوبة، الآية 120.

[2] قال الله تعالى: ﴿ انَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ سورة النساء، الآية 97.

[3] قال الله تعالى: ﴿والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ سورة الحشر، الآية 09.

[4] **المدينة**: أسمها قبل الاسلام، وقد ورد في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾ سورة التوبة، الآية 120.

[5] **يثرب**: سميت به بعد الهجرة، قول تعالى: ﴿وإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ سورة الأحزاب، الآية13.

[6] نورالدين علي بن عبد الله السمهودي: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تح: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي- فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط1، مكة المكرمة، 1422هـ-2001م، ج1، ص65.

[7] دار الوثائق: **الروزنامة دفترة صرة رومية واجب سنة 1177هـ**، فقد كانت هذه الكتاتيب في مؤخر المسجد وكان عددها كبيرًا فقد أوردت المصادر الأصلية وجود أكثر من عشرة كتاتيب في مؤخر المسجد النبوي الشريف. نقلا عن سهيل صبان: **جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية 1039هـ-1336هـ**، في مجلة الدرعية، السنة 01، ع01، ماي 1998م، المملكة العربية السعودية، ص178-179.

ومن أشهر المشايخ الذين قاموا بتحفيظ القرآن الكريم في المسجد النبوي الشريف نذكر منهم: الشيخ زاهد البلخي الأزبكي[1]، الذي قدم المدينة في أواخر القرن السابع عشر ميلادي، ومنهم الشيخ مُحَّد العياشي الذي قدم المدينة المنورة سنة 1134هـ/ 1732م، حيث كان يعلم الصبيان القرآن الكريم، وكانت له اليد الطولى في هذا الأمر وظل موجودًا حتى نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن عشر الميلادي[2].

– **كتّاب الشيخ علي العنابي:** الذي قدم المدينة سنة 1115هـ/1703م، وكان رجلا صالحا فقيها يعلم الصبيان القرآن الكريم.

– **كتّاب الظاهرية:** كان الشيخ مُحَّد مكيتل اليمني يعلم فيه الصبيان ويحفظهم القرآن الكريم[3].

–**كتّاب الشيخ الحضرمي:** وكان الذي يقوم به الشيخ عبد الله بن مُحَّد با شعيب بعد سنة 1142هـ/1729م، ويعلم فيه الصبيان وظل كذلك حتي توفي[4].

– **كتّاب عبد الرحمن كتخدا:** حيث قرر عبد الرحمن كتخدا إنشاء هذه الكتاتيب حينما نفي إلى الحجاز، وظل موجودا به سبع سنوات كاملة فكان خيرا وبركة على إقليم الحجاز، فقرر شراء كسوة

---

[1] قال فيه صاحب التحفة: وكان على يديه فتح عظيم حتى يقال: إن غالب الأطفال الأعيان حفظهم القرآن الكريم ومنهم والدنا (يقصد الأنصاري وهو كتب عنهم في أول مصنفه الشهير) وأعمامنا. ينظر: الشيخ مُحَّد بن إسماعيل الجعفي الأنصاري: **تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب،** تح: مُحَّد العمروسي المطوي، المكتبة العتيقة، ط1، تونس، 1390هـ/ 1970م، ص7.

[2] وكذلك كان هنالك الفقيه طاهر الهندي اللاهوري الذي قدم المدينة المنورة سنة 1170هـ/ 1756م، وكان يعلم الأطفال في مؤخر المدينة، ينظر: الشيخ مُحَّد بن إسماعيل الجعفي الأنصاري: المصدر السابق، ص367.

[3] نفسه: ص ص371- 435.

[4] الشيخ مُحَّد بن إسماعيل الجعفي الأنصاري: المصدر السابق: ص 102.

للأطفال، وشرط أن يكون الأطفال من الأيتام الذين لا يستطيعون دفع مال مقابل تحفيظهم القرآن الكريم[1].

3-2 المدارس:

وكانت في الأغلب هي المكان الذي يتخذ لتلقي العلم على أيدي شيوخ موقوفين عليه، وقد أنشأت في القرن 4هـ/10م، على يد الوزير نظام الملك، وألحق بالمدرسة أماكن لسكنى المدرسين والطلاب، وأجريت عليها الرواتب اللازمة لإعمارها بالتدريس، أو رعاية مصالحها، وإيجاد أدواتها المختلفة[2]. وقد تعدّدت المدارس في المدينة المنورة نذكر منها:

- **مدرسة السلطان قايتباي (826-901هـ)**: والتي أنشأها مع مدارسه التي أقامها في مكة بوكالة وزيره، وهي تطل من جهة الغرب على الحجرة النبوية، ولها باب مطل على باب السلام، وصارت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي مقرًا للمحكمة ومجلسًا لقاضي المدينة المنورة[3].

- **مدرسة السمهودية**: ومن هذه المدارس أيضا في المدينة المنورة، مدرسة الأسرة السمهودية[4]، وقام بالتدريس فيها الشيخ الرئيس مُحَمَّد بن سليمان المغربي[5].

---

[1] علي باشا مبارك: **الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، ط1، مصر، 1305هـ، ص ص89-90.

[2] مُحَمَّد علي فهيم بيومي: **دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني** (1220-923هـ/1517-1805م)، دار القاهرة، ط1، جمهورية مصر العربية، 2006م، ص ص 204-205.

[3] مُحَمَّد أمحزون: **المدينة المنورة في رحلة العياشي-دراسة وتحقيق**، تقديم: سامي الصقار، دار الأرقم الكويت، 1988م، ص ص170-171.

[4] مُحَمَّد علي فهيم بيومي: **الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي**، دار القاهرة، ط1، جمهورية مصر العربية، 2007م، ص52.

[5] **مُحَمَّد بن سليمان المغربي**: هو الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سليمان الفاسي، وهو اسمه لا نسبه إلى فاس، ابن طاهر السوسي، الروداني، المغربي، المالكي، نزيل الحرمين، الامام الجليل، ولد سنة 1037هـ/1627م، في تارودنت، وقرأ بالمغرب على كبار المشايخ، ثم رحل إلى مصر ومنها الى الحجاز، صار رئيس الحرمين الشريفينلا. ينظر: مُحَمَّد بن فضل الله الشامي المحبي: **خلاصة الأثر** في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د ت ن، ج4، ص ص 304-308.

– **مدرسة قرة باش:** أسّسها عمر قرة باشا في القرن 11هـ/17م، وقد تحولت هذه المدرسة إلى رباط أواخر العصر العثماني[1].

– **مدرسة السلطان أحمد الثالث:** ومن المدارس في المدينة المنورة نجد مدرسة السلطان أحمد الثالث، وكان يصرف عليها مبلغًا قدره 1740باره في كل عام، غير أن هذه المدرسة ظلت عامرة حتى نهاية القرن 13هـ/18م، وكانت مدرسة جليلة الشأن[2].

– **مدرسة السلطان عبد الحميد الأول:** تقع في منطقة الساحة آخر البلاط عند حارة الحرازة، وكانت مخصصات هذه المدرسة تصرف من مصر إلى المدينة المنورة[3]، ومن الذين درسو في هذه المدرسة الشيخ مُحَّد سعيد أفندي سنة 1170هـ/1756م[4]، وكذلك أفندي الكركوري، حتي توفي سنة 1174هـ/1760م ودفن في البقيع[5].

– **مدرسة الشفاء:** أنشأها شيخ الإسلام فيض الهندي عام 1112هـ/1700م، وهو من علماء الدولة العثمانية، تولى منصب شيخ الإسلام مرتين، وكان سخيا ينفق بسخاء في إنشاء المساجد والمدارس والمبرات الخيرية[6].

– **المدرسة الرستمية:** يعود تاريخ نشأة هذه المدرسة خلال القرن 12هـ/18م، ولا يعرف صاحبها، ومن أبرز المدرسين فيها الشيخ مُحَّد بن علي المدرس من بيت المدرس الشهير بالمدينة، حتي صار يطلق

[1] علي بن موسى: **وصف المدينة المنورة**، مطبعة نهضة، دط، مصر، 1303هـ/1885م، ص 52.

[2] Shaw: S, T: The **Finincial and Administrative Organization and Development of Ottoman**، Egypt(1517 - 1798) Princeton .New Jersey, 1964. P 256.

[3] عبد الباسط بن بدر: **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، د د ن، ط1، المدينة، 1414هـ/ 1993م، ج3، ص95.

[4] عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري: **تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب**، تح: مُحَّد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، ط1، تونس، 1970م، ص 455.

[5] نفسه :ص 464.

[6] حمادى علي مُحَّد التونسي: **المكتبات العامة في المدينة المنورة ماضيها وحاضرها**، رسالة ماجستير، تخصص: علم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة، 1401هـ/1981م، ص 38.

عليه المدرس في المدينة المنورة[1]، وقد تحولت فيما بعد إلى مجلس خاص بالأغوات وأدخلت في توسعة المسجد النبوي.

3-3 المساجد:

كان للمساجد التعليمية بالمدينة المنورة مكانة مرموقة لدى العلماء، وذلك لمكانتها الدينية، وتعدر من المؤسّسات التعليمية، فهي مكان للتعليم والتدريس، نذكر منها:

- المسجد النبوي الشريف:

الذي أصبح مركزا لنشر الدعوة وشرح مبادئ الدين الحنيف، ومكان يجتمع فيه المسلمون للعبادة والتعليم والقضاء والتداول في شؤونهم الاجتماعية والسياسية[2]. ويُعد المسجد النبوي ثاني المساجد أهمية بعد المسجد الحرام[3].

ومعروف أن للمدينة كانت تستقطب عددا كبيرا من طلبة العلم، كما كانت حلقات العلم في المسجد النبوي تخرج منهم الكثير من العلماء الذين أصبحت لديهم شهرة كبيرة في العالم الإسلامي، وبقيت آثارهم لوقتنا الحاضر[4]. قال رسول الله ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام"[5].

---

[1] عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري: المصدر السابق، ص 438.

[2] أحمد سعيد بن سلم: **المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري**، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1414هـ/1993م، ص19.

[3] خالد بن علي بن حسين صباغ: المرجع السابق، ص19.

[4] مُحَمَّد بن الحسن ابن ذبالة: **أخبار المدينة**، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز زين سلامة، ط1، 1424هـ/2003م، ص24.

[5] علي أحمد سنوسي: **المسجد النبوي تاريخه، فضائله، أحكامه**، سلسلة أبحاث الحرمين العلمية، ط2، السعودية، 1434هـ، ص43.

ولأن قبر الرسول فيه، فقد ازدادت أهميته لدى المسلمين، حيث كان هذا المسجد يرابط فيه الطلبة الذين يحرصون على الرحلة والهجرة إليه[1]، لذلك زخر بالحلق والمجالس العلمية الدائمة، مثله مثل المسجد الحرام، كما وجدت أيضا. وفي معظم الأحيان العديد من المجالس والحلقات العلمية في وقت واحد وبإشراف العالم نفسه عن طريق تأهيله لبعض طلابه في المراحل العليا، بأن جعل على كل مجلس أو حلقة علمية من يقوم بالاقراء والتدريس فيها فهذا العالم قالون[2] عرف واشتهر بقاري أهل المدينة في زمانه ونحويهم، هذا يدل على كثرة وجود الحلق والمجالس العلمية في المسجد النبوي وفي نفس الوقت وجد من العلماء ممن كانوا يقيمون في المدينة ويطيب لهم في فترات مختلفة أن يلقوا أثناء ذلك الدروس العلمية، إضافة إلى ذلك كانوا يجيبوا على الأسئلة العامة والخاصة [3].

وهذا دليل على وجود مجالس علمية دائمة في المسجد النبوي الشريف يتم فيها إلقاء الدروس في ميادين العلوم المختلفة والتي تعود بالنفع على أصحابها وبما يتلاءم مع نصوص وآيات القرآن الكريم وأهداف ديننا الإسلامي الحنيف التي لا يزيغ عنها إلا هالك[4]، كما أن هناك علماء تخصصوا بإصدار الفتاوى في مجالسهم العلمية داخل المسجد النبوي، مثل: علي بن موسى بن جعفر أبو الحسن الهاشمي[5]، وهناك علماء كانوا يأتون من أقطار إسلامية أخرى إلى المسجد النبوي أثناء أدائهم لفريضة

[1] شمس الدين الذهبي: **معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار**، دار الكتب الحديثة، ط 1، القاهرة ، د.ت ن، ج1 ص128.

[2] **قالون:** هو عيسى بن مينابن وردان بن عيسى الزرقي مولى بني زهرة، ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون قالون لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها جيد، ولم يزل يقرا على ناقع مهر وصدق، وطال عمره، وتوفي بالمدينة سنة 220 هـ/835م. ينظر: شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص ص 128-129.

[3] القاضي عياض بن موسى اليستي: **تركيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك**، تح: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، د ط، بيروت، 1967م، ج1، ص 37.

[4] القاضي عياض بن موسى اليستي: المصدر السابق، ص 270.

[5] شمس الدين السخاوي: **التحية اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1414هـ ،ج2، ص ص302-303.

الحج فكانوا يأتون إلى المدينة المنورة لزيارة[1] المسجد وقبر الرسول واثناء ذلك كانوا يحضرون الحلقات[2] والمجالس العلمية في المسجد النبوي ويشاركون فيها بما لديهم من علوم مختلفة[3].

– **مسجد قباء:** يقع المسجد بقرية قباء لوقوعه في الجنوب الغربي للمدينة، يقال له قباء، لأنه يقع في موضع قباء، وهو أول مسجد أسّسه النبي ﷺ وكان يصلي فيه[4]. قال رسول ﷺ "من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه كان له كأجر عمرة"[5]، لقد حاز هذا المسجد عناية من المسلمين وأمرائهم على مرّ التاريخ.

–**مسجد الجمعة:** يقع على يمين المتوجه من مسجد قباء الى المدينة المنورة، وله عدّة أسماء، منها مسجد الوادي، مسجد عاتكة، مسجد القبيب، صلى النبي ﷺ الجمعة في حي بني سالم فبنى الصحابة ﷺ مسجدا في موضع صلاته، فكانت أول جمعة جمعها في الإسلام، أعيد بناؤه في عهد خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله سنة 1412هـ/1991م[6].

---

[1] تقي الدين أحمد الفاسي: **العقد الثمين في تاريخ البلد الامين**، تحقيق: فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1405هـ/1985م، ج5، ص 170.

[2] شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج1، ص162.

[3] القاضي عياض: **تراجم أغلبية** ، تح: مُحَّد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د ع ط، تونس، 1968م، ص184.

[4] مُحَّد الياس عبد الغني: **المساجد الأثرية في المدينة المنورة**، مطابه الرشيد بالمدينة المنورة، ط2، السعودية، 1419هـ/1999م، ص25

[5] الراوي: **سهل بن حنيف**، المحدث: الالباني، المصدر: صحيح ابن ماجة، الصفحة أو الرقم: 1168 خلاصة حكم المحدث: صحيح.

[6] مُحَّد الياس عبد الغني: **تاريخ المدينة المنورة–قسم المساجد**–، بالعربية والأردية والإنجليزية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1419هـ/1999م، السعودية، ص 24.

-مسجد قبلتين: يقع مسجد قبلتين إلى الغرب من مركز المدينة المنورة[1]، على هضبة مرتفعة في منازل بني سلمة في طرف الحرة الغربية الشمالية للمدينة وتسمى حرة الوبرة، هذا المسجد كان في عهد النبي، وقد أصلحه وجدده السلطان سليمان العثماني[2].

-مسجد الفتح: يقع غربي جبل سلع في الساحة المعروفة الآن باسم المساجد السبعة، حيث قام رسول ﷺ يدعو على الأحزاب، واستجاب الله دعاءه وأرسل عليهم ريحا عاتية، ولم تتوحد لهم كلمة بعد ذلك، وقيل في تسمية المسجد أنه نزل فيه قول تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[3]؛ فسمى مسجد الفتح[4].

د) الحياة الدينية في المدينة المنورة:

إن الحديث عن الأحوال الدينية بالمدينة المنورة يشمل التطرق إلى المناصب الدينية كالقضاء، والإفتاء، وإضافة إلى منصب سدانة البيت الحرام، كما أن ظهور الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب، أدى إلى نشاط في الأواسط الدينية يستدعي دراسته، والوقوف على آثاره العلمية.

1- القضاء:

ونعني بها الوظائف التي تولاها العلماء وتتمثل في القاضي ونوابه، حيث كان القاضي يعين من قبل الإدارة في عاصمة الدولة العثمانية، وفي الغالب كان يعين في المدينة المنورة بموجب فرمان سلطاني، وكان القاضي ينتمي إلى المذهب الحنفي، وهو المذهب الذي تتبعه الدولة العثمانية واتخذته مذهبًا منذ

---

[1] أحمد ياسين أحمد الخياري: **تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا**، تع: عبيد الله محمد أمين كردي، مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط1، المدينة المنورة، 1410هـ/1990م، ص287.

[2] علي حافظ: **فصول من تاريخ المدينة المنورة**، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ط3، السعودية، 1417هـ/1996م، ص 141.

[3] سورة الأنفال: الآية 19.

[4] عبد القدوس الأنصاري: **آثار المدينة المنورة**، المكتبة السلفية، ط3، المدينة المنورة، 1393هـ/1973م، ص ص 125-126.

نشأتها[1]، ويرأس القاضي الحنفي قضاة المذاهب الإسلامية السنية الأخرى، غير أن المذهب الحنبلي كان نادرًا في المدينة خلال تلك الفترة[2].

وكان لكل من الحنفي، والمالكي، والشافعي نواب يلقب الواحد منهم بلقب نائب القاضي[3]، يقوم مقام القاضي في الأمور الشرعية والإدارية المنوطة به إزاء المدينة، لا سيما أثناء غياب القاضي للسفر أو للحج، أو لظروف طارئة أخرى، أو حتى عند عزل القاضي من منصبه.

ومن قضاة المدينة المنورة، القاضي إبراهيم عشقي زاده، الذي استلم شؤون القضاء فيها سنة 1119هـ/1707م، وكان مشهورًا بالحسبة وله بها وقائع مشهورة[4].

1-1 نيابة القضاء:

وهذه الوظيفة الرسمية في الغالب كانت للمفتي الحنفي، وكانت هذه الوظيفة تتحقق عندما تنتهي مدة القاضي الرسمي أو يتوفي أو يتأخر التجديد له فيجتمع الأهالي وينصبون قاضيًا، أو تقرر الدولة أو يقرر أهل الحل والعقد في المدينة المنورة ذلك[5]. وتولى هذه الوظيفة المصريون والحجازيون والمغاربة والأتراك، ومن سواهم المشهود لهم بالدين والكياسة وفهم الأحكام الشرعية، واشتهر من

---

[1] من المعروف أن المدينة المنورة كانت تقدّم فقه الإمام مالك عما سواه، على الرغم من أن الدولة المملوكية كان المذهب الرسمي لها المذهب الشافعي، إلا أن أهل المدينة كانوا يعملون بفقه الإمام مالك، وعندما وصل إقليم الحجاز تحت حوزتهم السياسية غيروا المذهب الحنفي بالمذهب الشافعي، وظل أهل المدينة أيضًا على عملهم بالمذهب المالكي، وأن القاضي الحنفي صار له السبق والأولوية في المكاتبات، ابتداء من سنة 947هـ/ 1547م في عهد السلطان سليمان القانوني. ينظر: مُحَمَّد فهيم بيومي: **دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني**، رسالة دكتوراه في الحديث والمعاصر، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 2002م، ص ص311- 312.

[2] مُحَمَّد فهيم: **مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني**، دار القاهرة للكتاب، ط1، القاهرة، 2001م، ص263.

[3] انتشر هذا المنصب في الحجاز بوجه عام وتولاه الحجازيون المجاورون إلا أن أغلبهم لم يكن من الأتراك الذين اختص عدد كبير منهم بمنصب القضاء في المدينة المنورة. ينظر: عبد الله بن مُحَمَّد بن زاحم: **كتاب قضاة المدينة المنورة من عام 963 هـ إلى عام 1418هـ**، مكتبة العلوم والحكم، ط1، المدينة المنورة، 1418هـ/1998م، ج2، ص ص 40-67.

[4] نفسه: ج1، ص127.

[5] مُحَمَّد علي فهيم بيومي: **المغاربة في المدينة المنورة**، دار القاهرة، ط1، القاهرة، 1427هـ/ 2006م، ص60.

النواب عدد منهم نورد له بعض الأمثلة من العلماء في المدينة المنورة حينذاك، ومن الذين تولوا القضاء الشيخ يوسف الشرواني حيث تولى نيابة القضاء بالمدينة المنورة،[1] كذلك الشيخ أحمد بن يحي الأزهري، الذي كان اماما وخطيبا بالمسجد النبوي الشريف، كذلك من الذين تولوا نيابة القضاء مرتين الشيخ مُحَمَّد زين العابدين بن عبد الله بن عبد الكريم من أسرة الخليفة العباسي، ويضاف إلى ذلك أنه تولى وظيفة مشيخة الخطباء والأئمة وإفتاء المدينة المنورة فحاز على جميع الوظائف فضلًا عن التدريس، وظل على ذلك حتى توفي ليلة عرفة رحمه الله[2].

2- الإفتاء:

تُعد وظيفة الإفتاء من الوظائف الدينية التي تولاها علماء المدينة المنورة حيث برز عدد كبير تولى منهم وظائف الإفتاء على المذاهب الأربعة، وسوف يتضح أن التأثير الأكبر كان للمفتين من المذهب الحنفي والمالكي، حيث نذر أن يكون للمفتيين من المذهب الشافعي دور كبير باستثناء بعض الأشخاص خلال هذا القرن، غير أن الجدير بالذكر أن الحنابلة لم يكن لهم وجود إلا بصورة عرضية، ومن الصعب إحصاء عدد هؤلاء المفتين الحنابلة وذلك ربما بسبب قلة المصادر التاريخية في هذا المجال[3].

ومن المفتين الذين تولوا وظيفة الإفتاء في المدينة المنورة على المذهب الحنفي الشيخ تاج الدين بن مُحَمَّد إلياس زاده، وكانت له فتاوى فقهية نفيسة سميت بالفتاوى الإلياسية جمعها بعد وفاته الخطيب عبد الكريم الخليفتي[4].

---

[1] مجهول: **تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن 12 الهجري**، تح: مُحَمَّد التونجي، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت- جدة، 1404هـ/1984م، ص17.

[2] نفسه: ص ص 70- 76.

[3] مُحَمَّد علي فهيم بيومي: الحركة العلمية في المدينة المنورة، المرجع السابق، ص 21.

[4] خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص327.

ومن المفتين أيضا، نذكر الشيخ أحمد الخطيب البري، الذي تولى إفتاء الحنفية وتولى أيضًا نيابة القضاء مرارًا، وله الفتاوى الربية جمعها بعد وفاته ولده مُحَّد. وكان يأتي في كل عام للمفتي خِلَع معينة عليه أن يلبسها كتقليد ضروري لوظيفة الإفتاء[1].

خامسا: العلوم التي اشتهرت بالحجاز

أ) العلوم النقلية:

1- علوم القرآن:

وتتمثل علوم القرآن في علمي القراءات والتفسير، وكانت جهود العلماء في علوم القرآن واضحة.

1-1 علم القراءات:

وهو علم يبحث في صور كلام الله تعالى، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وهو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزورا لناقله[2].

مرت القراءات القرآنية بمراحل عدة إلى أن استقرت علما من علوم القرآن الكريم ، فبدأت أولى هذه المراحل بإقراء جبريل عليه السلام الرسول ﷺ القرآن الكريم ، ومن ثم قيام الرسول ﷺ بقراءة القرآن الكريم وتعليمه وإقرائه للصحابة رضوان الله عليهم[3]، يقول الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[4].

1-2 علم التفسير:

---

[1] مُحَّد علي فهيم بيومي: الحركة العلمية في المدينة المنورة، المرجع السابق، ص ص 22-23.

[2] مُحَّد ابن الجزري: **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، د ع ط، بيروت، 1999م، ص49.

[3] سفيان موسى ابراهيم خليل: **القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي**، اشراف: أحمد خالد شكري، رسالة ماجستير في التفسير، الجامعة الأردنية، 1422هـ/2003م، ص 09.

[4] سورة الاسراء: الآية 106.

نقصد بالتفسير في المعنى اللغوي الإيضاح والتبيين، أما في الاصطلاحي فيقصد العلم الذي يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه مُحَمَّد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه[1]. ففي العصر الثعماني وصل علم التفسير إلى درجة عالية، وقد ارتبط علم التفسير بعلم القراءات، إذ يهتم بتفسير آيات القرآن الكريم، وسبب نزول آياته، وما كان منها مكيا أو مدنيا. لذلك فقد اشتهر الكثير من الصحابة الكرام ﷺ بتفسيرهم للقرآن الكريم، لمعرفتهم الكاملة وإلمامهم التام بمعانيه ومناسبات نزوله[2].

ولقد اشتهر الكثير من التابعين وتابعيهم في الحجاز، ممن اقتفوا أثر الصحابة وتمكنوا من الإلمام التام بعلم التفسير[3]، مما أدى إلى ظهور العديد من المبرزين في علم التفسير من الحجازيين الذين أسهموا في تطور علم التفسير في بلاد الحجاز عن طريق إقامتهم الحلقات والمجالس العلمية في الحرمين الشريفين، والتي كان يتم فيها إلقاء دروس في علم التفسير، فضلا عن قيامهم بتصنيف العديد من الكتب المختصّة بهذا العلم وشرحها على طلاب العلم المهتمين والراغبين في معرفة وإتقان علم التفسير[4].

1-3 علم الحديث:

هو كل ماصدر عن رسول الله ﷺ من قول أو تقرير أو صفة[5]، وينقسم علم الحديث إلى قسمين[6]: علم الحديث رواية[1]، وعلم الحديث دراية[2].

---

[1] مُحَمَّد حسين الذهبي: **علم التفسير**، دار المعارف، د ع ط، القاهرة، د س ن، ص ص 5-6.

[2] عبد الرحمن ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، مؤسسة الكتب الثقافية، ط2، بيروت، 1413هـ/1992م، ج1، ص 171.

[3] عبد الله فائقة ادريس: **التفسير في القرن الأول الهجري**، رسالة ماجستير، أم القرى، 1404هـ، ص ص 96-132.

[4] عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف: **الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة صنعاء، كلية الآداب، اليمن، 1424هـ، ص196.

[5] رفعت فوزي عبد المطلب: **توثيق السنة في القرن الثاني الهجري**، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1400هـ/1981م، ص19.

[6] حسين اسماعيل الجمل وسليمان مسلم الحرشي: **معجم مصطلحات الحديث**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، الرياض، 1412هـ/1991م، ص34.

عمد بعض العلماء في الحرمين الشريفين إلى إلقاء الحديث في دروسهم ومجالسهم العلمية حفظا[3] موحين لطلابهم أهمية هذا النهج في دراسة الحديث النبوي وقيمته في الحفاظ على السنة المطهرة، حيث ترتب على عناية أبناء الحجاز بالحديث وعلومه تعدد في المجالس والحلق العلمية داخل الحرمين الشريفين[4]. وقد فطن علماء الحديث في الحجاز بأهمية حفظ الحديث بالتدوين فشرعوا بكتابته في صحائف وأجزاء خاصة[5]، مما أدى إلى التصنيف في هذا العلم ومن الكتب التي استفاد منها طلاب العلم مسند يعقوب بن حميد بن كاسب[6]، ومن أبرز المحدثين في الحجاز خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلاد.

1-4 العلوم العربية:

- علم النحو[7] والصرف:

---

[1] **علم الحديث رواية**: هو علم يشمل على أقوال النبي عليه الصلاة والسلام وأفعاله وتقريره وصفاته وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها. انظر: همام عبد الرحمن سعيد: **الفكر المنهجي عند المحدثين**، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط1، قطر، 1408هـ، ص63.

[2] **علم الحديث دراية**: هو علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها. ينظر: نفسه: ص80.

[3] الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي: **المحدث الفاضل بين الراوي و الواعي**، تح : محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط3، بيروت، 1404 هـ/ 1984م ، ص ص 196-195.

[4] عبد العزيز ابن راشد السنيدي: **الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1424هـ، ص 249.

[5] عبد الرحمن سعيد همام: المرجع السابق، ص 66.

[6] **ابن كاسب**: من علماء المدينة ومحدثيها البارزين، نزل مكة، وكان قد سمع إبراهيم بن سعد الأنصاري وعبد العزيز بن أبي حازم وغيرهما. وحدث عن البخاري وابن ماجه وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم توفي سنة 241هـ. انظر: شمس الدين محمد الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، ج2، ص ص 466-667.

[7] يوجد خلاف حول نشأة النحو وعلى يد من؟ فيرى جماعة أنه، علي بن أبي طالب، ويرى آخرون أنه، على يد أبي الأسود الدؤلي المتوفي سنة 69هـ/689م، ويمكن التوفيق بأن الذي قام به هو الأخير بإشارة من الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، للمزيد: انظر: عبد الواحد بن علي الحلبي: **مراتب النحويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ط2، القاهرة، 1394هـ، ص24.

مرّ علم النحو والصرف، منذ نشأته حتى العصر العثماني بعدّة أطوار، هي دور النشوء والتكوين فالترقي، ثم طور النضج والكمال، وأخيرًا طور الترجيح والبسط[1].

وهذا الطور الأخير الذي مر به هو الذي عاصر فترة البحث، وكان الأثر الحجازي والمصري واضحًا فيه، حيث ظل تراث علماء العهد العثماني، أثر الحجازيين واضحًا في التدريس والتأليف في النحو والصرف، وظلوا على المنهج التقليدي في الترتيب والتبويب ابتداء من الكلام وما يتألف منه، وانتهاء بالتصغير وغيره[2].

ومن أشهر علماء الحجاز في الحقبة التاريخية للبحث الشيخ أحمد أفندي ابن مُحَمَّد المدرس بمدرسة رستم باشا المتوفي سنة 1135هـ/ 1722م، ومن مصنفاته في هذا المجال شرح الآجرومية في النحو، قال عنه صاحب كتاب (تراجم أعيان المدينة): (وما دخلت تحت يده كتاب إلا صححه وكتب على هوامشه وكان له اطلاع عام خصوصًا في علم اللغة وكان في الغالب يتتبع الألفاظ الغريبة)[3].

ومن علماء العربية أيضًا الشيخ إسماعيل العلجوني (ت.1163هـ/1748م)، ومن مصنفاته الرائعة في النحو: الفوائد المحررة في شرح مسوغات الابتداء بالنكرة، كذلك الشيخ البخاري رحمه الله، وهو الشيخ الحنفي النقشبندي الملقب بـ (نظيم) على طريقة شعراء الفرس والترك، قدم من بلاده بخاري إلى الآستانة صحبة في سفير بلاده إلى الدولة العثمانية فاستقر بالأخيرة ومنها إلى المدينة المنورة، وكانت له فوائد نحوية كثيرة بالإضافة إلى ديوان شهره[4].

– علم البلاغة:

---

[1] الشيخ مُحَمَّد الطنطاوي: **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، مطبعة وادي الملوك، ط4، مصر، 1374هـ/1954م، ص292.

[2] عبد الوهاب بن مُحَمَّد الخطيب الغمري الأزهري: **العرف الندي في شرح لامية ابن الوردي**، مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة، تحت رقم 249، ص ص 20-30.

[3] مجهول: **تراجم أعيان المدينة المنورة**، المرجع السابق، ص99.

[4] مُحَمَّد الشامي المرادي: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ضبط وتصحيح: مُحَمَّد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، د ع ط، بيروت، 1418هـ/1997م، ج1، ص115.

ويقصد به مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[1]، والغاية التي قصدها العلماء من البحوث البلاغية، فهم إعجاز القرآن، ومحاولة الوصول إلى سر إعجازه وفهم أساليبه الرفيعة عن طريق علم البلاغة، علمًا بأن القرآن الكريم لا يخضع لقواعد البشر، بل يستقي أصحاب علم منه ما يثري علومهم، وأفكارهم وهو منبع العلوم[2].

وتتسم البلاغة في العصر العثماني بسمات الطور الفلسفي العقلي من قوانين وحدود، متخذة من مؤلفات السكاكي منهجًا، وخاصة (مفتاح العلوم) الذي صار عمدة البلاغيين إبان فترة البحث، يؤكد ذلك هذا الكم الكبير من الشروح والتلخيصات التي أقيمت على ذلك الكتاب، ومن كيفية تقسيم البلاغيين لموضوعاتها على أبواب، وفصول، ومباحث، وهي التي أنشأها البلاغي الكبير الإمام السكاكي.

ومن علماء البلاغة الشيخ مصطفى الموستاري وله تعليق على مختصر المعاني للتفتازاني في علوم البلاغة، ومن علماء البلاغة في الحجاز الشيخ مُحَمَّد الطيب (ت.1170هـ/ 1756م)، ومن مصنفاته البلاغية شرح أو حاشية علي المطول للسعد التفتازاني وغيره[3].

ومن علماء البلاغة الشيخ شاه ولي الله الدهلوي(ت.1176هـ/ 1762م)، ومن أبرز مصنّفاته فيها: المختصر، والمطول، وبعض الرسائل[4].

ب) العلوم العقلية:

[1] عبد القاهر الجرجاني: **كتاب دلائل الإعجاز**، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، ط3، القاهرة، 1992م، ص ص5-7. ينظر أيضا: الخطيب القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع**، تح: حسين عبد القادر، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ص4.

[2] عبد القادر الجرجاني: **المصدر السابق**، ص9. ينطر ايضا: حمزة الدمرداش: **نشأة الفنون البلاغية**، مطبعة لطفي، ط1، القاهرة، 1981م، ص7.

[3] مُحَمَّد الشامي المرادي: المصدر السابق، ج4، ص ص 91- 94.

[4] صديق بن حسن الهندي القنوجي: **أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج3، ص241

1- علم الكلام:

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد على مذاهب السلف وأهل السنة[1]، كما يشتمل على بيان الآراء، والمعتقدات التي صرح بها صاحب الشرع وإثباتها بالأدلة العقلية[2]، وهو قسمان:

- **الأول:** يبحث فيما يجب الإيمان به كمعرفة الله، وتوحيده وصفاته وأمور الغيب[3].

- **الثاني:** يبحث فيما لا يضر الإيمان ولا يفسده كتفضيل الأنبياء على الملائكة[4].

ومن أبرز علماء الحجاز والمدينة المنورة في العلوم العقلية الشيخ الفوراتي (ت.1100هـ/1689م)، وله منظومة في التوحيد، بالإضافة إلى تقاييد[5].

كذلك من علماء العلوم العقلية والفلسفة الإسلامية: الشيخ عبد الكريم بن يوسف الأنصاري (ت.1134هـ/1721م)، وله من المصنفات في هذا الميدان: (إسباغ المنّة في أنهار الجنة)، و(اشتباك الأسنة)، و(إشراق العالم)[6]. كذلك الشيخ الداغستاني (ت.1199هـ/1785م)، ومن مصنفاته: الحديث عن قضية مهمة وهي موقف الإسلام ممن لم يدرك الإسلام قبل ظهور النبي ﷺ، فألّف لذلك كتابًا خاصًا في موقف أبوي المصطفى ﷺ، سماه: رسالة في أبوي الرسول ﷺ[7].

ومن العلماء الذين اشتهروا في علم المنطق بالمدينة المنورة الشيخ مُحَّد بن إبراهيم بن مُحَّد أبي الطاهر الكوراني بن الملا إبراهيم الكوراني المدني الشافعي، مولده ونشأته بالمدينة المنورة، وحفظ القرآن

---

[1] نفسه: ص458.

[2] ابن الأكفاني الشيخ مُحَّد بن إبراهيم: المصدر السابق، ص37.

[3] أحمد الدمنهوري: **المنح الوفية شرح الرياض الخليفية**، مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة، تحت رقم 935، علم الكلام، ص ص1-3.

[4] عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص187.

[5] مُحَّد بن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، د ع ط، بيروت، 1325هـ، ص323

[6] مُحَّد الشامي المرادي: المصدر السابق، ج3، ص48.

[7] الزركلي: لأعلام، المصدر السابق، ج4، ص294.

بها وكذلك طلب العلم، وتخصص في العلوم العقلية ومن أبرز مصنفاته في هذا الميدان: "أعلام التحقيق" وغيرها.

2- التاريخ:

والتاريخ هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم، ورسومهم، وعاداتهم وصنائع أشخاصهم، وأنسابهم، ووفياتهم، وموضوع علم التاريخ: الإنسان والزمان، وفائدته: تعود إلى أنه علم استقراء ونقد وتحقيق، ولذا فإن التاريخ ليس هو الحوادث وحسب، وإنما هو تفسير الحوادث واهتداء الروابط الظاهرة الخفية التي تجمع بين شتاتها وتجعل منه وحدة متماسكة الحلقات[1].

ومن أشهر المؤرخين في المدينة المنورة نذكر منهم: "الشيخ علي الشرواني (ت. 1118هـ/1706م)، وله دليل الزائرين وأنيس المجاورين و خلاصة التواريخ"[2] .

ومن مؤرخين أيضا "الخطيب خير الدين إلياس زاده(ت.1127هـ/1715م)، ومن أعماله: رواة صحيح البخاري بسنده الى مؤلفه، وكتاب السيرة الحلبية"[3].

3- الجغرافيا:

وهي لفظ يوناني بمعنى صورة الأرض، وهو علم يتعرف منه أصول الأقاليم الواقعة في المربع المسكون، وأطوالها ومدتها وجبالها، وما إلى ذلك من بحارها وأنهارها، وما يختلف من حال السكان وأنشطتهم[4].

---

[1] عبد المعز فضل: **التعليم في محافظة قنافي عصر المماليك**، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1997م، ص339.

[2] مُحَمَّد خليل المرادي: سللك الدرر...، المصدر السابق، ج3، ص201.

[3] مجهول: تراجم أعبان امدينة، المصدر السابق، ص 30.

[4] خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص364.

ومن أشهر الجغرافيين بالحجاز عمومًا والمدينة خصوصًا الشيخ علوي بن عقيل (ت.1154هـ/ 1741م)، وله رحلات إلى اليمن والهند التي رحل إليها أكثر من رحلة، والتقى بالملك المسلم في بلاد الهند وألقى دروسه في حضرته.

كذلك من أصحاب الرحلات الشيخ عبد الرحمن بن مُحَّد بن خروب المجاجي كانت في سنة (1163هـ/1750م) رحلة من مجاجة إلى مكة[1].

4- السير والتراجم:

هي إحدى أصناف العلوم التي تهتم بحياة الأشخاص والأعمال التي قاموا بها، فالسيرة هي ضرب من ضروب الترجمة، تنفسح آمادها وتزخر بالحديث الموسع، فالترجمة إذا طالت تسمى سيرة، وكانت كلمة سيرة وثيقة الصلة بما كتب عن الرسول ﷺ، لكنها خرجت عن هذا الحيز المخصوص إلى آفاق واسعة حينما ألف أحمد بن يوسف في أواخر القرن الثالث الهجري كتابًا أسماه سيرة "أحمد ابن طولون"[2].

أما الترجمة؛ فيعرفها الباحثون بأنها ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفًا يطول أو يقصر، وتختلف طبيعة الترجمة باختلاف العصر والرجل الذي تدور حوله الترجمة[3].

ومن بين علماء المدينة الذين اهتموا بالسير والتراجم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "الشيخ مُحَّد سعيد الكوراني (ت. 1196هـ/ 1781م)، له أعلام التحقيق وإعلام الجاهل والزنديق بمراتب

---

[1] كارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني**، تر: محمود فهمي حجازي، عمر صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 1995م، ق 9، ص540.

[2] مُحَّد عبد الغني حسن: **التراجم والسيرة**، دار المعارف، ط1، مصر، 1955م، ص 27.

[3] مُحَّد صالح الشنطي: **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط5، بيروت، 1422هـ/2001م، ص 215.

بني الصديق للشيخ مُحَّد بن ابراهيم الكوراني[1]، و"الشيخ شمس الدين الدغستاني" عالم بالتراجم، له خلاصة الجواهر في الطبقات الأمة الحنفية الأكابر وحاشية على شرح الشمائل[2]، و"الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأنصاري" ولد بالمدينة 1124هـ/1712م، له: كتاب في أنساب أهل المدينة، سماه "تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب"[3].

سادسا: العوامل المؤثرة في الحركة العلمية في الحجاز:

أ) دور الوافدين في الحياة العلمية:

لعل من أهم العوامل المؤثرة في الحياة العلمية في الحجاز وجود كوكبة كبيرة من المجاورين للحرمين الشريفين، كانوا دافعًا مهمًا لها، فقد شاركوا في إنشاء المؤسسات العلمية وفي التدريس، وأسهموا بنصيب ضخم في الأوقاف، فكانت هناك الأوقاف المصرية والتركية والمغربية والجزائرية والتونسية وغيرها، تلك الأوقاف دفعت العلماء للتفرغ إلى العلم كما سبق أن أشرنا، غير أن أبرز ما كان من دور للوافدين هو المصنفات العلمية والتدريس، وقد ظهر ذلك في بعض العلوم، مثل: العلوم الاجتماعية، والطبيعية، والتجريبية، كذلك كان لهؤلاء المجاورين دور في بلادهم قبل أن يضطلعوا بدورهم في الحجاز.

ومن هؤلاء العلماء الوافدين علماء مصر الذين كان لهم دور عظيم في إنعاش الحياة العلمية في الحجاز مثل الشيخ عيد النمرسي وهو العالِم العلامة البحر الفهامة المحدث الأثري الأوحد المفنن عيد بن علي القاهرة النمرسي، أخذ الحديث عن جلة العلماء المصريين[4]، وكان يعد محدث الحجاز كله،

---

[1] مجهول: **تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن 12 هـ**، تح: مُحَّد التونجي، دار الشروق، ط1، جدة، 1404هـ/1984م، ص106.

[2] العباس الحسيني الموسوي: **نزهة الجليس ومنية الاديب الأنيس**، المطبعة الحيدرية، ط1، العراق، 1417هـ، ج1، ص ص10-11.

[3] عبد الرحمن الأنصاري: **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين في الأنساب**، تح: مُحَّد العروسي المطوي، د د ن، دط، تونس، 1970م، ص. ح.

[4] الزركلي: الاعلام، المصدر السابق، ج2، ص307.

أقبلت عليه الطلبة وأخذوا عنه لدروس في المدينة المنورة، وظل مقيمًا فيها ومنها رحل إلى زبيد، وتوفي سنة 1140هـ/1727م، ودفن بالبقيع رحمه الله، فكان صاحب سند عال لاسيما في حديث الرحمة المسلسلة بالأولية[1].

ومن علماء العراق الذين استقروا بالحجاز حقبة تاريخية طويلة الشيخ السويدي، وهو عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين السويدي أبو البركات الفقيه البغدادي الشافعي، وفد إلى مكة ومنها إلى المدينة، وكان مولده سنة 1692م، وقد ترك لنا مؤلفات كثيرة ونافعة منها: الأمثال السائرة في مقاماته، وأنفع الوسائل في شرح الدلائل، ورشف الضرب في شرح لامية العرب، والنفحة المسكية في الرحلة المكية، وإتحاف الحبيب في شرح مغني اللبيب، وكتاب الجمان في الاستعارة، وما أتلف من مؤلفاته يدل على أنه من علماء العربية الكبار وكانت وفاته سنة 1174هـ/ 1760م[2].

ومن العلماء الوافدين إلى الحجاز علماء الهند، ومن أشهرهم الشيخ فرخ شاه السرهندي المحدث، عالم في الفقه والحديث والتصوف، تفقه وتخرج وأخذ المعقول والمنقول عن أبيه، وله مصّنفات منها: "القول الفاصل بين الحق والباطل" و"كشف الغطاء عن وجوه الخطاء" و" رسالة في حرمة الغناء"[3]. سافر الى الحجاز وأدى فريضة الحج ورجع الى الهند وعكف على التدريس، وأخذ عن خلق كثيرة من العلماء والمشايخ، قال محسن بن يحي الترهتي، أنه كان يحفظ سبعين ألف حديث متنا وإسنادا وجرحا وتعديلا ونال منزلة الاجتهاد في الأحكام الفقهية، توفي في شوال سنة 1122هـ/1711م[4].

ب) الاتجاهات الفكرية:

[1] مُحَّد الشامي المرادي: المصدر السابق، ج2، ص262.

[2] اسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين في أسماء المعرفين وآثار المصنفين**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، ج2، ص354.

[3] عبد الحي بن فخر الدين السني: **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى ب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"**، دار ابن الحزم، ط1، بيروت، 1999م، ج6، ص781.

[4] يونس السامرائي: **علماء العرب في شبه القارة الهندية**، المكتبة الوطنية، دط، بغداد، 1986م، ص508

لعل من أبرز العوامل التي ساعدت في نمو الحركة العلمية في الحجاز، وجود الاتجاهات الفكرية المتنوعة لدى العلماء حيث استتبع ذلك حوارات علمية ومناقشات ومناظرات ومؤلفات ذات قيمة عند كلا الفريقين، فريق يصنف ويؤلف الكتب والرسائل العلمية النافعة التي تهاجم الصوفية، وهم العلماء السلفيون ويؤلفون كتبًا متعددة وتخص الحديث عن محاربة البدع والمنكرات، ويقفون ضد الشائع من الأحاديث الموضوعة التي تمجد أناسًا دون سواهم ويبحثون عن علم الحديث، ويؤكّدون على السند ويبحثون عن الأئمة من علماء المسلمين فيأخذون تراثهم والفريق الآخر يقف منهم موقفًا متشددًا فيرون الالتزام الديني عند السلفيين شيئًا من التشدد والانغلاق ويردون عليهم بالأحاديث وآثار الصالحين من علماء الإسلام.

وفي الحقيقة كان يمكن التوفيق واتخاذ وسطية الإسلام، غير أن كوكبة كبيرة من علماء السلف في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي استطاعت فرض اتجاهها الديني، ونجحت في اعتبار المدينة المنورة عاصمة الفكر السلفي في العالم الإسلامي عمومًا وفي الحجاز خصوصًا آنذاك، وبرزت كوكبة فريدة من كلا الفريقين فالاتجاه السلفي يظهر منه علماء أجلاء منهم أبو الحسن السندي[1]، عبيد الله السندي، وعلي أفندي الداغستاني، وإسماعيل العلجوني، ومُحَمَّد بن سليمان الكردي، ومُحَمَّد بن عبد الوهاب، وعبد الله بن سيف الفرضي[2].

[1] **أبو الحسن السندي(ت.1138هـ/1726م)**: هو الشيخ أبو الحسن بن عبد الهادي السندي، ولد ببلاد السند ونشأ بها، قرأ على بعض الشيوخ ثم قدم المدينة، ودرس في المسجد النبوي، كان شيخ جليلا، محققا في الحديث والتفسير والفقه والأصول، والمعاني والمنطق والعربية وغيرها. ينظر: مجهول: **تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري**، تح وتع: مُحَمَّد التونجي، دار الشروق، ط1، جدة، 1404هـ/ 1984م، ص60.

[2] صاحب علم الأعظمي الندوي: **الحياة الدينة والعلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري– دراسة تاريخية في ضوء كتاب زاد المتقين في سلوك الطريق اليقين**، في مجلة الدراسات الاسلامية، ع03-04، الجامعة الاسلامية العالمية باكستان، 2019م، ص ص 52-63.

وعلى الجانب الآخر قامت الحركة الصوفية على أكتاف علماء أفذاذ، نذكر منهم: محمد السمان[1]، وعبد الرحيم البرزنجي، والشيخ أحمد التيماني، والشيخ أحمد بن عجيل اليمني[2].

- خاتمة الفصل:

ومما تقدم، يمكن القول:

- قام العديد من المصريين الذين عاشوا في مصر بإنشاء الكثير من المؤسسات العلمية، كالمدارس والمساجد والزوايا والتكايا والأربطة، وخصصت رواتبها من الأوقاف والمصادر الأخرى، مما جعل العلماء يتولون أكثر من وظيفة استطاعت أن تساعدهم في تحقيق لأغراضهم العلمية الخالصة.

-كان الازهر يجلب العلماء والطلبة من كل نواحي العالم، ويضم كبار العلماء والمشائخ ، فكانت مصر غنية بالعلماء والمتقفين، الدين تعددت اوجه نشاطاتهم الفكرية والادبية والشرعية ،وتنوع العلوم بها خاصة علوم الشرعية، واهتمام المصريين بتدريس اولادهم علوم القران والحديث في الكتاتيب التي كانت كمرحلة ابتدائية لهم ،ليتحولوا الى المدارس والمساجد ،حيت العلوم العقلية والنقلية.

- تميز الواقع الديني في مصر، بالتنوع المذهبي والتعايش بين المذاهب الاربعة ،وهو ما تعكسه رحالات المغاربة على حرصهم الشديد في لقاء العلماء على اختلاف مذاهبهم والاخذ عنهم.

- تعتبر مكة المكرمة مهبط الوحي ومولد الرسالة، حيث تعتبر مكة أهم أقطار الأرض وملتقى العلماء ومقصد المشايخ.

---

[1] **محمد السمان(ت.1189هـ/1775م)**: هو الشيخ محمد بن عبد الكريم بن حسن السّمان، ولد بالمدينة، ونشأ بها، قرأ على الشيخ بن سليمان الكردي، وأخذ عن السيد مصطفى البكري الطريقة وأوراده، والدار الذي كان يسكنها هي دار أبو بكر الصديق، وتعرف بالمدرسة السنجارية. ينظر: مجهول: تراجم أعيان، المصدر السابق، ص 95.

[2] **أحمد بن عجيل اليمني(ت.690هـ/ 1291م)**: هو أحمد بن موسى بن علي بن عجيل الذوالي الفقيه اليمني، شافعي، عالم، محقق في النحو، والحديث وال أصول، تفقه على يد عمه ابراهيم بن علي بن عجيل، تصدر للتدريس في بلده، مؤسس مدينة بيت الفقيه التي تنسب تسميتها اليه. ينظر: أبي العباس الشرجي الزبيدي: **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط1، صنعاء، 1406هـ/1986م،ص ص 57-58.

- تعد مدينة الرسول ﷺ أهم المراكز العلمية للعالم الإسلامي لما بها من مزارات دينية، واحتوائها على العديد من الكتاب والمساجد ككتاتيب الولاة العثمانيين مراد باشا وعبد الرمان كتخدا.

- أن حركة النشاط الفكري والثقافي لبلاد الحجاز يجد أن مرده إلى اهتمام العلماء بالعلم، فقد كانو صمام أمانها وحراكها وهذا من خلال مؤلفاتهم التي تناولت مختلف العلوم مما زاد من ذلك النشاط الفكري.

القسم الثاني: التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق

(مصر– الحجاز)

الفصل الأول: الصلات الفكرية بين الجزائر ومصر

الفصل الثاني: مظاهر الصلات الثقافية بين الجزائر والحجاز

الفصل الأول: الصلات الفكرية بين الجزائر ومصر

أولا: قنوات التواصل بين مصر والجزائر

ثانيا: دور الأزهر في التواصل بين الجزائر ومصر

ثالثا: إجازات العلماء الجزائريين بمصر

رابعا: التواصل الفكري بين العلماء الجزائريين والمصريين عبر تبادل المؤلفات والمصنفات

خامسا: التواصل العلمي من خلال استشارة العلماء في المسائل العلمية والدينية

سادسا: اثارت قضية شرب القهوة وتناول الدخان

سابعا: إشادة العلماء الجزائريين لشيوخهم المصريين والتعريف أو الترجمة لهم

- تمهيد:

تعرضنا آنفًا لمفهوم الرحلة، وارتباطها بأهداف متعددة، ومما أدرجناه ضمن تلك الأهداف طلب العلم أو نشره، ومثلنا بالعديد من الرحلات للمشرق، مثل رحلة الورثيلاني، وغيرها من الرحلات التي جاءت بمثابة حلقة ربط بين المغرب والمشرق .ولا شك أن تلك الرحلات اتسمت بثراء المردود الثقافي على الجانبين: المشرقي والمغربي، وأنها قد قوبلت بمثلها من جانب المشارقة، ولئن كان الشرق قد اكتسب ميزة روحية، بتشرفه ببيت الله الحرام، وقبر نبيه ﷺ، واعتباره المهد الأول للدين والقرآن بعلومه المختلفة، إلا أن المغرب العربي قد شهد ألقًا علميًّا كبيرًا، باعتباره معقلًا للفقه المالكي، بالإضافة إلى تميزه اللافت في مجال قراءات ومؤلفاتها، ولقد خرج من بلاد المغرب عامة، والجزائر خاصة، العديد من الرواد في علم القراءات والفقه المالكي، مما صبغ الرحلات الجزائرية للحج بالصبغة العلمية، من حيث تبادل العلوم، والجلوس إلى المشايخ، والحصول على الإجازات العلمية بأنواعها، واقتناء الكتب والمخطوطات النادرة، ولم تقتصر الإفادة والاستفادة على بلاد الحجاز فحسب، إنما كان ذلك التبادل متعلقًا بالبلدان التي يمر بها صاحب الرحلة في طريقه، فشكلت تلك الرحلات النواة الأولى، والتي حملت في طياتها ذلك المزيج المتكون بين الشرق والغرب، وزاد ذلك التبادل المعرفي ثراء استقرار بعض العلماء المغاربة في الشرق، وتميزهم في فروع العلم المختلفة، حتى إنهم منحوا طلاب العلم المشرقيين الإجازات المختلفة في القراءات والفقه المالكي كما سنبين لاحقًا بإذن الله.

أولا: قنوات التواصل بين مصر والجزائر

أ) القراءات:

1- نشأة القراءات بمصر:

حينما تم الفتح الإسلامي لمصر عام 20هـ/640م، كان ضمن جند المسلمين الذين فتحوها عددا من الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم ولا ريب أنهم كما هي عادتهم اخذوا يعلمون المسلمين الجدد الإسلام وأحكامه، وفي مقدمة ذلك كله القرآن الكريم كتاب الله والنبع الأول الذي يستقي منه

الإسلام تعاليمه وأحكامه، وكما هي عادة المسلمين الجدد الذين يدخلون في الدين الإسلامي التسابق والإسراع في تلقي علوم الدين الجديد والتنافس في ذلك، ولا سيما في ذلك القرآن الكريم الذي يجد فيه المسلم ما يشفي نهمه من العلم والمعرفة التامة بدين الإسلام واحكامه[1].

فقد أقبل المسلمون المصريون على تلقي الكتاب العزيز من جماعة غير قليلة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أشهرهم عبد الله بن عمرو بن العاص[2]، وعقبة بن عامر[3] رضي الله عنهما، وأبو تميم الجيشاني وعبد الله بن عباس، وأبو ذر الغفاري[4] رضي الله عنهما أجمعين، وهؤلاء الصحابة من ممثلي مدرسة مصر الأولى للقرآن وقراءاته إذ دخلوا مصر يقرئون أهلها القرآن ويعلمونهم ما يتعلق به من قراءات وتفسير وفقه. يضعون في الوقت نفسه أسس المدرسة المصرية في القراءة، ويشكلون طابعها ويحددون اتجاهها. ومنهم من أقام إقامة مؤقتة في مصر كـ أبي ذر، وابن عباس ﷺ ومن أقام إقامة دائمة كعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو، وأبي تميم الجيشاني، وقد واصل هؤلاء الرواد من تلاميذ الصحابة مع من ظل يقدم عليهم من الخارج مهمة قراءة القرآن وأقرانه في مصر، فواصلوا بذلك مهمة تنمية المدرسة المصرية وتطويرها، ومن أشهر من قام بذلك التابعي المصري أبو الخير مرثد اليزني[5]، والتابعي الآخر عبد الرحمن بن جبير[1]، والعالم المصري عمر بن الحارث الأنصاري بالولاء[2].

---

[1] أبي القاسم عبد الرحمان: **فتوح مصر وأخبارها**، مكتبة مدبولي، دط، القاهرة، د س ن، ص ص 48-49.

[2] **عمرو بن العاص (ت65)**: هو عبد الله بن عمرو بن العاص من قريش صحابي مشهور من النساك، من أهل مكة واسلم قبل أبيه، له 700 حديث. ينظر: أحمد بن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، دراسة وتح: عادل عبد الموجود وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1995م، ج4، ص165.

[3] **عقبة بن عامر**: هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني، ذكره ابن كثير في خدم رسول الله ولى إمرة مصر من قبل معاوية، وكان قارئة، فقيها، شاعرة، وكاتبا، واحد من جمع القرآن. توفي ﷺ في آخر خلافة معاوية (58 هـ). ينظر: شهاب الدين العسقلاني: **تهذيب التهذيب**، دار الكتاب الإسلامي، ط1، القاهرة، 1414هـ/1993م، ص 439.

[4] **أبو ذر الغفاري**: هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار، صحابي، من كبارهم قديم الإسلام، أول من حيا الرسول الا بتحية الإسلام توفي سنة (32 هـ) ينظر : خير الدين فارس الزركلي: ج2، ص 190.

[5] **أبو الخير مرثد اليزني**: هو أبو الخير واسمه مرثد بن عبد الله اليزني المصري الفقيه، من حمير. قال ابن سعيد : كان ثقة له فضل وعبادة . روى عن عقبة بن عامر، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وابي ايوب الأنصاري وزيد بن ثابت. وغيرهم وذكر أن وفاته في سنة (183) وقيل سنة (90 هـ). ينظر: شهاب الدين العسقلاني: المصدر السابق، ج10، ص 82.

2- أشهر قراء مصر:

- **أبو الإكرام البقري (ت 1111 هـ/1700م)**: هو العلامة شمس الدين مُحَّد بن قاسم بن إسماعيل البقري المقري الشافعي، أخذ علم القراءات عن الشيخ عبد الرحمن اليمني، والحديث عن الشيخ البابلي، والفقه عن الشيخ المزاحي و الزيادي والشوبري، ومُحَّد المنياوي، والحديث أيضا عن النور الحلبي والبرهان اللقاني، قرأ عليه عدد من العلماء لا يعد ولا يحصي، كما قرا عليه أغلب علماء مصر في زمانه، وأهم مؤلفاته: "القواعد المقررة، والفوائد المحررة" وهي المعروفة بالقواعد البقرية في القراءات السبع. و"غنية الطالبين ومنية الراغبين في التجويد"، "العمدة السنية في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر ولام الفعل واللام القمرية والشمسية"، "شرح المقدمة الآجرومية".[3]

- **العلامة الطباخ (ت 1250هـ/1834م)**: هو مُحَّد بن مُحَّد بن خليل بن الطنتدائي المعروف بالطباخ هو عالم مصري مقدم في التجويد والقراءات، اشتهر بين الناس ذكره لكثرة تصانيفه التي انتفع بها طلاب العلم والعلماء، ومن أهم مؤلفاته: نظم رائق في تحرير أوجه القرآن الكريم من طريق طيبة النشر في القراءات العشر" سماه هيبة المنان في تحرير أوجه القرآن"، كما تواكب العلماء على شرحه من بعده[4].

ومن الثابت تاريخيًّا أنه قد عرف أهل المغرب أولًا مذهب أبي حنيفة، ثم ظهر مذهب مالك في القيروان والأندلس، ودخل الجزائر من هاتين الجهتين، وحمل عليه الناس المعز بن باديس، وقطع ما

[1] **عبد الرحمن بن جبير**: هو عبد الرحمن بن جبير المصري الفقيه الفرضي العامري، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر، وأبي الدرداء، وغيرهم، وروى عنه خلق كثير. وقال ابن حجر : قال ابن يونس كان فقيها عالما بالقراءة، شهد فتح مصر، مات سنة (97 هـ). ينظر: نفسه، ج6، ص 104.

[2] **عمر بن الحارث الأنصاري**: هو عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري مولاهم، ابو امية المدني، ثم المصري، كان قارئا مفتيا ثقة أديبة. مات سنة (148 هـ). ينظر: شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، حققه: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1417هـ/1996م، ج6، ص ص249-250.

[3] عبد الرحمان الجبرتي: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق: حسن مُحَّد جوهر-عبد الفتاح السرنجاوي، مطبعة لجنة البيان العربي، ط1، القاهرة، 1958م، ج1، ص169. وينظر أيضا: عبد الفتاح السيد عجمي: **هداية القارئ الى تجويد كلام البارئ**، مكتبة طيبة، ط2، المدينة المنورة، د س ن، ص 727.

[4] عبد الفتاح السيد عجمي: المرجع السابق، 729.

سواه من مذاهب السنية وغيرهم، هذا في الفروع أما في الاعتقادات فلم يزالوا سلفيين يرضون عن جميع الصحابة كما قال سعيد بن المسيب. وقد قيل له ما تقول في عثمان وطلحة والزبير[1]: "أقول ما قاله الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وكان الناس يقرأون بقراءة حمزة لا يعرف قراءة نافع الا الخواص إلى أن جاءهم برواية ورش عن نافع مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن خيرون الأندلسي نزيل القيروان المتوفي سنة 356هـ/967م[3].

– **عبد الخالق المنوفي (ت 1262هـ/1845م)**: هو الشيخ عبد الخالق المنوفي الأزهري المصري، قرأ القرآن وحفظه كعادة أبناء زمانه ثم قرأ القراءات العشر على كبار شيوخ وقته، وتلقى علوما شتى. عين مفتيا للمالكية بمكة البهية بعد وفاة أخيه، قام بتدريس القرآن الكريم والتفسير ولعلوم الشرعية في مسجد الحرم المكي، وفي آخر عمره كان يقرأ في تفسير العلامة البيضاوي، من شيوخه الشيخ الكبير السيد ابراهيم العبيدي، قرأ عليه القراءات العشر من طرقي الشاطبية والدرة ومن الطيبة. ومن مؤلفاته: "شرح على مولد شرف الأنام" "متن نظم في علم الفلك" "متن عقده العوام"[4].

لقد اشتهر الجزائريون بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها، ومن ذلك منطقة زواوة[5]، التي ظهر فيها العديد من القراء المجدين"[6].

[1] مبارك بن مُحَمَّد الجزائري الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، د ط، الجزائر، 1406هـ/ 1986م، ج2، ص 168.

[2] سورة الحشر: الآية 10.

[3] مبارك بن مُحَمَّد الجزائري الميلي: المرجع السابق، ص168.

[4] إلياس بن أحمد حسين بن سليمان البرماوي: **إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري**، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج2، ص 25.

[5] **زواوه**: بفتح أوّله، وبعد الألف واو أخرى: بليد بين إفريقية والمغرب. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص155.

[6] خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2000م، ص319.

3- نشأة علم القراءات بالجزائر:

يعود اهتمام الجزائريين بعلم القراءات إلى حقبة مشرقة في تاريخ الجزائر، مع دخول الفاتحين للجزائر، حاملين مشكاة الهداية والإيمان، ونبراس العلم والقرآن، ولقد شاركت الجزائر في إثراء الحضارة العربية الإسلامية في مختلف الجوانب الفكرية، والثقافية والعلمية على امتداد التاريخ الإسلامي إلى اليوم[1].

وكان لعلم القراءات حظ من ذلك حيث نبغ نوابغ أعلوا صرح هذا العلم أمثال أبي القاسم يوسف بني علي بين جبارة الهذلي البسكري مؤلف كتاب الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، وأبي الحسين يحيى بن عبد المعطي الزواوي صاحب الألفية في القراءات السبع، ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني مؤلف كتاب الطراز في شرح الضبط الخراز، ومفسر الجزائر وإمامها عبد الرحمن الثعالبي شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، وغيرهم كثير .

4- أشهر القراء الجزائريين:

وتذكر المصادر العديد من القراء الجزائريين الذين قدموا إلى مصر أثناء رحلاتهم العلمية إلى المشرق، منهم:

- **محمد بن توزينت العبادي التلمساني (ت1118هـ/1706م)**: من القراء المشاهير، وقد عرف عنه العلم والجهاد معًا، ذلك أنه توفي مجاهدًا ضد الإسبان[2]، أما علمه وخصوصًا في القراءات فيكفي

---

[1] يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995م، ج1، ص ص 22-23.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2 ،ص22.

أنه أخرج فيه تلميذه أحمد بن ثابت صاحب رسالة "الفراء في ترتيب أوجه القرآن"، واعتبره أبو راس الناصري شيخ مشايخه، وقال عنه أنه ترك تلاميذ في القراءات"[1].

- شيوخه وإجازاته:

لابن توزينت شيوخ كبار وإجازات في اختلاف العلوم والفنون، وهي في علم القراءات والحديث، والفقه، وأهل الطرق من علماء التصوف[2]، ومن الشيوخ الذين قراء لهم بمصر، نذكر منهم عبد الرحمن الحسني المغربي الشهير بالمجوب[3]، وهو نزيل مكة المشرفة، حيث قرأ عليه الشيخ المذكور مُحَّد بن توزينت من أول إحياء علوم الدين للإمام الغزالي إلى باب العلم، وكتاب الحج، والصوم من كتاب الفتوحات المكية منه إجازة ضمن الثبت وإجازة القشاشي بن مُحَّد بن يونس الملقب بعبد النبي بن أحمد الدجاني[4]، كما أعطيت له إجازة بمكة المكرمة من الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن المشرع الطرطوسي المقرئ، ويقول صاحب الثبت: ومن أشياخنا المتوكل الولي الصالح الجهبذ الكامل ابن علي بن توزينت قدّس الله روحه الشيخ عبد الله بن سعيد باقشر المكي الشافعي أجازه إجازة عامة

---

[1] صالح فركوس: **تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق م/1962م)**، إيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013م، ج1، ص522. ينظر ايضا: أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص 42.

[2] سعيد اعراب: **القراء والقراءات بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1410 هـ/ 1990م، ص33.

[3] **عبد الرحمن السني المغربي:** هو عبد الرحمن بن أحمد بن مُحَّد بن عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي المكناسى الحسنى. نزيل مكة شهير بالمحجوب، ولى صالح له الكشف الصريح، شفيق على عباد الله كان يعمل الولائم العظيمة للخاص والعام، وأقبل الناس على زيارته، وألحقه الأمراء بالهدايا، وحصلت له بمكة وجاهة عظيمة لعلمه وحبه للعلماء. ينظر: مُحَّد بن فضل الله الشامي المحبي: المرجع السابق، ج 2، ص346.

[4] **أحمد القشاشي بن مُحَّد بن يونس الدجاني:** (ت 1071هـ/1660م) كان يبيع القشاشة في المدينة المنورة، وهي سقط المتاع، يبيعها لستر حاله، وإخفاء أمره، وكان له اليد الطولى في علم الشريعة والحقيقة، صحب المشائخ الكثيرة منهم: الشيخ: أحمد الشناذي كما صاحب الشيخ توزينت ومن عجائب أحواله: أنه تلا القرآن الكريم من أوله إلى آخره في المنام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ينظر: القشاشى احمد بن مُحَّد بن عبد النبي: **السمط المجيد في شأن البيعة والذكر وتلقينه وسلاسل أهل التوحيد**، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ط1، الهند، 1323هـ، ص181.

وخاصة ظمن الثبت، كما له إجازة أخرى، أي: ابن توزينت عن طريق ابن هلال عن شيخه الإمام القاضي عبد الله بن عبد اللطيف الملقب بالشافعي الصغير[1].

كما سمع صحيح البخاري عن الشيخ مُحَمَّد ابن الشيخ علاء الدين البلابلي المصري الشافعي[2]، فقد أخذ اذا الاقراء وروايته فيه على العديد من العلماء الذين التقاهم حتى الف نظما سماه: تقييد على قراءة الامام نافع من رواية قالون و ورش[3].

أخذ الطريقة النقشبندية على الشيخ الشريف محمود البلخي الحسني النقشبندي، والشيخ عبد الله الشقاري، ومُحَمَّد بن عيسى بن كنان الصالحي بدمشق، والشيخ عبد الجواد بن قاسم المحلي الشافعي الأزهري[4]، وهو شيخ الإقراء بحرم مكة المكرمة، ومن مشايخه المحدث النخلي المكي الشافعي، والمحدث أبو سالم البصري الشافعي وأبو الضياء سلطان المزاجي[5].

– **أحمد بن ثابت التلمساني:(ت1158هـ/1745م)**: ينتمى الى أسرة بني زيان ملوك تلمسان[6]، فقد ذكره تلميذه أبو رأس الناصري في رحلته عند تعداد أساتذته فقال: " ثم تتلمذت للشيخ

---

[1] **القاضي عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد اللطيف**: (ت 1118هـ/1706م) جد أسرة آل عبد اللطيف، بن مُحَمَّد بن ناصر، الملقب بالشافعي الصغير نظرا لتمكنه في سائر العلوم من فقه وحديث وأصول وغيرها, ولد في أواخر القرن الحادي عشر أو مطلع القرن الثاني عشر، والده وأعمامه وأجداده من العلماء المعدودين في الأحساء, له حاشية على صحيح البخاري، بيان ما يجب بأصل الشرع عن صرف الوقف المنقطع إلى الأصل والفرع، رسالة في متشابه أحكام القرآن. ينظر: عبد العزيز العصفور: **فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم**، دار البشائر الاسلامية، دط، بيروت، 2001م، ج2، ص ص 499-510.

[2] مُحَمَّد بن توزينت: **ثبت**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، ذكر فيه مشايخه و اجازاته التي منحت له من قبل العلماء لأبي القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري الصرفي التلمساني تحت رقم: 367، ص 178.

[3] مُحَمَّد بن توزينت: **تقييد على قراءة الامام نافع من رواية قالون و ورش**، تقييد يحوي كيفية جمع الطرق و تحرير نسبها على قراءة الامام نافع، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 1954، ينظر الملحق رقم 3 ص 395.

[4] **عبد الجواد بن قاسم المحلي الشافعي الأزهري (ت1097هـ/1685م)**،: أديب، نحوي، فقيه، توفي بالطائف، وله تآليف منها: شرح على الآجرومية في النحو، الفتاوى المنوفية، تحريرات ومنشآت كثيرة وشعر. ينظر: اسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، وكالة المعارف الجليلة، دط، استنبول، 1951م، ج1، ص503.

[5] مُحَمَّد بن توزينت: المصدر السابق، ص 182.

[6] شاوش مُحَمَّد بن رمضان: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، دط، 2011ج1، ص 72.

منصور الضرير ،صاحب القراءة المتقنة ،والاحكام الموقنة، ...تلميذ شيخ شيوخنا وآخر أهل الرسوخ... أحد أطواد الأسانيد الثوابت... الشيخ أحمد بن ثابت المتوفى سنة 1158هـ/1745م، بجبل ترارة لما أخرجه من أرض آبائه فرغلية تلمسان، فأتقنت على الشيخ منصور القرآن"[1] أخذ وقرأ عن شيخه أبي عبد الله ابن توزينت، له تأليف في القراءات، وقد كان عمدة المقرئيين. له "الرسالة الغراء في ترتيب اختلاف القراء[2] " "التفكيك والاعتبار في الصلاة على النبي المختار "[3].

-**مُحَّد بن مُحَّد البليدي (ت1176هـ/1763م)** : مُحَّد بن مُحَّد المغربي البليدي المالكي الأشعري الإمام الفقيه، المحدث[4] وهو خاتمة المحقّقين، صدر المدققين، الثبت، الحجة، المتقن، المتفق على جلالته، صاحب التصانيف الشهيرة.[5] ويقول عنه مُحَّد المخلوف: "شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، الفقيه المحدث، المتفنن في كثير من العلوم، ولد في مدينة البليدة، فحفظ كتاب الله، وأخذ مبادئ علوم عصره، وتاقت نفسه إلى الاستزادة من العلم، فخرج طالبا للعلم، دخل القاهرة وعمره أربعة عشر عاما"[6]، وقال عنه الجبرتي، "أن الشيخ مُحَّد البليدي حضر دروس كثير من العلماء حتى تمهّر، أي صار ماهرا، فسعى إليه الطلاب، وانتفع به جماعة من محققي علماء الأزهر"[7].

ومن أشهر تلاميذ الشيخ مُحَّد البليدي: نذكر الشيخ الصعيدي، والشيخ مرتضى الزبيدي، ومُحَّد الحنفي[8] وكان ممن يحضر مجالسه أيضا بمصر ايضا عبد الوهاب العفيفي[1]. وممن تتلامذو عنده الشيخ

---

[1] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص42.

[2] عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج1، ص 180.

[3] إسماعيل باشا البغدادي: **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، دار احياء التراث العربي، بيروت، دس ن، ص312.

[4] عبد الرحمان الجبرتي: المصدر السابق، ج1، ص324.

[5] مُحَّد الشامي المرادي: المصدر السابق ج4، ص111

[6] مُحَّد بن مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص489.

[7] عبد الرحمان الجبرتي: المصدر السابق، ج1، ص324.

[8] **مُحَّد الحنفي**: هو مُحَّد بن سالم بن أحمد الحنفي الشافعي الخلوتي، ولد بقرية حفنة إحدى القرى مركز بلبيس بمصر، وهو العالم المحقق المدقق العرف بالله تعالى، قطب وقته (أبو المكارم نجم الدين) محدث، فقيه، فرضي، نحوي، بياني، رياضي. ينظر: عمر رضا

مُحَمَّد الأمير الذي ذكره وأثنى عليه في ثبته بقوله:" ..من مشايخ شيخنا المتقدم، بل ومن مشايخ مشايخه، اخدت عنه الاربعين النووية ...وحضرت عليه في شرح السعد على عقائد النسفي بالجامع الأزهر ...وأجازني"[2].

وذكر الجبرتي أنه كان يدرس في الأزهر ومسجد الحسين الصحيحين، والموطأ، والشفا والشمائل، من حفظه، كما كان له اليد الطولى في علم القراءات [3].

ووصفه مُحَمَّد خليل المرادي في كتابه (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) بقوله:" شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، الفقيه المحدث، المتفنن في كثير من العلوم".

ترك الشيخ مُحَمَّد البليدي عدة آثار نذكر منها: "حاشية على تفسير البيضاوي"، وأخرى "شرح الألفية للأشموني"، و"مؤلّف في القراءات"[4].

ولم يطبع من آثاره العلمية الا رسالة في المنطق تحت عنوان: " المقولات العشر في الفلسفة الإسلامية"[5].

ب) الفقه المالكي والحنفي:

كحالة، المرجع السابق، ج9، ص 265. ينظر ايضا: مُحَمَّد خليل بن علي ين مُحَمَّد مراد الحسيني أبو الفضل: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1408بيروت، هـ/1998م، ج4، ص ص 49-50.

[1] **عبد الوهاب العفيفي**: هو سيدي عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي العفيفي المرزوقي الشاذلي، ولد بمصر، وهو الشيخ الإمام المعمر القطب، أحد مشايخ الطريقة الشاذلية، صاب الكرامات الظاهرة والأسرار الباهرة، توفي سنة 1172هـ.

ينظر: ابن قاسم الكهن الفاسي: **الطبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرمات العلية في طبقات السادة الشاذلية**، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 2005م، ص ص147-148 . ينظر أيضا: مُحَمَّد الأمير الكبير: **ثبت الامير المسمى شذ الادب في علوم الاسناد والنسب**، تق: مُحَمَّد مطيع حافظ ومصطفى ابو زيد، دار الامام الرازي، ط1، مصر، 2013م، ص61.

[2] نفسه : ص ص 60-61.

[3] عبد الرحمان الجبرتي: المصدر السابق، ج1، ص 324.

[4] مُحَمَّد الشامي المرادي : المرجع السابق، ج4، ص 111.

[5] طبعت محققة مرتين في كل من المغرب ولبنان.

1- المذهب المالكي:

يُنتسب المذهب[1] المالكي إلى الامام مالك بن أنس[2] ﷺ، والمذهب المالكي أحد المذاهب الإسلامية السنية [3]، ثاني المذاهب الأربعة في القدم. لقد نشأ المذهب المالكي بالمدينة المنورة موطن الإمام مالك ثم انتشر في الحجاز، وغلب عليه وعلى البصرة، ومصر، كما وصل إلى بلاد افريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان[4]، وظهر بنسب، وكان له بها وبغيرها أئمة ومدرسون. لقد مر المذهب المالكي مند بداية تأسيسه إلى نضج واكتمل بمراحل علمية مختلفة، وهي ثلاث مراحل رئيسية:

- المرحلة الأولى: مرحلة النشوء و التكوين (110-300هـ/728-912م) .

- المرحلة الثانية: مرحلة التطور (301-600هـ/913-1203م).

- المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقرار (601هـ/1204م، إلى العصر الحاضر)[5].

---

[1] **المذهب**: المذهب في الأصل مفعل من الذهاب. وهو لغة الطريق ومكان الذهاب، و يقال ذهب القوم مذاهب شتى أي: ساروا في طرائق مختلفة، وذهب الشخص مذهبه "سار في طريقه، ثم سار عند الفقهاء حقيقة عرفية فيها ذهب إليه إمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية استنتاجا واستنباطا. ينظر: عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعرف الجديدة، ط1، الرباط، 1993م، ص11.

[2]- **مالك بن أنس (ت179هـ)**: هو شيخ الأمه ومحدثها، شيخ الامام، علم الأعلام وعالم المدينة، الذي لا يجرأ أحد بالفتوى ومالك موجود بذاته أو بعلمه، أمير المؤمنين في الحديث، وهو لقب يطلق على من أخذ بمبلغ حديث رسول الله ﷺ وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيضان بن خثيل، ولد بمدينة رسول الله ﷺ سنة (93هـ)، وكانت المدينة في ذلك الوقت مركز الخلافة الإسلامية. ينظر: مالك بن أنس: **الموطأ**، إع: محمود بن الجميل، دار الامام مالك للكتاب، الجزائر، 2002م، ص 15.

[3]- مُحَمَّد أوجرنتي: **الفقهاء و السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، تخصص الجزائر العثمانية**، إش: مُحَمَّد أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2015م، ص39.

[4]- أحمد تيمور باشا: **المذاهب الفقهية الأربعة- الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين**، دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص ص 64-66.

[5] مُحَمَّد ابراهيم أحمد علي-علي بن مُحَمَّد بن عبد العزيز الهندي الحنبلي: **المذهب عند الحنفية-المالكية-الشافعية-الحنبلية**، الوعي الاسلامي- وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطاع الشؤون الشقافية، ط1، الكويت، 1433هـ/2012م، ص ص 145-146.

2- المذهب الحنفي:

يُنتسب هذا المذهب لأبي حنيفة النعمان (ت150هـ/767م[1])، وهو مذهب فقهي من المذاهب الفقهية الأربعة الشهيرة عند أهل السنة والجماعة، يعد هذا المذهب أحد أهم المذاهب الفقهية المعتمدة، وأقدمها، والتي داع صيتها وانتشر خبرها في الآفاق، فهو أحد المذاهب التي كتب الله عزوجل لها البقاء والاستمرار وتلقتها الأمة بالقبول[2]، وقد تأسس المذهب وقيامه، ووضع أصوله وارساء قواعده على يد أبي حنيفة، والتي على أساسها يتم استنباط الأحكام وتخريج الفروع، وقد انتشر هذا المذهب في الخلافة الاسلامية فكان في مصر والشام والعراق وغيرها من الأقاليم، حتي امتد نفوذه الى ربوع الهند[3]. لقد مر المذهب الحنفي مند بداية تأسيسه إلى نضج واكتمل بمراحل علمية مختلفة، وهي ثلاث مراحل رئيسية:

- المرحلة الأولى: مرحلة تأسيس المذهب ونشأته (120-204هـ).
- المرحلة الثانية: مرحلة التوسع والنمو والانتشار (204-710هـ).
- المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقرار (710- وقتنا المعاصر) [4].

3- علماء جزائريون مالكيين بمصر:

تعود الجذور التاريخية للتواصل الثقافي بين الجزائر ومصر الى عصور سابقة وقد ذكرت كتب التراجم العديد من العلماء الجزائريين الذين اتصلوا بمصر، حاملين معهم المذهب المالكي، وكانت

---

[1] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء: **المذاهب الفقهية الأربعة- أئمتها- أطوارها- أصولها- آثاره**، راجعه: بومية بن محمد السعيد وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، الكويت، 1436هـ/2015م، ص ص 1-7.

[2] أحمد سعيد حوى: **المدخل الى المذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، دار الأندلس الخضراء**، ط1، جدة، 1423هـ/ 2002م، ص ص 79-82.

[3] محمد أبو زهرة: **أبو حنيفة حياته وعصره- آراؤه الفقهية**، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1366هـ/1947م، ص14.

[4] محمد ابراهيم أحمد علي- علي بن محمد بن عبد العزيز الهندي الحنبلي: المصدر السابق، ص ص 36-37.

زياراتهم إما زيارات عابرة أثناء رحلاتهم للحج، وإما زيارات تتسم بالاستقرار لفترة، وقد تطول فترة المقام حتى يتوفاه الله بأرض مصر.

– **أبو العباس أحمد الجزائري(ت1202هـ/1788م)**: عارف باللغة، والمعروف في المشرق بأبي العباس المغربي، ولد في الصحراء الجزائرية، ودخل مصر صغيرًا، فتفقه على يد الشيخ علي الصعيدي ولازمه، يقول عنه الجبرتي:"الشيخ العلامة المتفنن البحاث المتقن، أبو العباس المغربي أصله من الصحراء من عمالة الجزائر... حج سنة 1182هـ/1768م[1]، وجاور بالحرمين سنة، واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي ولازمه في دروسه وباحثه، وحاز ثقته، مما جعل الشيخ يأذن له في التدريس، فصار يقرئ الطلبة في رواقهم، وراج أمره أين اشتهر أمره في مصر لفصاحته وقوة حفظه فأصبح يقرأ الطلبة، وقد احترمه علماء مذهبه كما ازدادت شهرته بعد وفاة شيخه علي الصعيدي، وأشير له بالمشيخة في الرواق، ولكن الأمر لم يتم له، وآلت له نظارة الجوهرية"[2]. فكانت له مكانة مرموقة برواق المغاربة حتى أشر له بالمشيخة.

– **أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت1199هـ/1784م)** : متكلم، أصولي، منطقي، من أكابر فقهاء المالكية في وقته. رحل إلى مصر سنة 1154هـ/1741م، فأخذ عن البليدي والملوي وغيرهما. ولازم الشيخ حسن الجبرتي والد عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ وانتفع به. تولى مشيخة رواق المغاربة مرتين أو ثلاثة بشهامة وصرامة[3].

قال عنه الجبرتي: "كان وافر الحرمة، نافذ الكلمة، معدودًا من المشايخ الكبار مهاب الشكل منور الشيبة مترفها في ملبسه ومأكله يعلوه حشمة وجلالة ووقار إذا مر راكبًا أو ماشيًا قام الناس إليه

---

[1] عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، دار الكتب المصرية، ج2، ص257.

[2] نفسه: ج2، ص 158 .

[3] عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3هـ–14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1995م، ص310.

وبادروا إلى تقبيل يده حتى صار ذلك لهم عادة وطبيعة لازمة يرون وجوبها عليهم "[1]، ومن آثاره: "حاشية على الأخضري السلم" و "شرح على أم البراهين"، "ذيل الفوائد وفرائد الزوائد على كتاب الفوائد والصلات والعوائد" و"خواص الآيات والمجريات"[2].

- **علي بن مُحَّد الميلي الجمالي**: (**ت1248هـ/1833م**): فقيه، مالكي، من أكبر المفسرين والمتكلمين في وقته ولد بميلة، أين تعلم ثم رحل إلى المشرق طالبا للعلم فاستقر بالقاهرة حيث أخد على علمائها[3]، له أكثر من عشر مؤلفات في الفقه المالكي وعلم الكلام والتفسير منها: "تفة الأحباب في تفسير قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب" و "الكواكب الذرية" و "الشمس والقمر والنجوم الدراري"، "الصمصام الفاتك بالقادح في مذهب الامام مالك"، "علامات الساعة الصغرى"، بقي يدرس بالقاهرة حتى توفي بها[4].

- **الرماصي مصطفى بن عبد الله**: (**ت1136هـ/1724م**): وهو عالم من فقهاء المالكية[5]، ولد بضواحي مستغانم، في قرية رماصة، تعلم بمازونة على يد أكابر علمائها ثم رحل إلى المشرق، طالبا للعلم فاستقر في القاهرة، وأخذ عن أكابر علمائها، يصفه عبدالرحمان الجامعي الفاسي بـ: حامل راية الفقه المالكي في عصره و مصره.[6]

ومن مؤلفاته: "كفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد" و "حاشية على شرح شمس الدين عامر العدواني على متن خليل في الفقه المالكي"[7].

4- علماء جزائريون حنفيين بمصر:

[1] عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ج2، ص 211.

[2] مُحَّد مخلوف: المرجع السابق، ص ص 494-495.

[3] السخاوي: المصدر السابق، ج1ص 733. البغدادي: ايضاح المكنون، المصدر السابق، ج 1، ص ص237-238 .

[4] عادل نويهض: المرجع السابق، ص ص325 -324.

[5] بن مخلوف: المصدر السابق، ص324.

[6] رضا كحالة: المصدر السابق، ج1، ص247. ينظر أيضا: شمس الدين سخاوي: المصدر السابق، ج2، ص311.

[7] عادل نويهض: المرجع السابق، ص 152.

- **مُحَّد بن محمود حسين الجزائري الشهير بالعنابي(ت1267هـ/1850م):** مُحَّد بن محمود بن مُحَّد بن حسين الجزائري، عيسى الازميتلي، وشهرته الأثري ابن العنابي[1]، وكان على مذهب الحنفية تعلم العلم في وطنه على حده، ووالده، كما تلقاه على المفتي المالكي على ابن عبد القادر بن الأمين وكان عميق الثقافة، منها التي تمت بصلة إلى علوم الدين أو علوم الدنيا [2].

أما المنزلة العلمية فالظاهر أنه كان متمكنا من العلوم الشرعية خاصة، إنتاجه يغلب عليه النقل، ويتمتع بقدرة فائقة على التأويل والتخريج والتعليل، كما أنه يمتاز بالتعمق في العلم والقوة في التحرير والنظر، وبأنه عالم المنقول والمعقول، كان محبا للثقافة وربما يعود هذا إلى اهتمام شخصي بالدرجة الأولى، ومن تقاليد أسرته بالدرجة الثانية[3]، كان ينظر في تطور الأحداث زيادة عن هذا، أمدته تقاليد الأسرة بتراث غزير من الأحكام التي كان يصدرها آباؤه و الشهرة التي كانوا يتمتعون بها لدى العامة والخاصة[4].

ويذكر أنه حج على الأقل مرتين، وأرسل في مهمات، وتولي مناصب سياسية. هذه العوامل مجتمعة، كان لها صدى على تكوينه جعلت أحكامه عقلية تجريبية وآراءه معللة ابن العنابي عدة وظائف في مساره الحياتي المهني كان أولها منصب القضاء الحنفي سنة 1208هـ، في عهد الباي أحمد باشا[5]. ومن خلال هذه المهام التي قام بها، يبرز لنا دوره على أنه لم يكن مجرد عالم فقه، بل كان أيضا دبلوماسيا ناجحا خبيرا بشؤون الدول، إلى جانب هذا، تولى التدريس في جامع الأزهر نحو تسع سنوات، له العديد من الاجازات بين العلماء[6]، ثم عاد إلى الجزائر ليتولى الإفتاء بالجزائر[1]، اضطر إلى

---

[1] مُحَّد زياد بن عمر التكلة: **مجموع فيه من إجازات علامة الجزائر ابن العنابي الاثري**، دار البشائر الاسلامية، ط1، لبنان، 2008م، ص06.

[2] ابو القاسم سعد الله: رائد **التجديد الاسلامي ابن العنابي**، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1990م، ص 29.

[3] عبد الحميد بن خليل بيك: **اعيان من المشارقة والمغاربة- تاريخ عبد الحميد بيك المتوفي سنة 1280هـ-1863م** ، تع: ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 2000م، ص 188.

[4] عمار هلال: المرجع السابق، ص318. أيضا: البغدادي: ايضاح المكنون، المصدر السابق، ج2، ص118.

[5] ابو القاسم سعد الله: رائد التجديد ...، المرجع السابق، ص34.

[6] سوف أتطرق لهم في مبحث الاجازات.

الارتحال إلى الإسكندرية، و هناك ولاه محمد علي الإفتاء سنة 1266هـ/1849م، وتم يستمر في منصبه هذا طويلا، بحيث عزله والي الجديد عباس باشا. وهكذا التزم ابن العنابي الصمت إلى أن لقي ربه في ربيع الأول سنة 1267هـ/1850م، بعد أن ترك العديد من و المؤلفات الفكرية [2].

– **فتح الله القسنطيني الشامي**: لاتوجد معلومات وافية حول هذا العالم الحنفي، والمعطيات عنه نادرة والمصدر الوحيد الذي يقدم لنا بعض المعلومات عنه هو "تاريخ بلد قسنطينة" لمؤلفه أحمد بن المبارك، فيقول: "هو العالم العلامة المحقق المدقق، ولد بالشام، ثم انتقل رفقة عائلته إلى مصر، ومنها ارتحل إلى الجزائر، وبمجرد وصوله إليها سجل اسمه في دفتر الباشا ليتلقى العطايا باعتباره مسافرا[3].

ويعُد الشيخ المذكور من أتباع المذهب الحنفي، وبعد مدة انتقل إلى قسنطينة فتزوج واستقر بها نهائيا، مارس فتح الله عدة وظائف علمية بقسنطينة، فدرس علم الفقه والحديث واللغة بجامع سوق الغزل[4]، ثم تولى الخطابة بجامع القصبة[5]، بعدها أصبح مفتيا على المذهب الحنفي، ثم تولى نظارة الأوقاف، ثم أصبح قاضيا على نفس المذهب، وبقي يمارس هذه الوظيفة إلى غاية مقتله من قبل الباي أحمد شاوش[6] في عام 1809م، بعدما طلب منه هذا الأخير أن يكتب لداي الجزائر رسالة

---

[1] احمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر 1974م، ص127.

[2] الشيخ بوعمران وناصر الدين سعيدوني: **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1995م، ص393

[3] أحمد بن المبارك العطار: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع وتق: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الجديدة، قسنطينة، 2011م، ص 144.

[4] **جامع سوق الغزل**: يعرف بجامع حسن باي يقع شرق قصر أحمد باي أشرف على بنائه الباي حسن الملقب "بأبي كمية" وذلك سنة (1134هـ/1721م) وعهد بتصميمه وهندسته إلى كاتب الدولة الحاج عباس بن علي يعتبر من أجمل مساجد قسنطينة، يتميز بمحرابه وقبابه وبمنبره وبابيه وزخرفة جدرانه. ينظر: كمال غربي: **المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية**، ب ط، تلمسان، 2011م، ص123.

[5] **جامع القصبة**: وهو المسجد الخاص بالأمراء واشيتهم، وكبار رجال الدوبة، يوجد داخل القصبة بقسنطينة. ينظر: عبد العزيز فيلالي: **مجمل تاريخ قسنطينة– السياسي، العمراني، الثقافي، الاقتصادي**، دار الهدى، دط، عين مليلة، 2017م، ص113.

[6] **الباي أحمد شاوش**: هو باي قسنطينة وحاكم بايلك الشرق ضمن ايالة الجزائر في العهد العثماني، امتد حكمه شهراً واحدا خلال سنة 1808م. ينظر: محمد صالح العنتري: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها**، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر، ط خ، الجززائر، 2009م، ص77، بتصرف.

يبرر له فيها ما قام به الباي من قتل الباي علي والاستيلاء على منصبه وما صاحب ذلك فتنة، وأنه فعل كل ذلك بإذن من أهل البلد والجنود، ولكن فتح الله رفض ذلك، فطرده الباي إلى عنابة، ثم بعث وراءه رجلان لقتله كما برع فتح الله في بعض العلوم العقلية وبعض الحرف مثل علم الفلك وصناعة الكشمير وصبغة الألوان وتقطير الزهور[1].

– **مُحَمَّد بن حسن الجزائري: (ت1187هـ/1773م)**: هو المحدث الحافظ مُحَمَّد بن حسن الجزائري المدني الأزهري الحنفي، من كبار العلماء في وقته، رحل أبوه الى الحجاز وكان تاجرا بالحرمين، وولد بمكة وأصله من الجزائر، تعلم بالقاهرة ونبغ واشتهر، لازم الشيخ حسن المقدسي مفتى الحنفية ملازمة كلية، فقرأ عليه المتون الفقهية، حتي اصبح معيدا لدروسه وكاتبا لسؤلاته، حضر لدروس شيوخ مصر، منهم الشيخ الصعيدي، والشيخ البيلي، كما أخذ العديد من العلوم على الشيخ مُحَمَّد الأمير، حتي أصبحت له شهرة في التدريس بالمذهب الحنفي، وقد أفتى ودرس[2]، قال الجبرتي: "درس بالصرغتمشية[3] وكان كل جمعة يقرأبها البخاري، وصار ممن يشار إليه ولم يزل كذلك حتى مات في عنفوان شبابه"[4].

5- من علماء مصر المالكية:

شهدت مصر خلال القرن 12هـ/18م، عدد كبير من العلماء المالكين المصريين الذين كان لهم أثر كبير في التواصل الفكري، بحملهم للمذهب المالكي ونشره في القاهرة كما كان لهم تواصل بين علماء العالم الإسلامي بالأزهر. ومنه تواصلهم مع علماء الجزائر نذكر منهم:

---

[1] أحمد بن المبارك العطار: المصدر السابق، ص ص145-146.

[2] ابى القاسم مُحَمَّد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، دط، الجزائر، 1906م، ص 359.

[3] **الصرغتمشية**: تقع بجانب جامع الأمير ابي العباس أحمد ابن طولون، بنيت يوم الخميس من شهر رمضان سنة 756هـ، بناها الأمير سيف الدين صرغتمش، تعتبر من أحسم المباني وأجملها. ينظر: تقي الدين المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الكعروف بالخطط المقريزية**، وضع حواشيه: خليل المنصق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، ج4، ص264.

[4] عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ج1، ص 595.

– **علي الصعيدي (ت1189هـ/1775م)**: هو علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوى، كنيته أبو الحسن، الامام الهمام، شيخ مشايخ الاسلام، إمام المحققين وعمدة المدققين، فقيه مالكي، ألف عدّة علوم مختلفة، مثل الحديث، والتوحيد، والمنطق، إلى جانب الفقه[1].

يعد الشيخ علي الصعيدي أول من ألف الحواشي في كتب المالكية، فلم تكن المالكية من قبله تعرف الحواشي على شروح كتبهم، وقد عُرف بتحريمه شرب الدخان، وكان ينهى عن شربه بحضرته وحضرة العلماء تعظيما لهم، ومن مؤلفاته الفقهية: "حاشية على شرح ابن تركى" المسمى بـ " الجوهرة الزكية في حل ألفاظ العشماوية"، وحاشية على " شرح الخرشي على مختصر الشيخ خليل"، وحاشية ثالثة على "شرح العزية"[2].

– **الشيخ أحمد النفراوي (ت1125هـ/1713م)**: هو أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري، الفقيه، العالم، العمدة المؤلف القدوة، من كبار علماء المذهب المالكي[3]، لازم الشيخ عبد الباقي الزرقاني[4]، وأخذ الحديث عن يحي الشاوي[5]، ولازم عبد السلام اللقاني[1] وغيرهم.

---

[1] محمد مخلوف: شجرة النور الزكية..، المرجع السابق، ج1، ص ص 492-493.

[2] عبد الله عزباوي: **الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2006م، ص ص 29-30

[3] محمد مخلوف: شجرة النور الزكية..، المرجع السابق، ج1، ص460.

[4] **عبد الباقي الزرقاني**: عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد ابن علوان الزرقاني المصري المالكي الوفائي، الفقيه الكبير العالم الشهير المعقولي الخطير، قبل الناس عليه شرقا وغربا وانتفعوا به بعدا وقربا وله شرح أيضا على شرح اللقاني لخطبة المختصر المذكور وغير ذلك من المؤلفات، شرح الموطأ للأمام مالك. توفى سنة 1122هـ. ينظر: حمد بن الطيب القادري: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق: محمد حجي-أحمد التوفيق، مكتبة الطالب، ط1، الرباط، 1982م، ص355. ايضا: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، المصدر السابق، ج2، ص 311.

[5] **يحي الشاوي**: يحي الشاوي ابو زكرياء يحيى بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد النائلي نسبة إلي قبيلة أولاد نايل، بالقطر الجزائري، فقي مالكي، ولد سنة 1030هـ بمدينة مليانة، من الشخصيات اللآمعة التي أنجبتها الجزائر العثمانية، كان بارعا في الأصول والفروع، سريع الجواب، حاد الذهن والفطنة، وقدمت له اجازتين احداهما صوفية واخرى علمية، وقد تولى قضاء المالكية بمصر مرتين، وقد اتخذ الحج طريقا للهجرة فرحل الى المشرق واستقر هناك حتى وفاته. ينظر: فوزية لزغم: **إجازات الشيخ يحي الشاوي الملياني الجزائري**، في المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران1- أحمد بن بلة، مج16، ع 02، ديسمبر2020م، الجزائر، ص ص 140-142.

من مؤلفاته في الفقه المالكي: "شرح الرساة النورية"، " الفواكه الدوانى على رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، ولم يخرج هذا الأخير في مؤلفاته الفقهية عن الشروح والحواشي[2].

- **علي العمروسي (ت 1173هـ/1759م)**: هو أبو الحسن علي بن خضر بن أحمد العمروسي، الإمام العلامة الفقيه النبيه الفهّامة[3]، من فقهاء المالكية بمصر. ومن علماء الأزهر[4].

أخذ عن السلموني، ومُحَمَّد الزرقاني: والشهاب النفراوي، من مؤلفاته: "رسالة في فضائل النصف من شعبان"، "حاشية على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد"، "شرح مختصر الشيخ خليل".[5]

6- من علماء مصر الحنفية:

ومن فقهاء مصر على المذهب الحنفي، نذكر منهم:

-الشيخ سليمان المنصوري (ت 1169هـ/ 1755م): الفقيه المفتي البارع العلامة سليمان بن مصطفى بن عمر بن مُحَمَّد الحنفي القاهري الشهير بالمنصوري، مفتي السادة الحنفية بالجامع الأزهر وخاتمة الفقهاء الحنفية بالديار المصرية، أتقن الأصول في الأزهر، وكان أصوليا بارزا، تفقه على يد الشيخ شاهين، والشيخ عبد الحي ابن عبد الحق الشرنبلالي، وعثمان ابن عبد الله التحريري ومُحَمَّد الامير، ورغّب الناس في الفتاوى[6].

---

[1] **عبد السلام اللقاني**: هو عبد السلام بن ابراهيم بن ابراهيم اللقاني، المصري، المالكي فقيه، متكلم، صوفي، الاحافظ، الفهامة، شيخ المالكية في وقته بالقاهرة، من المدرسين بجامع الأزهر، له عدة مؤلفات: "شرح المنظومة الجزائرية في العقائد"، "اتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد"،" السراج الوهاج بشرح قصتي الإسراء والمعراج"، توفي سنة 1078هـ/1668م. ينظر: مُحَمَّد ين فضل المحبي: المصدر السابق، ج2، 416-417.

[2] عبد الله عزباوي: المرجع السابق، ص 29.

[3] مُحَمَّد مخلوف: شجرة النور الزكية....، المرجع السابق، ج1، ص 489.

[4] خيرالدين الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص ص284-285.

[5] عمر رضا كالة: المرجع السابق،ج7، ص86

[6] مُحَمَّد خليل المرادي: المصدر السابق، ج2، ص182.

-عثمان بن مُحَّد الحنفي (ت1210هـ/1795م) : هو الإمام الفقيه، العلامة والفاضل الفهامة الشهير بالشامي، ولد بمصر وتفقه على علماء مذهبه كالسيد أبي السعود[1]، والشيخ سليمان المنصوري، وحسن الجبرتي درس الفقه في جامع الأزهر[2]، وقرأ كتاب "الملتقى" بجامع قوصون[3]، وكانت له حافظة جيدة، واستحضار في الفروع، ولا يمسك بيده كراسا عند القراءة، ويلقي التقرير عن ظهر قلب، وألف متنا مفيدا في المذهب، حج وزار قبر النبي، ولازم قراءة الحديث، والفقه وأحبه تلاميذه وشيوخه، عاد لمصر بقي يقرا المذهب بجامع الازهر حتى توفي هناك[4].

- حسن الجبرتي (ت 1188هـ/1774 م): هو حسن بن إبراهيم بن حسن بن علي الزيلعي الجبرتي العقيلي[5]، الفقيه الحنفي المصري، كما له علم بالفلك والهندسة[6]، قال عنه ابنه عبد الرحمن (المؤرخ): إنه كان لا يعتني بالتأليف.

ثم ذكر له نحو عشرين رسالة منها: "رفع الإشكال في حكم ماء الحوض"، و "نزهة العين في زكاة المعدنين" و"حقائق الدقائق رسالة في المواقيت"، و" أخصر المختصرات على ربع المقنطرات في الفلك"، و"العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين" و"الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة" وغير ذلك[7].

ج- المذهب الشافعي:

---

[1] **مُحَّد بن أبي السعود**: هو شمس الدين ابو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن علي الجارحي، الشافعي، ويقال له السعودي، نسبة إلى جده أبو السعود الجارحي المشهور، له باع طويل في الفقه، والتفسير توفي سنة 1179 هـ /1790م. ينظر: عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار...، المصدر السابق، ج1، ص331.

[2] عبد البيطار: المصدر السابق، ج2، ص 1051.

[3] **جامع قوصون**: أنشأه الأمير قوصون سنة 730هـ /1329م خارج باب زويلة، ثم أقيمت أول خطبة به الجمعة من شهر رمضان سنة 1329م / 730 هـ، وخطب يومئذ القاضي جلال الدين القزويني. ينظر: علي مبارك: المصدر السابق، ص ص 198-200.

[4] عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار ...، المصدر السابق،ج2، ص175.

[5] مجهول: **فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديويه**، مطبعة عثمان عبد الرزاق، دط، مصر، 1305هـ/1887م، ج3 ص68

[6] خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص178. أيضا: حسن الجبرتي: المصدر السابق، ج2، ص178.

[7] عمر كحالة: المرجع السابق، ص 193. أيضا: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص178.

على خلاف المذهبين الحنفي والمالكي يرجع الفضل في نشر المذهب الشافعي في مصر إلى مؤسسه الإمام الشافعي أبو عبد الله مُحَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع[1]. والمذهب الشافعي هو ثالث المذاهب السنية المعتمدة ظهورا، وكان سبب قدوم الشافعي ﷺ إلى مصر أن الأمير العباسي العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد الله على مصر[2].

لقد قسم بعض أهل العلم مراحل المذهب الشافعي إلى أربعة مراحل:

- المرحلة الأولى: مرحلة البناء والتأسيس
- المرحلة الثانية: مرحلة التبليغ والتعريف بالمذهب
- المرحلة الثالثة: مرحلة التخصص والانتشار
- المرحلة الرابعة: مرحلة الاستقرار[3].

1- علماء مصر الشافعية:

- **أحمد عبد الفتاح الملوي الشافعي (ت 1181هـ/1761م)**: فقيه، سني، شافعي، وهو الامام العلامة أبو العباس شهاب الدين أحمد عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري الملوي الشافعي الأزهري، ولد كما أخبر عن نفسه، فجر يوم الخميس الثاني من شهر رمضان سنة 1088هـ/ اخذ عن جملة من الشيوخ منهم: الشيخ مُحَّد بن منصور الإطفيحي، والشيخ عبد ربه بن أحمد الديوي،

---

[1] ابن حزم الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، تح وتع: عبد السلام مُحَّد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، د س ن، ص 73.

[2] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج6، ص 2415. أيضا: تقي الدين أبي العباس المقريزي: خطط المقريزي، المصدر السابق، ج4، ص 151.

[3] سراج الدين أبو حفص: **التدريب في الفقه الشافعي المسمى بـ "تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي"**، تح وتع: أبو يعقوب دار القبلتين، ط1، السعودية، 1433هـ/2012م، ص ص 11-18.

والشيخ عيد النمرسي وغيرهم، ومن مؤلفاته: "شرح جوهرة التوحيد" و"منهل التحقيق في مسألة الغرانيق" و"نظم النسب وشرحها"..

– **محمد بن علي الصبان الشافعي (ت 1206هـ/1792م)**: من كبار العلماء المصريين في القرن الثالث عشر هجري، من أشهر ألقابه "أبو العرفان المصري" وصفه الجبرتي "بالامام الذي لمعت أفق الفضل بوراقة وسقاه من مورده النمير عذب ورائقه" . ومن شيوخه: الشيخ الملوي والشيخ حسن المدابغي والشيخ البليدي والشيخ عبد الله الشبراوي. نذكر من بين مؤلفاته: "اسعاف لراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أل بيته الطاهرين"[1] و"حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك".

ثانيا: دور الأزهر في التواصل بين الجزائر ومصر

أ) رواق المغاربة بالأزهر:

أدى جامع الأزهر الشريف دورًا كبيرًا في التواصل العلمي بين الجزائر ومصر، فقد قصده كثير من طلاب العلم ممن ينتمون إلى بلاد المغرب العربي، وشكلوا تجمعات علمية، شهد لها الكثيرون من علماء الأزهر أنفسهم بالقوة والتمكن في فنون العلم المختلفة، حتى أنه قد كان لهم في الأزهر رواق، عرف باسم (رواق المغاربة)، تجمع فيه طلاب العلم من المغرب العربي، ومنه طلاب العلم الجزائريين، وفيما سيأتي تعريف بذلك الرواق الشهير.

1– نشأة الرواق:

نشير إلى أن الأزهر منذ نشأته كان مجداً مغربياً، حيث نشأ على أيدي الفواطم في أعقاب انتقال دولتهم من المغرب إلى مصر، وظل الأزهر منذ نشأته مهوى أفئدة المغاربة، ولذلك فقد كان رواق المغاربة من أوائل الأروقة التي نشأت بالأزهر. ويذكر المقريزي أنه أنشأ في أيام الملك الناصر

---

[1] وهو من أشهر أعمال الشيخ الذي يعد من أكبر المراجع في الروايات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام ومازل الكثير من العلماء السنة والشيعة يرجعون لهذا الكتاب في استشهاداتهم الى يومنا هذا.

حسن بن مُحَّد بن قلاوون على يد الوزير سعد الدين بن بشير، ثم قام السلطان قيتباي بتجديد الرواق في سنة 881هـ/1476م[1].

وفي هذا السياق، أورد الرحالة المغربي ابن مليح القيسي الشهير بالسراج في رحلته وصفاً دقيقاً لجامع الأزهر، حيث يقول: "وأعظم من هذا المسجد الجامع الأزهار، المشرقة الأنوار، الشهيرة الذكر، في الحواضر والأمصار، لا مسجد يعدله في قطر، ولا نظير يماثله في مصر، لا يُغلق له باب، قراءةً وتقريراً لتفسير وحديث، ونحو وبيان، وأصول فقه ودين، وتصوف، ينبع العلم من حيطانه، ويسلى الغريب عن أوطانه... وفيه خمسة رواقات للغرباء من حملة القرآن، ومن يتعاطى العلم من أهل المشارق والمغارب تجري لهم الأقوات، في جميع الأوقات...وفيه من المصابيح ما لا يحصى عدداً، وفيه أربعة مكاتب في كل واحدة منها أربعون صبياً، ولكل منها مؤدب، ولهم أوقاف جارية، لملبسهم وقوتهم، يتعلمون حروف القرآن العظيم".[2]

وكانت أروقة الجامع الأزهر خلال العصر العثماني تصل إلى اثنين وعشرين رواقا، مقسّمة إلى عدّة أنواع، منها ما هو على حسب الجنسية، مثل: رواق الأتراك، والشوام، أو على حسب المذهب، مثل: رواق الشافعية، والحنبلية[3].

وعلى الرغم من ذلك، فقد ظلّت العلاقات حميمية للغاية بين الرواقين، وبهما معا جرى تأصيل العديد من القضايا الفقهية المالكية، إضافة لمساندة كبار علماء رواق الصعايدة للعديد من القضايا المتعلقة بالرواق المغربي.

---

[1] علي مبارك: المصدر السابق، ص ص 11-12.

[2] ابن مليح القيسي الشهير بالسراج: **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040-1042هـ/1630-1633م**، تح: مُحَّد الفاسي، طبع في مطبعة مُحَّد الخامس الثقافة والجامعية بفاس، ط1، المغرب، 1390هـ/1970م، ص48.

[3] كامل قودة مُحَّد غزي: **المؤسسات التعليمية في مصر إبان العصر العثماني ودورها في الحياة السياسية والفكرية (1517-1798م)**، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الآدب، جامعة سوهاج-مصر، 1995م، ص46.

2- التعريف بالرواق:

يقع رواق المغاربة بالجانب الغربي من صحن الجامع الأزهر على يمين الداخل من الباب المزينين، حيث كان مجاورا لرواق الأتراك، والمغاربة، ويتكون من خمسة عشر بائكة قائمة على أعمدة من الرخام الأبيض، وقد بلغت مساحته 240 مترا، وبداخل الرواق باب على الجدار الغربي ينقسم إلى مساكن علوية، كانت تؤوي فقراء طلبة المغاربة، إضافة إلى كتب خانة الرواق[1].

وكان أغلب الطلبة الوافدين من بلاد المغرب للتعليم بالأزهر يأتون وقد يتجاوز كل منهم العشرين عاما بعد أن حصلوا على قسط وافر من العلم في بلادهم، أما إذا كان هؤلاء الوافدين صغارا في السن ولم ينالوا قدرا كافيا من التعليم، فقد كانوا يكملون تعليمهم في مسجد طولون، ثم يلتحقون بالرواق بعد إتمامهم تعليمهم وختمهم للقرآن الكريم، ولم يكن يسمح للمقتدرين بالإقامة في طرف الرواق، بل كان يسكن بها الأشد فقرا، فيما كان يمكن لمتوسطي الحال أو ميسوري الإقامة في عطفة المغاربة لمجاورة الأزهر[2]، أو في الوكالات التجارية القريبة من الأزهر، فمثلا كان الشيخ مصطفى بن عمران التلمساني أحد المجاورين بالرواق سكن في وكالة العسل الكائنة بجانب الجامع الأزهر[3].

والواقع أن أغلب طلاب الرواق المغربي جاءوا من أصول اجتماعية بسيطة، فقد كانت العائلات الجزائرية تحرص على إيفاد أحد أبنائها إلى الأزهر ومتى التحق بالأزهر هلّ عليه بعد ذلك الوصول إلى مرتبة العلماء، وكثيرا من العلماء الذي جاءوا من أصول مغربية ينحدرون من عائلات تجارية أو حرفية بسيطة[4]، فالعديد من المغاربة على مشيخة الرواق[5].

3- دوافع تواجد الجزائريين بجامع الأزهر:

---

[1] علي مبارك: المصدر السابق، ص53. ينظر الملحق رقم 20، ص ص 414-415.

[2] سجلات محكمة القسمة العسكرية: 79، س127،226،(1212هـ/1797م).

[3] سجلات الدشت: 236، س325 (1053هـ/1643م).

[4] نللي حنا: المرجع السابق، ص 180.

[5] دار الوثائق القومية، تقارير النظر، السنة 2، م 20-64، تاريخ 1144هـ/1731م، ص 188. ينظر الملحق رقم 04، 396.

لقد ظل تواجد العلماء وطلبة العلم من الجزائر في جامع الأزهر على امتداد العصر العثماني يشكل ركناً أساسيا من أركان الحياة الثقافية داخل المؤسّسة الأزهرية، حيث يعود ذلك إلى العديد من العوامل، نذكر منها:

المكانة المتميزة التي حظيت بها القاهرة، باعتباره أهم مركز ثقافي في المشرق العربي خلال العصر العثماني خاصة في ظل التدهور الذي تعرضت له بغداد في أعقاب الغزو المغولي، ودمشق بالغزو الصليبي[1].

وقد أسهم اختلاف اللغة في مركز الخلافة العثمانية في دعم القاهرة كمركز رئيسي للفكر والثقافة العربية، وتوافد عليها كل طالب علم من العالم الإسلامي، وخاصة دارسو العلوم الفقهية واللغوية، وكانت القاهرة بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها العلمية هذه تعطي فرصة واسعة للعلماء المغاربة من أجل تحقيق الانتشار الواسع، فيتعرف عليهم المجتمع في المشرق والمغرب، ولعلّ العالم أحمد شهاب الدين المقّري(ت.1041هـ/1631م) أوضح مثال على ذلك، فقد انتشر صيته في جميع أنحاء العالم الإسلامي من خلال مصر، ولاقت كتبه رواجاً في الحرمين الشريفين، وفي اليمن، ودمشق، وبيت المقدس، بل أرسل المغاربة أنفسهم في طلبها.

وتتأكّد مكانة القاهرة فيما يتصل بالعلاقات الثقافية المصرية الجزائرية أنه قلما يعثر باحث واحد من عشرات العلماء وطلاب العلم الذين رحلوا من أجل الحج إلى الحرمين دون أن يتلقى العلم في أحد مؤسّساتها العلمية[2].

بالإضافة إلى رسوخ الأزهر كمؤسسة علمية من أهم المؤسّسات الفكرية المتواجدة في المشرق، بل أهمها على الإطلاق في هذا العصر، خاصة في ظل نظام الأوقاف الذي اتبعه المماليك ثم العثمانيون، والذي تمّ في إطاره وقف مساحات شاسعة من الأراضي والعقارات على الأزهر، وقد

---

[1] يونان لبيب رزق، محمّد مزين: **تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1916م**، سلسلة تاريخ المصريين، ع 34، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م، ص133.

[2] يونان لبيب رزق، محمّد مزين: المرجع السابق، ص 138.

تميّزت هذه الأوقاف بالاستمرارية المتزايدة، فمثلا في سنة 1184هـ/1759م كان القسم الأكبر من هذه الأرض يوقف لأغراض التعليم، وقد تمتع الأزهر بجانب هام من ريع تلك الأوقاف، مما وفر له موردا ماليا لا يتوقف، وقد ساعدت هذه الوضعية الاقتصادية التي تتسم بقدر معقول من الاستقرار والدوام على تفرغ الأجيال المتعاقبة من العلماء، ولا شك أن كل تلك التيسيرات قد مكّنت للمنتمين للأزهر من العلماء والطلاب من التفرغ تماما لرسالتهم العلمية، وقد نتج عن ذلك تكوين نخبة علمية رفيعة المستوى من العلماء في الأزهر، وصار صيت هؤلاء العلماء في كل مكان من أرجاء العالم الإسلامي[1].

ومن الطبيعي أن تصل أخبار النهضة العلمية في الأزهر إلى مسامع أهل الجزائر عبر قافلة الحج والتجارة، بل والعلماء العائدين أنفسهم، وأن تنتقل معهم أنباء التسهيلات والمزايا الاقتصادية والاجتماعية التي يخصّ بها طلاب العلم. كما أن تلك التسهيلات واحتضان الأزهر لسائر الاتجاهات واحترامه لكل المذاهب جعله ملاذاً حصيناً للتفكير ومجالاً حيا للتعبير[2].

يضاف الى ذلك خروج قوافل الحج المغربية إلى الحرمين الشريفين في كل عام، حيث ساهم الحج بقوة في تعميق الوحدة الثقافية بين مصر والجزائر، وذلك بتردّد كبار علماء الجزائر بصفة دورية على الأزهر وغيره من مراكز الثقافة في مصر[3].

وأصبح من تقاليد الحجيج الأساسية الاتصال بالمراكز الثقافية في مصر، وعلى رأسها الأزهر، وقد فضّل عدد كبير منهم المجاورة به لبعض الوقت، حيث قام أغلبهم خلالها بالدراسة على أيدي علماء الأزهر، وأخذوا منهم الإجازات العلمية، وعاد بعضهم إلى بلاده، واستقر آخرون في مصر.

---

[1] عبد الهادي التازي: **رواق المغاربة بالأزهر الشريف**، في مجلة دعوة الحق، وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية، ع 229، 1403/ 1983م، ص86.

[2] ليلى الصباغ: **الوجود المغربي في المشرق في العصر الحديث**، في المجلة التاريخية المغربية، ع 7-8، تونس، 1977م، ص90.

[3] أندريه ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993م، ص190.

وتُجسّد رحلة الورثيلاني ذلك بوضوح تام، فكل الرحلة برمتها تجسيداً لهذه الروح العلمية والدينية العالية، فكل اللقاءات والاتصالات التي أجراها الورثيلاني، وأبو راس الناصري، وغيرهم من علماء الجزائر في مصر مع العلماء الكبار، سواء في الأزهر أو في المؤسسات التعليمية المصرية الأخرى لا تترك مجالا للشك في أن هدفهم كان سعياً لتحصيل المعارف مباشرة من أفواه رجالاتها، والاستفادة من تفسيراتهم وتأويلاتهم في كافة العلوم الشرعية[1].

وكان الحجاج الجزائريون لا يعدلون بقرب الأزهر مكانا، حيث كانوا يقومون بكراء الدور والغرف القريبة من الجامع لملاقاة المشايخ ومزاحمة أهل المجالس، وبمجرد وصول الركب إلى القاهرة يطرح الحجاج أمتعتهم بالوكالات المخصّصة لذلك مثل وكالتي قايت باي وبولاق، ثم يسرعون إلى البحث عن منازل قريبة من الأزهر للكراء، وفي حالة ما إذا تعذّر على الحجاج الجزائريين إيجاد منازل قريبة من الجامع الأزهر، فإنهم كانوا يحضرون إلى الجامع يوميا ولا يعودون إلى الفنادق محل نزولهم في منطقة بولاق سوى لتحصيل الطعام والشراب ثم يؤوبون إلى الأزهر لتحصيل العلوم والإجازات[2].

وبما أن مقصد الحجاج الجزائريين في الجامع الأزهر هو رواق المغاربة، فلقد أصبح هذا الرواق أوفر عددا وأكثر حركية مقارنة ببقية الأروقة، وذلك بسبب توافد الحجاج عليه بأعداد كبيرة، ويُعد أكبر وأقدم رواق في الجامع الأزهر. وطلبة رواق المغاربة تحت رئاسة شيخ الرواق أو وكيله وبدوره تحت رئاسة شيخ المالكية وهذا الأخير تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر مباشرة[3].

ويُعرف وكيل رواق المغاربة باسم النقيب ويتم انتخابه من بين العلماء المغاربة المجاورين به وتحفظ كتب التاريخ أسماء بعض هؤلاء النقباء أو الوكلاء فمنهم الشيخ أبو الحسن الجزائري، الذي

---

[1] أندريه ريمون: المرجع السابق، ص239.

[2] أحمد بوسعيد: **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830)- دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية**، رسالة دكتوراه، تخصص: علوم التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة أدرار، 2017-2018م، ص ص 221-222.

[3] فوزية لزغم: المرجع السابق، ص 343.

استقبل بعض الحجاج الجزائريين عام 1766م وأعارهم كتاب شرح الشيخ الحطاب على مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي[1].

ويجذب الأعلام من الحجاج الجزائريين إلى رواق المغاربة وجود مكتبة ضخمة من المصنّفات الفقهية والأدبية والتاريخية وغيرها، بالإضافة إلى باعة الكتب المتجولين على غرار أحدهم المشتهر بالدمشقي دلال الكتب، كما كان الحجاج الجزائريون يستأنسون بوجود شيوخ صالحين لهم مكانة في مصر، من أمثال الشيخ المتصوف عبد الرحمن البجائي الخلادي الملقب بأقطال[2].

ومن أشهر الأعلام الجزائريين الذين تبوؤوا مكانة مرموقة في الأزهر الشريف العالم مُحَّد الأمير الكبير المالكي المازوني (ت.1232هـ/1817م) الذي استقر أسلافه في مصر، فنشأ واشتهر فيها وتمكّن من نيل أهم منصب علمي؛ وهو منصب مشيخة السّادة المالكية، وذاع صيته في المغرب والشام والعراق[3].

لقد كان بعض مريدي العلوم من الحجاج ينفصلون عن ركب الحج، مفضّلين مجاورة جامع الأزهر، نذكر منهم الشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري (مؤسّس الطريقة الرحمانية) الذي بقي بجواره حوالي ثلاثين سنة، درس خلالها مبادئ الطريقة الخلوتية، والشيخ علي بن مُحَّد الجزايرلي المعروف بابن الترجمان، وساهمت كثرة الأوقاف على رواق المغاربة في تيسير أعباء بقائهم في مصر. وكان للأثرياء الجزائريين المستقرين في مصر دور في وقف الأملاك على رواق المغاربة وطلبة العلم منهم الحاج شعلان التلمساني.

ب) تخصيص الأوقاف على طلاب الرواق الجزائريين:

---

[1] نفسه، ص343.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص219.

[3] علي مبارك: المصدر السابق، ص ص 54-55.

تم رصد أوقاف عديدة على طلاب المغاربة من قبل تجار والشخصيات المغربية بمصر وخارجها، وحكام تونس، فلم يكن رجال وأعيان لجزائر في مصر أقل اهتماما منهم، ممن ولو طلاب الرواق بالعناية والرعاية بتخصيص أوقاف للطلاب الجزائريين، ففي 18 صفر 1102هـ/ 21 نوفمبر 1694م، نجد أحمد بن قاسم القسنطيني، يعلن مشاركته الفعالة في جهة خير لاتنقطع، وتكون في صحيفة أعماله، أثناء وجوده في محكمة القسمة العسكرية، بحضور مصطفى أفندي، قاض المحكمة، والشيخ نور الدين علي الحريري، الخشاب في بولاق، والحاج رمضان أحمد العراف، والشيخ نور الدين عطية بن سالم أعلن أنه أوقف كل ما يجري في ملكه، والمشتمل علي سبعة أماكن توجد جميعها برميلة العرب ببولاق، وهذه الاماكن عبارة عن مساكن، ووكالة، وطابونة[1].

كما يتسابق كبار التجار المغاربة للانظمام إلى ركب المهتمين بطلاب العلم من خلال إيقاف العقارات عليهم فكان منهم الخوجا حميدة بن صالح بن أيوب، من أعيان تجار البن بسوق الشرب والذي بالغ في رعايته لطلاب العلم المغاربة بالرواق عندما رصد ثلاثة أوقاف دارة لهم. وهي كالآتي:

-**الوقف الأول**: صدر من الواقف في 05 ربيع الأول 1125هـ/01 أبريل 1713م، وهو عبارة عن عقار في طولون وما به من منافع ومرافق كالأبواب والشبابيك وحجر النوم ومطبخ وخزائن الكتب، وإيوانين يوجدا في طبقتين من هذا الوقف، كما أن هذا الوقف جاري في أوقاف الحاج سعيد بن أيوب، وكانت شروط الواقف أن يكون له المنفعة والنظر مدة حياته، ثم من بعدهم لأولاده، ومن بعده لزوجته آمنة بنت صالح، ووالدته، وأخته فاطمة، وعلى أولادها من بعدها، ثم يكون وقفا يصرف ريعه على طلاب الرواق، وأسندت مهمة النظر لمن يكون شيخا على الرواق. كما تنتقل المنفعة من بعد المجاورون إلى الفقراء والمساكين. و تم اشترط توزيع خمسة أصناف شهريا على قبره[2].

[1] دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، ممة الباب العالي، س179، م335 بتاريخ 18 ربيع الأول سنة 1105هـ/1693م، ص ص 98-99.

[2] دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، محكمة الجامع الطولوني، س216،م 712 بتاريخ 5 ربيع الأول سنة 1125هـ/1713م، ص ص 257- 258.

– **الوقف الثاني**: وقد أوقفه الحاج حميدة بعد نحو ثلاثة عشر عاما من الوقف الأول، ويشتمل على مسكن يوجد أيضا بطولون وباتجاه وقف الخوجا سعيد بن أيوب، ويحتوى هذا الوقف على العديد من الأبواب، والشبابيك إلى جانب، دهليز، وحوش، وقاعتين، وإيوانين ومرحاض. كما أوقف حانوتا على مساحة إثني عشر قيراطا في طولون، وضمن أوقاف الجامع الطولوني.

كما نجده يوقف طاحونة هناك، مساحتها اثنا عشر قيراطا تجاه الجمالية، بدرب سيدي مُحَمَّد المغربي، وتتكون الطاحونة من حجرة واحدة، وقاعة، وبيت دواب كاملة العدة، مع صلاحية آلات الطاحونة عملا، وإدارة، ويعلوها طابقين مستجدين الإنشاء والعمارة، ويجاورها بئر ماء، ويجري أصل هذه الطاحونة في وقفين[1].

كما ترشد إحدى الوثائق الوقفية في 18 محرم 1142هـ/13 أوت 1729م، بأن رواق المغاربة كان يتلقي ريعا من وقف الشيخ عبد الرحمن الأزهري. وهو عبارة عن قطعة أرض قريبة من الجامع الازهر، وتبلغ مساحتها إثنا عشرر قيراطا[2].

وإذا كانت هناك عناية وقفية من قبل مشايخ الرواق لصالح طلابهم، فإننا نجد الطلاب المغاربة أنفسهم ينضمون إليهم في هذا المجال، وقد حدث هذا بالفعل عندما قام الشيخ زين الدين عبد الجواد ابن الشيخ عبد الرحمن بن سالم المغربي الكافي المالكي، ووالدته خديجة بنت أحمد تشاركه في هذا الوقف. ليضربا أبلغ آيات الكرم، والمساعدة لطلاب العلم المغاربة في الرواق، فقد قررا وقف جميع المكان الموجود بخط الدويداري بالقرب من الجامع الأزهر، بحوش المغاربة، ويحوى هذا المسكن ثلاث قاعات أرضية، وثلاث طباق، وما استجد به من أبنيه سفلية، وعلوية[3].

[1] دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحكمة الصالحية النجمية، س510، م856 رمضان 1122هـ/1710م، ص 266.

[2] المحاكم الشرعية، سجلات تقارير النظر، س 2، م 55 بتاريخ 18 محرم سنة 1142هـ/1729م.

[3] حسام مُحَمَّد عبد المعطي: **المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر**، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، د ط، مصر، 2015م، ص239.

كما أسهم في هذا الميدان الخيري الحاج مُحَّد بن حسن المغربي، والذي تصدق بوقفيه ثرية في 16 ذي الحجة 1173هـ/30 جويلية 1760م، خاصة بالعشرين مدرسا المتطوعين للتدريس بالرواق، وهذا المكان يوجد بخط المدابغ القديمة بحارة الصعايدة، وكا بهذا المكان من منافع، والتي من وجهتها واجهة مبنية بالحجر بها باب يعلوه شباك، إلى جانب حوش وقاعة أرضية في يساره، وفسحة، ورواق يحوي طاقة إلى جانب كرسي راحة، وسلم وبسطة بها باب يتوصل منه إلى طبقة، ورواق ثاني لم تكتمل بنايته، ورواق ثالث يحتوي إيوانا ودور قاعة وخزانة نوم، وطاقات تطل على الواجة الباب، وتبلغ مساحة هذا العقار نحو ستة قراريط. وكان هذا الواقف قد اشتراه من رمضان بن عبد الجواد بن مُحَّد في 19 رمضان 1168هـ/29 مايو 1754م، بمبلغ اثنان وخمسون دينارا ذهبيا، وقد أوقفه بعد مضي نحو خمس سنوات من الشراء على نفسه مدة حياته سكنا وإسكانا، وبعد وفاته: "يكون وقفا يصرف ريعه على العشرين رجلا المغاربة المطوعين المحاورين برواق السادة المغاربة بالجامع الأزهر"[1].

وتدلنا إحدى الوثائق الصادرة في 18 ربيع الأول 1192هـ/16 أبريل 1778م، بأن الرواق وخاصة الطلاب التلمسانية به كان لهم وقفا عبارة عن حانوتين وحاصل بخط البندقانيين، ويجنون ريعه من أعوام مديدة سابقة لهذا التايخ[2].

وبعد أن استعرض الأمير وصفه لهذه الأماكن قرر في 10 ذي القعدة 1196هـ/16 أكتوبر 1782م، بيانه لوجوه البر والصدقة في وقفه، والتي منها: وقفه لحنفية الوضوء، وأما المحلة فجعلها للصلاة، وأما المساكن والأروقة علو البناء المستجد الإنشاء والعمارة، فجعلها وقفا على طلاب رواق المغاربةفي الجامع الأزهر، وأصحاب الحاجات منهم، وأما المربع وما به من خمسة مساكن والحانوتين فيهما وقفا على مصالح الحنفية حيث قرر لها 120 نصفا شهريا. كما يصرف من ريع الحانوتين على الكتاب والفراشين مبلغا قدره ثلاثين نصفا شهريا، وبنفس الأجر أيضا يعطي للقائم بإقاد القناديل

[1] المصدر السابق، محكمة بابي سعادة والخرق، س427، م 1014، 16 ذي الجة 1173هـ/1759م، ص372.

[2] المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س 202، م83 بتاريخ 18 ربيع الأول سنة 1192هـ/1778م، ص ص 54-55.

بهذه المساكن. كما قرر إسناد وظيفة النظر عليها لصديقه أبي الحسن المغربي المالكي شيخ الرواق، مدة حياته، ثم من بعده من يكون شيخا على الرواق، وقام شيخ الرواق بتسليم مستند وقف الأمير في هذا اليوم[1].

وانظم إلى سجل الواقفين الشيخ شهاب الدين أحمد أبي العباس الجزائري المالكي، أحد العلماء والمدرسين بالرواق، في 12 ذي القعدة 1198هـ/26سبتمبر 1784م، وقرر مشاركة إخوانه من الواقفين، والموقوف عليهم في الرواق، وقد تصدق بالعقار البالغ مساحته نحو اثني عشر قيراطا بخط الباطنية بظاهر زاوية الأربعين وما به من منافع ومرافق من أروقة، وأبواب، وشبابيك، وطاقات ونحوه.

وقد أنشأ وقف على نفسه، ثم على زوجته فخر بنت البرديسي، وعلى أولاده من بعدما ثم يصرف ريعه على مصالح رواق المغاربة في الجامع الأزهر، ثم من بعدهم للفقراء والمساكين المسلمين، وشرط لنفسه النظر ولزوجته من بعده وللأرشد من أبنائهما[2] ثم ينتقل النظر من بعدهم إلى شيخ الرواق[3].

ومن خلال هاته الأوقاف يجدر بنا أن نشير إلى بعض الأمور الآتية:

- يظهر أن جميع هذه الاوقاف كان يهدف الواقفون من ورائها الى دعم طلاب الرواق، حتى ولو وجد شرط منفعة الذرية، فقد رأينا الكثير منها قد آل إلى الرواق.

- حرص هؤلاء الواقفين على ضرورة عناية الناظر بأوقافهم على الدوام.

- إن هناك من الواقفين من يطالب، ويحث على قراءة القرآن، وإهداء ثوابها له، بينما نجد الكثرون منهم، من لم يتضمن سجل وقفهم لمثل هذا الشرط.

---

[1] المحاكم الشرعية، محكمة الباب العالي، س 300،م 132بتاريخ 10 ذي القعدة سنة 1196هـ/1781م، ص ص 67- 68.

[2] المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س207، م 104 بتاريخ ذي القعدة سنة 1198هـ/1783م، ص ص 69-71.

[3] أنظر، ملحق رقم 05، ص 397.

- كما أنه قد وجدت شرطا حث عليها الواقفين: كإطلاق على جميع المجاورين في الرواق دون النظر إلى بلد بعينه من بلاد المغاربة، أو تحديد معين ينتفع بريع أوقافهم، كما أن هناك من الواقفين من اشترط تخصيص وقفه لطلاب بلد مغربي بعينه، وخاصة الطلاب المنتسبين لبلدة الواقف كتلمسانيين مثلا، ومن الواقفين من جعل المنفعة لعدد دون النظر لبلدته، ومنهم أيضا من إشترط المذهبية لجريان المنفعة على طلبة الرواق.

- إن هذه الأوقاف قد تنوعت، وشملت أماكن عدّة من القاهرة، وكانت دائما ترصد في محل إقامة الواقف. كما أنها كانت جميعا تتركز في نواحي تجارية مهمة من البلاد كأسواق طولون، وبولاق.

- إن جميع الواقفين قد شرطوا إسناد النظارة على أوقافهم لكل من يكون شيخا على الرواق[1].

- تفرغ الطلاب للعلم، ولذا تخرج العلماء الأكفاء كرد فعل لذلك.

- بعد الطلاب عن الإنشغال كما يحدث الآن بالسعى وراء الرزق.

- ظهور طائفة جليلة وعظيمة من هؤلاء العلماء يعود لها الفضل في المسيرة العلمية.

- استقلال هؤلاء العلماء وطلابهم عن النخبة الحاكمة نتيجة لهذا الوقف مما أعطاهم استقلالية أخرى في الشؤون العلمية وعدم خضوعهم لهؤلاء الحكام في الأمور التي تخالف الشرع كما يحدث الآن في الكثير من الأمور الفقهية، أو مانسميه الآن (الاستقلال المالي).

ج) دور طلاب الرواق في ثورة جامع الأزهر سنتي 1191-1192هـ/1777-1778م:

حدثت هذه الثورة بسبب قيام الشيخ قاسم التونسي أحد مشايخ الرواق بنهب وقف من أوقاف الرواق الخاصة بطلاب مدينة تلمسان مستغلا أجرة هذا الوقف، مدة تزيد عن ثلاث عشر سنة فحاول مجاوري الرواق استرداد هذا الوقف في حياته، فلم يستطيعوا الاعتماد الشيخ على بعض

[1] دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، محكمة الصالحية النجمية، س 510، م 1064 بتاريخ 3 جمادى الأخر 1123هـ/1710م، ص 350.

الأمراء ثم حاولوا استرداده من زوجته وأخيه عقب وفاته، ولكنهم فشلوا في ذلك، فحدثت المشكلة التي أفضت إلى القلال والاضطرابات، وعجز الرواق عن إيجاد الحلول المناسبة لها لتخرج من ساحاته حتى تعم الجامع الأزهر بأكمله، بل وتحولها إلى ثورة شاملة لم تسلم منها الأسواق المجاورة للجامع، ولم تهدأ إلا بعد أن استجاب المسؤولين لمطالبهم العادلة، التي أدت إلى الثورة وأحداثها كالآتي:

فقد جاء في وثائق محكمة القسمة العسكرية في 18 ربيع الأول سنة 1192هـ/1778م: قيام أربعة طلاب من مجاوري رواق المغاربة من مدينة تلمسان، وهم الشيوخ: مصطفى الوراد، مصطفى ابن عمران بن عبد القادر الشهير بابن الحاج، كامل بن عبد الرحمن، والشيخ مُحَّد الموقت. كانوا قد أوكلوا إلى الشيخ شهاب الدين أحمد أبو العباس المغربي المالكي ابن مُحَّد التونسي، شيخ الرواق سابقا، من ورثته وهما: زوجته فاطمة بنت عبد الله معتوقة مصطفى أفندي، وأخيه لوالده عمر الموجود بتونس والذي وكل الشيخ أحمد التازي المغربي المالكي متحدثا عنه وقد روى الشيخ أبي العباس الموضوع فقال: "أن المرحوم السيد قاسم المتوفى في حال حياته وضع يده على حانوتين.

وحاصل البندقانيين جاريين في استحقاق طائفة المغاربة التلمسانيين خاصة المجاورين بالجامع الأزهر، الموكلين وغيرهم، وأن المرحوم السيد قاسم استغل أجره ذلك مدة ثلاثة عشرة سنة سابقة على تاريخه كل سنة أربعة وعشرون دينارا ذهبيا محبوبا مع معارضة الطائفة المذكورة له في ذلك، وهو يتغلب عليهم بالأمراء وغيرهم بطريق غير شرعي، وأن القيم المدعى عليه واضع يده على الحصة التي قدرها النصف والربع وهو ثمانية عشر قيراطا من مخلفات المرحوم السيد قاسم المذكورة، وأن يحاسبهم بما استغله السيد قاسم المتوفى المذكور في المدة المذكورة من تركته بالطريق الشرعي" [1].

ولكن جاء موقف الشيخ أحمد المغربي التازي جاء معارضا له: فقد أنكر استغلال الشيخ قاسم للحانوتين، والحاصل تلك المدة، وليس للطلاب التلمسانيين حق في تركه الشيخ قاسم، بل وطلب من

[1] المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س 202، م 83، 18 ربيع الأول 1192هـ/1887م، ص ص54- 55.

الشيخ أبي العباس إقامة دليل على أن الشيخ قاسم قد استغل ذلك مدة ثلاثة عشرة سنة مع وجود الطلاب التلمسانيين، فكان موقف الشيخ أبي العباس بأن طلب شهادة من وكله، وشهادة كل من:

-الشيخ مُحَمَّد أبو زغابة المغربي التونسي.

-الشيخ شهاب الدين أحمد الكافي المغربي.

-الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد القلاد.

-والشيخ عمر المغربي المالكي.

وكانوا من المجاورين في الرواق، فشهد الجميع أمام القضاء والشيخ أبي العباس، وأحمد التازي كل على انفراد، وقد جاءت شهادتهم مطابقة كليا لما ذكره الشيخ أبي العباس، فلم يبد الشيخ أحمد التازي أمام ذلك أي معارضة في شهادتهم "وطال بينهم الخصام والنزاع".

وعند ذلك أخرج الشيخ أبي العباس فتوى شرعية على صيغة سؤال منه للشيخ عبد الرحمن العريشي[1]، والشيخ الدردير جاء فيها مانصه: "ما قولكم دام فضلكم في جماعة مخصوصن من بلدة معينة واضعين أيديهم على وقف يستغلونه طائفة بعد طائفة مدة تزيد على ثمانين سنة، وهناك بينه تشهد بالسماع والشيوع من الثقاة، وغيرهم على أنه وقف على تلك الطائفة بعد طائفة، وهناك بينه تشهد بالمعاينة والاستغلال، ثم مات الحاضرون ولم يأت أحد من أهل تلك البلدة، فوضع رجل أجنبي ليس من أهل تلك البلدة ولا قريب منها تعديا وظلما، فحضرت طائفة من أهل تلك البلدة، وأرادوا نزعه من يده فلم يقدروا عليه لاستناده إلى ذوى شوكة، واستمر مستغله وهم يدعون عليه فلم يقدروا عليه مدة تزيد على عشرين سنة ثم مات.

---

[1] **عبد الرحمن العريشي**: هو عبد الرحمن الحنفى الأزهري، ولد بغزة، وأصبح من كبار علماء الأزهر، وتولى مشيخه رواق الشوام، وأشير إليه بمشخة الأزهر بعد وفاة الشيخ أحمد الدمنهورى فلم يتمكن من ذلك، وتوفى في سنة 1193هـ/1779م. ينظر: عبد الرحمن الجبرتي، ج2، ص ص73-76.

بعدئذ وضعت تلك الطائفة أيديهم على ذلك الوقف من غير منازع لهم لا في الحالة الراهنة الذين قبل وضع المتعدى يده، وطلبوا أخذ الغلة من تركة الميت مدة الوضع فهل يمكنون من ذلك؟ لأن الوقف ثابت لهم ويمنع المعارض لهم سيما وقد وجد مع الطائفة المذكورة حجة شرعية أفيدوا الجواب".

وقد أفتى الشيخ العريشي بأحقية التلمسانيين في هذا الوقف، ولو توجد البينة طالما هناك الحجة التابتة معهم ولايوجد مستند يمنع استحقاقهم لهذا الوقف، وعلى هذا الأساس يؤخذ من تركته ما استغله تلك المدة ولو استغرقتها. وكانت فتوى الشيخ الدرديري مؤيدة لسلفه فقد جاء فيها:

"إذا شهدت البينة ولو بالسماع و الإشهار، فإنه يكون الحق للواضعين أيديهم بالأصل لتحكيم بالأصل، مع طول المدة المذكورة سيما، وقد وجدت حجة مصرحة لاختصاصهم في هذا الوقف المذكور مع عدم مستند مع غيرهم يناقضه، ويكون استيلاء الرجل الذي لم يكن من تلك البلدة تعديا وظلما منه فيحاسب على ما استغله مدة وضع يده على الوقف المذكور، ويؤخذ من تركته، ويمنع المعارض قهرا عليه"[1].

وقد أيد القضاء الفتوى الشرعية، وأصدر حكمه موافقا لما ذكر، وألزم الشيخ أحمد التازي بالسفر إلى تونس لإعلام مُحَمَّد التونسي بالحكم.

وبالفعل نفذ الشيخ أحمد التازي هذا الأمر بعد أن قام ببيع نصيب الشريف عمر التونسي في 15 ربيع الأخر 1192هـ/1778م، والمقدر بستة قراريط بالقرب من الوزيرية[2] للأمير أحمد بن عبد الله[3]، وهو الوكيل عن السيدة فاطمة بنت عبد الله زوجة الشيخ قاسم بمبلغ 215 ريالا حجرا بطاقة[1]

---

[1] ينظر الملحق رقم 06، ص ص 398-399.

[2] **الوزيرية**: يوجد بالقرب من ضريح فاطمة النبوية المجاورة لجامع المرصفية، ويعرف حديثا بتحديد الأمير كتخدا مستحفظان داخل العطفة الموصلة إلى جامع المؤيد. ينظر: دار الوثائق القومية، المحاكم الشرعية محكمة، القسمة العسرية، س202، م 119 بتاريخ 15 ربيع الأخر سنة 1192هـ/1778م. ص ص 144.145.

[3] **الأمير أحمد بن عبد الله**: كاشف ولاية الجيزة، وهو تابع الأمير على بك الكبير حاكم مصر. أنظر الوثيقة السابقة.

وستة أثمان الريال. وعليه تكون السيدة فاطمة قد تملكت كل ماتركه الشيخ قاسم من أرا ضي، بعد أن ورثت الربع ثلاثة قراريط[2]، تتصرف فيها كيفما تشاء، وتسلم الشيخ أبي العباس هذا المبلغ لصالح طلبة الرواق، وعلى الفور اعترف ببراءة فاطمة زوجة الشيخ قاسم من كامل تركته[3]، وقبل الأمير أحمد ذلك منه[4].

ولكن هل انتهت الحادثة بعد ذلك؟ بل ازداد الأمر تدهورا، حيث يذكر المؤرخ الجبرتي في كتابه عن الواقعة مانصّه: "في أوائل الشهر جمادى الأولى وقعت حادثة في طائفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر، وذلك أنه آل إليهم مكان موقوف، وجحد واضع اليد ذلك والتجأ إلى بعض الأمراء، وكتبوا فتوى في شأن ذلك، واختلفوا في ثبوت الوقف بالإشاعة، ثم أقاموا الدعوى في المحكمة، وثبت الحق للمغاربة، ووقع بينهم منازعات، وعزلوا شيخهم وولوا آخر، وكان المندفع في الخصومة واللسان شيخا منهم يسمى الشيخ عباس، والأمير الملتجأ إليه الخصم يوسف بيك"[5].

ولكن لم يرض الأمير يوسف بيك بثبوت الوقف لهم، بل أرسل إلى الشيخ عباس جنودا للقبض عليه، فدافع عنه طلاب الجامع الأزهر، وأخبروا الشيخ الدردير بذلك، والذي أرسل الى الأمير، مطالبا

---

[1] **الريال الحجر بطاقة**: بمعنى ملكي، وكان الأسبان أول من تداوله في الأسواق التجارية وهو عبارة عن نقض فضي، واستخدمه العرب منذ القرن السابع عشر الميلادي وهو يساوي 55 نصف فضة. ينظر: مصطفى بن الحاج إبراهيم: **تاريخ وقائع مصر القاهرة المحروسة–كنانة الله في أرضه**، تحقيق: صلاح أحمد هريدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط2، مصر، 2002م، ص 62.

[2] دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س 202، م، 119 بتاريخ 15 ربيع الآخر سنة 1192هـ/ 1778م، ص ص 144- 145.

[3] نفس المحكمة والسجل، م 227 بتاريخ 15 ربيعع الآخر سنة 1192هـ/1778م، ص ص 161- 162.

[4] ينظر ملحق رقم 07، ص ص 400-401.

[5] **الأمير يوسف بيك الكبير**: هو من أمراء محمّد بيك أبي الذهب، وأصبح من أمراءه في سنة 1186هـ/ 1772م، وتولى إمارة الحج بعد وفاة سيده، وكان منحرفا عتيا مع الفقهاء، والعلماء، وتوفي مقتولا في سنة 1191هـ/1777م . ينظر: عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق ج1، ص 510.

إياه بعدم التعرض لطلبة العلم، وعدم معاندة الحكم الشرعي، وعندما قرأ الأمير الرسالة استشاط غضبا، وأمر بحبس عبد الرحمن الفرنوى رسول الشيخ الدردير كما يسمه الجبرتي[1].

وكان لإلقاء القبض على الرسولين أثره في إشعال الثورة، فقد اجتمع الدردير بالعلماء وقرروا غلق الجامع الأزهر وتعطيل الدروس، والآذان والصلاة، وجلسوا جميعا في القبلة القديمة.

ويصّور الجبرتي هذا المشهد فيقول مانصّه: "وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمراء وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت".

وعندما علم الأمراء بهذا الخبر، واثره في تعطيل الحياة الاقتصادية بسبب غلق المحال التجارية أرسلوا على الفور إلى الامير يوسف بيك لإطلاق سراح المسجونين، فاستجاب لرغبة الامراء كخطوة أولى نحو حل الإشكال، وأرسل الأمير إبراهيم بيك، إبراهيم أغا (مسؤول بيت المال) على علماء لأخذ مطالبهم فلم يجبه أحد، فذهب إلى الغورية، وأمر بفتح الحوانيت. عندها شعر الطلاب المغاربة بفقدانهم لوقفهم، فقرروا منع الآغا من ذلك بالقوة، وتبعهم بعض الناس، واستخدموا العصي في مواجهة الأغا. كما رجموه بالأحجار، فما كان منه إلا أن أصدر أوامره لجنوده فأطلقوا عليهم الرصاص، فقتلوا ثلاثة من مجاوري الرواق، وجرحوا مثلهم، ولايزال الوضع متلهبا.

فتدخل إسماعيل بيك لحل القضية وأرسل إلى المشايخ وعدا منه بتحقيق مطالبهم، فلم يرضو بمجرد الوعد، بل طالبوا بتحسين أوضاعهم بجانب استرداد وقف مجاوري المغاربة[2].

فكان موقف الأمير من هذا الرد أن أرسل على الفور إلى علماء الجامع الأزهر مخبرا إياهم بتكلفة بدفع رواتبهم، وجرايتهم، وقبول فتواهم، وتولى مهمة إعلام مجاوري الأزهر بذلك الشيخ العريشى، وبعد رفض قبلوا التصالح بشروط منها: عدم مرور الأغا والوالي[3]، والمحتسب من حارة

---

[1] نفسه، ص ص 496-497.

[2] الجبرتي: المصدر السابق، ج1، ص ص 497.

[3] الوالي يقصد به محمد باشا عزت الكبير: 1190-1192هـ/1776-1778م.

الأزهر، وتّم الاتفاق، وأرسل الأمراء إليهم جزء من المرتبات، وفتح الجامع الأزهر، ولكن هل التزم الأمراء ببنود الاتفاق؟ إن شيئا من ذلك لم يحدث، فبمرور أربعة أيام مر الوالي والأغا بحارة الأزهر، مما أغضب العلماء، وطلبوا من الأمير إبراهيم بيك توضيحا لهذا الحدث فرد عليهم بقوله: "إن الطريق يمر بها البار، والفاجر، ولايستغني الحاكم عن المرور"[1].

وبعد هذا الاستعراض لهذا الحديث، ومن خلال مقارنتنا لهذه القضية بما تناولته الوثائق، وأورده الجبرتي نستطيع أن نقر هنا باتفاق رواية الجبرتي مع ما جاء في الوثائق بما يأتي:

- القرب الزمني لتناول الحدث في الوثائق، مابين عام 1191هـ/1777م، وعام 1192هـ/1778م، فقد تكون الأحداث بدأت عام 1191هـ/1777م، ثم عرضت القضية على المحكمة في سنة 1192هـ/1778م.

- يذكر الجبرتي وقوع حادثة من طائفة المغاربة المجاورين في الجامع الأزهر في 1191هـ/1777م، وتؤكد الوثائق تداول القضية بعد هذا التاريخ أي عام 1192هـ/1778م، فلا معارضة بين الروايتين للقرب الزمني فمن الممكن أنهم تنازعوا بداية من عام 1191هـ/1778م، ثم عرضوا القضية في عام 1192هـ/1778م لأخذ الحكم الفصل.

- يقول الجبرتي:" آل إليهم مكان موقوف، وتأتي الوثائق لتبين له هذا المكان وموقعه فهو عبارة عن حانوتين وحاصل بناحية البندقانيين.

- ويقول أيضا الجبرتي: وتذكره الوثائق بأن من انكر أحقية المجاورين التلمسانية في هذا الوقف هو الشيخ قاسم بم مُحَّد التونسي شيخ الرواق سابقا.

[1] الجبرتي: المصدر سابق، ج1، ص 498.

- وهناك اتفاق واضح بأن واضع اليد، الشيخ قاسم المغربي إلتجأ إلى بعض الأمراء وإن كان الجبرتي يبين لنا اسمه بقوله أن: " الأمير الملتجأ إليه الخصم يوسف بيك". وتطرق الوثائق عن ذكر اسمه مكتفية بقولها: أنه أميرن ومن ذوى الشوكة في البلاد، ويبدو ان السبب في ذلك تجنبا من إغضابه.

- ويأتي الاتفاق الواضح والصريح في القضية من حيث: أن المجاورين التلمسانيين المغاربة قد كتبوا فتوى في شأن ذلك، وانختلفوا في ثبوت الوقف بالإشاعة، ثم أقاموا الدعوى في المحكمة، وثبت الحق للتلمسانيين، وهو نفس ما جاء في الوثائق مع التوضيح للفتوى والمفتيين. وهما الشيخان: الدردير، والعريشى وبينت أيضا الاختلاف في الفتوى، فقد جاءت فتوى العريشي متمسكة بالمستند الموجود بيد مجاوري المغاربة التلمسانيين، بينما جاءت فتوى الشيخ الدردير ببعض الاختلاف من حيث تأديدها لثبوت الوقف: " بالسماع والفشو" وقوله:" أقاموا الدعوى في المحكمة" أي انهم طلبوا حكم قاضي محكمة القسمة العسكرية والذي جاء مؤيدا للفتوى كما أسلفنا .

- وتتفق الروايتان في أن المتحدث هو الشخ "عباس" في رواية الجبرتي، و"أبو العباس" كما أوردته الوثائق، وهو اسم لشخص واحد، ولا تعارض في ذلك إذا ابتدأ بلفظ: "أبو"، أو ترك.

- كما أن هناك اتفاق ظاهر فيما ورد من حيث أن: " الأمر قد تم"، أي استرداد التلمسانيين للوقف، والمبلغ الذي بيعت به مستحقات الشريف عمر التونسي من أخيه الشريف قاسم.

- وأخيرا ونحن في هذا المضمار لنأخذ على الشيخ قاسم هذا الموقف المعرض لطلاب العلم بالرواق، فبدلا أن يقوم بالدور المنطوط به من حيث الدفاع عن مصالح الرواق، نجده يجيز لنفسه الاستئثار بوقف كامل مده ثلاثة عشر عاما من محاولات من الطلاب لاثنائه عن موقفه، فلم يستمع إلى الصوت العقل، وركب رأسه معتمدا على الأمراء ومعاندا للعلماء، فكيف يحلو له ذلك، ويتظاهر بالمدافع عن مصالح الرواق عندما قطع عن الشيخ زين الدين عبد السلام المغربي مستحقاته من وقف الأمير مُحَمَّد بيك النقراشي بحجة ان ذلك من حق الشيخ على الرواق، وبما أنه قد عزل عنها فلا حق

له، كما أنه لم يعترف به مدرسا بعد العزل، وشغله هو للمشيخة[1]، ومهما يكن من أمر، فقد نجح العلماء في جامع الأزهر من استرداد وقف التلمسانية، بل وتحسين أوضاعهم كاملة، ولم تكن هذه الصورة والتي مثلت التضامن بينهما هي آخر الجولات.

ثالثا: إجازات العلماء الجزائريين بمصر:

شاعت في الحياة العلمية لدي المسلمين مجموعة تقاليد علمية، ظهرت منذ العصر الإسلامي الأول ثمّ ترسخت بمرور الأيام، فكانت الإجازة[2] إحدى أجلي هذه التقاليد وأهمها، بحيث أضحت علامة ترمز للعلوم الإسلامية، فمثلما تبلورت في عصور متأخرة في الحياة العلمية الأوروبية بعض الشهادات العلمية، واحتلت مكانة هامة في تصنيف الرتب العلمية للدارسين، وتأكدت أهميتها بالتدريج حتي صارت جزء من البُنية التنظيمية للأكاديميات والجامعات في داخل أوروبا وخارجها، كذلك كانت الإجازات العلمية من التقاليد التعليمية المهمة في النظام التربوي عند المسلمين، وقد عدها كثير من علماء الحديث من بين الوسائل السليمة التي يتم عن طريقها نقل مختلف العلوم، وخاصة العلوم الدينية من جيل إلي جيل[3]، حتى أصبحت تعد مظهر من مظاهر التواصل الفكري والعلمي بين الشعوب العلماء منها تواصل علماء الجزائر مع علماء مصر.

أ) تبادل الإجازات بين العلماء:

---

[1] دار الوثائق القومية بالقاهرة، والمحاكم الشرعية، محكمة الباب العالي، س 231، م 101، بتاريخ 19 شعبان 1158هـ-1745م، ص ص 67-68.

[2] **الإجازة لغة**: هي اعطاء الأذن، ولهذا المعنى أشار الفيروز آبادي .بقوله: «وأجاز له سوغ له» وأورد بعض المحدثين آراء طائفة من اللغويين في معنى الاجازة في اللغة . ينظر: عبد الله فياض: **الإجازات العلمية عند المسلمين**، مطبعة الارشاد، ط1، بغداد، 1967م، ص 21.

اصطلاحا: هي الإذن والترخيص والتسويغ، وعلى هذا فتقول أجزت له رواية كذا كما تقول أذنت له وسوغيت له، أي من الشيخ اجازة لتلميذه بأن يروي عنه حديثا أو كتابا. ينظر: عمر موسى باشا: **الاجازات العلمية**، في مجلة التراث العربي، دمشق، ع4، =مارس 1981م، ص88. أيضا: خالد مرغوب: **مكانة الإجازة عند المحدثين بين الإفراط والتفريط الحاصلين فيها من بعض المعاصرين**، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 2009م، ص 29.

[3] عبد الله فياض: المرجع السابق، ص ص25-27.

اهتم الحجاج الجزائريون في الجمع بين المقصدين، الحج والتحصيل العلمي، حيث نجد أن أحدهم حج أربع حجات فيدرج بين كل اثنين زيارة لإحدى المراكز العلمية كالقاهرة والقدس، وهذا حاج آخر يفتخر بأنه ما حصل عليه من معارف وعلوم نتيجة الرحلة الى الحج، فأثناء حجهم كانوا يمرون على الديار المصرية يزاحمون بها طلبتها والطلبة الوافدين عليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي. ومن بين العلماء الجزائريين الذين فرضو أنفسهم وذاع صيتهم خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر الميلاديين، فمنهم على سبيل المثال:

1- إجازات المنور التلمساني (ت 1173هـ/1760م):

أخذ عن أجلاء علماء المشرق، كالعلامة الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي[1] الذي إستجازه فأجازه، فكتب له نثرا يوم خمسة عشر جمادى الثاني سنة 1168هـ/1754م، ومن إجازاته قوله: "وبعد: فقد طلب مني العالم العلامة والحبر البحر الفهامة، من جمع بين المعقول والمنقول والفروع والأصول، مولانا سيدي مُحَمَّد بن عبد الله المنور أن أجيزه ولست أهلا لذلك، ولكن أجبته امتثالا، فقد أجزته بالكتب الستة وغيرها من الأحاديث والمنقولات والمعقولات وسائر التأليفات، سواء كانت لي أم لغيري وبعد أن ذكر شيخه الذين روى عنهم العلوم، وفي مقدمتهم الحديث الشريف: العلامة أحمد الهشتوكي[2] والشيخ الإمام عبد الله بن مُحَمَّد المغربي القصري، قال: وقد أسمعني الشيخ المذكور بعض الكتب الحديثة من أوائلها وهي الكتب الستة، ووضع ختمه آخر الإجازة"[3].

كما تم منح إجازة للشيخ الزبيدي، حيث ذكرها في أسانيده:

---

[1] **أحمد بن عبد الفتاح الملوي**: هو أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر الملوي المجبري، أبو العباس شهاب الدين، الشافعي الأزهري، ولد سنة 1088هـ/1677م بالقاهرة، شيخ الشيوخ في عصره، امام وقته في حل المشكلات، له عدة كتب منها، شرحان لمتن السلم، توفي سنة 1181هـ/1767م. ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص152.

[2] **أحمد الهشتوكي (ت1127هـ/1715م)**: هو أحمد بن مُحَمَّد بن داود بن يعزى ابن يوسف الجزولي التملي نسبا، سيد الأفاضل وقدرة الأماثل، صاحب كرامات وبركات، ووالد النبلاء الفضلاء الأخبار، وهو فقيه مالكي، أخذ عن القطب الكبير سيدي أحمد بن عبد الرحمن المسجدادي. ينظر: مُحَمَّد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، تح: أحمد بومزكو، مطبعة النجا الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1427هـ/2006م، ج1،ص 623.

[3] فوزية لزغم: **الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**، دار سنجاق الدين للكتاب، دط، الجزائر، 2009م، ص332.

حَــــرَامُ شُـــــرْبِهِ لَا شَـــــكٌّ فِيــــهِ فَحَــــــالَ مَنْعِـــــهِ بـــــين الْمِحَــــــالَ
تـــــيقن لَـــــيْسَ فِيــــهِ غَيْـــــرَ ضَـــــرٍّ وَمَــــا فِيـــــهِ سِـــــوَى إِتْــــلَافِ مـــــالى

كما أخذ عن العديد من العلماء حسب ماذكره الزبيدي، نذكر منهم:

وَقَـــــدْ رَوَى عَــــنْ شَـــيْخِهِ الْمِسْـــنَاوِيّ وَابْــــــنَ أَبِي زُكْــــرِيُّ الْإِمَــــامِ الــــــراوي
وَعَــــــنْ فَــــــتَى مُبَــــارَكِ الــــرَّبَّانِيّ وَعَــــــنْ فَــــــتَى رِحَــــــالٍ وَالْبَنَــــــانِيّ
وَعَــــــنْ فَــــــتَى مَيَّـــــارَةٍ العلامــــــه وَابْــــــنَ الحريشــــــي الرِّضَـــــى الْفَهَّامَــــــةَ
وَأَحْمَـــــدُ بْـــــن الْحَـــــاجِّ وَالرَّمَاصِــــيُّ وَابْــــــنَ حَنِيـــــنِيّ أَخِــــي الْإِخْــــلَاصِ
وَالْعَـــــــرَبِيَّ وَحَفِيـــــــدَ الْفَاسِـــــــيّ ذِي الْمَـــــــنْحِ الْبَادِيَـــــــةِ الْأَنْفَاسِـــــــيَّ[1]

2- اجازات سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري (ت1208هـ/1793م):

إلتقى الشيخ محمد بن سالم الحفناوي أثناء مجاورته بالجامع الأزهر مؤسس الطريقة الخلواتية، الذي أخذ عليه طريقته واجازه بأورادها سنة 1168هـ/1754م، وطلبه منه أن يجزها لكل من طلب منه ذلك، كما كتب له إجازة نثرية في ذلك وكلفه بمهمة الى السودان لنشر الأوراد، وبعد عودته إلى مصر ألبسه الخرقة[2] وأذن له بالتربية والتعليم، ثم بعثه الى بلده الجزائر لبث العلم وتربية الخلق[3].

وقد ذكر الشيخ محمد الأزهري بأن شيخه محمد بن سالم أجازه بالإجازة العامة والخاصة، ولما سأله مستفسرا عما تخوله هذه الإجازة بقوله:"هذه الإجازة التي أجزتني بها بلسانك المبارك وكتبتها لي ببنانك المباركة ما كفيتها يا أستاذي، هل هي مقيدة في بعض العلوم دون بعض، أو عامة في سائر

[1] نفسه: ص 133.

[2] **الخرقة: لغة**: وتعنى القطعة من الثوب الممزق، **اصطلاحا**: هي ما يلبسه المريد من شيخه الذي دخل في إرادته. ينظر: عبد الرزاق القاشاني: **لطائف الإعلام في إرشادات أهل الإلهام–معجم ألفبائي في الاصطلاحات والإرشادات الصوفية**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1996م، ص 442.

[3] محمد الحفناوي: المصدر السابق، ص 451.

العلوم والأوراد والحركات والسكنات....لنفسي ولغيري من سائر تلاميذي وإخواني وغيرهم؟ فأجابه قائلا: أذنتك إذنا عاما دئما لك ولغيرك مما انتما إليك، لاينفعك إلا الاطلاق طول عمرك في كل زمان ومكان والباب مفتوحا لك ولمن صادفك " ثم سلمه كتابا له في أسانيبه وطلب منه أن ينسخه لنفسه ففعل.

ثم كتب له إجازة بخط يده على ظهر نسخته هذه يوم 27 محرم، دون ذكر سنتها لكن قال أنه كتبها له بعد الاجازة الصوفية سنة 1168هـ/1754م، بعدة سنوات، ومما ولد فيها بعد الحمدلة: "قد أجزت الحسيب النسيب السالك الأريب ولدنا الفهامة السيد مُحَّد بن عبد الرحمان القشتولي الزواوي الباعليوي بما تضمنه هذا الثبت ... منظوما في سلك أهل قربه أفضل الصلاة والسلام على أكمل السلام"[1].

وقد أوجيز الشيخ الأزهري من طرف علماء مصر، أمثال أحمد الصعيدي العدوي المالكي، الذى روى عنه الفقه المالكي وأجازه فيه، والشيخ أحمد الدردير المالكي [2]، والتي قال فيها كتبها لي بيده المباركة ككتابة أستاذي وأستاذه الحفناوي[3].

3- إجازات الشيخ الورثيلاني لعلماء مصر:

تحصل الورثيلاني على العديد من الإجازات العلمية والصوفية، وذلك ما نجده في رحلته، تلقى جلها أثناء رحلته الأخيرة والتي كان فيها قد بلغ مبلغ كبار العلماء[1]، حيث التقى بجمع من علماء

---

[1] مُحَّد الحفناوي: المصدر السابق، ص ص 462-463.

[2] **الشيخ أحمد الدردير**(ت1201هـ/1786) : هو أحمد بن مُحَّد بن أحمد الدردير، العَدوي المالكي الأزهري الخلوتي، ولد بمصر سنة 1127هـ/1715م، أخذ العلوم عن الشيخ ا لصعيدي ولازمه وانتفع به وأخذ عن الشيخ أحمد الصباغ وأخذ عن الملوي والحفني وأخذ طريق أهل التصوف عنه وصار من أهل التصوف في الطريقة الخلوتية. ينظر: أحمد بن مُحَّد بن أحمد الدردير: **أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك**، مكتبة أيوب، دط، نيجيريا، 1420هـ/2000م، ص5. ينظر أيضا، أحمد الدردير: **الشرح الصغير على أقرب المسالك الى مذهب الإمام مالك**، أخرجه وفهرسه: مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، دط، 1986م، القاهر، ص ت.

[3] فوزية لزغم: المرجع السابق، ص335.

مصر، كالشيخ على الصعيدي، وهو من كبار علماء الأزهر المالكية آنذاك، فقد حضر مجلسه في الفقه في "مختصر خليل يشرح الخرشي"، وكان الشيخ بصدد كتابه حاشية عليه، فباحته في بعض المسائل الفقهية واستطاع إقناعه بأوجه نظره، وقال الورثيلاني في ذلك: "وبعد ذلك لا يكتب قوله على الخرشي إلا بعد أن يعلمني بالبحث فيها[2]"، هذا وقد كتب له الصعيدي إجازة في جميع العلوم، ولما اطلع على شرحه على الخطبة المسمى "بمقدمة شرح السنوسي على صغرى" أجازه في التأليف[3]، وأخذ القراءات السبع أفرادا على الأستاذ أبي القاسم الربعي القسنطيني، بقراءته سورة الفاتحة، وسورة البقرة، فأجازه هو الآخر[4]، ويظهر أنها إجازة رواية بالقراءات القرآنية لأن الإجازة التعليمية بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية تتطلب قراءة القرآن الكريم كله، ولا يتحصل عليها الطالب إلا بعد إجراء امتحان كما تلقى إجازات علمية وصوفية من طرف علماء جمعوا بين علم الظاهر والباطن[5].

كما حضر بعض دروس الشيخ مُحَّد البليدي في الرسالة[6]، وأجازه في سائر العلوم كلها أثناء حجته الاولى وكتب له بذلك بخط يده[7]. كما زار العلامة الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين، وقرأ عليه "القطب على الشمسية"، و"التناقض" بحاشية السيد عليه، فأجازه بخط يده في سائر العلوم، واتصل بالعلامة الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي، فأجازه هو الآخر في سائر العلوم، وأجازه أيضا الشيخ الإمام العمروسي[8].

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 2، ص 394.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص91.

[3] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ط 1908م، ص 287.

[4] نفسه: ص 299.

[5] مُحَّد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، جامعة مُحَّد الخامس، الرباط-المغرب، 1996م، ص279.

[6] مُحَّد بن مخلوف: المرجع السابق، ص 339.

[7] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص 50.

[8] **العمروسي**: هو أبو الحسن علي بن خضير بن أحمد العمروسي، درس على يد الشيخ السلموني ومُحَّد الزرقاوي والشهاب النفراوي كما درس بجامع الأزهر له مؤلفات منها اختصار المختصر الخليلي وشرحه، توفي سنة 1173هـ/1759م. ينظر: مُحَّد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 489. ينظر أيضا: حسن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج 3، ص 213 .

ويذكر عنه أنه أخذ أيضا على الشيخ العفيفي[1]، متصدّر تربية المريدين، فأخذ عنه الطريق ورسم الحقيقة ولقّنه الذكر، وجدّد عليه العهد في الطريقة الشاذلية، وأجازه إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية، وأجاز أيضا ولده الصغير مُحَّد، ولقنه الذكر على الطريقة الشاذلية[2]، كما حضر الورثيلاني مجلس إقراء الشيخ مُحَّد بن سالم الحفناوي، وتلقن منه الذكر على طريق أشياخه، وأذن له في الإعطاء والإذن وأجازه في المعقول والمنقول وكتب له ذلك بخط يده[3].

ولو جُمعت إجازات الورثيلاني من علماء مصر والمشرق لجاءت في كتاب، لأن بعضهم قد أجازه بخط يده وبعظهم قد أجازه بخطوط تلاميذه، لكن معظم إجازاته كانت عن طريق القراءة والملازمة[4].

4- إجازات الشيخ ابن العنابي (ت1267هـ/1850م)[5]:

إشتهر ابن العنابي بمنحه الاجازات العلمية لتلاميذه، منها إجازة لتلميذه الشيخ إبراهيم السقا[6]، ومما جاء في إجازته: "وقد قرأ عليا الشيخ الامام الفاضل ابن الحسن المعروف بالسقا: جل

---

[1] **الشيخ العفيفي**: هو عبد الوهاب بن عبد السلام بن عبد السلام بن احمد بن حجازي بن عبد القادر العفيفي المالكي

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 290.

[3] نفسه: ص 293.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص 50.

[5] **ابن العنابي**: هو الشيخ أبو عبد الله مُحَّد بن محمود بن حسين بن عيسى الأزميرلي الجزائري المشهور بـ ابن العنابي ولد سنة 1189هـ/1775م، وهو فقيه وقاضي حنفي من دعات التجديد الإسلامي، تقلد منصب الإفتاء والتدريس والخطابة والقضاء، رحل الى المشرق أوائل القرن 19م من أجل أداء فريضة الحج، ثم اضطر للبقاء بمصر حيث تصدر لتدريس الحديث والفقه بالجامع الأزهر إلى غاية عودته الى الجزائر سنة 1829م، فقد تولى منصب مفتي المذهب الحنف، توفي سنة 1267هـ/1850م. ينظر: مُحَّد زياد بن عمر التكلة: **مجموع فيه اجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري 1189هـ/1267م**، شركة دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 2008 م، ص6. ينظر أيضا: عبد الحميد بيك: **أعيان من المشارقة والمغاربة**، تق وتع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000م، ص ص 188-189.

[6] **السقا**: هو إبراهيم بن علي بن حسن السقا، فقيه شافعي، خطيب الجامع الأزهر، ومن كبار علمائه، ولد بالقاهرة سنة 1212هـ/1798م، ونشأ فيها، تولى الخطابة في الجامع الأزهر، وله غاية الأمنية في الخطب المنبرية، توفي بالقاهرة سنة 1298هـ/1881م. ينظر: نبيل أبو القاسم: **أعلام علماء مصر ونجومها**، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2018م، ص 23.

صحيح البخاري، من كتاب اللباس، وسمع ذلك: الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن يوسف القنياتي إمام جامع الأزهر، والشيخ الامام أبو زيد عبد الرحمان ابن عثمان الدمياطي الغمراوي الشافع وغيره، وأجزتهم بباقيه وبجميع مروياتي التي تضمنها هذا الثبت وغيره[1].

قال ذا وكتبه الفقير إليه سبحانه: مُحَّد بن محمود بن مُحَّد بن حسين الجزائري الحنفي، الشهير ببلده بابن العنابي، لطف الله به وتجاوز عنه بمنه، بتاريخ خامس شعبان سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف[2].

إجازة مُحَّد بن علي الطحاوي بثبت الجوهري وغيره حيث سمع عليه جل صحيح البخاري وأجازه بها وبسائر مروياته [3].

5- إجازات حمودة المقايسي[4]:

حاز الشيخ حمودة المقايسي على رضا شيوخه بالأزهر، وهم من خيرة علماء عصره، إذ أجازوه في كل ما تعلمه عليهم من معقول ومنقول، وأشادوا بعلمه وخصاله، حيث أجازه شيخه مرتضى الزبيدي مع العديد من طلبة الأزهر من مختلف البلدان ، فكانت إجازة عامة واصفا إياه بـ " الشيخ الصالح الوجيه الورع الفاضل المفيد السيد الجليل والماجد النبيل .. " وذكر في الإجازة نقلا عن الكتابي " أنه أسمعه حديث الأولية بشرطه، حيث لم يسمعه من أحد، ثم عمم له الإجازة"[5].

---

[1] مُحَّد زياد بن عمر التكله: **مجموع فيه اجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري**، دار البشائر الإسلامية، ط1، لبنان، 1429هـ/2008م، ص54

[2] مُحَّد زياد بن عمر التكله، المرجع السابق، ص54. انظر الملحق رقم 08، ص 402.

[3] نفسه: ص 58 .

[4] **حمودة المقايسي**: هو الشيخ حمودة بن مُحَّد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمقايسي، من كبار فقهاء مدينة الجزائر وعلمائها، أصولي، مشارك في كثير من العلوم، تعلم بالجزائر وبمصر، وعاد، فحدث، ودرس، أين أخذ عن علمائها، له حواش، وتعليقات، على كتب الفقه وغررها، توفي سنة 1245هـ/1829م. ينظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 309.

[5] عبد الحي عبد الكبير الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1402هـ/1982م، ج1، ص345.

ومما جاء في إجازة الشيخ مُحَّد الدسوقي المالكي للعالم حمودة المقايسي، المدونة في آخر ورقة من شرح القطب الرازي على الشمسية ما نصه: "بسم الله الرحمن، الحمد الله المنان، ذي الطول والإحسان، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَّد سيد ولد عدنان، ... فقد لازمني في حال قراءتي لهذا الشرح السيد الفاضل واللوذعي الكامل، إلى أن قال: وبحث وأجاد ولازم واستفاد ، وطلب مني إجازة بذلك ظنا منه أني أهل لها، فأجبته راجيا من الله تعالى أن يحقق ذلك، قائلا: قد أجزته به وبغيره مما تلقيته عن أشياخي من منقول ومعقول وفقه وأصول، طالبا منه الدعاء لي بحسن الحال...، كتبه الفقير مُحَّد الدسوقي المالكي خادم الفقراء بالأزهر، وختمها بعبارة: وهو مسبع الزوايا ... وكتب حولها المقايسي ما نصه: وقع ختمه (شرح القطب) يوم الاثنين المبارك 26 شعبان 1204 هـ"[1] .

يقول عبد الرحمن الجيلالي في كتابه: "علق المترجم على هذه الاجازة المكتوبة بخط شيخه الدسوقي بآخر شرح الشمسية التي قرأ با هذا الفن بما يلي:

"الحمد لله مبلغ الآمال، وقابل صالح الأعمال، والصلاة والسلام على بدر الكمال، سيدنا مُحَّد والآل، ختم هذا الشرح النفيس، الخالي عن الشكوك أو التلبيس، تدريسا وتحقيقا، وتدقيقا، على حضرة أستاذنا خاتمة المحققين، صدر الأعلام المدرسين، الحبر الهمام، والبحر الصمصام، الفرد الممجد، مولانا الشيخ مُحَّد المعروف بالدسوقي بلغه الله أمانيه، وأنجح مساعيه بالنبي وآله والتابعين على منواله، آمين تحريرا في يوم الاثنين المبارك السادس والعشرين من شهر شعبان، سنة 1204 من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ونسأل الله تعالى العلم والعمل، كاتبه الفقير حمودة القاطن بالأزهر".[2]

يتبين من خلال تعليق المقايسي على إجازة شيخه الحرص على أنها الإجازة مستحقة مقابل بذله قصارى جهوده للتحصيل العلمي خالصا لوجه الله تعالى، بعيدا عن كل دروب الرياء والتزلف، وفي نفس الوقت هي تزكية وإشادة بشيخه وبعلمه من خلال الألقاب التي أطلقها عليه، حيث انفرد

---

[1] أبو القاسم الحفناوي : المصدر السابق، ج2، ص. 141.

[2] عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، ط6، بيروت، 1403هـ/1983م، ج4، ص ص 44-45.

الكتاني بجعل الشيخ حسن العطار[1]، الذي تولى مشيخة الأزهر فيما بعد، من شيوخ المقايسي بالأزهر[2]، في حين يشير عبد الرحمن الجيلالي أنهما كانا متصادقين ويطالعان معا مختلف الكتب في شتى العلوم والآداب.

يبدو أن الشيخ العطار لم يكن شيخ حمودة المقايسي، لأنه استعمل لفظة "أخيه الفاضل" بدلا من استعماله عبارات مثل " أستاذنا، مولانا الشيخ، شيخ الجميع" عن الحديث عن شيوخه، ويتضح ذلك من خلال ماكتبه عن " كتاب تقرير القوانين المعروف في آداب البحث والمناظرة ": " ... قد طالع هذا الكتاب المفتقر لرحمة الغفار حمودة بن مُحَمَّد الجزائري المالكي الأزهري، مع أخيه الفاضل المحقق سيدي حسن بن مُحَمَّد العطار الشافعي الأزهري، عاملني الله وإياه بإحسانه، ووافق الفراغ من مطالعته ليلة السبت أواخر شهر ربيع الثاني (1212هـ/ 1796م)، وكانت تلك المطالعة بمنزل الشيخ حسن المتقدم ذكره الكائن بالمشهد الحسيني تجاه مسجد سيدنا الحسين حشرنا الله في زمرتهم وغفر الله لنا ولوالدينا ولأقاربنا ومشائخنا آمين"[3].

والملاحظ على حمودة المقايسي على حد تعبير الشيخ الجيلالي الدقة والتحا والضبط منهجا اتبعه في حياته العلمية، إذ كل كتاب يختم قراءته إلا ودون في آخره متى درسه ومتى فرغ من ذلك ومن شيخه أو مع من طالعه .. باليوم والشهر والسنة وحتى المكان.

6- إجازات أبو راس الناصري لعلماء مصر:

---

[1] **حسن العطار(ت1250هـ/1835م)** : حسن بن مُحَمَّد المصري المكنى بأبي السّادات المشتهر بالعطار، قرأ على يد العديد من شيوخ الأزهر كمحمد عرفة الدسوقي الكبير والشيخ الأمير الكبير وعلي بن مُحَمَّد قبان وغيرهم، يعتبر أن حسن العطار هو شيخ رافع رفاعة الطهطاوي الذي عرف بفكره المتنور والمحدد خلال القرن التاسع عشر، من مؤلفاته حاشية على شرح قواعد الإعراب وحاشية على الأزهرية في النحو، وحاشية على شرح إيساغوجي في المنطق، وحاشية على جمع الجوامع في الأصول...الخ. ينظر: عبد الحميد بيك: المصدر السابق، ص ص 87-88.

[2] عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص346.

[3] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص ص43- 44 . أبو القاسم الحفناوي : المصدر السابق، ق2، ص ص 142-143.

يذكر أبوراس الناصري في رحلته "فتح الإله" عن العلماء الذين كان على اتصال بهم في الجزائر وتونس والمشرق، أين تمكن من الأخذ عنهم أو إجازته لهم، نذكر أنه قرأ على شيخ الأزهر العلامة عبد الله الشافعي مذهب الإمام الشافعي، فأجازه ولقبه في إجازته له بـ"شيخ الإسلام"، وقبل عودته من رحلته الحجازية الأولى اتصل بالشيخ مرتضى الزبيدي الذي أجازه بسائر العلوم، وكان يروي عنه أجزاء من الصحيحين "البخاري ومسلم"، و"رسالة القشيري"، و"مختصر كتاب العين"، و"مختصر الكنز الراقي" وأجازه بالباقي، ثم كتب له الإجازة وبعضها: "إني أجزت الفقيه العالم المتفنن الحافظ ... " "ذكرني في فوائد جمة، وذكرني بمطالب مهمة"، ويبرز أبو راس إنصاف شيخه وتواضعه الكبريين قائلا: "الإنصاف الجميل الأوصاف الذي تصف به ... مثلي يذكره بالمسائل[1]".

ويذكر أبو راس الناصري أيضا أنه أراد الإقامة عند الشيخ، إلا أنه رفض وطلب منه العودة لأهله، وفي طريق عودته وقبل خروجه من مصر علم بوفاته وكان ذلك (1205هـ/ 1790م)، فأنشد فيه هذه الأبيات:

وقدوتى مُرْتَضَى وَشَيْخِيَّ وَمَوْرِدِيَّ   إمَامِ الْعَلَى الْأَنَامَ الزَّاهِدَ الْمُتَعَبِّدَ

دَليلَ طَرِيقِ السَّالِكِينَ إِلَى الْعُلَا   عَلَى حَضْرَةِ يَحْظَى بِهَا كُلُّ مُسْعِدُ

أَبُو الْفَيْضِ ذُو الإفضال وَالسَّعْدَ   إمَامِيٌّ وَأُسْتَاذِيٌّ وَشَيْخِيٌّ وَسَيِّدِيٌّ

سَقَانِي كُؤُوسُ الْحُبِّ فِي قُدْسِ حَضْرَةِ   مُدَامًا بِهَا مِنْ سُكَّرِهَا كَمْ مُعَرْبِدُ

لَهُ جَلَيْتُ فَيْضَ الْمَعَارِفِ فِي الْعُلَا   تَعَالَى مُقَامِيٌّ فِي الثُّرَيَّا مُشِيدٌ

لَهُ عَلَامَاتٌ لِلْوَلَايَةِ وَالْهُدَى   وَمَرْكُوبِ عِلْمٍ فِي رِوَايَةِ مُسْنَدٍ[2]

كما أجازه الشيخ الأمير الكبير واصفا إياه في الإجازة بـ"الحافظ" على غرار الشيخ مرتضى، في حين وصفه الشيخ عبد الله الشرقاوي[3] بـ"شيخ الإسلام"[1].

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الإله، المصدر السابق، ص 116.

[2] أبو راس الناصري: فتح الإله، المصدر السابق، ص ص 58-59.

[3] **الشرقاوي:** هو عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري الشافعي، أحد كبار علماء مصر، وفقهائها، تولى مشيخة الازهر بعد الشيخ العروسي سنة 1218هـ/1793م، من مؤلفاته: "التحفة البهية في طبقات الشافعية"، " تحفة الناظرين في من

ومن العلماء الذين أخذ عنهم كذلك وأجازوه نذكر شيخ المالكية محمد الأمير الذي وصفه في إجازته له بـ" الحافظ"[2]، كما قرأ أبو راس مذهب أحمد بن حنبل على الشيخ عثمان الحنبلي[3].

رابعا: التواصل الفكري بين العلماء الجزائريون والمصريين عبر تبادل المؤلفات والمصنفات :

لقد كان العلماء الجزائريون ينقلون معهم كتبهم وكتب غيرهم من علماء المغرب إلى مصر بصفة خاصة، وإلى المشرق بصفة عامة، وذلك إما للرجوع إليها ومطالعتها، وإما لإهدائها للمشايخ في مصر، أو توقيفها على الخزانات العامة، كما كان التجار يحملون ضمن بضائعهم الكتب العلمية من الجزائر إلى مصر أو العكس، لذلك إهتم الجزائريين بتبادل المؤلفات العلمية بينهم وبين العلماء المصريين، وقراءة المؤلفات المصرية.

وقد حرص بعض الجزائريين على شراء الكتب النادرة من مصر وغيرها من البلاد الإسلامية، وفي عام 1196هـ / 1782م، ذهب إلى مصر أحد الجزائريين وعرض على عبد الرحمن الجبرتي أن يشتري منه عدة كتب نظير مبلغ كبير، وكان منها كتاب "زيج الراشد للسمرقندي" في الفلك، الذي ورثه عبد الرحمن الجبرتي عن والده الشيخ الحسن الجبرتي عالم الرياضيات والفلك الشهير، ولكن عبد الرحمن الجبرتي رفض فأبى أن يبيعه له بأي ثمن[4] وقد استطاع هذا الرجل الجزائري أن يشتري نسخة الشيخ إبراهيم الزمزمي الحجازي (ت1195هـ/ 1781م)، من ابنه بثمن بخس بالرغم من أن هذه النسخة كانت تفوق نسخة الجبرتي، وهذا دليل على اقتناء كل نادر وجديد من المخطوطات حيثما وجدت، وقد أدى ذلك إلى أن أصبحت بعض الكتب بمصر في القرن الثامن عشر كما يقول الجبرتي

ولي مصر من السلاطين" و"فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي"، "العقائد المشرقة في التوحيد"، "الجواهر السنية في شرح العقائد المشرقة"، "شرح حكم ابن عطاء الله السكندري"...الخ. توفي سنة 1227هـ/1812م. ينظر: عبد الرزاق البيطار: المصدر السابق، ج1، ص1006. ينظر ايضا: خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص78.

[1] نفسه: ص 116.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص36.

[3] عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج 3، ص 126.

[4] نفسه: ج 2، ص 70 .

(أسماء دون مسميات) ولقد عانى الجبرتي من هذه المشكلة حين أراد أن يكتب كتابه الشهير "عجائب الآثار في التراجم و الأخبار"[1].

ولعل من يطالع فهارس المخطوطات العربية وتاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان يجد أن الكثير من الكتب المصرية موجودة بالجزائر، ويرجع الفضل في انتشارها لعلماء الجزائريين إذ نقلوها أولا لبلادهم ثم أشاعوها بعد ذلك في بلاد المغرب كله ولاسيما كتب الفقه المالكي مثل: "مختصر ابن الحاجب"، و" مختصر خليل"، و"شرح الدردير"[2].

كما وجدنا أن الورثيلاني كان يعير كتبه للعلماء المصريين على حسب قوله، فقد أعار للشيخ الخطاب "شارح المناسك" لخليل و" شرح جليل" وقد أخبر الورثيلاني الشيخ الخطاب بـ "شرحه على خطبة شرح الصغرى"[3]، "...وأعلمت الشيخ الخطاب بشرحي على خطبة "شرح الصغرى" فلما رأه ورأي حاشيتي على المحقق المراكشي السكيتاني استحسن جميع ذلك وقد شرح هو أيضا هذه الخطبة غير أنه اختصرها كثيرا أما الشيخ على الصعيدي فقد رأي أيضا شرحي المذكور وأجازني بالتأليف". وفي معرض حديثه عن الشيخ الحفناوي يقول: "وله تأليف كثيرة وعندي من تأليفه حاشيته على رسالة الوضع ... وهي حاشية عظيمة"[4]. والواقع أن انتقال المؤلفات بين البلدين والتنقل كانا يسيران في خطين متوازيين إذ كان تبادل المؤلفات العلمية من السمات البارزة لهذا العهد، فقد استطاعت الجزائر أن تثبت جدارتها العلمية وتفرض فكر أبنائها ومؤلفاتهم، فبقدر ما أعطت أخدت، حيث نجد مولفات جزائرية أصيلة تأخذ طريقها إلى المشرق وتحتل مكانة كبيرة بين مواد التدريس في المعاهد

---

[1] عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج2، ص ص 70-71.

[2] ابن مريم التلمساني: **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية ، دط، الجزائر، 1326هـ/ 1908م، ص222.

[3] الحسين الورثيلاني: نزهة الأنظار، المصدر السابق، ص 284.

[4] نفسه: ص ص 284-293.

الكبرى، ومن هذه المؤلفات نذكر: كتب الإمام مُحَّد بن يوسف السنوسي[1]، في العقائد وكتب عبد الرحمان الأخضري[2]، في المنطق والبلاغة والحساب والفلك وغيرها، وهي من الكتب التي راجت في ذلك العهد، وقد عكف العلماء مشرقا ومغربا على نظمها وشرحها وكتابة الحواشي لها ولا تزال متداولة في المعاهد الإسلامية حتى الآن.

وقد أولى جامع الأزهر هذه المؤلفات عناية خاصة، فالبنسة لعقائد السنوسي يذكر الورثيلاني في رحلته أن الشيخ العفيفي نظم عقائد الشيخ السنوسي[3]، كما يشير كذلك إلى اهتمام المصريين بكتب الأخضري بقوله: " ... وله تأليف كثيرة ... و من تأليفه السلم في النطق، أنعكف عليه الناس شرقا وغربا سيما في مصر فمنهم من حشى ومنهم من شرح ومنهم من قرر وطرر"، ويملك الورثيلاني أيضا رسالة في "اسم الجلالة" أهداه إياها صاحبها الشيخ الفيومي، يقول عنها: " ... رسالة عظيمة يهتز من رآها ويخشع قطعا لأن فيها علوما لا تكاد توجد في غيرها إلا على سبيل التفريق والقلة ..."[4]

ونلاحظ كثرة الشروح والحواشي للكتاب الواحد حتى أن كتاب "مختصر خليل" كان له أكثر من 150 شرح أوحاشية على هامش المتن ومن أهم الكتب المتداولة في العهد العثماني بين العلماء نذكر ما يأتي:

[1] **مُحَّد بن يوسف السنوسي:** بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي، ولد سنة 832هـ/1428م، من كبار علماء تلمسان ومتصوفتها في عصره، للسنوسي تآليف كثيرة غالبها في العقائد على مذهب الأشعري، صارت مقررات في المعاهد العلمية شرقا وغربا، وله فتاوى في الفقه والتفسير.... الخ. توفي في تلمسان سنة 895هـ/1490م.ينظر: جلول بلحاج: **مُحَّد بن يوسف السنوسي وموقفه من التصوف وصوفية زمانه،** في مجلة الشهاب، جامعة الواد، ع02، لجزائر، جوان 2019م، مج5، ص417.

[2] **عبد الرحمان الأخضري**: هو الشيخ العلامة الإمام الصوفي الزاهد، الأستاذ المحقق المدقق الباحث في شتي الفنون والعلوم، ولد سنة 920هـ/1514م، ألف في شتى المعارف العقلية منها والنقلية، فقد ترك أثراً في علوم الشريعة، والحقيقة، والرياضيات، والفلك وعلم المنطق، وعلوم اللغة العربية ....الخ، ومن أشهر مؤلفاته: السلم في المنطق. ينظر: بوزياني الدراجي: **عبد الرحمان الأخضري– العالم الصوفي الذي تفوق في عصره،** وزارة الثقافة الجزائرية، ط2، الجزائر، 2009م،ص ص10-11.

[3] الحسين الورثيلاني: نزهة الأنظار، المصدر السابق، ص294.

[4] نفسه: ص ص287- 288.

-**المدونة**: وهي من أشهر مصنفات الفقه المالكي للقاضي عبد السلام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التوخي القيرواني، وكانت متداولة باسم مدونة سحنون[1].

-**مختصر خليل**: كتاب في الفقه المالكي الضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب، وهو من أكبر فقهاء المالكية، شرح جامع الأمهات لابن حاجب في ستة مجلدات ثم اختصره في الكتاب المعروف بمختصر خليل[2].

-**ألفية بن مالك**: وهي عبارة عن منظومة في النحو والتصريف، لجمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت 672 هـ / 1274م).[3]

-**الموطأ**: ووهو أول كتاب صنف في الحديث والفقه معا للإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك (ت 95 هـ/ 195م)[4].

-**ألفية العراقي**: للحافظ الشافعي زين الدين أبو الفضل عبد الرحمان بن الحسين بن عبد الرحمان بن ابي بكر ابن ابراهيم المولود بالقاهرة والمعروف بالعراقي وهو كتاب في الحديث[5].

-**الشفا بتعريف حقوق المصطفي**: يعرف اختصارا بكتاب الشفا، وهو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (ت544هـ/1149م)،قاضى مالكي، فقيه، مؤرخ من بين الناس العارفين بعلوم عصره[1].

---

[1] مُحَّد بن سحنون: **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسن عبيد الرحمان، دار الكتب الشرقية، دط، تونس، 1972م، ص15.

[2] خليل بن إسحاق المالكي: **مختصر خليل في فقه إمام دار الهجرة**، صححه وعلق عليه: طاهر أمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، ط2، لبنان، 2004، ص5.

[3] أبو عبد الله ابن مالك الأندلسي: **ألفية ابن مالك في النحو والتصريف المسماة الخلاصة في النحو**، تح: سليمان بن عبد العزيز العيوبي، مكتبة دار المنهاج، دط، الرياض، د س ن، ص5.

[4] أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الفكر، دط، لبنان، 1416هـ/1996م، ج9، ص6.

[5] شمس الدين السخاوي: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، عنى بطبعه ونشره: أسعد طرازوني الحسيني، د د ن، د ط، 1979م، ج2، ص558.

-**تفسير البيضاوي**: وهو كتاب في التفسير، وصاحبه عبد الله عمر بن مُحَّد بن علي المعروف بالبيضاوي (ت 685هـ/1292م)[2].

-**البردة**: هي شهرة كتاب "الكواكب الدرية في مدح خير البرية " الشهيرة بالبردة الميمية للشيخ مُحَّد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت696هـ/1295م)، قام بشرحها أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني (ت842هـ/1439هـ)، وهو شرح عظيم سماه "الإستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب"، ويعرف له شرح آخر سماه "إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة". [3]

-**رسالة بن أبي زيد**: المشهورة برسالة القيرواني في الفقه المالكي، الإمام المالكية في عصره العلامة عبد الله أبي مُحَّد بن أبي زيد عبد الرحمان النفري القيرواني (ت389 هـ/999م) [4]

-**عقائد السنوسي**: (أم البراهين)لمحمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ/1490م)، وهو كتاب في علم التوحيد[5].

-**الأحكام الصغرى**: لابن خراط الإشبيلي المالكي عاش بين (510 هـ/ 582 هـ) وهو كتاب في علم التوحيد[6].

---

[1] البشير علي حمد الترابي: **القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث- رواية ودراية-**، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 1418هـ/1997م، ص9.

[2] ناصر الدين الشيرازي البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، دار الرشيد، ط1، دمشق، 1421هـ/2000م، مج01، ص ص أ-ج

[3] زاكي مبارك: **المدائح النبوية في الأدب العربي**، دار المحجة البيضاء، دط، القاهرة، 1354هـ/ 1935م، ص ص 15-165.

[4] حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء الثرات العربي، دط، بيروت، 1941م، ص 841.

[5] مُحَّد السنوسي: **شرح العقيدة الكبرى**، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2006م، ص 6.

[6] حاجي خليفة: المرجع السابق، ص19.

-**السلم المرونق في علم المنطق**: وهو كتاب لعبد الرحمان الأخضري، الذي تذكر عنه المصادر أنه لم يعيش سوى ثلاثة وثلاثين سنة بين (920 هـ-953 هـ)، لكنه ترك عدة مصنفات، منها هذا الكتاب في علم المنطق[1].

-**الرسالة القشيرية**: مصنف في التصوف للمحدث، الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الشافعي، ولد سنة 376 هـ/ 987م، (ت 465هـ/1072م)[2].

هذه نمادج من الكتب التي كانت متداولة في المراكز الثقافية بين الجزائر ومصر، ولا يمكن إحصاء كل الكتب والرسائل التي كانت تدرس علما أن بعض المصنّفات لم نشر إليها تفصيلا، لأنها كانت متداولة منذ فترة طويلة وبشكل واسع، مثل صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبو داود والترميذي، وابن ماجة، وبعض كتب الفقه في كل مذهب، وكذا كتب التفسير المعروفة، مثل: تفسير ابن كثير والجلالين.

خامسا: التواصل العلمي من خلال استشارة العلماء في المسائل العلمية والدينية :

حضيت مصر خلال العهد العثماني مكانتها العلمية بين بلدان العالم الإسلامي، لهذا فإنه عندما كانت تعرض مشكلة علمية في إحدى البلاد الإسلامية ولا يجدون لها حلا كانوا يلجأون إلى علماء مصر يسألونهم المشورة، وكانت الجزائر من البلدان التي لجأ علماؤها إلى علماء مصر يطلبون منهم إبداء النصح والإرشاد ففي عام 1226هـ/ 1811م، وقع خلاف بين اثنين من علماء المغرب حول وجود الظل تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[3]، فبينما أنكره أحدهما أقره الآخر، وعندما لم يستطيعا التوصل إلى حل التجأ أحدهما إلى مولاي مُحَّد سلطان المغرب، الذي رأى

[1] عبد الرحمان الأخضري: **السلم المرونق في علم المنطق**، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن الحزم، دط، الجزائر 2004م، ص8

[2] تاج الدين السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود مُحَّد الطناحي وعبد الفتاح مُحَّد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، د ط، 1967م، ج5، ص 153.

[3] سورة الفرقان: الآية 45.

أن يرسل الموضوع إلى الشيخ محمد الأمير الكبير كي يدلي برأيه و يحسم الموضوع[1]. و قد أجاب الشيخ الأمير عن الموضوع بالتفصيل وانتهى إلى الاعتراف بوجود الظل ضمن ذلك في كتابه: القول الميسور في الظلمة والنور[2]، فكان منها ما يتعلق بتمسك المسلمين بدينهم، ومنها ما ارتبط بالدين الإسلامي كالتعريف بمناسك الحج والعمرة وغيرها ولولا مكانة العلماء الجزائريين العلمية ودرايتهم بكل العلوم الفقهية والدينية لما كانوا يتلقون أسئلة ورسائل من شتى البلدان الإسلامية ولولا دراية الباعثين بها أنه سوف يتلقون الجواب القاطع والصحيح لما سئلوا واستشاروهم وهم بمصر.

وقد تحدث الورثيلاني على عدد لابأس به من المسائل بالجامع الأزهر بحضور علماء ومن المسائل نذكر منها على سبيل المثال:

– يتعلق الجواب بالبصر في حقنا يتعدد بتعدد المبصرات فما لم تره فلمانع قام بالعب، فلزم عليه أن الجزء الواحد قامت به أصار وموانع، وهي أضداد يستحيل اجتماعها في محل واحد، سأل فيه الشيخ المعلوم ذي الطريقة الخلوتية وهو الشيخ البكري، فكان الجواب منه ومن بعض الشيوخ ما يأتي: أن الموانع والأبصار وإن كانت متضادة بحسب المعن، غير أن ما تعلق به البصر غير ما تعلق به المانع، فلا تضاد، أما جواب الورثيلاني كان، إنما يتم لو تعدّد المل، فلما كان المحل واحد وقام فيه المتضادات امتنع[3].

– يتعلق الجواب بمسألة عن الكمياء عن الإكسير، فقال أمره سهل مستور بشعرة، فعلمت من كلامه أنه يعرفه وأشار ببيانه، فتغافلت ظنا مني أنه لا يعرفه[4]. اضافة الى العديد من المسائل التي كانت بينه وبين شيوخ الأزهر منهم الشيخ الصعيدي، الشيخ العفيفي، والشيخ ابن عمار الجزائري، ومنها قضية

---

[1] عبد الرحمان عبد الرحيم : المرجع السابق، ص134.

[2] عبد الله العزباوى: المرجع السابق، ص 187.

[3] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص309-310.

[4] نفسه: ص 306.

التناقض الموجود بين المذاهب، رغم أن النبي واحد والملة واحدة، ومع ذلك تضاربت الأحكام والآراء في كل مذهب رغم أن القائل بها واحد، فلم يجد الورثلاني إجابات مقنعة عن ذلك[1].

ومن المسائل والأجوبة الفقهية التي سئل عنها الشيخ أبا راس وكانت محل مناظرة، نذكر منها:

- يتعلق الجواب بمسألة الدعاء للشارب في قوله: "صحة"، حيث ينقل الخلاف في ذلك، فقد قال شهاب الدين أحمد الخفاجي الحنفي[2]، في "شرح الشفا": "قوله ﷺ: "صحة "[3]، يدل على أن الدعاء به بعد الشراب سنة، لا بدعة عامية، وحكمته أن الأكل والشرب يخشى منهما السقم، فلذا دعا ﷺ به، ولذا قال عياض[4]: "فإن أكثر ما تراه أي، السقم يكون من الطعام والشراب، كما في بعض نسخ الشفا"[5].

وبالمقابل ينص ابن الحاج في مدخله: "وقولهم لمن يفرغ من الشرب: "صحة" بهذا اللفظ وإن كان دعاء حسنا، فاتخاذه عند الشرب بدعة، فإن قيل: أن النبي ﷺ قال لأم أيمن لما شربت بوله: "صحة يا أم أيمن ، لن تلج نار بطنك، فهذا ليس فيه حجة، لأنه لم يكن ثم ماء شربته، وإنما هو البول، وهو إذا شرب عاد بالضرر، فقال لها ﷺ: "صحة"، لينفي عنها ما تتوقعه مما جرت به العادة من بول غيره ﷺ، فتضمن ذلك دعاء أو إخبارا أو غير ذلك، بخلاف شرب الماء فلم ينقل عنه عليه

---

[1] نفسه: ص ص 310- 311.

[2] **الخفاجي**: هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، ولد سنة 977 هـ/1569م، في احدى قرى القاهرة، من مؤلفاته، "أمالي الشهاب الخفاجي"، "شرح الفرائض" وغير ذلك، توفي سنة 1069هـ/1659م. ينظر شهاب الدين أحمد الخفاجي: **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، ضبط وتعليق: محمد عبد القدر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1421هـ/2001م، ص10.

[3] أبو رأس الناصري: المصدر السابق، ص ص 103-104.

[4] **القاضي أبو الفضل عياض**: هو ابن موسى بن عياض البحصي، ولد سنة 476هـ/1083م، هو الشيخ الإمام، مآثره كثيرة، اجتمع لهو من الشيوح نحو مئة شيخ، ألف فيهم فهرسة، سماها "الغنية "، له تأليف، منها: " إكمال المعلم في شرح مسلم "، و"الشفا في التعريف بالمصطفى"، و" مشارق الأنوار "، توفي بمراكش سنة 544هـ/1149م. لتوسع. ينظر: أمين أنقيرة: الامام القاضي عياض حياته وآثاره، في مجلة المداد، مج11، ع1، جامعة الجلفة، ص ص 136-137. ينظر أيضا: محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص ص 140-141. أيضا: يوسف بن الشيخ: **القاضي عياض ومنهجه في تحقيق النصوص**، في مجلة التراث، مج05، ع2، جامعة الجلفة، ص ص 216-230.

[5] أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص ص 103-104.

الصلاة والسلام هذا اللفظ في غير هذا الموطن، ولا عن أحد أصحابه، ولا عن أحد من السلف الماضين رضي أجمعين، ولو كان نقل لشاع وذاع أمر ذلك[1].

ويبدو أن أبا رأس بسلوكه يدل على ترجيحه للقول الأول، وهو ما ذكره الشهاب الخفاجي الحنفي، ولكن في حقيقته هو ترجيح لما أثبته القاضي عياض المالكي، فهو ترجيح من داخل الفقه المالكي، وإن اتخذ مسلكا بين فقهين، المالكي والحنفي، وهو مسلك يعبر به عن التواصل والتكامل الحاصل بين علماء المذاهب الفقهية، وهو الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه أيضا أتباع هذه المذاهب.

- يتعلق الجواب بمسألة الأكل بالملعقة، حيث سأله أحد مؤدبي الصبيان عن ذلك، فأجاب بما ذكره له بعض الثقات من أنه لا بأس بالأكل بها، نقلا عن ابن يامون[2]، مما جعل أبا راس يسعى في تحصيل هذا النقل حتى وجده في كتاب "المدخل" لابن الحاج[3]، ونصه: "والسنة أن يأكل بيده، ولا يدخل أصابعه في فمه، ثم يردها إلى القصعة، فإنه ولابد يصيبها شيء من لعابه فيعافه هو في نفسه، ويعافه غيره ممن يراه، فإن فعل ناسيا فليغسل يده، ثم يعود، لأن لعق الأصابع إنما شرع بعد أكل الطعام خوفا من الاستقذار، وحفظا لنعم الله تعالى أن تمتهن، وينبغي أن لا يأكل حتى يمسه الجوع، وعلامة ذلك أن يطيب له الخبز وحده، وينبغي له أن لا يذم طعاما، وأن لا يستعجل على السخون، لعدم البركة فيه ... ولا ينبغي له أن يأكل بهذه الملاعق، ولا بغيرها، وذلك لثلاثة وجوه، أحدها: مخالفة

---

[1] نفسه: ص ص 162-163.

[2] **ابن يامون**: هو أبو محمد قاسم بن أحمد بن موسى ابن يامون التليدي الأخماسي، له منظومة في آداب النكاح وما يتعلق به مما يحب أو يباح ، ثم شرحه بشرح طبع بفاس سنة 1317هـ/1899م، 112 صفحة ، وبهامشه الشرح المسمى: "قرة العيون ". ينظر: أبو عبد الله محمد بن كنون القاسي: **قرة العيون بشرح نظم ابن يامون**، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 1425هـ /2004م، ص 5. ينظر أيضا: أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص104.

[3] **ابن الحاج**: هو أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، الفاسي، المالكي، المعروف بابن الحاج، العالم المشهور بالزهد والصلاح، أخذ عن أعلام، منهم أبو إسحاق المطماطي، وصحب حب أبا محمد بن أبي جمرة وأنتفع به، وعنه أخذ الشيخ عبد الله المنوي والشيخ خليل وغيرهما، ألف "المدخل"، جمع فيه علما غزيرا، توفي بالقاهرة سنة 737هـ. ينظر: محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 218.

سنة السلف في ذلك، والثاني: أنه يدخل ذلك فيه، ثم يردها إلى الطعام كما مر، والثالث: فيه نوع من الرفاهية، إلا أن يكون له عذر، فأرباب الأعذار لهم حكم خاص بهم[1].

- إن أبا راس يأخذ بتحقيق المنقول، فبعد نقله عن أحد الثقات القول في المسألة، توجه للتنقيب عن مصدره، وعند ذاك ذكر ما وجده تفصيلا، إلا أنه لم يعلّق، وكأنه قد أخذ بما نقله بداية من جواز ذلك، وهو المتوافق مع واقع حال المجتمع، فالأمر هنا فيه سعة، ويبين لنا منهجه في الأخذ بالآراء الفقهية، وتلازمه في النظر إلى واقع المجتمع بما لا يتعارض مع أصول الشرع ونصوصه القطعية.

سادسا: النوازل الفقهية (شرب القهوة والدخان)

كان لشرب القهوة الانشغال الواسع من طرف العلماء، فقد كانت من القضايا التي ناقشها العلماء في الجزائر والحواضر الاسلامية الكبرى، حيث أفتى الفقهاء فيها[2]، فقد ذكر أبو راس أنه في سنة 1214هـ/1799م، سئل في مجلس علماء عن القهوة والدخان وعما يسف منه أو يشم، فقد أجاب أبو راس استنادا لما ذكره الشيخ علي الأجهوري أن الشراب المتخذ من قشور البن المسمى بالقهوة قد اختلف فيه الناس، فمنهم متعال في الحل ومنهم متعال في التحريم[3]. ويرى أبو راس أن الحق في ذاته لا اسكار فيه، وإنما فيه تنشيط للنفس مايحصل في مداومته ضرورة تؤثر في البدن عند تركه مثل اعتياد أكل اللحم بالزعفران، والملاحظ أن أبو راس لا يجد نصا دينيا يحرم شرب القهوة، إلا أنه يدعوا الناس إلى الإعراض عنها و تجنبه إلا لضرورة[4].

كما أن البعض يخلط بها شيء من المفسدات ومنها جلب للأراذل وتلاهيهم بها، وسئل عنها الشيخ زروق فقال: ليست بمسكرة لكن تحرم على من طبعه الصفراء او السوداء لأضرارها ببدنه أو

[1] أبو راس الناصري: فقتح الإله، المصدر السابق، ص104.

[2] أبو راس الناصري: عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص 21.

[3] أبو راس الناصري: فتح الإله، المصدر السابق، ص ص 159- 160.

[4] أبو راس الناصري: عجائب الأسفار، المصدر السابق، ج1، ص ص 21-22.

عقله وأما من كان بلغميا فإنها توقفه وقد كثرت في هذه الأيام فيتعين على العقل اجتنابها. وقد قيل فيها:

أَقُولُ لِأَصْحَابِيّ عَنِ الْقَهْوَةِ اِنْتَهَوْا وَلَا تُجْلِسُوا بِمَجْلِسٍ هِيَ فِيهِ
وليست بِمَكْرُوهٍ وَلَا بِمُحَرَّمٍ وَلَكِنَّ غَدَتْ مَشْرُوبٌ كُلَّ سُفِّيِّهِ[1]

أما العياشي؛ يقول عنها: من البدع التي انتشرت في المجتمع منها شرب القهوة ويبين كيفية انتشاره، فيرى أن الشاذلية هم أول من استعملوها لأنها تعين عن السهر في الذكر، ويستدل على ذلك بقول ابن حجر المكي: " إن القهوة شراب الصالحين"[2]

فقد كان العياشي يبدوا متسامح في شرب القهوة ذلك أنه عندما استقبله صاحب الطريقة الخلواتية في مكانه وبعد أن دع الشيخ له وأكرمه ، قدم له كسرا من الكعك مع ملح وسعتر، ثم أتى بالقهوة على ما هو معتاد عليه، وكان العياشي غير راغب في ذلك في النهاية تناول منها[3].

فنجد أن أكثر مائلون إلى الإباحة بشرب القهوة، زاعمين على أنها تعين على السهر في العبادة، وقال فيها الإمام أبو سالم: " ا شك أنها تزيل ما يحصل في الرأس من تدويخ بسبب السهر" ، وخلوا المعدة صباحا إذا شربها الإنسان وجد في أعضائه نشاط، أحسن بخفة في رأسه ".[4]

ويمكن تقسيم الآراء الفقهية حول من يشرب القهوة إلى فريقين، فالأول يشربها في أماكن محددة لها ، قلما تخلوا عن السهر وحضور من لا يحل حضوره من الجواري ، وبالتالي فإنها في حق هؤلاء محرمة ، لا لذاتها بل لما قارنها .

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الإله، المصدر السابق، ص 160.

[2] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص 58.

[3] نفسه: ص58.

[4] أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية 1709-1710م**، تح: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، أبوظبي، 2011م، ج1، ص 287.

أما الفريق الثاني فيشربونها في منازلهم أو في السوق ومن غير جلوس فهؤلاء الحامل لهم عليها إلفهم لها، في أنهم ربما يتضررون بتركها، فقد كانت تكفي في تقديمها للضيوف لوحدها، هذا ما قاله إبراهيم الملا بن حسن الكوراني: " مما أنعم الله به على أهل الحجاز هذا البن لأنهم ضعفاء فقراء في الغالب والناس يقدمون عليهم من الأفاق.

والإنسان لا بد له من طعام يقدمه لمن دخل عليه، ولا قدرة لهم على تكلف ذلك لكل أحد يدخل عليهم. و هذه القهوة خفيفة المئونة، والناس راضون بها، غنيهم وفقيرهم.[1]

ومن الأسئلة والأجوبة في شأن القهوة نظما، ما اشتملت عليه هذه الأبيات، الذي كتبها العلامة: رضي الدين مُحَّد بن إبراهيم الجلبي الحنفي، المعروف بابن الحنبلي للشيخ علي بن مُحَّد بن عراق، جاء فيها:

أَفِتْنِيٌّ فِي قَهْوَةٍ قَدْ ظَلِمَتْ حَيْثُ ماشيب تَعَاطَيْهَا بِشَيْنٍ
قَلَّتْ فِيهِ إِنَّ ذِي الْقَهْوَةِ قَدْ خَلَطُوهَا بِتَلَهٍ وَبِيَمِينٍ[2]

فالشيخ أبو الحسن الكبير محللا شربها، ومبينا فوائدها المترتبة عنها بالنسبة لجسم الإنسان[3] .

فمسألة شرب القهوة تحدث عنها العلماء كثيرا في مجالسهم بالأزهر وأعطوا أراء وأحكاما، فالمقري أجاز شربها ما لم تكن مضرة بشاربها ولا ملهية له عن طاعة الله[4]،

أما العياشي قال: أنها تزيل آلام الرأس وتعين على السهر العبادة، وكان يستعين بها الطلبة برواق المغاربة في المطالعة الليلية وتساعد على الهضم، كما جاء في رحلته: " ... لا شك أنه تزيل ما يحصل في الرأس من تذويخ بسبب السهر، ... فإذا شربها الإنسان وجد في أعضائه نشاطا وأحس بخفة رأسه

---

[1] نفسه، ص 288.

[2] أبو العباس أحمد بن مُحَّد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص ص290-291.

[3] عبد القادر الراشدي القسنطيني: **تحفة الإخوان في تحريم الدخان**، تح: عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1997م، ص81.

[4] أحمد المقري: المصدر السابق، ص 62.

... وهي مخففة اتفاقا وهاضمة ..."[1]. وأجمع الورثيلاني مع العياشي على جواز شربها وإباحتها وأنها من شراب الصالحين ومعينة على العبادة.

وقد أفاد العلماء بتضارب الآراء في قضية التدخين بين التحريم والتحليل، فقد تحفظ المقري في إطلاق حكم قطعي فيه إذ قال أنه لا يمتلك نصا صريحا بتحريمه[2]. وقد ألف العلماء الجزائريين كتب حول قضية التدخين ألف المقري "أجوبة في اجتناب التدخين"، وألف عبد الكريم الفكون كتاب بعنوان "محدد اللسان في نحور إخوان الدخان"[3].

أما الشيخ الورثيلاني، فقد حرمه هو ومجموعة من العلماء حيث قال:"... شاع في الإيقاف أكثر العلماء، على تحريمه وهو الصحيح ان شاء الله، لما اشتمل عليه من المفاسد، ولا منفعة فيه أصلا ..."[4]. وقال أن الأمر لازال الإجهاد فيه قطعة وقال على عكس شرب الخمر المحرم من الكتاب والسنة، أما العلامة الشيخ اللقاني المالكي فحرمه، وقال أن أكثر العلماء ذموه بل وحرموه، ولا يشربه إلا خسيس الهمة ومن لادين له أو ضعيف العقل[5]، وذكر أن شيخه وقدوته سالم السنهوري أفتى في تحريمه ولازم الإفتاء إلى أن مات فألف "غاية الكشف والبيان في تحريم شرب الدخان" وقد ألف الشيخ اللقاني "نصيحة الإخوان في اجتناب الدخان أو بترك ما لا يحل شربه من الدخان"[6]. وجاء هذا ردا على الشيخ الأجهوري الذي أباحه، وقال أنه كان يشربه حيث ألف "غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان"[7].

---

[1] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج 2، ص 157.

[2] أحمد المقري: المصدر السابق، ص 69. ايضا: عبد الله مُحَّد عزباوي: **الروابط القافية بين مصر وبلاد المغرب في القرن الثامن عشر**، في المجلة التاريخية المغربية، تونس، س9، ع 27-28، ديسمبر 1982م، ص ص 250 -251.

[3] عبد القادر الراشدي القسنطيني : المصدر السابق، ص61.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص98.

[5] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 270.

[6] مُحَّد بن جعفر الكتاني الإدريسي: **الدخان ما بين القديم والحديث** ، دار الفيحاء، دط، دمشق، 1997م، ص 163.

[7] نفسه: ص 186.

وقد كتب أبو سالم العياشي شعرا في ذمه للدخان في مجلس العلم بالأزهر وهو من الجماعة التي حرمت شربه نذكر منه أبيات:

دُخَـــانَ دَاءٍ لَا دَوَاءٌ مِـــنْ شُـــرْبِهِ فَلَـــبَّى انكـــوى

مَشْـــعَلَةَ لـــدَائِهم تَجُـــولُ فِي أمْعَـــائِهم

مُضِـــرَّةَ لبَـــائِهم تَأْتِي إِلَى أفْـــوَاهِهِمْ [1]

ومن علماء الجزائر الذين حرموه نجد أبوراس الناصري يقول في ذلك:"سفه وشمه مفسد للعقول ... وفيه إضاعة للمال ويتعاطاه الأشرار لقلة حيائهم ..."[2]. كما أنه يستند لما ذكره العلماء من تحريمه، كالعلماء التونسيين الذين حرموه، وما ذكره أبو السعود:

حَـــرَامُ شُـــرْبِهِ لَا شَـــكٌّ فِيـــهِ فَحَـــالَ مَنْعِـــهِ بـــين الْمِحَـــالَ

تـــيقن لَـــيْسَ فِيـــهِ غَيْـــرَ ضَـــرٍّ وَمَـــا فِيـــهِ سِـــوَى إِتْـــلَافِ مـــالى[3]

سابعا: إشادة العلماء الجزائريين لشيوخهم المصريين والتعريف أو الترجمة لهم:

إشتهر العلماء الجزائريين بمدحهم لشيوخهم المصريين ويثنون عليهم الثناء الحسن، اعترافا منهم بالجميل وتنويها بحسن المعاملة والاستقبال، فنجد أن العلماء الجزئريين قد اهتموا كثيرا برجال عصرهم البارزين من علماء وأدباء ومتصوفة ومرابطين، كما تعرضوا إلى شخصيات السابقة لهم زمنا ممن استدعت الحاجة ذكرهم في مؤلفاتهم، كملاقاة أبنائهم، أو طلبتهم أو دراسة كتبهم. وكانت تراجم العلماء الجزائريين وتعريفهم للأعلام تتراوح بين القصر والطول، إما في قالب النثر أو الشعر أو هما معا

[1] مُحَّد بن جعفر الكتاني الإدريسي: المصدر السابق، ص 249.

[2] أبي راس الناصري: المصدر السابق، ص 160.

[3] نفسه: ص 161.

ملتزمين ذكر صفات خاصة، كعبارات المدح والتنويه بالشخصيات المترجم لها، وعقد مقارنة بينهم وبين الشيوخ الكبار المعروفين في التاريخ الإسلامي[1].

ومن بين مقاييس الاستحسان والإعجاب عند الرحالين منها: الكرم والصلاح والورع، وروح النقدية وطلاقة اللسان، وسلالة عبارة، وحسن التصريح والتلميح، وأتباع السنة المحمدية وحيازة السبق في العلم، وتأليف الكتب النافعة والمشهورة، والجمع بين العلم والعمل والعبادة، والمجاهدة والبلاغة والفصاحة ... وغيرها من الصفات والأفعال المتعارف على وجوب توفرها في أعلام الزمان[2].

وقد نجد عبارات تتكرر عند تقديم شخصية من الشخصيات كقولهم الورع الزاهدي أو العلامة الفهامة المحقق المدقق الرواية، الجامع بين العلم والدين ...[3]، حيث أن المقري رحلته مملوءة بهذا الكلام نذكر بعض عبارات الاستحسان والمجاملة في إجازاته للعلماء: ... عن شيخ الإسلام جامع الفنون فارد عصره و وحيد دهره، الهمام المحقق الإمام المدقق جمال المذهب النعمان، وجمان عقد الأوان، على بن غانم المقدسي الحنفي[4].

---

[1] عبد المجيد بوجلة: **رحلة الورثلاني إلى مصر** – الشرق والغرب في مكونات الرحالة العرب والمسلمين اكتشاف الذات والآخر أبحاث أدوات الرحالة العرب، المكتبة الوطنية الجزائر، دط، 2005م، ص 260. أيضا: عبد الله عزباوي: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 251.

[2] سميرة أنساعد: الرحلات الجزائرية الى المشرق...، المرجع السابق، ص 130.

[3] سميرة أنساعد: **أدب الرحلات الحجازية النثرية في الجزائر من القرن 11 إلى القرن 13 هـ** / 17-19م، رسالة ماجستير في الأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر ، 2000/2001م، ص 132.

[4] **على بن غانم المقدسي الحنفي**: علي بن مُحَمَّد بن على بن غانم المقدسي الأصل، القاهرى المولد والسكن ولد سنة 902هـ/1497م الملقب بنور الدين الحنفي من كبار العلماء، توفي سنة 1004هـ/1596م. ينظر: مُحَمَّد المحبي: خلاصة الأثر، المصدر السابق، ج 3، ص ص 180-185.

قرأت عليه طائفة من صحيح الإمام مسلم وأجازني به وبباقي الكتاب وغيره من مروياته، ... عن الإمام الزاهد العالم الكبي، المجمع على جلالته والمتفق على علمه وولايته شيخ الإسلام مُحَمَّد البنوفري[1]، لزمت مجالسه فقها ونحوا وغيرها من العلوم ... ".

كما نجد الورثيلاني قد وصف أحد رجال الصوفية المصريين وهو بعلي الفيومي فقال: "إنه ذو الأحوال المرضية و المحبة الصافية، والحقيقة النبوية والوردات الإلهية، والعلوم الدينية والفتوحات الربانية ... إذا علمه يطابق علوم الإنسان الكامل وهو عبد الكريم الجيلي، وفتوحات ابن العربي الحاتمى، عبد القادر الجلى وأبو حفص عمر الفارض ... "[2] فيدل هذا على ثقافة الورثيلاني الصوفية . كما نجد أيضا أبو راس يعبر عن تفوق احد علماء مصر وهو الشيخ السيد مرتضى وبراعته في العلوم قائلا:"... الصالح الصوفي، الحبر الحنفى العلامة الحجة ... المفسر المحدث، الحافظ المسند، الرواية النحوي الأصولي، الفروعي اللغوي ... الأستاذ المقرىء المجود البياني العروضي ... فلو رآه أبو يوسف لقربه عينا ... أو الزمخشري، لقال: هذا كشاف النكت على الحقيقة ... أو ابن عطية لظهر له حكم الله من فضل وعطية ... أو أبو حيان لاختفى منه في نهره " ولم يسل له نقطة من بحره ..."[3]

ومثل هذه المبالغات والمجاملات كانت سمة العصر آنذاك.

- **خاتمة الفصل:**

ومما تقدم، يمكن القول:

- أن ما قدمة علماء ورحالة الجزائر في مصر من جهود علمية، أين قامو بالتدريس بالجامع الأزهر ورواق المغاربة.

---

[1] **مُحَمَّد البنوفري**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن سلامة البنوفرى، مصري من أعيان فقهائها وفضائلها أحد رؤساء المذهب المالكي بمصر. ينظر: مُحَمَّد مخلوف، المصدر السابق، ص 281.

[2] الحسين الورثيلاني: نزهة الأنظار، المصدر السابق، ص 234.

[3] أبو راس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق، ص 164.

- مشاركة علماء في إنشاء حلقات علمية في العديد من المدارس والكتاتيب.

- نشر العلم والتعليم من خلال القراءات وعلم التفسير، والمسائل الفقهية أثناء إقامتهم بمصر.

- كان النشاط العلمي والديني أهم مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين علماء الجزائر ومصر

- استقرار بعض علماء المجاورين بجامع الأزهر، متلقين للعلم وملقنين له ليتوج ذلك بمصنفات ومؤلفات، فكانت تلك الإقامة فرصة لتدوين المؤلفات التي بينت تلك الحركة العلمية السائدة .

- تبادل الإجازات العلمية بين العلماء والتي تعتبر خطوة للطالب لتمكنه من التدريس في شتي العلوم.

- مساهمة الجزائريين في نشر المذهب المالكي والحنفي، وما لتلك المذاهب من دورا على مختلف الأصعدة نظرا لكون الرحالة، نشأ بمناطق تسودها تلك المذاهب.

الفصل الثاني: مظاهر الصلات الثقافية بين الجزائر والحجاز.

أولا: قنوات التواصل بين الجزائر والحجاز.

ثانيا: أوقاف الجزائر وعلماء الحجاز ودورهما في التواصل الثقافي.

ثالثا: العلماء ودورهم في التواصل.

رابعا: الحلقات والجهود العلمية للعلماء في المسجد الحرام والنبوي.

خامسا: دور علماء الجزائر في التواصل مع الحجاز.

- **تمهيد:**

لاشك أن العلاقة بين الجزائر والمشرق العربي كان لها نتاج علمي لهذا التواصل، انعكست في كتابتهم وتأليفاتهم في الحجا، كما كان للمراكز العلمية والدينية وعلمائها دورًا مهماً في التواصل الفكري بين الجزائر والحجاز، بيد أن الظروف التي نتجت من سياقات العهد العثماني تركت الكثير من الرحلات الجزائرية إلى مناطق الحجاز، كتب عنها أصحابها والقائمون عليها؛ لا سيما أثناء أدائهم فريضة وشعائر الحج.

ومن المعروف والمشهود عن الجزائريين إبان تلك الفترة أنهم توجهوا إلى مناطق الجزيرة العربية ليس كمستكشفين أو مؤرخين، وإنما قصدوا من وراء ذلك كزائرين إلى المناطق الدينية الرئيسية والتاريخية، ارتكازًا على تأدية ما فرض على المسلمين، لتأدية مناسك الحج والعمرة، وخصوصًا في تلك المناطق القابعة في الحرمين الشريفين، ويعتمد بتقديم المشاهدات وذكر الخواطر[1].

وطبقًا لذلك، شكّلت الرحلة في محتواها ومكوناتها النواة الأساسية والرئيسية في عمليات التواصل والصلات بين تلك المناطق، وتأتي الصلات الفكرية في مقدّمتها، من خلال عملية التأثير والتأثر الثقافي.

وتُعد الرحلات الجزائرية التي تمت في العهد العثماني إلى مناطق الحجاز من أهم تلك التي ساهمت في الروابط الفكرية بين الجزائر والحجاز بصفة خاصة، ومناطق بلاد المغارب والمشرق العربي بصفة عامة، إذ أوجدت الرحلات الجزائرية وما شملها من كتابات، لكون ثقافة الحجيج مزجت بين الجوانب الفقهية الدينية والجوانب العملية للتفاعلات الإنسانية، والتي يتفرع منها التفاعل مع المراكز العلمية والهيئات الدينية وأدوار ونشاطات العلماء، فكانت الرحلة الحجازية تحتل المرتبة الأولى في الرحلات التي أقامها الجزائريون إلى المناطق المقدسة، إذ نجد أن كل مبتغى زيارة قبر الرسول لعدّة مرات، فلم يكتفِ بعض الرحّالَة برحلة واحدة.

---

[1] حنيفي هلايلي: **الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثلاني وأبو رأس الناصري**، في مجلة الشهاب الجديد، الجزائر، مج7، ع22، س7، مارس 2008م، ص ص20-22.

وتذكر المصادر التاريخية والأدبية أنه على الرغم من ما شهدت الجزائر في الفترة العثمانية من أعمال، إلا أنها في الوقت نفسه قد شهدت تنامي في حركات التأليف، فانتشر العلماء المتصوفة[1].

كما أدّت مساهمة العلماء، والتي تتمثل في استخلاص العبر والدروس، ونشاطات المؤرخين والباحثين دورًا محوريًا في التواصل الفكري بين الجزائر وبلاد الحجاز، وخاصة تلك التي تعتمد على أدوار المراكز العلمية والهيئات الدينية ودور العلماء ونشاطاتهم في التواصل الفكري بين تلك المناطق، نذكرها ونفصّلها في المحاور الآتية:

أولا: طرق التواصل بين الجزائر والحجاز.

أ) القراءات:

نشأت القراءات القرآنية بطبيعة الحال أول ما نشأت في أرض الحجاز أو أرض النبوة ومهبط الوحي، إن مدرسة النبي تعد أولى المدارس القرآنية بل والعلمية، وقد كان القرآن الكريم يتلقى عن النبي صلّى الله عليه وسلم، حرفًا حرفًا، يتلقاه عنه الصحابة ﷺ، وكان القرآن محفوظًا في الصدور، وهكذا القراءات، ثم عني العلماء بتدوين القراءات بعد وضع الشروط لقبولها، واعتبارها قرآنًا[2]، ومرت بالمراحل الآتية:

1- القراءات في زمن النبوة:

وتتميز هذه المرحلة بما يلي، مصدر القراءات هو جبريل عليه السلام المعلم الأول للصحابة هو رسول الله ﷺ وهو المرجع لهم فيما اختلفوا فيه من أوجه القراءة[3]، قيام بعض الصحابة بمهمة التعليم مع رسول الله ﷺ إما بأمر من رسول الله ﷺ أو بإقرار منه، ظهور طائفة من الصحابة تخصّصت

---

[1] محمد أوجرتني: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830م**، دار الأيام للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2018م، ص219.

[2] محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون: **مقدمات في علم القراءات**، دار عمار، ط1، الأردن، 1422هـ / 2001م، ص55.

[3] سفيان موسى خليل ابراهيم: **القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي**، رسالة ماجستير، اشراف: احمد خالد شكري، الجامعة الاردنية، 1421-1422هـ/ 2002- 2003م، ص9.

بالقراءة (القراء) ومنهم سبعين قارئا قتلوا في بئر معونة، كما أن منهم: أبا بكر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء. وقد قال عنهم الإمام الذهبي:" فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن أي كاملا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة "[1].

2- القراءات في زمن الصحابة ﷺ:

وتبدأ هذه المرحلة من وفاة النبي ﷺ وحتى نهاية النصف الأول من القرن الهجري الأول تقريباً، وتتميز هذه المرحلة بما يأتي:

تتلمذ بعض الصحابة والتابعين على أئمة القراءة من الصحابة، بدأت تظهر أوجه القراءة المختلفة، وصارت تنقل بالرواية، تعيين الخليفة عثمان قارئاً لكل مصر معه نسخة من المصاحف التي نسخها عثمان ومن معه، وكانت قراءة القارئ موافقة لقراءة المصر الذي أرسل إليه في الأغلب، حيث أرسل عثمان إلى مكة (عبد الله بن السائب المخزومي) وأرسل إلى الكوفة (أبا عبد الرحمن السلمي)، وكان فيها قبله عبد الله بن مسعود من أيام عمر ﷺ، وأرسل عامر بن قيس إلى البصرة، والمغيرة بن أبي شهاب إلى الشام، وأبقى زيد بن ثابت مقرئاً في المدينة، وكان هذا في حدود سنة ثلاثين للهجرة[2].

3- القراءات في زمن التابعين وتابعي التابعين:

وتمتد هذه المرحلة من بداية النصف الثاني من القرن الأول، وحتى بداية عصر التدوين للعلوم الإسلامية. وتتميز هذه المرحلة بما يأتي: إقبال جماعة على تلقي القرآن من هؤلاء القراء الذين تلقوه بالسند عن رسول الله ﷺ وتوافق قراءتهم رسم المصحف العثماني، تفرغ قوم للقراءة والأخذ واعتنوا

---

[1] حليمة سال: **القراءات روايتا ورش وحفص- دراسة تحليلية مقارنة-**، اشراف: مُحَمَّد عصام مفلح القضاة، قدّم له: عمر الكبيسي والشيخ بصيري سال، دار الواضح، ط1، الإمارات، 1435هـ/2014م، ص 62.

[2] مُحَمَّد بن علي بن الجزري: **تقريب النشر في القراءات العشر**، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، دط، القاهرة، د س ن، ص ص20-23

بضبط القراءة حتى صاروا أئمة يقتدى بهم في القراءة، وأجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة وملازمتهم لها وإتقانهم، فقد نسبت القراءة إليهم وتميز منهم:

في المدينة: أبو جعفر زيد بن القعقاع(ت.130هـ)، وشيبة بن نصاح(ت.130هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت.169هـ).

في مكة: عبد الله بن كثير (ت.120هـ)، حميد الأعرج (ت.130هـ)، ومحمد ابن محيصن (ت.123هـ) [1].

- مرحلة التدوين:

ويمكن إبراز جوانب هذه المرحلة بما يلي، اختلف في أول من دون القراءات، فقيل هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت.224هـ) وقيل أبو حاتم السجستاني (ت.225هـ)؛ وهو رأي ابن الجزري، وقيل يحيى بن يعمر (ت.90هـ)[2].

توالي التأليف في القراءات السبع، فألف مكي ابن أبي طالب القيسي كتابيه"التبصرة والكشف"، وألف أبو عمرو الداني (ت.444هـ/1052م) التيسير في القراءات السبع وجامع البيان ونظم الإمام الشاطبي (ت.590هـ/1194م) التيسير في حرز الأماني و وجه التهاني الشاطبية[3].

---

[1] محمد بن محمد الجزري: المصدر السابق، ص ص97-98.

[2] شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ص162.

[3] عبد الهادي الفضلي: **القراءات القرآنية- تاريخ وتعرف**، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، لبنان 1430هـ/2009م، ص ص 28-30.

ب) أشهر قراء الحجاز خلال الفترة المدروسة:

1- الشيخ إسماعيل الرومي(ت.1182هـ/1768م):

هو إسماعيل بن عبد الله الرومي الأصل والشهرة، الحنفي، المدني، الصوفي، الشيخ المحقق المدقق، المحدث أبو اليمين نور الدين، ولد بالمدينة ونشأ بها، وهو شيخ الطائفة النقشبندية بالمدينة[1]، أخذ عن الشيخ عبد الغني النابلسي والإمام عبد الله بن سالم البصري، وقام بالتدريس في المدينة المنورة، وكان من أصحاب الحلقات العلمية في فنون عديدة منها: الحديث، والفقه، والعربية، والتصوف، فضلاً عن علوم القرآن. ومن مؤلفاته، نذكر منها:

تفسير سورة الفاتحة، وتفسير سورة الضحى إلى آخر القرآن الكريم، وتفسير آية الكرسي، وله كتب ورسائل، توفي الشيخ إسماعيل الرومي سنة 1182هـ/1768م، ودفن بالبقيع[2].

2- محمَّد بن علي بن فضل الطبري الحسيني المكي(ت 1173هـ/1760م):

ويُعرف بالجمال، ولد بمكة قريباً من سنة 1100هـ/1689م، أخذ عن علماء عصره، عبدالله بن سالم البصري وعبد القادر الصديقي المفتي، ولازم إدريس الشماع ملازمة تام تولى إمامة المقام الإبراهيمي ودرس بالحرم الشريف فأخذ عنه الناس من الحجاز ومن الافاق منهم محدث تونس محمَّد بن علي الغرياني وغيره، ومن مؤلفاته: الحجة الناهضة في إبطال مذهب الرافضة، وامتاع البصر والقلب والسمع، في شرح المعلقات السبع، إتحاف فضلاء الزمن، توفي بمكة[3].

---

[1] محمَّد خليل المرادي: المصدر السابق، ج1، ص254.

[2] محمَّد علي فهيم بيومي: الحركة العلمية في المدينة المنورة، المرجع السابق، ص 96.

[3] عبد الله مرداد أبو الخير: **المختصر من كتاب نشر النور والزهور في تراجم أفاضل مكة- من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر**، تح: محمَّد سعيد العامودي وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط2، جدة، 1406هـ/1986م، ص 458.

3- أمين الميرغني(ت1161هـ/1748م):

السيد أمين ابن السيد حسن بن مُحَمَّد أمين بن علي الميرغني، المكي الحنفي، عم العلامة السيد عبد الله الميرغني محجوب الطائف[1]، كان من العلماء العاملين والفقهاء الجهابذة المحققين على جانب عظيم من التقوى والزهد والورع والصلاح، وشرف التواضع والمجد، روى عن مشايخ الوقت وأخذ عنهم، منهم الشيخ البصري، والشيخ تاج الدين القلعي، والشيخ تاج الدين الدهان وغيرهم[2]، له مؤلفات عديدة، نذكر منها:

حاشية على شرح الزيلعي على الكنز، وحاشية على الدر المختار، وله رسالة سماها « كشف القناع عن تحرير الصاع »، ورسالة مسمّاة «بازالة الوهم في جواز الصوم عند العجز عن الدم»، وهي فريدة في بابها، نافعة لطلابها، ورسالة « القول الأحرى في وقوع الطلاق المعلق على نفقة العدة بالأبراء » التي رد فيها على العلامة الشيخ عبد الرحمن المرشدي القائل بعدم وقوع ذلك. وقد وافق المترجم على ما هنالك سائر علاء مكة ومفاتيها في فتاواهم، وكذلك أفردوا لها رسائل مستقلة. توفي بمكة ودفن بالمعلاة بالحوطة الشهيرة بحوطة بيت الميرغني[3].

---

[1] **عبد الله الميرغني:** هو عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن مُحَمَّد أمين، أبو السيادة عفيف الدين ميرغني، المكي الطائفي الملقب بالمحجوب، متصوف حنفي من أهل مكة، انتقل بأسرته الى الطائف سنة 1166هـ، وصنف كتبا، منها: "فرائض وواجبات الإسلام في العقائد والفقه"، و"المعجم الوجيز من أحاديث النبي العزيز". توفي عام 1207هـ/1792م. انظر: البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص 486. الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص64.

[2] حصة بنت عبد العزيز السديس: **تحقيق مخطوط " القول الأحرى في الطلاق المعلق على نفقة العدة بالإبرا" للشيخ مُحَمَّد أمين بن السيد حسن ميرغني (ت1161هـ) من علماء مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري**، في مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف ع23، ج2، مصر، 2021م، ص1110.

[3] عبد الله مرداد أبو الخير: المصدر السابق، ص135.

ثانيا: أوقاف الجزائر وعلماء الحجاز ودورهما في التواصل الثقافي

أ) أوقاف الجزائر ودورها في تجسيد التواصل:

أدّى الوقف دورا حيويا في المجتمعات الإسلامية عبر العصور المختلفة، فكان له نصيب وافر واسهام فعّال في المحافظة على هوية الآخر وحضارتها ودعم مساجدها ومدارسها ومرافقها، وتوثيق عرض الإخاء والتواصل بين أفراده وأجيالها المتعاقبة، وكان لكل أمة دوافع مختلفة أهمها، الدافع الديني في نشوء الوقف والذي دفع الطبقات الغنية إلى تخصص جزءًا من مخصصاتهم المالية لبناء دور الرعاية الدينية[1].

وقبيل الإسلام لم تعرف العرب في الجاهلية نظام الوقف، ولكن وجوده في بلاد الحجاز كان بداية من انتشار الإسلام، وهكذا بدأ الاهتمام بالوقف، وذلك تحقيق لأوامر رسول مُحَّد ﷺ[2].

انتشر نظام الوقف في الإسلام بداية من المدينة المنورة؛ حينما تم الانتهاء من بناء مسجد قباء، والذي أسّس بالمجهودات الوقفية، وبرعاية جهود النبي مُحَّد ﷺ، ليكون هو المؤسّس الأول للوقف في التاريخ الإسلامي[3].

وباعتبار أن المجتمع الجزائري بدوره هو جزء لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي، فقد عرف نشاطات وأعمال وقفية؛ كأسس داعمة للتضامن الاجتماعي الإنساني بين المسلمين. وينظر إلى الفترة العثمانية في الجزائر على أنها من أهم وأبرز المحطات الزمنية التي شهدت ذروة أعمال الوقف.

لقد أدّى الوقف دورًا محوريًا في تنامي الاتصال والصلات بين الجزائر وباقي المناطق الإسلامية وخصوصًا المشرق العربي وفي مقتبل القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، فاتصلت أعمال الوقف بمختلف أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من ناحية، والجوانب الداخلية والخارجية بصفة

[1] منذر قحف: **الوقف الإسلامي– تطوره، إدارته تنميته**، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت،2000م، ص17.

[2] ابن حجر الهيتمي: **حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي**، دار الصادر، بيروت، د س ن،ج6، ص236.

[3] مُحَّد أبو زهرة: **محاضرات في الوقف**، معهد الدراسات الاسلامية، د. ط، القاهرة، 1959م، ص25.

عامة، على أن جاءت مناطق الحجاز من المناطق التي تفاعلت بشكل كبير مع الجزائر جراء زيادة حدة أعمال الوقف، وخاصة تلك المتعلقة بالوقف الجزائري لمناطق الحرمين الشرفين[1].

فقد طالب في العديد من المرات الشيوخ والطلبة الجزائرين المقيمين بالمدينة المنورة، تسجيل أسمائهم ضمن عوائد أوقاف الحرمين الشريفين، من خلال مراسلاتهم لباشا الجزائر[2].

وامتازت الجزائر في العهد العثماني بكثرة أوقافها، ويعكس ذلك توجه إرادة الدولة العثمانية والمجتمع الجزائري في مدّ التضامن والصلات العميقة بينها وبين مدن وأحياء الجزائر وبين المدن الأخرى، فتطور الوقف من حيث الكم والكيف، إلى أن وصل إلى ثلثي أملاك الجزائر إبان الفترة العثمانية[3].

وكان الوقف في الجزائر إبان العهد العثماني نظام قائم مستقل بذاته تديره المؤسسات الوقفية بأجهزتها الإدارية[4]، والمختص في ذلك هو المجلس العملي بقيادة كبار الأئمة المستقلون عن السلطة السياسية العثمانية آنذاك وكانوا يتمتعون بكفاءة عالية، وحصانة في الوقت نفسه؛ بيد أنه لا يستطيع أي حاكم المساس بأموال وأملاك الأوقاف[5].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 الى القرن 19**، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2013م، ص05. ينظر الملحق رقم 09، ص 403.

[2] وثائق مراسلات لباشوات الجزائر، مجموعة رقم 3190، ص96-107-113-136، ينظر الملحق رقم 10-11-12-13، ص ص 404-407.

[3] محمد أبو زهرة: **تنظيم الإسلام للمجتمع**، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1975م، ص168.

[4] محمد البشير الهاشمي المغلي: **التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقام للاحتلال الفرنسي**، في مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، ع6، مارس 2002م، ص 160.

[5] Hamdan ben ottoman khodja: **Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger**, intitulé en arabe : "Le Miroir" ; tome I, Imprimerie de goetschy fils et compagnie, Paris1833, p 78.

وفضلًا عن ذلك، انتشرت الأوقاف الجزائرية في مناطق عدّة على رأسها مدينة الجزائر، وتلمسان، وقسنطينة، والبليدة، والمدية، ومعسكر، وهران[1].

لذا ففي فترة الممتدة بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين، اتسعت رقعة الأوقاف، بحيث أضحت تضم العقارات والأراضي الزراعية مع المقرات والمؤسّسات الاقتصادية، مثل الدكاكين، والفنادق، والأفراد، كما خصّص جزءًا كبيرًا منه للإنفاق على طلبة العلم والعلماء والقائمين على إدارة المؤسّسات، وأدوار العبادة، والمؤسّسات الثقافية التي تتصف بجوانب ثقافية كزوايا والأضرحة والمساجد[2].

وفي هذا الصدد، يقول أبو القاسم سعد الله حول نظام الأوقاف في الجزائر خلال تلك الفترة: "الوقف أو الحبس نظام إسلامي معروف، وله أهمية اجتماعية واقتصادية كبيرة في المجتمع واستحدثه المسلمون لتوفير المال والسكن وغيرها من المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء والغرباء والأسرى واللاجئين، وصيانة المؤسّسات التي أنشئت لهذا الأغراض، كالماء والطرق والمساجد والزوايا والقباب... إلخ، وهذا النظام يرمز إلى التكامل الاجتماعي والتضامن بين المسلمين غنيهم وفقيرهم، وكان الوقف المصدر الأساس لنشر التعليم والمحافظة على الدين... "[3].

ويرجع تاريخ الوقف في الجزائر إلى فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فبدأ بالاهتمام بالجوانب الدينية والعلمية ذات الطابع المحلي، والذي يتمثل في الاهتمام ببناء المساجد والزوايا والكتاتيب، إلى

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات لواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبان، 2000، ص20. ينظر أيضا: عبدالنور خيثر وآخرون: **منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830–1954**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، د ت ن، ص61-62.

[2] فاطمة الزهراء قشي: **سجل صالح باي للأوقاف 185–207هـ/1771–1792م**، دار بهاء الدين، دط، الجزائر، 2009م، ص37.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص152.

أن وصل إلى الجوانب الثقافية والروحية، وبقى له دورًا بارز في توطيد العلاقات والصلات بين المناطق الإسلامية الأخرى ومؤسّساتها[1].

وبمرور الزمن، انتشرت الأوقاف في الجزائر، حيث تشير الوثائق التاريخية الجزائرية منها العثمانية، بأن عملية الوقف شملت الجنسين الذكر والأنثى، فالوثائق تثبت بأن المرأة الجزائرية أو التركية كانت تقوم بوقف أملاكها من بحاير وديار وأحراش، وحبست لجهات مختلفة كالحرمين الشريفين ففي هذا الشأن، نصت أحد العقود التاريخية على: "تحبس الولية مريم بنت سليمان جميع الدار بحومة العرايش عام (1182هـ/1804م) بالبليدة على نفسها ثم على الحرمين الشريفين"[2].

بالإضافة إلى ذلك، خصّصت النساء المزيد من الأملاك والأوقاف لصالح المساجد المحلية وخاصة في نهاية الحقبة العثمانية[3].

كما تميز العهد العثماني بالجزائر بتزايد وتكاثر الأوقاف وانتشارها في مختلف أرجاء البلاد، منذ منتصف القرن 18م، حتى أصبحت 543 عقدا؛ أي بزيادة 384 عقدا خلال الفترة الممتدة من 1842/1752م[4].

وهكذا أدّت الأوقاف الجزائرية دورًا محوريًا في توثيق الصلات الاجتماعية والثقافية والفكرية بين الجزائر والحجاز، لذا سنتعرف على مكونات تلك الأوقاف التي خصّصت من للحجاز إبان العهد العثماني.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص152-153.

[2] رابح كنثور: **الوقف وآثاره دراسة تاريخية للوقف في منطقة البلدية 1791-1873**، في حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين ع3-4، الجزائر، 2005م، ص ص304.

[3] نفسه: ص305.

[4] ناصر الدين سعيدوني: **الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني واوائل الاحتلال الفرنسي**، في مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، ع 89-90، الجزائر، 1981م، ص89.

ب) أوقاف مؤسسة الحرمين الشريفين (مكة والمدينة المنورة):

تُعد هذه المؤسّسة من أهم مؤسسات الوقف، من حيث عدد أوقافها ومداخليها، فهي تحتل المرتبة الأولى إذ كان يبلغ تنفيذها في أواخر العهد العثماني ثلاثة أرباع الأوقاف الموجودة آنذاك[1].

وقد أنشئت بغية مساعدة الجزائريين في وقف ممتلكاتهم، سواء داخل المدينة وخارجها، مما جعل في صدارة المؤسّسات الخيرية، من حيث عدد الأملاك التي تعود اليها أو الأعمال الخيرية التي كانت تقوم بها، فكانت تقدم الإعانات لقاصدي الحرمين الشريفين أو المارين بالجزائر، وتتكفل هذه المؤسسة بإرسال حصة من الأموال والحاجات الضرورية إلى الفقراء في دورة دورية كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة أو عن طريق أمير ركب الحج[2]، وكانت توجه باسم داي الجزائر وترفق بقوائم تحتوي على كل أنواعها بالتفصيل ليعود الحجاج بتلك القوائم مختومة من طرف حكام الحرمين، وذلك للتأكّد من وصولها كاملة، ولا سيما أنها كانت كميات هائلة من النقود والذهب والفضة والألبسة وغيرها موجهة إلى فقراء مكة والمدينة وخدام الحرمين الشريفين[3]، مما ساهم ذلك في تبادل الرؤى والثقافات بين المبعوثين وبين أهالي الحجاز والجزائر.

وما يمكن قوله، هو أن مؤسّسات الحرمين الشريفين نالت أهم قسط من العقارات الموقوفة حسب الإحصائيات، وكانت هذه المؤسسة تشرف على ثلاثة أرباع العقارات المحبوسة في مدينة الجزائر، ففي مقدمة تلك الوثائق التي ذكرت في المجلة الإفريقية التابعة لمؤسسة مكة والمدنية أن العقارات كانت محبوسة لصالح هذه المؤسسات في أحد السنوات.

---

[1] *Nāṣir al-Dīn Saīdūnī*: ***L'Algerois rural* à la *fin* de l'époque ottomane (1791-1830)**, dar ac charb al- islami , 2001, p 191. ***L'Algerois rural* à la *fin* de l'époque ottomane (1791-1830)**, dar ac charb al- islami , 2001, p 191.

[2] أبو بكر حبوسة: **دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر**، في مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مج7، ع4، جامعة سطيف- الجزائر، 2018م، ص509.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية(1800-1830م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-مطبعة أحمد زبانة، الجزائر، 1979م، ص ص 146-147.

وفيما يلي جدول يوضّح مجموع الأحباس والأملاك الوقفية لمؤسّسة الحرمين الشريفين في أواخر العهد العثماني.

عدد الأملاك الوقفية	نوع الوقف	مردوده السنوي
840	بيتا	26653.80 فرنك
258	حانوت	278.60 فرنك
330	مخزنا	449.70 فرنك
82	غرفة	846.65 فرنك
03	كوشة	200.45 فرنك
11	فرنا	102.60فرنك
04	مقهى	161.70فرنك
01	فندق	135.00فرنك
57	جنان	1257.45فرنك
62	ضيعة	1830.00 فرنك
06	مرحى	97.50 فرنك[1]

وتذكر مصادر أخرى بأن أوقاف الحرمين الشريفين في مدينة الجزائر كان لها دورًا هامًا في تشكيل الأوقاف عمومًا التي يستفاد بها مناطق الحجاز، فقد قدر "**فيليب فاليير**" قنصل فرنسا بالجزائر أواخر القرن 18م، حجم اتساع أوقاف الحرمين الشريفين في قوله: «أن أوقاف الحرمين الشرفين واسعة الانتشار بمدينة الجزائر، وسيأتي اليوم الذي تستحوذ فيه مؤسسة أوقاف الحرمين على جميع العقارات[2] ».

ويذكر أنه بأوائل القرن التاسع عشر شّكلت نظارة تسمى "نظارة الوقف الجديدة"، وكانت تضم ثلاث هياكل إدارية، وهما: الوزنة، وإدارة الخدمة، وإدارة العرض، وبعد ذلك وبفضل الاهتمام الكبير بأوقاف الجزائر، لا سيما تلك المتعلقة بالأوقاف الخارجية مع مناطق الحجاز أسّست إدارة

[1] ناصر الدين سعيدوني: الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص 67. بتصرف.

[2] LEWIS.B, "**AL-HARAMAYN**", Encyclopedie de I'lslam, t.lll, éd. 1990, p179.

أطلق عليها "قلم مقاطعات الحرمين الشريفين"، وكانت تلك الإدارة مسؤولة عن ضبط قيود الصرة التي يتم ارسالها سنويًا إلى الحجاز، وخصوصًا الحرمين الشريفين، وذلك بتعاون مع الحكام العثمانيين وموظفين الافتاء وشيوخ المراكز والخطباء[1].

كما انقسمت الأوقاف الجزائرية التي كان يتم إدخالها في مؤسسة الحرمين الشريفين إلى شقين وهما: دور الأهالي ودور الجنود العثمانيين، فبالنسبة للأهالي نذكر بعضها: منها قيام علي القليعي الذي حبس جميع داره على نفسه، ثم أولاده لصالح مؤسسة الحرمين الشريفين، وذلك في عام 1776م، وقيام عبد القادر بن علي الزيتوني بوقف جميع داره في عام 1155 هجريًا[2].

وقامت عائلة "كوجك" ذات الأصول العثمانية، بوقف أراضي جبل الزيتون بالحامة على الحرمين الشريفين في عام 1206 هجريًا[3].

وقيام "خديجة" بوقف دارها على بنتها عزيزة لصالح الحرمين الشريفين في عام 1157هـ، و"عائشة بنت الكرغلي" في عام 1154 هـ[4].

وتشير تلك الأمثلة إلى مدى أهمية مؤسسة الحرمين الشريفين الخيرية في نفوس الأهالي، والتي كان لها دورًا بارزًا في تحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي بين الجزائر والحجاز في الفترة العثمانية، فإن معظم الأوقاف الجزائرية كانت لنصيب مؤسسة الحرمين الشريفين[5].

أما الشق الثاني، فكان لمؤسسة الحرمين الشريفين أهمية خاصة لدى الجنود العثمانيين (الجيش الانكشاري) في القرن الثامن عشر الميلادي، فمنذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، اهتم العثمانيون

---

[1] علياء بنت فياض أحمد: **أوقاف المسجد الحرام بمكة المكرمة**، تنظيمها وإدارتها في العهد العثماني (1254-1337هـ/1838-1918م)رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/ 2009م، ص ص24-25.

[2] رباح كنتور: المرجع السابق، ص305.

[3] فاطمة الزهراء قشي: مصدر السابق، ص84.

[4] رابح كنتور: المرجع السابق، ص327.

[5] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المرجع السابق، ص158.

على إثر ذلك بربط المشرق العربي ببلاد المغارب، سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو العسكري أو السياسي، وأخيرًا الديني والثقافي، فاستخدمت مؤسّسة الحرمين الشريفين، كوسيلة أساسية في تحقيق هذا الغرض[1].

كما ساهمت فئة البلكباشية في زيادة أوقاف الجيش العثماني في الجزائر لصالح مؤسسة الحرمين الشريفين، فيذكر أن حوالي 59 وقفية، وهو ما يعادل نسبة 44.02% من مجمل الوقفيات حينها، خصصت لمؤسسة الحرمين، ويرجع ذلك إلى اهتمام الجيش العثماني بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية في المشرق والمغرب العربي، فضلًا عن ثراء هذه الفئة[2].

ويذكر أنه في عام1714م، قام مصطفى البلكباشي بحبس جنة لصالح مؤسّسة الحرمين الشريفين، كما قام في نفس العام بحبس دارًا أخرى[3]. وفي عام 1781م تم تسجيل وقفيتين لإبراهيم البلكباشي الحفاف، حيث حبس حانوت مخصّصة لصنعة القصدير، تقع بالصفارين، وعلويا يقع قرب سوق الكتان[4].

كما تم تسجيل ثلاثة عشر حالة اشتملت فيها الوقفية الواحدة على أكثر من عقار، ونذكر على سبيل المثال: وقفية مصطفى بلكباشي بن خليل التي اشتملت على علوي ومخزن، وكان ذلك

---

[1] فهيمة عمريوي: **إسهام الجيش الانكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي**، في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، ع 41، الجزائر، 2014م، ص62.

[2] زكية زهرة: **حول الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر من خلال ثلاثة نماذج من الوثائق**، في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج01، ع02، جامعة الجزائر، 2000/2001م، ص156-157.

[3] فهيمة عمريوي: المرجع السابق، ص66.

[4] نفسه: ص66.

سنة 1171 هـ/ 1758م[1]،كما حبّس أحمد بكباشي دارا وعلويًا ومخزنًا[2] ، أما رجب منزول أغا بن مصطفى التركي فقد اشتملت وقفيته على دار واصطبل وحانوتين[3] .

وتذكر الباحثة المرحومة عائشة غطاس: بأن علي بتشين أوقف لصالح مؤسستي الحرمين الشريفين 19 عقارا[4].

والملاحظ أن هذه العقارات، توزعت عبر مختلف حومات وأسواق مدينة الجزائر، ووجد بعضها بالمنطقة السفلى، وقد تميز هذا الجزء من المدينة بكونه مركزا لتجمع الأجهزة المعبرة عن السلطة السياسية والإدارية والدينية والعسكري والاقتصادية، وهذه الخاصية أهلت المنطقة لتكون مقراً لإقامة الداي والحكام ورياس البحر وأصحاب الثروة والقناصل، وبهذا نجد أيضا امتلك عناصر الجيش عدّة عقارات، ونذكر منهم: والي بلكباشي الذي امتلك علوي بالبوزة، كما امتلك البعض الآخر دكاكين قرب الأسواق، منها سوق البابوجية، وسوق السراجين، فيما امتلك آخرون بالمنطقة العليا أي الجبل منها: حومة سيدي مُحَّد الشريف التي وجد بها خمسة حالات للجيش الانكشاري، وكل عقاراتهم كانت عبارة عند دور وقد اعتبر "تال شوفال" هذه الحومة من أكثر المناطق الأهلة بالسكان[5].

ويتّضح من خلال الأمثلة والنماذج السابقة، بأن الجيش الانكشاري قد توسعت أدواره ومهامه من السياسي والعسكري إلى الإسهام في المجالات الاجتماعية والإنسانية، من خلال وقف عقاراتهم لصالح فقراء الحرمين الشريفين.

---

[1] وثائق المحكمة الشرعية، ع 51، ص .

[2] وثائق المحكمة الشرعية، ع 136 -137، ص73.

[3] وثائق المحكمة الشرعية، ع 76 -77،ص66.

[4] عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م-مقاربة اجتماعية اقتصادية**، منشورات ANAP، ط1، الجزائر، 2007م، ص 290.

[5] فهيمة عمريوي: **إسهام الجبش الإنكشاري في أوقاف الرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي**، في مجلة العلوم الإنسانية، ع41، جامعة قسنطينة، 2014م، ص ص 67-68.

وتتجلى أهمية مؤسسة الحرمين الشريفين في تدعيم الصلات الفكرية بين مناطق الجزائر والحجاز في أن هذه الأموال والعقارات التي كانت محبوسة كان لها وظائف متعددة ومنها التخفيف من شقاء المعوزين من الحجاز والجزائر[1].

كما ساهمت أوقاف مؤسّسة الحرمين الشريفين في تسديد نفقات طلبة العلم والعلماء وصيانة وبناء المساجد والزوايا والكتاتيب وكذلك توفير الدعم المادي للقائمين على إدارة هذه المؤسسات سواء كانوا في مدينة الجزائر أو في مناطق الحجاز، فكانت لهذه الأنواع من الأوقاف دورًا هامًا في الحياة الثقافية والدينية المتبادلة بين الجزائر وبلاد الحجاز[2]. إذ كان يتم أنفاق الكثير من الأموال الوقفية على المراكز العلمية والثقافية والدينية، مما أدى إلى التقارب بين المذهب المالكي المنتشر في الجزائر حينها وبين المذهب الحنفي والحنبلي المنتشر في مناطق الحجاز، كما ساهم في نمو الحركات العلمية بينهم، من خلال اقامة المناظرات واللقاءات العلمية والدينية، والتي كانت تتم من خلال رعاية الحكام الأتراك والأهالي وأمراء ركب الحج الجزائري[3].

فبفضل مردود الأوقاف ومداخيلها التي توفرها، تمكن الأهالي الجزائريون والحكام الأتراك من إيجاد وسائل متعددة ومتنوعة في تيسير حركة وعمليات المصالح والخدمات التعليمية والثقافية، سواء في الجزائر أو الحجاز، فكانت الجهات المناط بها إدارة المؤسسات الوقفية على رأسها مؤسسة الحرمين الشريفين تتكفل بالإنفاق على ثلاث مستويات رئيسية وحيوية وهما: الفقراء وأماكن العبادة والتعليم،

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص162.

[2] فاطمة الزهراء قشي: **مؤسسة الاوقاف في قسنطينة في العصر الحديث مصادر وطروحات**، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج1، ع2، جامعة قسنطينة، 2001م، ص90.

[3] عائشة غطاس: **حول الوثائق المتعلقة باوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر**، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج1، ع2، جامعة قسنطينة، 2000م، ص ص141-142.

فأضحى الوقف يشكل المرتكز والحلقة الأساسية في توفير الرعاية والخدمات الضرورية الثقافية والدينية، المحلية والإقليمية[1].

ج) صرة الحرمين:

اطلق اسم «صرة الحرمين»[2] على الصرة التي ترسل من باشوات الايالات نيابة عن السلطان[3].

ظهرت الصرة كعادة عثمانية سنها السلطان "مُحَّد شلبي" لمساعدة فقراء الحجاز ومنذ القرن الثامن عشر أصبحت تدفع كل سنتين ويمكن أن تتوقف لسنوات لظروف الاقتصادية والأمنية والسياسية[4] يتولى حمل الصرة البيت ماجي لأنه كان ممثلا للديوان والمنتدب الرسمي لبشا الجزائر الداي ويحمل معه أيضا مذكرة توضح صلاحياته وواجباته يمنحها له الداي لتسهيل مهمته كما يحمل قائمة بأسماء المستفادين من الصرة، ويجب ارجاع هذه القوائم مع عبارة مدفوع، ويستفيد منها عددا من الأعيان والكبار الموظفين والعلماء والمحتاجين من أصل مكة والمدينة[5].

---

[1] عليوان أسعيد: **أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية**، في مجلة الإحياء، ع11، باتنة، 2007م، ص301.

[2] **الصّرة لغة:** تعني كيس النقود التي توضع داخلها الدراهم والدينار. أما **اصطلاحا:** فهي وظيفة إدارية لتوصيل وتوزيع الأموال التي تخصصها الدول الإسلامية حسب امكاناتها منذ عهد الخلافة العباسية لأهالي الحرمين الشريفين قبل موسم الحج مباشرة. يحملها أمير الركب، تتكون من هدايا وصدقات من مداخيل الأوقاف، تبعث لأمراء الحجاز والأشراف العلماء الفقراء المجاورين لمكة، وكانت الأموال المرسلة توزع على أشخاص معينين وفقا لدفاتر خاصة وحصص محددة ذكرت تلك الدفاتر في الرسائل السلطانية باسم معلوم أومعلم. ينظر: عمر إبراهيم مُحَّد الشلال: **دفاتر أوقاف صرّة الحرمين الشريفين في العهد العثماني الدفتر رقم (1521) السنة (1158-1159هـ/1745-1746م) أنموذجا**، في مجلة سر من رأى، مج15، ع61، جامعة سمراء، العراق، 2019م، ص 603. أيضا: سهيل صابان: مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام 1192هـ/1778م، مجلة جامعة الملك سعود، مج20، ع1، الرياض، يناير2008م، ص05. ايضا: اسماعيل حقي جارشلي: **أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني**، تر: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، ط1، لبنان، 1424هـ/2003م، ص74.

[3] فاطمة بنت عبد الله المصعبي: **الصـرة- دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام 1171هـ/1758م**، مركز تاريخ مكة المكرمة، دط، مكة المكرمة، 2018م، ص 19.

[4] هواري قبايلي: **مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1962م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران، السنة الجامعية 2013-2014، ص69.

[5] ناصر الدين سعيدوني: الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص 176.

ويتم اعطاء الصرة بمدينة الجزائر أمام المجلس العلمي بحضور شيخ البلد[1]، وأمين الأمناء[2]، ولجنة منتدبة من طرف الجيش وتحت السلطة العليا للداي. وبعد انتهاء اجراءات تحضير الصرة والقوائم الملحقة بها يعطي الداي الأمر بانطلاق رحلة الحج البحرية رفقة مبعوثه الخاص بيت المالجي[3].

وقد ذكر الشريف الزهار الذي شارك في ركب الحج عام 1233هـ/ 1818م، حيث قال: «بعد شهرين ونصف من حكمه أمر الداي حسين بانطلاق السفن التي تحمل الحجاج مع البيت مالجي الذي أوكل اليه الصرة ودفع له مال الصدقة التي تدفع كل سنة لفقراء الحرمين الشريفي»[4] ، وتنقل الصرة بحرا لأنه الأكثر أمنا والأقل تعبا والأقل مدة زمنية مقارنة بالطريق البري الذي يسلكه الركب أو القافلة، لكن هذا لا ينفي بأن الركب البري تكفل في حالات استثنائية بنقل الصرة كعام 1122هـ/1710م، مع القافلة التي قادها الشيخ طيب بن بوزيان[5].

1- هيكلتها :

نظرا لمكانة صرة الحرمين الشريفين، فقد أولى حكام الجزائر عناية خاصة بها اذ تعتبر المصدر الأول للمساهمات المالية المرسلة للحرمين الشريفين لتصرف في خدمة العلم والدين، وتوزع على

---

[1] **شيخ البلد**: كما يسمى صاحب المدينة، وهي حكومة محلية تشمل الاحاكم المدني وكاهية وقائد الملشيا بالمدينة ويكون جميع الموظفين في هذه الادارة من الأهالي، كما ميز مؤسسة مشيخة البلد تسيير ثنائي مع صلاحيات محددة لكل شيخ منهما، كان يشرف على جميع الهيئات والتنظيمات الصناعية. ينظر: وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824م**، تع وتح وتق: إسماعيل العربي، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص77.

[2] **أمين الأمناء**: هي وظيفة أحدثها العثمانيون منذ التحاقهم بالجزائر، كان لأمين الأمناء دور في عقد المصالحات بين الجماعات الحرفية وحتى بين أفراد الجماعة الواحدة ، هذه المصالحات التي تساعد على صياغة نظام حرفي ايجابي ، وفي التنسيق مع شيخ البلد في جمع الغرامات من أصحاب الحرف المتنقلة ، ومنزلة أمين الأمناء محترمة لدى الحاكم السياسي للمدينة ، فهو الواسطة بينه وبين أمناء الحرف في قضايا عالم الاقتصاد الحرفي بالمدينة. ينظر: بلبراوات بن عتو: **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية 2007-2008م، ص367.

[3] ناصر الدين سعيدوني: الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص 78.

[4] أحمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر1168- 1246هـ/1754-1830م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1974م، ص144.

[5] ناصر الدين سعيدوني: الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص 178.

الأعيان والفقراء، لذلك كانت تخضع لنظام خاص بها وتؤطرها مؤسّسة أوقاف الحرمين الشريفين، حيث تضم عددا من الموظفين لهم مهام مختلفة وتنظيم متسلسل، وهم:

– **الشيخ الناظر**: يخضع لنظره وكلاء الأحباس وأعوانهم، ويتكفل بجمع مداخل الأحباس من الوكلاء، ويتكفل بجمع مداخل الأحباس من الوكلاء، لتقديمها لبيت المال بعد تسجيلها في دفاتر خاصة يحتفظ بنسخة منها في الخزانة للمراجعة، وهو المسير الرئيسي للمؤسسة بأيالة الجزائر، اختاره الديوان من بين كبار الموظفين المشهود لهم بحسن السيرة والولاء كما يعينه الداي برضا الديوان[1].

– **بيت المالجي**: يُعد المسؤول عن الشؤون المالية للبايلك، وهو المشرف على استخلاص حقوق الخزينة العامة في تركات المسلمين الشاغرة ، ويعد بيت المالجي من بين كبار الموظفين الذين يختارهم الديوان ويعينهم الداي، وهو من المسؤولين الرئيسيين عن مؤسسة الحرمين الشريفين، وهذا باعتباره ممثل الديوان ومنتدب الداي في البقاع الإسلامية المقدسة فقد كان بيت المالجي يشارك الحجاج رحلتهم إلى الحجاز، ويحمل بهذه المناسبة هدية مؤسسة الحرمين الشريفين المسماة "الصرة"[2].

– **قاضي الحرمين**: يعين من قبل الهيئات القضائية، وكان يخضع لسلطة المفتي، يحضر العمليات المتعلقة بالأملاك الوقفية، ويصادق على عقود الوقف التي يحررها الوكلاء[3].

– **العدول**: المعينون من طرف القضاة، والمكلفون بتسجيل العقود، المنتدبون لدى وكلاء الحرمين الشريفين، ويقوم الشيخ الناظر بتعيين اثنين منهم حتى يتم إضفاء طابع الشرعية على العملية والتأكّد من احترام القرارات المتّخذة بشأن الوقف[1].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية–دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000م، ص239.

[2] مصطفى أحمد بن حموش: **فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 956هـ/1549م–1246هـ/1830م**، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، دبي، 1421هـ/2000م، ص ص 268. ينظر أضا: ناصر الدين سعيدوني: الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 164-165.

[3] نفسه: ص167. ينظر أيضا: محمّد علي فهيم بيومي: مخصصات الحرمين، المرجع السابق، ص ص198-199.

- **الخز ناجي**: هو المختص بالإشراف على الخزينة وإيداع مصادر دخل الدولة بشكل نقود ومقتنيات ثمينة، يساعده كاتب الدولة وأمين السكة احدهما يدعى العيار للتحقق من النقود المشكوك فيها، والثاني الوزان لوزن أنواع النقود التي يتسلمها[2].

- **المجلس العلمي**: يقوم بمراقبة التسيير الاداري لمؤسسة الحرمين الشريفين، يرأسه المفتي الأكبر والقاضي الرئيسي وبقية الأعضاء من الأعيان، ويجتمع المجلس كل خميس، وهو بمثابة المحكمة العليا تفصل في حل المنازعات والخلافات التي تبقى عالقة، وتتمثل مهامه من الناحية الشرعية في العمل على تطبيق وصايا المحبس في استغلال الحبس أو طرق صرف غلته واصدار الحكم الشرعي[3] .

2- دور صرة الحرمين الشريفين في تمتين علاقات الجزائر بالبقاع المقدسة:

كان لصرة الحرمين الشريفين وكذا مؤسّسة الحرمين الشريفين الوقفية بالجزائر دور مهم في ربط العلاقات بين الجزائر العثمانية والبقاع المقدسة، حيث جسدت الصلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والروحية بين البلدين .

فإنشاء الأوقاف لفائدة الحرمين الشريفين يُعد تعبيرا صادقا عن انتماء الجزائر العثمانية للأمة الاسلامية ودليل على التعلق الروحي للجزائر بالبقاع المقدسة.

ويعود أقدم دفتر يتعلق بإرسال هذه الصرة في أرشيف المحكمة الشرعية بالجزائر إلى عام (1132هـ/1720م)، وتمثل المصدر الأساس لتلك الأموال في الأوقاف التي كان يوقفها أهل الجزائر

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص2012.

[2] مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان: **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م**، في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، العراق، مج 05، ع 16، 2013م، ص 419.

[3] وافية نفطي: **الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن19م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة1، السنة الجامعية 2016-2017م، ص308.

على أهالي المدينتين الشريفتين ، وكانت كثيرة في العهد العثماني، إذ قدرت نسبتها بأكثر من الثلثين من مجمل الأوقاف (73٪)[1].

ولم تكن عقود الوقف التي يبرمها الجزائريون إلى أهالي الحجاز تشير إلى أية طريقة تقسّم بها عوائد تلك الأوقاف، فكان المبلغ الذي تمثله الصّرة، يقسّم بين أهالي المدينة المنورة ومكة المكرمة في ضوء تلك النسبة، وتوزع على قائمتين تتضمنان أسماء المستحقين، قائمة خاصة بمكة المكرمة، وقائمة خاصة بالمدينة المنورة، وتبدأ قائمة مكة المكرمة بشريف مكة المكرمة ثم أئمة المالكية ثم أئمة الشافعية، وبعدهم تأتي أسماء المستحقين الباقين، آغوات الحرم، وشيخ الحرمين، وأئمة الحنفية، وأئمة الحنابلة[2]، إضافة إلى خدمة العلم والثقافة وخدمة المساجد وتوفير الأطعمة والمأوى للفقراء، أما قائمة المدينة المنورة فكانت تبدأ بشيخ الحرم النبوي وخدمته، وبعده أمير المدينة المنورة، ثم قاضي المدينة المنورة، وبعدهم تأتي أسماء باقي المستحقين[3].

لقد كانت قيمة "الصرة" المرسلة الى مكة والمدينة تشّكل ثروة معتبرة في تلك الفترة، حيث بلغت قيمة الصرة في عهد الداي عمر باشا حوالي 24000 محبوب سلطاني، والذي كلّف البيت مالجي مُحَّد شاوش سيرز لي بنقلها في سنة 1230هـ/ 1815م، فهذه القيمة المالية الكبيرة تدل على الاهتمام الكبير من طرف الجزائريين بالبقاع المقدسة، كما أنها أضفت طابع الشرعية والقوة المعنوية بحكم البايلك بها أنها تجسّد قبوله من طرف السكان.

3- أهمية الصرة في تأمين ركب الحج:

[1] خليفة حماش: **صرة الحرمين الشريفين الجزائرية أحد مظاهر إدارة المال العام وانتقاله بين الجزائر والجزيرة العربية في العهد العثماني**، نسخة الكترونية بمناسبة عيد الطالب 19ماي 2021م، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة، ص04.

[2] نفسه: ص07.

[3] خليفة حماش: صرة الحرمين، المرجع السابق، ص09.

لقد ساهمت الصرة السلطانية في تكملة العجز الذي كانت تعاني منه منطقة الحجاز التي تقع في أرض جافة جدباء[1]، فالواقع الاقتصادي في مكة المكرمة يتطابق مع ما ورد في الآية القرآنية مصدقا في لقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[2].

لقد بينت هذه الآية الكريمة بأن بلاد الحجاز كانت منطقة عقيمة لا تقوم على إنتاج زراعي ولا صناعي، وإنما يجلب إليها من كل الثمرات، فهي إذا تحتاج إلى ضخ أموال الصّرر لفتح أبواب التعامل التجاري، ولحماية المجتمع من الأزمات الاقتصادية، التي إن حدثت فتكون سببا في اضطرابات اجتماعية خطيرة يتعرض لها الموسم والسكان والواردون، مما قد يؤدي إلى مشاكل لا تحمد عقباها[3].

وبالإضافة إلى ما أشرنا إليه من نقص الموارد الطبيعية، فقد كان هناك نقص وجود منافذ للعمل وطلب الرزق في تلك الحقب[4]. ولهذا فقد كانت الصرة العثمانية تسد نفقات المعاش لأهل مكة من العام إلى العام[5].

فالصرر الواردة، تمثل جانبا مهما من الميزانية، التي تحرك الاقتصاد في مجتمع المدينتين المقدستين، وتستجيب لما يتطلبه هذا التجمع، فتشمل حكام البلاد وأهلها، والواردين عليهم من الحجيج، والزوار، والمعتمرين، والمجاورين. ففي موسم الحج تتزايد الطلبات والحاجيات، بتزايد عدد الواردين الذين لم يكونوا جميعا ذوي إمكانيات مالية كافية، ففيهم الأغنياء ذو القدرة والاستطاعة، كما كان فيهم

---

[1] مُحَمَّد علي فهيم بيومي: **المخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من 923-1220هـ/ 1517-1805م**، اشراف: مصطفي ممد رمضان، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر، 1419هـ/1999م، ص 28.

[2] سورة إبراهيم: **الآية 37**.

[3] لمياء احمد عبد الله شافعي: **الصرة العثمانية الموجهة إلى مكة المكرمة 791-974هـ/1389-1566م**، في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع54، مصر، 1433هـ،ص ص 415-416.

[4] مُحَمَّد علي فهيم بيومي: المخصصات الحرمين، المرجع السابق ، ص 28.

[5] أحمد سباعي: المرجع السابق، ص 395.

الفقراء الذين تدفعهم الأشواق الدينية إلى المغامرة والوصول إلى الحرمين الشريفين، اعتمادا على التعاون الإسلامي من الصدقات الخاصة، أو من الصرر التي لم تكن مخصّصة لأهل مكة فقط، وإنما كان جانب منها يخصص ويصرف إلى الواردين من الحجيج والمعتمرين والمجاورين[1].

فالصرة إذن كانت تهدف إلى إيصال الرسالة السلطانية إلى الحجيج الذين ينتظرون قضاء العيد في منى، بعد أن أتموا أداء الركن من الحج، وهو الوقوف بعرفة، لأن السلطان آنذاك كان يرغب في مشاركة فرحة العيد مع جميع مسلمي العالم[2].

كما ساعدت الصرة السلطانية على استقرار الحياة الاقتصادية هناك، مما وفر لحكام البلاد وأهلها وخاصة الواردين عليهم من الحجيج، ففتح بذلك مناخا من الهدوء والسكينة، بحيث ساعدهم على الاتجاه نحو التعليم والعلم طالما أن النفقات التي يحتاج إليها الحجازيون من الإدارة والأهالي في متناول أيديهم في كل موسم للحج من كل عام، وهو ما كان له أثره البارز على الحياة العلمية، ليس على أبناء الحجاز وحسب، بل على أبناء العالم الإسلامي الذين جاوروا الحرمين الشريفين، ونزلوا مدن الحجاز وتولوا التدريس في معاهدها العلمية المختلفة، وحصلوا جراء ذلك على رواتب مالية وعينية تغنيهم عن الحاجة أو العمل الشاق الذي يشغلهم عن التعلم، ويساعدهم على الاستقرار في الحجاز أطول فترة ممكنة[3].

بالإضافة إلى ذلك، ساهمت الصرة السلطانية في دفع مرتبات الموظفين المصريين في الحجاز، ومرتبات ومؤن الحامية العثمانية الموجودة بالحجاز، بالإضافة إلى مخصّصات الفقراء والمجاورين[4]، وتوزيعها على الأيتام والمتقاعدين والمجاورين والفراشين وموظفي المساجد من المؤذنين والأئمة والعلماء

---

[1] لمياء أحمد عبد الله شافعي: المرجع السابق، ص 415.

[2] يوسف جاغلار، صالح كولبن: **المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين**، تر: حازم سعيد منتصر و أحمد كمال، دار النيل للطباعة والنشر، دط، القاهرة، 2015م، ص ص 09-10.

[3] محمَّد على فيهم بيومي: دور مصر في الحياة العلمية...، المرجع السابق، ص ص 85-86.

[4] سعد بدير الحلواني: **العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن 19م**، دار الكتب المصرية، ط2، مصر، 1995م، ص 310.

وطلاب العلم في المدارس والأربطة هذا، بالإضافة إلى الصرف على التكايا، كما خصّص عدد من الواقفين إضافة إلى أموال بعض السلع العينية كالزيت والقناديل وغيرها للحرمين أيضا [1].

كما أسهمت الصرة السلطانية في الصرف على شؤون جديدة، مثل تغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم؛ فضلا على ترتيب مخصّصات للأطباء في مكة والمدينة، لرعاية مصالح الأهالي والطلاب لقاء أجر محدد من أموال الصرة الشريفة [2].

ويذكر أحد الباحثين:" أن من منافع الصرة السلطانية أنها منعت قطاع الطرق من التعرض لقوافل الحجيج، وذلك حينما كانت تنفق الأموال على قطاع الطرق على طول طريق قوافل الحجيج، وهذا ما كان كفيلا بتحقيق أمن وسلامة و مرور قوافل الحجيج عدة قرون"[3].

وكان العربان ينتظرون قوافل الحجيج التي كانت تمثل المنبع الاقتصادي المنعش لها، بحيث توفر لهم معيشتهم السنوية، وفي مقابل ذلك يوفرون الأمن والماء وبعض المواد الغذائية للحجاج، وكذلك توفير الإبل التي كانت وسيلة نقل للحجاج وبضائعهم[4]، وهذا ما أكسب الدولة العثمانية خبرة في التعامل مع العربان طول فترة الحكم العثماني.

ثالثا: العلماء ودورهم في التواصل

تعدّدت دوافع وأسباب العلماء للمجاورة بمكة والمدينة، ولعل من أبرزها:

---

[1] حسام مُحَمَّد عبد المعطي: **العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1999م، ص ص 270-271 .

[2] مُحَمَّد على فيهم بيومي: دور مصر في الحياة العلمية...، المرجع السابق ، ص ص 97-98.

[3] يوسف جاغلار وصالح كولن : المرجع السابق، ص 15.

[4] سهيل صابان: مخصّصات القبائل العربية ...، المرجع السابق، ص ص 2-3.

الدافع الديني، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1].

وقال النبي ﷺ، ذات يوم مخاطباً مكة: ((واللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إلى اللَّهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ؛ ما خَرَجْتُ))[2].

وفي الحقيقة، فإن هذا الدافع والمتمثل في العبادة يكاد يكون مشتركاً في جميع من جاور بمكة، وهذا لا ينافي وجود دوافع أخرى، لكن لا تتمخض تلك الدوافع دون الدافع الديني، لأن حب مكة ومكانتها الدينية مستقر في نفوس المسلمين، وقد يساعده دافع آخر اجتماعي أو اقتصادي أو علمي..، لكن يبقى هذا أهم أغراض المجاورة، فمن يأتي لمكة والمدن للتعبد، يتعلق قلبه ووجدانه بالحرم والمشاعر والمسجد الحرام والنبوي، وما يدار فيه من حلقات العلم، فيتعرف على علوم جديدة، وعبادات كثيرة من طواف واعتكاف وغيرها، لم يكن ليحصلها في بلاده، فيتحرك قلبه للمقام بهذا البلد الطاهر.

ومن الدوافع الدينية التي أثرت في بقاء العلماء الحجاج طلباً للجوار بمكة ما جاشت به نفس الواحد منهم من معاني إيمانية ذاقها في خلال رحلة الحج، فأثر تمضية ما بقي له من عمر بجوار البيت العتيق، كان له دورا في إثراء الحياة العلمية هناك، كما حافظت المدينة المنورة على مركزها العلمي والحضاري، والشاهد على ذلك تلك الظروف السيئة التي شهدت فيه الأمة العربية والإسلامية وصف عبد الله العثيمين هذا الدور الذي أدته بيئة المدينة، وخصوصًا تأثيرها في طلاب العلم الذين يرحلون إليها ويأخذون عن علمائها، حيث يقول: "وكانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، كان بعض هؤلاء يأتي إليها فيستقربها. وكان بعضهم يأتي إليها فيستقيم

[1] سورة البقرة: الآية 125.

[2] الامام ابن باز: **باب تفضيل مكة عن سائر البلاد،** الحديث 1926.

فيها فترة ثم يغادرها إلى وطنه، وقد ضمت في تلك الفترة بالذات علماء درس عليهم وتأثر بهم عدد ممن أصبحت لهم أدوار مهمة في بلدانهم خلال ذلك القرن"[1].

وبهذا حظيت مناطق الحجاز بمكانة خاصة عند الجزائريين، منذ ذلك الحين والعكس وسواء كانوا من الأهالي أو الحكام، بفضل رحلات الحج التي كانت تنطلق من مناطق الجزائر إلى الحجاز، وكما تبع ذلك اهتمام الحجاز وعلمائها بالجزائر، فأثر ذلك في توطيد الصلات فيما بينهم[2] .

أ) علماء الجزائر ودورهم:

يبدو أن أغلب علماء الجزائر الذين رحلوا إلى بلاد الحجاز كانوا ممن غلبهم الشوق إلى مكة والمدينة، وكانت معهم أموالهم التي تكفيهم مؤونة الحياة، وبالتالي التفرغ الكامل للإسهام في تنشيط الحياة العلمية هناك.

ومن هنا، قام الجزائريون بالتعليم في مؤسّسات العلم الأولية، مثل الكتاتيب. ومن أهم تلك الكتاتيب، مكاتب تحفيظ القرآن الكريم في مؤخر المسجد النبوي الشريف.

- الشيخ مُحَّد البليدي (ت. 1176هـ/1762م):

ومن بين الجزائريين الذين كان لهم الفضل في منح الإجازات في المدينة المنورة الشيخ البليدي، الذي منح إجازة لتلميذه في كتاب شرح التهذيب في المنطق[3]. وهناك عادات قد سرت عند إعطاء الإجازة من العلماء هناك، وهي تبادل الإجازات على سبيل المجاملة، ويطلب الإجازة فيحصل عليها ثم يعطي لمجيزه إجازة، كما أن بعض العلماء حين يعطي الإجازة كان يشترط شرطا أخلاقيا ودينيا هو: "وأرجو ألا ينساني من صالح الدعاء"، ويضاف إلى ذلك شرطا آخر لكنه علمي، يقول الشيخ البليدي عن تلميذه حينما أجازه بجميع ما قرأه من موطأ مالك و جميع رسالة

[1] عبد الله الصالح العثيمين: **الشيخ مُحَّد بن عبدالوهاب- حياته وفكره**، دار العلوم، دط، الرياض، 1986م، ص ص31-32.
[2] إسماعيل حقي جارشلي: المصدر السابق، ص73.
[3] مُحَّد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص489.

أبي زيد القيرواني، و مختصر خليل من شرح الشيخ الخرشي، وجوامع العلوم ...ثم يقول: "وأشرط عليه التحري جدا في النقل، ولا يجعل العلم متبحرا، وأشرط عليه أيضا ألا يتعاطى إفتاء بوجه من الوجوه[1]."

- مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الله الزواوي (ت.1201هـ/1796م):

من المحدثين الجزائريين في الحجاز، زواوي الأصل، المدني، المالكي، انتفع به أهل المدينة العام منهم والخاص، ومولده بها، وصار عالم المدينة في الحديث كما يقول الشيخ البيطار: "و صار عَلَمُ المدينة ومنارها وشمس تلك الأقطار ونهارها"، أخذ الحديث عن السيد شاكر العقاد المكي، فأجازه بجميع ما تجوز له الرواية عن مشايخه الأمجاد وكانت وفاته سنة 1201هـ/1796م، ودفن بالبقيع[2].

- الشيخ مُحَّد الأمير (ت. 1232هـ/1817م):

هو الشيخ مُحَّد بن أحمد عبد القادر السنباوي المالكي، ولد في شهر ذو الحجه سنة 1154هـ/1742م، جزائري الاصل[3] نزل اهله عند سيدي عبد الوهاب ابي التخصيص[4].

وهو من فقهاء الجزائر المولدين بمصر، تلقى العلوم بعد 11 عام من التحاقه بالأزهر، اذ جمع وألف كتاب المجموع في الفقه المالكي وكان عمره لا يتجاوز آنذاك 21 عام، وقد أحدث هذا الكتاب ضجّه في الفقه المالكي في مصر وباقي العالم الاسلامي، وفاق به كل أقرنائه، وحتى شيوخ الأزهر السابقين، تولى شيخ رواق المغاربة بالقاهرة، رحل إلى الحجاز فحج وزار المدينة المنورة، ثم

---

[1] رابح خدوسي : **موسوعة العلماء والادباء الجزائريين**، دار الحضارة للنشر، دط، لجزائر، 2014م، ج1، ص370.

[2] عبد الرزاق البيطار: حلية البشر، المصدر السابق، ص1240.

[3] مُحَّد الأمير : **ضوء الشموع وهو شرح المجموع في الفقه المالكي وبحاشية حجازي العدوي**، تح مُحَّد محمود ولد مُحَّد الأمين المسومي، دار يوسف بن تاشفين و المكتبة الازهرية للتراث، ط1، مصر، 2005م، ص08. ينظر أيضا: مُحَّد الأمير: ثبت، المصدر السابق، ص16.

[4] نفسه ص16.

عاد بعد المجاورة إلى مصر، وتوفي في ذي القعدة 1232هـ/1817م، دفن بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفي، بالقرب من السلطان القيتباي[1].

- ابن عدون (ت. 1223هـ/1808م):

يقول عنه صاحب كتاب "معجم أعلام الجزائر"؛ مانصه: "يوسف بن عدون بن الشيخ حمو والحاج اليزقني، أبو يعقوب شيخ إباضي، مفسر، له اشتغال بالتاريخ، من اوائل المصلحين الكبار في وادي ميزاب في عصره، استخلفه الشيخ عبد العزيز الثميني في مسجد بني يزقن لما أسن وعجز، أقام بالقاهرة أربع سنوات بعد رجوعه من الحج، لقي كبار علماء الأزهر والحرمين الشريفين، تناقش معهم في المسائل العلمية[2]، وأصناف له "شرح الدعائم" و"حاشية على البيضاوي" في التفسير، و"كتاب في سيرة الرسول عليه السلام، و"أرجوزة" في بضعة آلاف بيت في الشريعة وأسرارها،كما له "أرجوزة أخرى في الشريعة والحقيقة وأسرارها تحتوى على"بضعة آلاف بيت في التصوف، ومن الجزائريين القلائل الّذين اشتغلوا بالتأليف في الأراجيز[3].

- الشيخ أحمد بن عمار (ت.1206هـ/1791م):

هو أبو العباس أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار[4]، من أعلام الجزائر العثمانية وآدابها، عاش بمدينة الجزائر في القرن الثاني عشر الهجرى/الثامن عشر ميلادي، وقد أهمل المؤرخون تاريخ ميلاده ووفاته[5]. وهو المدني الأديب الرحالة أحد الشعراء الجزائريين بالحجاز وخطباء المسجد النبوي

---

[1] عبد الرحمان الجبرتي: المصدر السابق، ج4، ص ص 441-443.

[2] عادل نويهض: المرجع السابق، ج1، ص230.

[3] مُحَّد بن رزق طرهوني: **التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا**، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 1426هـ/2005م، ج1، ص374.

[4] مُحَّد بسكر: **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة**، دار كرداده، ط1، الجزائر، 2013م، ج1، ص ص 92-93.

[5] أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1983م، ص64.

الشريف، مفتي على مذهب الإمام مالك بها[1]، رحل إلى بلاد الحرمين مرتين فجاور بمكة مدة اثنتا عشرة سنة، وتصدر لرواية الحديث، وكان مجاورته لمكة ابتداء من سنة1166هـ/1753م إلى 1178هـ/1765م، ثمارا عدّة؛ نتج عنها: "رحلته الحجازية"، و"لواء النصر في علماء العصر"، حيث ترجم فيه لأهل العصر مائتي سنة تقريبا، وحاشية علي الخفاجي في شرح الشفاء للقاضي عياض، ورسالة في الطريقة الخلوتية، ورسالة في مسألة وقف.[2]

ومن أبرز تلاميذه بالحرمين السيد عمر بن عبد الكريم بن عبد رب الرسول[3]. ومن الشيوخ الذين لازمهم بالحجاز وأخد عنهم، نذكر منهم على سبيل المثال: أحمد المكي ومُحَّد بن علي، وعمر بن أحمد وحسن بن مُحَّد سعيد، وهو من بيت مشهود له بالعلم والتقدم في مذهب مالك[4]، وحسب تلميذه أبو رأس الناصري أنه توفي بالحرمين الشريفين[5].

– الشيخ أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت. 1199هـ/1785م):

هو أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي، العلامة المحقّق الفهامة المدقق الفقيه الشبه الاصولي، المعقلي المنطقي، تولى مشيخة المغاربة مرتين أو ثلاثة بشهامة وصرامة، قدم لمصر سنة 1154هـ/1741م، حضر مجامع شيوخ مصر كالملوي والشيخ الحنفي و الصعيدي، التقى بالعلماء

[1] مُحَّد بن رمضان شاوش والغوث بن مدان: **الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، أو ارشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**، دار البصائر، د ط، الجزائر، 2002م، مج2، ص ص 115-121.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...مرجع سابق، ج2، ص ص230-231.

[3] **عمر بن عبد الكريم بن عبد رب الرسول (ت 1185- 1247هـ)**: المكي، الشافعي، العلامة المحدّث، مسند مكة المكرمة وعالمها في عصره، أخذ عن مرتضى الزبيدي، وابن عمار وغيرهم .تخرج على يديه كثيرون منهم ، والشيخ عبدالله سراج، والسيد مُحَّد السنوسي، والسيد مُحَّد الحبشي مفتي الشافعية بمكة، وآخرون .توفي رحمه الله بمكة المكرمة. له: ثبت عمر بن عبد رب الرسول، ومناقب الشيخ علي الوناني. ينظر: مُحَّد حبيب الهيلة: **التاريخ والمؤرخون بمكة– من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر(جمع وعرض وتعريف)**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، المملكة العربية السعودية، 1994م، ص411. ينظر أيضا: عبد الله بن عبد الرحمن المعملي: **أعلام الملكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م، ج1، ص ص 118-119.

[4] أبي العباس سيدي أحمد بن عمار: **"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب"**، مطبعة برفنتانة، دط، الجزائر، دس ن، ص51.

[5] أبو راس الناصري: فتح الاله...، المصدر السابق، ص49.

الذين جاوروا بالمدينة المنورة ومكة، حيث جاوروا بالمدينة، من مؤلفاته في هذا الميدان تقييدات وحواش نافعة، مثل: "حاشية على السلم للأخضري"، و"حاشية على رسالة مُحَّد أفندي الكرماني" في علم الكلام في غاية الدقة تدل على رسوخه في علم المنطق والجدل والبيان والمعـقولات، و"شرح على ديباجـة أم البراهين شرح العقيدة المسمـــاة بأم البراهيـن لـلإمام السنوســي"، و"ذيل الفوائد وفرائد الزوائد على كتاب الفوائد والصلات والعوائد"، و:خواصر الآيات والمجربيات التي تلقاها من أفواه الأشياخ"، وكتاب خواطر سورة يس وغير ذلك [1].

- مُحَّد بن علي السنوسي المالكي (ت.1276هـ/1859م):

هو مُحَّد بن علي السنوسي بن العربي، يعرف بالسنوسي الكبير، ولد سنة 1787م في مستغانم بالغرب الجزائري، وهو الشيخ المؤرخ للطريقة السنوسية[2]. رحل من بلاده إلى عدد من المدن الإسلامية طلباً للعلم، دخل مكة فجاور، وأخذ عن علمائها وأجازوه منهم عمر بن عبد رب الرسول العطار المكي، ومُحَّد صالح ريس، وعبد الحفيظ العجيمي، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام فدرس، واستفاد منه محبو العلم، منهم مفتي الحنفية بمكة جمال الحنفي المكي[3]. ومفتي الحنابلة بها مُحَّد بن عبد االله حميد، كما أن جو مكة العبق بالعلم والإيمان مكتبة من التفرغ للتأليف العديد من المصّنفات في الفقه والحديث والتفسير، نذكر منها: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، والمسائل العشرة، المسماة: بغية المقاصد في خلاصة الراصد، موضوعه عشر مسائل فقهية خال فيها النور المشهور مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى، المنهل الروي الرائق في أسانيد العلم وأصول الطرائق،

[1] مُحَّد مخلوف : شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص343، ينظر أيضا: أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعدوني: المرجع السابق، ص446.

[2] ميلود ميسوم: **مُحَّد بن علي السنوسي، منابع علمه ومنهج طريقته،** في مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، مج10، ع02، جامعة الشلف 2018م، ص 135.

[3] فوزية لزغم: المرجع السابق ، ص360

المسلسلات العشر في الأحاديث النبوية، ورسالة مقدمة موطأ للإمام مالك ﷺ، والبدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة ، ونزهة الجنان في أوصاف مفسر القراءات[1].

ب) علماء الحجاز ودورهم:

من أبرز علماء الحجاز الذين أثروا الحياة الثقافية والعلمية في العهد العثماني، وساهموا في توطيد العلاقات والصلات بين الحجاز والجزائر، نذكر:

- الشيخ أحمد بن مُحَمَّد النخلي (ت.1130هـ/1718):

هو أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن علي، الشهير بالنخلي، الصوفي، النقشبندي، المكي، الشافعي، ولد سنة 1044هـ/1634م، بمكة المشرفة، ونشأ بها وقرأ على الشيخ عبد الله بن سعيد باقشير ثم قرأ على الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الحسني الشهير بالمحجوب ثم على شيخ الإسلام مُحَمَّد بن علاء الدين البابلي وسمع عليه صحيح البخاري وأكثر صحيح مسلم والترمذي وأبي داود وجميع السنن الصغرى وجميع سنن أبن ماجة والموطأ وأطرافاً من الجامعين الكبير والصغير للسيوطي ونوادر الأصول للحكيم الترمذي والمصابيح للبغوي، لازم التدريس والإفادة بالمسجد الحرام في العلوم الشرعية وغيرها، توفي بمكة سنة1130هـ/1718م، ودفن بالمعلى رحمه الله[2].

ويذكر أنه عاصر العديد من أمراء الأشراف آل زيد، وهم الشريف زيد، والشريف سعد بن زيد، والشريف أحمد بن زيد، والشريف سعيد بن سعد بن زيد، والشريف عبد الله بن سعيد بن سعد[3].

[1] عبد المنعم القاسمي الحسني: **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي، ط1، الجزائر، 2005م، ص338.

[2] مُحَمَّد خليل بن علي المرادي: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دارحزم، ط3، بيروت، 1408هـ/1988م،ج1، ص171.

[3] نفسه: ص171.

- الشيخ إبراهيم بن مُحَّد سعيد الفتة (ت.1290 هـ/1873 م) :

هو برهان الدين إبراهيم بن مُحَّد سعيد بن مبارك الشهير بالفتّة، فقيه، حنفي، وأديب لغوي حجازي، من أهل القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري، ولد بمكة وبها نشأ ودرس على مشايخ عصره، كالعلامة مُحَّد صالح رئيس، والشيخ عبد الله سراج، والشيخ عمر عبد رب الرسول، ودرس بالمسجد الحرام إلى أن كبر سنه فعجز عن التدريس فكانت الطلبة تذهب إليه في داره[1].

ومن أهم مؤلفاته: "شرح على الآجرومية"، "كشف الحجاب في شرح ملحة الأعراب" و"حاشية ضياء الأبصار على منسك الدر المختار"، و"كراسة في الأهلة"، "الخريدة والدرة النضيدة" وهو أرجوزة في 17 ورقة، أولها "حمدا للبارئ، وذي البقاء والقدم، مخرجنا من العدم". وتولى القضاء بمكة سنة 1283هـ/1867م، توفي بمكة.

وعاصر بذلك عهد الشريف غالب بن مساعد والشريف يحيى بن سرور والشريف عبد المطلب بن غالب[2].

- الشيخ بن عبد الله عبد الرحمن سراج (ت.1264هـ/1848م):

هو عبد الله بن عبد الرحمن سراج، الحنفي المكي، ولد بمكة المشرفة 1200هـ/ 1786م، ونشأ بها وأخذ عن المشايخ الأعلام، كالعلامة الشيخ عبد الملك القلعي، والشيخ عبد الحفيظ عجمي، والشيخ عمر عبد رب الرسول، ثم تصدر للتدريس بالمسجد الحرام وأخذ عنه وانتفع به وبعلومه كثير من الأنام، وألّف رسائل مفيدة، وتقلد قضاء جدة قبل أن يصير شيخاً على العلماء سنة 1233هـ/1818م. وله قصائد شعرية جيدة، منها ما هو بمدح الشريف يحي بن سرور أمير مكة،

---

[1] عبد السلام مرداد أبو الخير: **المختصر من كتاب نشر النور والزهور في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، تر وتح: مُحَّد سعيد العامودي وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط2، جدة، 1406هـ/1986م، ص ص51-52.

[2] عبد السلام مرداد أبو الخير، المصدر السابق، ص 52

مهنئاً له بوصول نجليه الشريف شرف، والشريف منصور من طيبة. الذي ولد في زمن إمارة الشريف سرور بن مساعد، وعاصر بذلك العديد من أمراء الأشراف[1].

رابعا: الحلقات والجهود العلمية للعلماء في المسجد الحرام والنبوي:

كان لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني جهود مضنية في دعم التواصل العلمي بين الجزائر والمشرق لا سيما الحجاز، "فقد كانوا يتبادلون ألوان العلوم والفنون ويجددون الأواصر المتينة التي في جناحي العروبة والإسلام"[2].

وزاد الاهتمام بالعلماء وطلبة العلم، ونشطت الحركة العلمية في المسجد الحرام في العصر العثماني، مما جعل الكثير من طلاب العلم الجزائريين يوفدون إليه بكثرة. فقد كانت أروقة المسجد الحرام مقرًا لحلقات الدروس في شتي العلوم[3]، فهو من المؤسّسات العلمية التي أدّت دورًا كبيرًا في الحياة العلمية.

وكان بالمسجد الحرام نظامًا قائمًا على التدريس، يضعه شيخ العلماء من قبل السلطة الحاكمة، ويتولى هذا الشيخ إدارة التدريس في المسجد الحرام وكان من مهامه منع ومحاسبة من يخالف النظام بالتدريس بالحرم دون إذن، كما كان من مهامه أيضًا السماح بقبول المرشحين الجدد للتدريس بالحرم وتعينهم، كما كان يعمل على توزيع العوائد على العلماء وإدارة إيرادات المسجد، ويقوم بتمثيل رجالات العلم في المحافل العلمية وغيرها، مثل استصدار الفتاوى الخاصة. وكان يفضل لهذا المنصب

---

[1] نفس: ص 297.

[2] مصطفى سعدي، **علماؤنا والتبادل الفكري بين المغرب والمشرق**، في مجلة دعوة الحق، ع35، المغرب، د ت ن.

[3] توضّح المصادر ما يدور في هذه الحلقات من علوم دينية مختلفة، أهمها الفقه علي المذاهب الأربعة، وعلم القراءات، وقراءة القرآن وتفسيره وحفظة، والأحاديث النبوية، والتصوف، والعلوم اللغوية ،كالنحو والصرف، وعلم القوافي، وتعليم المناسك كالحج والعمرة. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سلمان: **الحرم الشريف– الجامع والجامعة**، نادي مكة الثقافي الأدبي، د.ط، مكة المكرمة، 1417هـ، ص56.

مفتي الشافعية، ويمثل البلاد أيضًا في علاقاته الخارجية، خاصة مع حكام أيالات الدولة العثمانية، وكان لشيخ العلماء السلطة المطلقة في الأمور[1].

وقد أعطى شيخ العلماء الثقة لمدرسين الحرم، فقد يغيب المدرس إذا كان لديه عمل آخر لمدة تصل إلى شهور، ومن الممكن أن يغيب لأسباب خاصة، ولا يبلغ غيابه لشيخ العلماء إلا نادرًا، نظرًا لأن معظم مدرسين الحرم يدرسون لوجه الله تعالى دون أجر[2].

وكانت الحلقات العلمية في الحرم مفتوحة لكل طالب، فلا يوجد تسجيل في دفتر للحاضرين ولا الغائبين، وكان يحضر الدروس العلمية جميع الأعمار صغار أم كبار[3]. ومن ثم أصبح المسجد الحرام ملتقى العلم والعلماء والطلاب، بالإضافة إلى أماكن أخرى كانت تؤدي دور المؤسّسات التعليمية وأثرت في الحركة التعليمية في مكة المكرمة[4].

---

[1] سنوك هورخونية: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، تر:مُحَّد محمود السرياني-معراج نواب مرزا، نقله الى العربية: علي عودة الشيوخ، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1419هـ، ج2، ص ص 493-494.

[2] يمكن تصنيف مدرسي المسجد الحرام في ذلك الوقت إلى أربعة أنواع : 1- المدرسون الملازمون: وهو الذي يعينهم شيخ العلماء بدون مرتب، لعدم وجود شواغر بين أصحاب المرتبات من قبل الحكومة، ويدرسون في الأوقات غير الرسمية للدرسة في المسجد الحرام. 2- المدرسون الرسميون: وهم الذين يقوم تعينهم شيخ العلماء ويقومون بالتدريس في المسجد الحرام في الأوقات الرسمية للتدريس بمقابل مادي يقره له الحكومة. 3- الطلاب المتقدمين علميًا: وهم الذين يذكون من قبل أساتذتهم، ويقومون بتدريس الطلاب المبتدئين في الأوقات غير الرسمية للدراسة في المسجد. 4-المدرسون الموسميون: وهم الذين يعقدون حلقاتهم للوعظ والإرشاد في موسم الحج في مقابل حصولهم على هدايا من الحجاج. ينظر: حسن بن مُحَّد بن حسن شعيب: **الدور التربوي لحلقات العلم بالمسجد الحرام في عهد الملك عبد العزيز**، رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1428هـ- 1429هـ، ص ص67، 68.

[3] وكانت أعمار الدارسين ما بين 16 و40 عام عادة، ومع ذلك كان الطلاب الذين يعيشون في مكة كانت رغبتهم قليلة في التعليم مقارنة بطلاب العلم من خارج مكة، وتكاد تقوي هذه الرغبة داخليًا في أولاد العلماء المكيين، فقد ذكر أن طلاب العلم بحلقات المسجد الحرام في العهد العثماني معظمها من الطلاب الوافدين من الخارج. ينظر: مُحَّد لبيب البنتوني: **الرحلة الحجازية**، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، 1415هـ، ص134.

[4] طرفة عبد العزيز العبيكان: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة**، مكتبة الملك الوطنية، الرياض، 1416هـ/1966م، ص ص 59-60.

وقد ساهم العلماء في نقل المؤلفات والمصنّفات في فروع العلوم الإسلامية في أقطار المشرق والمغرب العربيين، ومن بين هذه الفروع: العلوم النقلية ؛كعلم الحديث والذي اهتم به الكثير من علماء الجزائر، كما اهتم علماء الجزائر بالبحث والدارسة في كتاب صحيح البخاري، فكان يدرس في المساجد ومجالس وحلقات العلم بين كبار العلماء، سواء في الجزائر وغيرها من المناطق الأخرى في بلاد المشرق العربي، مما يؤكّد ذلك اهتمامهم بالدارسة في معاهد التعليم ومجاورة كبار العلماء والاستماع والاطلاع إلى رؤيتهم في مصر وبلاد الحرمين الشريفين.

ومن أهم العلماء الجزائريين الذين اسهموا في اثراء الحياة العلمية والتواصل العلمي، نجد العالم والرحالة "أحمد المقّري"، والذي كان مشهورًا باهتمامه بعلم الحديث والسنة النبوية، فنال كثيرًا من مجهودات علماء المغرب والمشرق، فوفد على المدينة المنورة سبع مرات[1].

كما اهتم "الشيخ أحمد ابن عمار الجزائري" بالرحلات الحجازية، واهتم أيضا بالبحث والدراسة في السند وبعقد مجالس وحلقات العلم، واهتم في التواصل الفكري بين الحجاز والجزائر، وخاصةً في تلك الفترة عرفت فيها منطقة الحرمين اهتمامًا كبيرًا بعلم الحديث والسند في أوج بداية ظهور الحركة الوهابية[2].

كما أورد "أبو راس الناصري" عن العالم "أحمد بن عمار" ما نصّه: " أنه درس واهتم بعلم الحديث والأدب، وأنه رحل إلى الحرمين الشرفين، بعدما أخرج المسائل الفقهية والأسانيد في الجزائر، لينشرها بعد ذلك في مناطق الحرمين الشرفين"[3].

---

[1] مُحَمَّد المحبي: المصدر السابق، ج1، ص350.

[2] **الحركة الوهابية:** هي دعوة إصلاحية قامت في شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، على يد مُحَمَّد بن عبد الوهاب (1703-1792م) تنقية عقائد المسلمين من الشركيات والبدع والعقائد الباطلة والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام. ينظر: اليكسي فاسيلييف: **تاريخ العربية السعودية**، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1995م، ص 87. سوف نتطرق لها أكثر في الفصل الأخير.

[3] أبو راس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق، ص48.

واللافت للانتباه أن ابن عمار، الذي ترجم لعلماء عصره، في كتابه المفقود "لواء النّص في فضلاء العصر"، نجده لم يعرّج ولو بالتلميح لذكر ترجمة لحياته، لذا تضاربت الأقوال من حول حياته ومساره العلمي، كما أنّ رحلته التي كنا ننتظر أن نجد فيها حديثا عن مساره، وهو يقصد بيت الله الحرام لم نعثر فيها على شيء من ذلك.

إلى جانب هذا، نجد زميله الرحالة الحسين الورثيلاني، إذ برحلته هي الأخرى يضيع منها الجزء الهام، ولم يبق منها سوى القليل، ولم نعثر عن معلومات سوى عن تكهنات تخبر أنها ربما توجد الرحلة كاملة في أرض الحجاز التي كان موجودا بها في حدود سنة 1172هـ/1758م.

وبفضل انتشار المجالس والحلقات العلمية في تلك الفترة حصل العلماء الجزائريون على إجازات علمية من كبار علماء منطقة الحجاز في مكة المكرمة والمدنية، فقد أخذ أبو راس الإجازات من العالم "الشيخ غمارة العلاف"، و"الشيخ عبد المالك الحنفي"[1].

وقد أشار الرحالة أبو راس الناصري حينما دخل بلاد الحجاز بداية من مدينة "ينبوع البحر باعتبارها مأوى الغريب والإيلاف، إلى الشيخ عمارة العلاف، الذي عدّه من أعظم من لقـي قدرا، وأرفعهم خطرا، وأشرفهم ذكرا، أحد الأئمة الأكابر، فارس المنابر، إمام الأئمة و قدوة الأمة، فالأعناق منشالة إليه، سامعون لأمره، متبركون به، معترفون بفضله، متصرفون عن قولـه وفعله، يردون من إحسانه مناهل الكرم، ومن فضله مواقع الديم، علمه أوضح من منار على علم، أنحلته العبادة، وأكلته الزهادة، فلم يبق منه إلا رسوم على سجادة، ومع ذلك فهو اصبر خلق الله على الحاح السائلين، واختلاف القاصدين، تكفل بحوائج الأغنياء والفقراء، والأمراء والوزراء". رويت عنه بعض "صحيح البخاري"، وأجازني بالباقي، نجاني الله وإياه يوم التلاقي[2].

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق: ص 118.

[2] نفسه، ص118.

كما يتطرق أبوراس الناصري بالتصوير لطريقه التي سلكها في ثنايا كتابته رحلته بقوله: " ثم رحلت الى "أم القرى"، ذات المكارم والعُلى والعُرى، التي لا بغيرها تقاس، لأنها "أول بيت وضع للناس"، فاجتمعت بعلمائها وفقهائها: كالعلامة الدارك، السيد عبد المالك، الحنفي المفتي الشامي القلعي حسبما هو في إجازته لي. وكنت قرأت عليه نبذة من الحديث، ونبذة من "الكنز" وشيئا من التفسير في سورة " النور"، وأجازني بالباقي، وكذا مفتي الشافعية بها: شيخنا السيد عبد الغني، وقد طالت مجالستي وبحثي مع مفتي المالكية: الفقيه السيد الحسين المغربي، وغير ذلك، مما ضمه مسجد مكة المشرفة، مأوى الرائح والغادي الذي قال فيه: سواء العاكف فيه والبادي، والقبة العظمى للإسلام، ومبدأ الوحي من الملك العلام، ومنها كان الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام، الحرم الأمين"[1].

ومن الشيوخ الذين أجازوا أبو راس الناصري بالحجاز الشيخ عبد الرحمن التادلي أصلا وجارا، المكي منشأ ودارا، ووفاة وإقبارا، وكانت لأبي راس إجازات بمكة المكرمة، وقد قرأ عليه كتاب بن عباد شارح الحكم وختمه بمكة المشرفة تحت ميزاب الرحمة في الحجر[2].

ويذكر أبوراس الناصري "أنه قد اجتمع بالشيخ الكبير الصوفي الشهير العلامة. العامل القدوة الحجة الفهامة الجامع بين العلم والعمل، مجمعا على فضله ودينه، أستاذا ممتعا، ذا تحقيق، ثاقب الذهن أحيد البحث، مشاركا في الفنون، فاضلا صحيح النقل، كامل العقل: شيخا السيد عبد الرحمن التادلي المغربي، له الباع الواسع في طريق القوم واللغة، ذو فضل وتخلق، وتواضع، وحسن خلق، وجميل عشرة، أخذ عن الشيخ السمان، وغيره، وجاور بالحرمين الشريفين حتى توفي. حيث قرأ عليه شرح العارف بالله ابن عباد على " الحكم" بمكة المشرفة سنة خمس ومائتين وألف وختمه معه في الحِجر تحت "ميزاب الرحمة"، قراءة وتحقيق وتدقيق، رحمه الله، ولما ذهب أبوراس الناصري للحج سنة

[1] باعلي حفناوي: المرجع السابق، ص ص 449-450. أيضا: أبو راس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق ص 117. أيضا: أبو راس الناصري: عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص 17.

[2] نفسه: ص 63.

ست وعشرين التقى بعلماء الوهابية (وهم تسعة علماء أكبر جماهير وأفضلهم الشيخ علي تاسعهم)"[1].

وكان له معهم مناظرات ومباحثا واعتراضات، وتساؤلات، وأجوبة فائقات ودلائل قاطعات، وأحاديث مروية عن كبار الأئمة من الأمهات.

وقد كان ظنه فيهم أنهم حنابلة المذهب، ففاوضهم في "قصر الصلاة"، فقال: إن الإمام أحمد بن حنبل عنده نية إقامة أربعة أيام صحاح تقطع حكم السفر، فقالوا: عندنا " القصر" لا ينقطع مادام السنة، فعملت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع. وأما في العقائد فهم على ما عليه الإمام أحمد. ألا ترى أن الحافظ الذهبي، والمزني، والبرزلي شافعية من الفروع، حنابلة في المعتقد، خلاف شيخهم ابن تيمية فإنه حنفي الفروع والاعتقاد"[2].

ويذكر أنه التقي بالمدينة المنورة من الشيوخ العلماء عصمان الشامي، والشيخ عبد الغني مفتي الشافعية بمكة المكرمة، الذي وصفه أبو راس "على أنه كان على قدر عظيم علما وورعا ونزاهة..."[3]. والتقى بالشيخ عبد المالك الشامي، ثم القلعي مفتي الحنفية بمكة المكرمة، الناشئ بين طيبة ومنى وعرفة، والشيخ المفتي الحنبلي بمكة، والشيخ الحسين المغربي، الذي كان لكل غريب ناصحا، فقد استفاد منه طرفا صالحا من العلوم والفقه[4].

ومن العلماء المجاورين لمكة الشيخ عبد القادر السنوسي بن دحو، والذي نال حظا وافرا منه النحو والفقه وقرأ عليه "الألفية" قراءة بينة، وأجازه[5].

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق، ص 118.

[2] نفسه: ص ص 119-120.

[3] أبو راس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق، ص 63.

[4] بن طوير الجنة: **رحلة المنى والمنة**، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2013م، ص 112.

[5] أبوراس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق، ص 65.

إن المتتبع لحركية النشاط الفكري والثقافي ببلاد الحجاز، يجد أن مرد ذلك يعود بالأساس إلى اهتمام العلماء بالعلم فقد كانوا صمام أمانها وحراكها، وهذا من خلال مؤلفاتهم التي تناولت مختلف العلوم، مما زاد من ذلك النشاط الفكري، ولا حاجة لنا أن نؤكّد على الدور الذي لعبته الحلقات العلميّة والمناظرات في الحرمين الشريفين خلال مواسم الحج كانت مستمرة لا تنقطع، وهذا ليس بجديد على هذه الفترة، بل كان قديما منذ أن كان النبي صلى الله عليه و سلم فيها معلما، وتألّق الحرمين الشريفين في حلقاتهما العلمية بروّاد هذه الحركة، وتباين معارفهم لم يكن من خلال من تحلقوا فيها من أشهر الدارسين والمدرسين، والقارئين والمقرئين، أو السامعين والمسمعين، بل كان أيضا من خلال توفير الكتب ونسخها، وبخاصة في وقت لم تعرف فيه المطابع آنذاك، ولولا عمليّة النسخ ما حفظت الكتب ولا بقيت حتى يومنا هذا، ولا خرجت إلى روّاد هذه الحركة محققة، مقارنة بأصله.

ولعل نشاط هؤلاء بلا شك قد أسهم في ازدهار هذه الحركة، مع أن المصادر قد أغلفت تواجدهم بأهم المراكز العلمية بمكة، كالأربطة والمدارس، إلا أننا لا نستبعد وجودهم فيها، حيث توفرت فيها الكتب[1].

ومن بين تلك الكتب التي كانت متبادلة بين المغاربة والحجازيين، مسند أبي حنيفة النعمان، ومسند الإمام الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، وكتب الطريقة المحمدية، والمختصر من الإحياء، ومختصر المذاهب الأربعة، وكتاب تأليف الدرر في الفقه الحنبلي[2].

وكان للتاريخ نصيبا في تدويل كتبه، فقد أشار الرحالة أبو القاسم الزياني المغربي إلى طبيعة الكتب التي كانت متداولة في تلك الفترة، ومن بينها تاريخ الكرماني، وكتاب تاريخ النووي، وتاريخ الخلفاء، وكتاب الورقات، وكتاب المقريزي، وكتاب بحر الأنساب، وغيرها من كتب التاريخ[3].

---

[1] ابن طوير الجنة: المصدر السابق، ص 99.

[2] أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص ص 126-127.

[3] نفسه: ص 194.

وكانت هذه الحلقات تتأرجح زيادة، أو كثرة تبعا لشهرة الشيخ القائم على الــدرس، ولاسيما كبار العلماء المشهورين بنبوغهم وذيوع صيتهم، وكثيرا ما كان يدور البحث عنهم والاستدلال عليهم من طلبة العلم، فإذا حجُّوا كانوا متحلّقين في حلقاتهم رغبة في تحصيل معارفهم على أيديهم، وسط الجو الروحي الذي أظلهم بالحرمين الشريفين، إضافة إلى مضاعفة الثّواب من الله تعالى لكل عمل يؤدي فيهما[1].

وهذا ما دوّنه أغلب الرحالة المغاربة في رحلاتهم، من تعدّد المذاهب والعلوم لتحصيل الإجازات العلمية في العلوم الدينية دون غيرها من العلوم الأخرى.

فالواقع الثقافي والعلمي ببلاد الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين/ الثامن والتاسع عشر ملاديين، قد شهد حركة علمية واسعة، نتيجة لذلك الاحتكاك أثناء مواسم الحــج والعمرة.

خامسا: دور علماء الجزائر في التواصل مع الحجاز

أ) الرحلات الحجازية لعلماء الجزائر:

في ظل وجود المراكز العلمية والدينية وتطورها في كل من الجزائر ومناطق الحجاز، انتشرت الرحلات الجزائرية للحجاز في العهد العثماني، فتعد كل من هذه الرحلات والمراكز وجهات لعملة واحدة في نقاط التلاقي الجزائري والحجازي في الوقت نفسه.

ومن أهم هذه الرحلات في تلك الفترة، رحلة "الحسين الورثيلاني"، الذي اتخذ طريق شمال إفريقيا للوصول إلى مناطق الحجاز، مرورا بتونس، ثم طرابلس ومصر إلى أن وصل الحجاز في القرن

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 172.

12هـ/18م، وخاصة مكة المكرمة في نهاية الأمر[1]. وكان يرغب في البداية وراء هذه الرحلة السياحة الروية وطلب العلم من المناطق المصرية والحجازية، فضلًا عن سعيه أداء فريضة الحج.

وعلى الرغم من اهتمامه كثيرًا بمصر، لكونه بقى مدة كبيرة، إلا أنه شمل ذلك الاهتمام مناطق الحجاز واستقر بها مده من الزمن، وانتهت رحلته بالعودة إلى وطنة، لينشغل بذلك بالتدريس[2].

كما تُعد رحلة "أبو راس الناصر العسكري"، من أهم الرحلات التي ساهمت في عمليات الاتصال والتواصل الفكري بين الحجاز والجزائر، فاهتم أبو راس بتعلم القرآن الكريم والفقه، ثم بعد ذلك بالتدريس.

وفي الوقت نفسه اهتم بالرحلات الداخلية في الجزائر، ثم الرحلات إلى مناطق الحجاز، حيث قام في حياته برحلتين إلى الحجاز من أجل أداء فريضة الحج، فتكلل من وراء هذه الرحلة توثيق ما حدث بعنوان "فتح الاله ومّنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته" وغيرها، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى له معهم من المراجعة والكلام"[3]. فيذكر أنه على الرغم أن الغرض الأساسي وراء هذه الرحلة أداء فريضة الحج، إلا أنه غلب عليها الطابع العلمي أكثر من الديني[4].

ويذكر أيضا عند دخوله مكة المكرمة ما نصه: "فاجتمعت بعلمائها وفقهائها، كالعلامة الدارك، السيد عبد المالك، وكنت قرأت عليه نبذة من الحديث ونبذة من "الكنز" وشيئًا من التفسير في سورة "النور" وأجازني بالباقي"[5].

[1] صالح بوسليم-عفيفة حوتية: **الرحلات الحجازية والعلمية الجزائرية خلال العهد العثماني وحدود إسهامها في تدوين تاريخ الجزائر الحديث**، في مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع04، جامعة غرداية، جوان 2018م، ص70.

[2] حفناوي بعلي: المرجع السابق، ص ص 398-399.

[3] . عفيفة حوتية وبوسليم صالح: **الرحلات الحجازية والعلمية الجزائرية خلال العهد العثماني وحدود إسهامها في تدوين تاريخ الجزائر الحديث**، في مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد الرابع، جامعة غرداية، جوان 2018، ص ص 64-67.

[4] عبد القادر بكاري: **الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري–رحلة أبو راس الناصري نموذجا–**، في مجلة عصور الجديدة، ع 19-20،جامعة أحمد بن بلة1، وهران، أكتوبر 1436-1437هـ/2015م، ص ص217-218.

[5] أبو راس الناصري: فتح الاله، المصدر السابق، ص 45.

ويُستشف من خلال الرحلات الحجازية التي قام بها بعض العلماء الجزائريون أنها لم تكن بهدف أداء فريضة الحج فحسب، بل شملت حضور العلماء ومجالستهم، وتبادل الأحاديث العلمية بينهم، مما ساهم في عمليات التأثر الثقافي، والتواصل الفكري بين مناطق الحجاز والجزائر.

ولعل المتصفح في تاريخ الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني، وخاصة في الفترة ما بين 1700إلى1825م، يتوصّل إلى أن هذا النوع من الرحلات كان حضورًا بين نشر العلم والاستفادة من جهود العلماء في المشرق، وفي الوقت نفسه لتأدية الفرائض الدينية، والتي تتمثل في أداء فريضة الحج عند المسلمين. لذا كان النشاط العلمي ظاهرة أساسية ومميزة في خطاب الرحلات الحجازية الجزائرية، إذ هي دلالة على التاريخ الثقافي للعالم العربي وسبيل لتمتين الصلات والأواصر العلمية بين المشرق والمغرب العربيين، وتبادل المعارف والعلوم، وقد أسهم اهتمام الرحَّالَة بتسجيل ذلك التبادل العلمي في الكشف عن آليات المثاقفة والدينامية العلمية والتفاعل الثقافي، من خلال مجتمع متحرك يمثله ركب الحج[1].

وتُعد الرحلة بهدف طلب العلم من أحد الخيارات المتاحة أمام الجزائريين لتعويض المصادر الثقافية المتوفرة والتي أفرزتها وجود مصدر وحيد ثقافي للمناطق المغاربية، والذي يتمثل في حضور الحكام العثمانيين وعلمائهم آنذاك، لذلك فقد حرص المجتمع الجزائري وعلمائه على الاهتمام رحلات الحج، والتي كان يتخللها نشاطات علمية، فكثيرًا ما يقترن بعبارات رحلة المشرق والحج الجزائرية بأوصاف "أخذ عن علماء مصر والشام والحرمين"

وفي هذا السياق، تحدّث المؤرخ المرحوم الدكتور "أبو القاسم سعد الله" عن الرحلات الحجازية والعلمية، مبرزا قيمتها العلمية والدينية في نفوس العلماء، للتأكيد بأن الرحلة الحجازية لم تكن لتأدية فريضة الحج فحسب، بل شملت مكونات وعناصر التعلم والتعليم، والتأثر والتأثير الثقافي وتبادلات

[1] سعاد لبصيرة: **التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني**، في مجلة قضايا تاريخية، ع 08، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة، الجزائر، 2017م، ص96.

بين مناطق بلاد المغاربة والجزائر والحجاز، فينظر إلى تلك الرحلات على كونها بمثابة مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي[1].

ويذكر أن الرحلات في القرن 12هـ/18م، عرفت أوج ازدهارها، وكان العلماء الجزائريون يلتقون بكثير من العلماء في مناطق بلاد المشرق العربي؛ بداية من المناطق التونسية مرورًا بليبيا ومصر وصولًا إلى الحجاز، ففي ذلك كانت المعاهد في مناطق الحرمين الشريفين مفتوحة أمام الحجاج، لتمكّن الحجاج والعلماء بالاستفادة من الكتب والمؤلفات، وتبادل الخبرات العلمية، والتي تشمل الرسائل والإجازات، وتشمل أيضًا بعض الفعاليات العلمية بين العلماء الجزائر والحجاز، ويذكر العالم والرحّالَة الورثيلاني: "وفي الرجعة اجتمعنا بهذه البلدة مع علماء الوقت، كالفقيه الأديب سيدي سالم وإخوانه وطلبته، وقد عمر أوقاته بتدريس العلم نحوًا وفقهًا"، وله فهم جيد[2].

أما فيما يخص أشهر العلماء الرحّالَة الذين ساهموا في حدّة التواصل الفكري بين الحجاز والجزائر في القرن18م إلى بدايات القرن19م، نجد على سبيل المثال لا الحصر: "الحاج عبد الرحمن الجنتوري"، الذي ألتقى بفضل رحلاته إلى مناطق الحجاز بكثير من العلماء، تأثر بعلمهم وأثر فيهم، فعند توجيه سؤالًا لذاك العالم من قِبل الرحّالَة "عبد الرحمن التنلاني" عن أحوال العلماء في مناطق المشرق وخاصة في الحرمين، أجاب الجنتوري بقوله: "اختبرت علماء القاهرة والحرمين فلم ألق فيهم من يصل أصبع رجل شيخنا أبي حفص، إلا واحدًا في علم الحديث لقيته بمكة"[3].

ويُعد الحاج "الحسين الورثيلاني" من أهم هؤلاء العلماء المؤثرين في عمليات وحركات التواصل الفكري بين الجزائر والحجاز، فبفضلة عُرف ما يسمى بصاحب الأسفار والرحلات إلى الحجاز في ثلاث مواسم متفرقة وفي ثلاث عقود متتالية، فجاءت الأولى في عام (1153هـ/1741م)، والثانية

[1] أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي مُحَمَّد بن العنابي**، دار الغرب الإسلامي، ط2،بيروت، 1990م، ص36.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص359.

[3] مُحَمَّد باي بالعالم: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**، ط1،دار هومة، الجزائر، 2005م، ج1، ص160.

عام (1168هـ/1755م)، والثالثة (1179هـ/1766م)، فكان القصد من وراء ذلك في الأساس أداء فريضة الحج، ولكن في الوقت نفسه استخدم تلك الرحلات في الصلات العلمية بينه وبين المناطق التي كان يستقر فيها، وفي مقدّمتها مصر والحجاز، فكلما وضع قدمه على أرض الطرق المؤدّية للحجاز أو الحجاز نفسها، كلما يدون ويسجل ما يشاهده أو يعلمه من مشاهدات ووقائع، فأخذت تلك السجلات الأطر التنظيمية في صورة مؤلفات في عام (1182هـ/1768م)[1].

كما تضمنت رحلات الورثيلاني نقل مجهودات العلماء والرحَّالَة لكل من الناصري، والعياشي، والتي احتوت على أوصاف لمختلف الأوضاع العامة، وكذا الصلات التي أقامها الرحالة الجزائريون مع علماء مناطق الحجاز آنذاك.

ويذكر أنه ما دخل قرية أو مدينة حلّ بها ركب الحج، إلا وقد شاع أمره فيها، وصار الطلبة يتجهون إليه في خيمته[2]، فالتقى بكثير من العلماء في مكة المكرمة، ومنهم الشيخ "أكرم بن الشيخ عبد الرحمن". ودعمت رحلة الورثيلاني الكثير من الصلات داخل الوطن وخارجه، نظرًا لكثرة تردده على بلدان ومناطق مختلفة، حيث خرج الورثيلاني لزيارة تونس، وطرابلس ومصر والحجاز، إما للسياحة أو لطلب العلم المتبادل بينه وبين علماء تلك المناطق أو لتأدية فريضة الحج، فجرب من خلال ذلك المسالك والطرق الصعبة والسهلة المؤدية إلى الحجاز، كما اتصل بعلماء مكة والمدينة وحضر مجالسهم وحلقاتهم.

وعلى الرغم من اتصاله بعلماء مصر لمدة طويلة دون غيرها، إلا أنه اتصل أيضًا بعلماء الحجاز، إلى أن دفن في وطنة قرب زاويته ببني ورثيلان. كما قام الورثيلاني منذ دخوله إلى مكة بوصف مناطق الحجاز ومكة التي قال عنها: "فدخلنا مكة... وكأن النفوس في ولمية عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا من منحه الله، بل الأرواح قد تجلى عليها ربها فخرت صعقة مغشية عليها"[3].

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ط 1908م، ص713.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر نفسه، ج3، ط 2011م، ص307.

[3] نفسه: ج2، ص ص 259-260.

ويُستشف من هذا الوصف مدى حب الورثيلاني لمنطقة مكة ومدى تعاظم دوره في تحبيب أهل الجزائر لها، وبالتالي تعظيم أهمية الصلات والرحلة إلى مكة، كما وصف لحظة توديعه ومغادرة النبي مُحَمَّد ﷺ فقال: "وعظم علي أمر التوديع حتى علا صوتي وارتفع وكاد أمري إلى العويل أنوح عليه نياح الثكلى العديمة لولدها وكيف لا وهو أن فراقه أعظم المصائب..."[1].

- **الحاج أبو العباس الصحراوي(ت.1202هـ/1788م)**، من أهم الرحَّالَة وعلماء الجزائر، فعلى الرغم من معرفته باسم المغربي، إلا أنه ينصب أصوله من صحراء الجزائر، في أثناء حجة، جاور الحرمين لمدة سنة، واجتمع بعلماء مكة ومن ضمنهم الشيخ "أبي الحسن السندي" وخلال استقراره في ذات السنة لازم الشيخ أبي الحسن في دروسه وأبحاثه[2].

- **العالم والرحَّالَة أحمد بن عمار (ت. 1206هـ/1791م)**، وهو مفتي إمام المذهب المالكي، الذي ساد في الجزائر، وهو من القلائل المبدعين المتميزين الذين قد أجمعوا في تراثهم الفكري والعلمي بين الأدب والفقه، وذهب إلى مناطق المشرق العربي مرات عديدة، وجاور الحرمين لمدة من الزمن كغيره من العلماء وأقام واستقر بمصر لمدة[3]، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه في أواخر عمره استقر في منطقة الحرمين الشريفين حتى توفي فيها[4].

- **الرحَّالَة والعالم "أبو راس الناصري" (ت.1239هـ/1823م)**، تميز بطرح الأسئلة المثيرة للجدل والتي تؤدي إلى حل الكثير من المسائل الصعبة، فخاض جلسات مع علماء المشرق وخاصة في مصر

---

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر نفسه، ط 2011م، ج3، ص113.

[2] عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ط1998م، ج2، ص257.

[3] أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1983م، ص ص 63-64.

[4] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1140هـ/1981، ق1، ص178.

والحجاز، مما أعجب به عدد من علماء المشرق عندما كان يذهب إلى رحلة الحج، وفي ذلك يقول الناصري: "ذهبت للحج فقامت لي علماء المشرق على ساقٍ"[1].

ب) المناظرات والمحاورات العلمية:

تُعد المناظرات والمحاورات العلمية مرتكزًا في التواصل الفكري بين علماء الجزائر والحجاز، حيث أفرزت الرحلات الحجازية وجود مناظرات بين علماء الجزائر والحجاز، وكان الورثيلاني من أهم العلماء الذين أسهموا في تمتين حركة التواصل الفكري بين الجزائر والحجاز عبر المناظرات، ويذكر أنه خصّص بابًا في مذكرات رحلته ذكر فيه الأئمة الذين لاقهم في الحرم المكي، وقام بمناظرتهم، فضلًا عن ذكره لأحوال المدينة ومكة وأهلها[2].

كما أورد الورثيلاني معلومات عدّة عن أحوال مكة والعلماء الذين التقى بهم في المسجد الحرم والذين جواره، فمن أهم وأبرز العلماء والأئمة الذي التقى بهم: "الشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي المكي الشافعي"، و"مُحَّد عبد الباقي الاسكندري المالكي"، و"الشيخ إدريس أحمد الصعدي"[3]. ويذكر أيضًا أنه اجتمع بالشيخ السمان القريشي المدني، وعقد حلقات علم مع علماء مكة والمدينة المنورة، تخللها مناظرات وتوجيه تساؤلات[4].

كما أورد "الناصري" في رحلاته الحجازية الكثير بعض مناظراته مع علماء الحجاز، حيث يقول: "لما ذهبت للحج سنة ست وعشرين لقيت علماء الوهابية- وهم تسعة علماء أكابر جماهير

---

[1] أبو الراس الناصري: فتح الإله، المصدر السابق، ص24.

[2] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، المرجع السابق، ص ص 195-196.

[3] عبد القادر صحراوي: **الرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي البجائي والورثيلاني**، في مجلة الحوار المتوسطية، مج9، ع1، جامعة سيدي بلعباس- الجزائر، 2018م، ص49.

[4] نفسه: ص50.

وأفضلهم الشيخ علي تاسعهم- فوقع لي معهم مناظرة ومباحثة واعتراضات وسؤالات وأجوبة فائقات ودلائل قاطعات وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة من الأمهات..."[1].

وعند حضوره في المدينة، يذكر ما نصّه: "ثم رحلت لطيبة.. ولقين بها علماء أجلاء من كل قطر ومصر.. وجرى لنا مع العلماء أبحاث ومناظرات غير مرات..."[2].

وبالجملة، فإن هذه المناظرات والمحاورات العلمية التي تمّت بين الرحالة من العلماء الجزائريين وعلماء الحجاز خلال العهد العثماني، وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، تعكس أوجه مظاهر التواصل الفكري والعلمي بينهم، ففي ذلك نوقشت أهم المسائل التي تتعلق بأحوال المسلمين والشريعة، فيقول الناصري: " تناظرنا بعد صلاة العصر قبالة الحجر في صلاة العصر، وقراءة دليل الخيرات والتسبيح بالسبحة، ومشاهد السّادات، وهدم مباني الأولياء ذوي الكرامات، فرجعوا عن البعض بعد الاستدلال بالنصوص العظيمة العميمة، وكان ظني فيهم أنهم حنابلة المذهب ففاوضتهم في قصر الصلاة فقلت: إن الإمام أحمد بن حنبل عنده نية إقامة أربعة أيام صحاح تقطع حكم السفر، فقالوا: عندنا القصر لا ينقطع ما دام السفر فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع، وأما في العقائد فهم على ما عليه الإمام أحمد، ألا ترى أن الحافظ الذهبي، والمزني، والبرزلي، شافعية في الفروع حنابلة في المعتقد..."[3].

كما مدح أبو راس أم القرى مكة المكرمة، وسرد أسماء علمائها، ففي ثنايا ذلك يذكر أنه اجتمع بالعالم "عبد المالك" الذي أجازه، واجتمع أيضا بمفتي المالكية آنذاك الحسين المغربي والشيخ الرحمن التادلي، وكان ذلك في حجته التي تمّت في عام 1790م ولعام 1811م، والتي التقى وناظر فيها علماء الوهابية في مسائل عدّة، ومنها حكم التسبيح، وهدم مباني الأولياء، وعلى الرغم من عدم ذكر "أبو راس الناصر الجزائري" لذلك، إلا أنه ذكر شيخ الوهابية ابن تيمية تلك المناظرات، ويذكر

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الإله...، المصدر السابق، ص119.
[2] نفسه: ص119.
[3] نفسه، ص119.

أيضًا أنه اهتم بزيارة المدينة وقبور الصحابة كعمر بن الخطاب، وأبي بكر الصديق، وناظر علماء المدينة كذلك، فقال: "ثم رحلت لطيبة، وجرى لنا مع العلماء أبحاث ومناظرات غير مرات"[1].

ويتّضح من خلال ذلك، مدى تعاظم الاتصال الفكري والعلمي بين علماء الجزائر والوهابية في مناطق الحجاز، واعتماد علماء الجزائر على النصوص والمرجعية الدينية للكتاب والسنة في هذه المناظرات.

ج) علاقة العلماء بحكام الحجاز:

تميزت العلاقة بين السلطة والعلماء في الجزائر العثمانية بالتقارب أحيانا والقطيعة في بعض الأحيان، وذلك لاختلاف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وارتكزت أوجه التقارب بين السلطة والعلماء على عوامل متعدّدة، نذكر منها:

– **الاحترام:** فمنذ دخول العثمانيين إلى الجزائر في مقتبل القرن السادس عشر، أدركوا مدى أهمية وعظمة العلماء والمرابطين في نفوس الأمة ومدى تأثيرهم في جميع المناحي، لذا عمدوا في كسب ود العلماء والتقرب منهم، والأخذ برأيهم في شؤون متنوعة سواء دينية أو سياسية واقتصادية[2].

كما شهدت الجزائر في العهد العثماني توطيد علاقات جزائر مع الحجاز، وترتب عن ذلك التقارب والتفاهم إلى وجود تبادل وحلقات وصل اجتماعية واقتصادية وسياسية، وبالتالي علمية وفكرية وثقافية، وتذكر المصادر التاريخية في هذا الشأن، أنه كان اتصال الجزائر بالحجاز أخذ أوجه الإنفاق فيما يخص الهدايا التي كانت ترسل من أيالة الجزائر إلى مناطق الحرمين الشريفين (مكة المكرمة

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الإله...، المصدر السابق: ص119.

[2] حمدان بن عثمان خوجة: **المـــرآة**، تح: محمَّد العربي الزبيري، دار الحكمة للنشر، ط2، الجزائر، 2014م، ص ص 110-111.

والمدينة المنورة)، كما شمل وجوه الإنفاق تدبير مصاريف بيت المال ومؤسّسات الأوقاف المشتركة في الجزائر ومناطق الحجاز، وهذا كله بمراعاة وتحت إدارة السلطة العثمانية آنذاك[1].

فلقد أدّت علاقة العلماء بالحكام إلى تمتين أواصر التواصل الفكري بين الجزائر وبلاد الحجاز، حيث كان العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني، وبالرغم من ترفهم الطبقي كانوا على صلة بالناس ومجالس الفتوى والقضاء والزوايا وغير ذلك، مما جعل الحكام يولونهم عناية خاصة، لأن يكون هناك تواصل بين أهل الحجاز الذين يأتون إلى الجزائر. كما راعت الدولة العثمانية تدابير أحوال الأملاك العامة، كأملاك الأوقاف والأحباس التي يعود نسبة كبيرة منها إلى مناطق الحرمين الشريفين[2].

ومنذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي، وجدت علاقات قوية بين الدولة العثمانية ومناطق الحجاز، فبدأت السجلات والدفاتر العثمانية تشير إلى منطقة مكة المكرمة باسم "لواء مكة الشريف" وفي مواقع أخرى "لواء مكة المكرمة"[3]، الأمر الذي ترتب عليه ظهور أوجه الاتصال بين مناطق المغرب العربي والمشرق، فكليهما في تلك الفترة يقعون تحت سلطة وولاية العثمانيين، سواء تلك التي يطلق عليها السلطة الإسمية أو المباشرة.

كما اهتم العثمانيون بتعين العلماء الذين يتبعون المذهب الحنفي في وظيفة الإفتاء. ومن الجدير بالذكر أن وظيفة المفتي الحنفي لم تصبح وظيفة رسمية إلا بعد مجيء العثمانيين ولقبوا المفتي الحنفي

[1] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص43.

[2] Busson -Gérard-Roger : Contribution à l'étude des habous publics algériens, (diffuseur inconnu), 1950, p p 227 .

[3] عويضة بن متيريك الجهني: **السلطة العثمانية في الحجاز في أواسط القرن 11هـ/17 م كما يعكسها عهد شريف مكة زيد بن محسن**، في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج2، ع2، الأردن، 2008م، ص133.

الفقيه مفتي الإسلام، بعد ما يتم تعيينه من إسطنبول رفقة القاضي الحنفي، وذلك لعدم وجود علماء علي المذهب الحنفي[1] من البداية[2].

وبعد انتهاء مهمته يستقر بالجزائر، يشتغل كخطيب أو يقوم بالإشراف على مؤسّسة سبل الخيرات، أما المفتي المالكي فكان يعين من قبل الديوان بالجزائر مع موظفي المساجد وهو الذي يتولى عزلهم أيضًا[3].

ويُعد اهتمام سلاطين آل عثمان بالحج عنصرًا مهما في توطيد العلاقات ومظاهر التواصل الفكري والاجتماعي بين الجزائر والحجاز، فمنذ بداية ظهور السلطة العثمانية في بلاد المشارق والمغارب، اهتمت بتنظيم شؤون ركب الحج، بشكل يساعد في تحسين خطوط الطرق الموصلة إلى الحجاز والحصون التي تحمي القوافل، الأمر الذي أدّى إلى أن أطلق على السلطان العثماني في تلك الفترة بخادم الحرمين الشريفين[4].

وكثير من الأحيان اهتم حاكم الجزائر بإرسال ممثل رسمي له في ركب الحج، لتوطيد العلاقات العثمانية الحجازية، سواء على المستوى العام بين الشعوب أو بين العلماء والحكام، فنجد في عام

---

[1] يقول ابن المفتي في عدم وجود المذهب الحنفي في الجزائر إلا بعد وجود العثمانيين: "اعلم أنه كانت هذه الجزائر في أيام العرب علماؤها مالكية ولما دخل الترك بدأ ظهور "الصّفطالار" من العجم مصاحبين للباشالار، وبدأ ظهور علم الحنفية على لسان أولئك المذكورين، وتوصل البعض من أولاد الترك إلى الإمامة والخطابة وخطة الفتوى". ينظر: ابن المفتي حسن بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمعها واعتني بها: فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، العلمة-سطيف، 2009م، ص ص86 -92.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج1، ص392.

[3] رشيدة شدري معمر: **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر(1671 – 1830 م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر-2-، 2005/ 2006م، ص71.

[4] أحمد السباعي: المرجع السابق، ص394.

1747م، بعض الحجارة المنقوشة على بنايات الجزائر تعكس اهتمام العثمانيين بأن يطلق عليهم حاج الحرمين[1].

كما أن العلاقة المتبادلة بين الحاكم الأتراك وعلماء الجزائر، أدتّ في النهاية إلى أن يظفر هؤلاء العلماء مكانة متميزة في مهام الوساطة بين الأتراك والمناطق الأخرى كالحجاز والمشرق العربي عمومًا، إذ استخدم العثمانيون العلماء كسفراء ومبعوثين إلى المناطق الأخرى، فكان لذلك آثار إيجابية، وساهم العلماء في عمليات التفاوض والصلح في أوقات السلم والحرب بين العثمانيين، كما أسهموا في مدّ التواصل الفكري والثقافي والروحي بين المجتمع الجزائري وحكامه؛ بحكم وقوعها تحت السلطة العثمانية آنذاك[2].

- **خاتمة الفصل:**

ومما تقدّم يمكن القول، أن الصلات الفكرية بين الجزائر والحجاز تمثلت في عدّة نقاط، وذلك على النحو الآتي:

- تمثلت الصلات الفكرية بين الجزائر والحجاز في المسجد الحرام الذي يُعد مركزًا دينيًا وعلميًا وحضاريًا هوت إليه القلوب المؤمنين وازدحم بأهل العلم والفضل لتنزل الرحمات ومضاعفة الحسنات، يتطلّع إليه العلماء، ويفد إليه طلاب العلوم الإسلامية من الجزائريين للتزود بمعارفها، تضيء قلوبهم بنور الإيمان والمعرفة، فتقودهم إلى سعادة الدارين.

- كان لعلماء الجزائر دور بارز في التواصل الفكري بين البلدين، سواء عن طريق الرحلات الحجازية لعلماء الجزائر وكبار الفقهاء والعلماء لتلقي العلم في المراكز الدينية الذين يمرون بها أثناء ذهابهم للحج

---

[1] مُحَمَّد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح: المهدي البو عبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص256.

[2] قدور بوجلال: **مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران01، الجزائر، السنة الجامعية 2016- 2017م، ص ص186-187.

أو عن طريق المناظرات والمحاورات العلمية بين العلماء الجزائريين الذين استفادوا منها أهل الحجاز الذين أتوا إلى الجزائر من أجل العلم، كما كانت لعلاقة العلماء بالحكام الجزائريين أيضًا دور في هذا التواصل الفكري بين البلدين.

- وعلى الرغم من كون الطابع الديني كان السائد في رحلات الحج، إلا أنها شملت الجوانب العلمية ومنها النقاشات وتبادل الإجازات العلمية.

- يظهر من خلال رحلات ركب الحج الجزائرية التي كانت تتم بصفة مستمرة ودورية، سواء بمراعاة السلطة العثمانية أو بمجهودات أهلية، أنها جددت الدماء في شريان التواصل الحضاري الفكري منه والعلمي بين مناطق المشرق العربي والمغرب، على الرغم من عدم اهتمام المشرق بالتوجه نحو بلاد المغارب، وخصوصًا الجزائر.

وبالنظر لطبيعة تلك الظروف الدينية والطبيعية والجغرافية التي ميّزت مناطق بلاد الحجاز، والتي رجحت كافة اهتمام المسلمين والعرب لأداء فريضة الحج واستمرارية التواصل العلمي والسياحي والديني باتجاه المشرق. وبالرغم من أن مناطق بلاد المغارب كانت تمرّ بفترات عصيبة أثناء الوجود العثماني، إلا أن العديد من أفراد المجتمع الجزائري حرصوا على أداء فريضة الحج لتمتين أواصر التواصل العلمي والروحي.

القسم الثالث: الصلات الروحية بين الجزائر والمشرق العربي

خلال القرن 18 وبداية القرن 19م.

- الفصل الأول: التواصل الروحي بين الجزائر مصر.

- الفصل الثاني: التواصل الروحي بين الجزائر وبلاد الحجاز.

الفصل الأول: التواصل الروحي بين الجزائر مصر

أولا: التصوف مظهر من مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر ومصر

ثانيا: مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر ومصر

ثالثا: دور الزوايا بالجزائر في التواصل الروحي

- تمهيد:

ارتبط الوضع الاجتماعي في الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر وطيلة القرن التاسع عشر بنشاط الطرق الدينية التي كان لها تأثير مباشر في الحياة الثقافية وتحكّم في توجهات السكان الروحية ومواقفهم السياسية، فقد صار السند العلمي والسند في الإذن الصوفي يكادان يقترنان في تراجم معاجم الأعلام، وهو من معطيات الاشعاع المغاربي في بلاد المشرق ولاسيما في مصر، فالحركة الصوفية لم تنبني على ردود أفعال تجاه تجاوزت السلطة أو تشدّد الفقهاء، بل هي حركة أصيلة في المجتمع الاسلامي، والتطور التلقائي للمنحنى الزهدي الذي عرفه بلاد المغارب منذ الفتح الاسلامي؛ الأمر الذي أدّى إلى وجود تواصل روحي بين الجزائر ومصر، منذ البداية وخاصة من خلال تواجد الطرق الصوفية في الجزائر ومصر وبلاد الحجاز وتقاربهم في الموارد والسندات.

أولا: التصوف مظهر من مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر ومصر.

أ) تعريف التصوف:

- التصوف لغة:

يرجع أصل كلمة التصوف من مصدر الفعل الخماسي المصوغ من الصوف للدلالة على لبسه، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفيًا[1]. وكما يرجع سبب التسمية إلى اشتهار أهلها بلبس الصوف في غالب الأحوال، غير أن بعض المهتمين بشؤون التصوف والصوفية يختلفون في قراءتها، فبعضهم من يجعلها كونها صفة للزهد، أو في بعض المواضع للفقر، وهي ما تعبر عندهم أن ذلك يعد من أحوال الصالحين وصفاتهم[2]. ففي المفهوم اللغوي للتصوف، ندرج أهم ما ذكر من الأقوال الواردة في هذا الأمر:

---

[1] ماسينيون ومصطفى عبد الرازق: **التصوف**، لجنة الترجمة: دائرة المعارف، دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة، ط1، بيروت، 1984م، ص25.

[2] شهاب الدين أبي حفص عمر السهرودي: **عوارف المعارف من كتاب إحياء علوم الدين**، تح: عبد الحليم محمود- محمود بن الشريف، دار المعرفة، بيروت ، د ت ن، ج5، ص64.

أن التصوف هو مصدر الفعل الخماسي المصوغ من "صف" للدلالة على لبس الصوف[1]. إذ هو تكلّف لبس الصوف، فيقال: تصوف الرجل، أي يتصوف تصوفًا، إذا تكلف فعل لبس الصوف[2].

وقيل أيضًا لفظة "صوفي" منسوبة إلى الذين يقفون في الصف الأول كما تقدم سابقا، فيقصد الصف الأول؛ أي المقدم في الصلاة ومشتقة منه، لأن صاحبه واقف بين يدي الله تعالى وأمامه بقلبه وأسراره وروحه[3].

وهناك من قال: أنها مصدر من لفظة صوفيا، والتي قيل إنها منسوبة إلى ظاهر الحال والزي، أي إلى اللباس الظاهر، وقد اختار هذا الرأي أغلبية مؤرخي التصوف قديمًا، وفي مقدمتهم "سراج الدين الطوس" ، و"أبو بكر الكالباذي"، و"ابن القيم"، و"ابن خلدون"، و"ابن تيمية"، و"السهروردي"، والذي قال: "إن سبب التسمية بهذا الاسم هو لبس الصوف لكونه أرفق، وكونه أيضًا لباس الأنبياء عليهم السلام[4].

كما يعتبر أبو "القاسم القشيري" أن البحث في الأصول اللغوية لهذه الكلمة أمر لا فائدة ولا طائل من ورائه، لكونه يرى أن الصوفية أو الصوفيين غير مختصّين بلبس الصوف، فلا يشهد له قياس ولا في الوقت نفسه اشتقاق، بل ينتسبون إلى أشرف صفة بعد تبعية الصحابة، وهي "الصف"[5].

---

[1] م.ت. هوتسما وآخرون: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، تح: ابراهيم زاكي خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 1418هـ/ 1998م، ج7، ص ص 14-22.

[2] مُحَّد بن عبد الكريم: **التصوف في ميزان الإسلام**، مطبعة النهضة، وهران ، د ت ن، ص14.

[3] عبد القادر بن عبد الله السهروردي: **عوارف المعارف**، منشورات دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 1998م، ص65.

[4] عبد القادر بن عبد الله السهرودي: **عوارف المعارف**، تح: عبد الحليم محمود-محمود بن الشريف، مطبعة السعادة، دط، القاهرة، د ت ن، ج1، ص210-211.

[5] عبد الكريم القشيري: **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تح: معروف زريق وعلي أبو الخير، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق، 1995م، ص55.

- التصوف اصطلاحا:

وهو التخلق بأخلاق الصوفية والانتظام في سلوكهم، فقد حرص البعض على ذكر تعريفات للتصوف من جوانب روحية خالصة، وأن الصوفي من يعد طبقًا لهذه التعريفات والشروحات إنسانًا يحيا بهذه الصفة والحياة الخاصة[1].

وإذا أردنا جمع هذه التعريفات، وجدنا أنها لا تعد ولا تحصى، لذلك سوف نكتفي هنا بذكر أشهر هذه التعريفات في محاولة لإلقاء الضوء على التصوف كمضمون ومحتوى، ومنها:

ما ذكره ابن خلدون بقوله: "هو العكوف على العبادة والانقطاع لها والعرض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد بالخالق في الخلوة عامًا، وهو ما ذكر عن الصحابة والسلف للعبادة، وكان ذلك عامًا في الصحابة والسلف"[2].

كما عرفه "الكتاني بقوله": التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"، وكما قال الشلبي التصوف هو الانقطاع عن الخلق والاتصال بالحق[3]. وفي هذا الصدد يقول (ابن عربي): "الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرة وباطنًا، وهي الخلق الإلهية، وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفاسفها[4].

وبالجملة، فإن هذه التعريفات قد تعكس حقيقة بداية وجود وانتشار التصوف، والتي تعبر عن طريق التصفية النفسية والمقترنة والمرتبطة بالسلوك الإنساني الرسين، فإذا تم للإنسان تطبيق فكرتي الإيثار والإخلاص معًا وجعلها طبيعة له، استطاع بعد ذلك أن يتجه إلى باطنه الروحي بالتصفية وإلى ذهنه بالتركيز، ويستريح من المطالب والرغبات المادية والتنافس على الحظوظ الدنيوية التي تشغل الناس

---

[1] قمر كيلاني: **في التصوف الإسلامي، مفهومه وتطوره وأعلامه**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1962، ص40.
عبد الله الرقابي: **النسمة الزكية لمشايخ الطريقة الرقانية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، وهران، 2007م، ص ص 08-09.
تغير بالموسوعة

[2] عبد الرحمن ابن خلدون: **المقدمة**، دار القلم، ط7، لبنان، 1987م، ص517.

[3] مقداد بالجن: **فلسفة الحياة الروحية – منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية**، دار الشروق، ط1، 1985م، ص72.

[4] محي الدين بن عربي: **رسائل ابن العربي– إصطلاح الصوفية**، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت، د ت ن، ص17.

عن طلب المعاني والرفاهية الروحية، فكلها تصب في قالب واحد، وهو أن المتصوفة يؤمنون بأن النفس من أصل طاهر قد تلوثت بفضل مخلفات المادة في حالة إذا ما حلت بالجسد وخضعت له كل الحواس، فاستغلها في أغراضه الغريزية، لذا فإن النفس عندهم ما هي إلا تأمل في التحرر من عبوديتها إلى المادة والرغبات واستعادة طهارتها الأصلية الروحية، ولا يتم ذلك طبقًا لرؤيتهم، إلا من خلال قهر الجسد وإذلاله وحرمانه من رغباته التي قد لا تنتهي إلا بموت الإنسان، فإذا تم لها ذلك سمت الروح الإنسانية نحو خالقها، واستمدت منه المعرفة والعقل والإدراك، وسلكت بهدية طريق الحق والنور[1].

أما التصوف كعلم فإنه يختلف كثيرًا عن بقية العلوم، ذلك لأنه ليس له نهاية، لأن المقصود والهدف من الصوفية ليس له غاية فهو قد يكون علم يعبر عن إشارات وخواطر وعطايا وهبات يعرفها أهلها من بحر العطاء والروح وتوارث سلوكيات، فهو ما يطلق عليه عند المتصوفة علم الفتوح، فالتصوف بصفة عامة ما يطلق عليه فلسفة حياة وطريقة منهج معينة في السلوك يتخذهما وتبعها الإنسان لتحقيق كمالة الأخلاقي وعرفان بالحقيقة وسعادته الروحية والمادية في آن واحد[2].

ب) تطور التصوف في الجزائر

بدأ التصوف ينتشر في الجزائر من الناحية النظرية، ثم تحول بعد ذلك؛ إلى الناحية والاتجاه العملي، ابتداء من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، فمنذ ذلك الحين وجد أهل التصوف الطرق الخاصة بهم لأول مرة، انطلاقًا من بلاد القبائل(بلاد زواوة) ببجاية والمناطق المحيطة بها[3].

وكانت بجاية مركز إشعاع وانطلاق طرقي صوفي في الجزائر لعدّة قرون من الزمن، فلقد انطلق منها رجالات وعلماء التصوف الكبار، من أمثال هؤلاء الأجلاء أبو زكريا الزواوي، وأبو زكريا

---

[1] مُحَمَّد كمال جعفر: **التصوف طريقًا وتجربة ومذهبًا**، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 1980م، ص4.

[2] توفيق الطويل: **خصائص التصوف الإسلامي**، ع87، وزارة الثقافة، الكويت، 1985، ص173-175.

[3] مُحَمَّد العربي الفاسي: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن (ونبذة عن نشاة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب)**، تح: الشريف مُحَمَّد حمزة الكتاني، منشورات رابطة الماسن ابن الجد، دط، المغرب، د س ن، ص 253.

السطيفي، ويحي العيدلي، والشيخ أبي مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان. وقد انتقل التصوف من بجاية إلى بقية المناطق الأخرى[1].

ولقد كان الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أهم وأوائل مؤسسي الطرق الصوفية في الجزائر التي عرفت بالطريقة "المدينية"، وأخذت شهرة واسعة وأتباعًا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، وازدادت شهرتها وارتفع عدد مريديها وتلاميذها، على يد تلميذه بعد ذلك، وهو عبد السلام بن مشيش(ت.622هـ/1225م)، ثم بعد ذلك تطورت وأحياها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش "أبو الحسن الشاذلي"؛ نسبة إلى قرية شاذلية بتونس[2].

وكان لتعاليم الشاذلي تأثير مهم في الجزائر، بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية[3].

وقد انتشر التصوف في الجزائر على الوجه الخصوص؛ بفضل مدرسة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، ومُحَمَّد بن يوسف السنونسي، وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ الأجلاء[4].كما انتشرت حركة التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني، وقد شملت مختلف أنحاء البلاد، ولم تكن مقصورة على طبقة المتنورين والقارئين ونخبة المجتمع، بل تعدته إلى جذب العامة من الناس. حتى كثر هذا الجو المفعم بالروحانية المدعون للتصوف والمكتسبون بالدين والولاية، واختلط الحابل بالنابل، حتى أصبح المرء لا يفرق بين الإسلام الحقيقي والمبتدع[5].

---

[1] طيب جب الله: **دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري**، في مجلة معارف، ع14، مج8، جامعة البويرة، 2013م، ص 136.

[2] جلال مُحَمَّد شرف: **دراسات في التصوف الإسلامي–شخصيات ومذاهب**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1984م، ص122.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص459.

[4] نفسه: ج2، ص112.

[5] نفسه: ج 1، ص ص 459-460.

وقد شملت حركة الطرق الصوفية بلاد المغارب مثل بلاد المشارقة، فحفلت الجزائر في عهود مختلفة بعدد من شيوخ المدارس الصوفية، واشتهر عدد من أبناءها بالاشتغال بالتصوف، مثل أحمد البوني، وعبد الكريم الفكون، اللذان كان لهما تصوفا مدرسيا فرديا، يرتكز على التأليف في التصوف من جهة وعلى حياة الزهد والعزلة الفردية للتعبد من جهة أخرى، لكنه إلى جانب التصوف الفردي عرفت الجزائر التصوف الجماعي، أو ما يسمى بالتصوف الشعبي ممثلا في الطرق الصوفية، فبظهورها لم يعد إلا قليل يمارس التصوف بالمفهوم القديم؛ أي الانعزال والتعبد[1].

وكان لانتشار الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني أثره الواضح على حياة العامة من الجزائريين، حتى كثرت المباني المتخصصة لهم، وخاصة خلال القرن 15م[2].

وكان انتشار هذه الظاهرة في القرى والجبال أكثر من انتشارها في المدن، ووجدت من يرحب بها بين القبائل والأعراش أكثر من فيها من أهل المدن. ويرى حمدان بن عثمان خوجة أن سطوت المرابطين الخارقة للعادة قد أثرت في أفكار البرابرة الضيقة، اذ يبدو لهم أن الله هو بذاته يسوق هؤلاء المرابطين، وهكذا فعلى سخط أو بركة المرابط تتوقف سعادة الشخص[3] .

والتصوف في الجزائر في بداية أمره كان تصوفا نظريا، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر هجري/السادس عشر الميلادي، إلى الناحية العلمية، وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية.

وتعود عوامل وأسباب انتشاره بالجزائر إلى عدّة أسباب، منها ما هو فكري، وما هو سياسي، وما هو اجتماعي، ونلخص هذه الأسباب والعوامل فيما يأتي:

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 2، ص 112.

[2] أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق، ص 88.

[3] حمدان بن عثمان خوجة : المـرآة ، المصدر السابق، ص 52.

- وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي، أثر وسلوكهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري وتوارثه أبا عن جد وولد لنا رجال متصوفين، بارزين في الجزائر وفي المغرب وولد احترام الخاصة والعامة لهم[1] .

- وبعد سقوط الأندلس قام عدد كبير من المتصوفة ببلاد الأندلس بالهجرة إلى الجزائر(المغرب الأوسط) واتكوا بالمتصوفة ونشروا أفكارهم في المجتمع الجزائري.

- انتشار البذخ والترف عند فئات معينة نتيجة الثراء الفاحش، وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث يوجد الخاصة والعامة، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف، وقاموا بكل السبل والطرق لهذه الاختلالات، مما أدى إلى انتشار مذهبهم[2].

ومن هنا أخذ التصوف ينتشر في الجزائر بسرعة، وأثر ذلك في تطور الجزائر وانفتاحها على العلوم الأخرى، وبذلك تطور في كل المجالات منها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وأصبحت لا تخلو كل مدينة أو قرية كبيرة أو صغيرة من ولي وزاوية تعرف بها.

ج) أهم الطرق الصوفية بالجزائر

تُعدُّ الطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني؛ بمثابة الركيزة الأساسية للسلطة وللمجتمع الجزائري، ومن أشهر الطرق الصوفية التي كان لها دور وتأثير واضحين على الجزائريين في فترة الوجود العثماني، نذكر:

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزئر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 269.

[2] طيب جاب الله: **دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري**، في مجلة المعارف، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، ع14، السنة أكتوبر 2013م، ص 137.

1- الطريقة القادرية:

سميت على إسم مؤسّسها سيدي عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني[1] دفين بغداد، وهو المؤسّس الأول للطريقة، إذ تعتبر من أقدم الطرق الصوفية بالجزائر تأسيسا ووجودا، واستطاعت أن تنمو وتزدهر أثناء العهد العثماني[2].

وانتشرت في العديد أنحاء العالم الإسلامي ووصل طلبتها إلى معاهد طرابلس والقيروان وجامع الزيتونة والأزهر الشريف، على نفقة الزاوية القادرية، أما عن دخولها للجزائر فعائد للشيخ سيدي أبي مدين شعيب فهو ناشر القادرية في المغرب الإسلامي والأندلس. كما كان قدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق للمغرب الأقصى، ثم انتقاله الجزائر ليستقر بالأوراس، حيث أسّس الزاوية القادرية، ويوجد أكثر من 200 زاوية تخلد اسم الشيخ عبدالقادر الجيلاني[3].

والذكر عند القادرية هو ذكر الله وحده، والإكثار من الصلوات، وكان زعماء القادرية الذين يفدون على الجزائر يقولون :"إذا سألت عن الطريقة القادرية فهي العلم والأخلاق والصبر والاتقان، وإذا سألت عن الواجبات عند الطريقة فهي ذكر الله والصدق والابتعاد عن شؤون الدنيا، وأن تحب الناس وتخاف الله..."[4].

---

[1] **عبد القادر الجيلاني (ت.561هـ/1166م)**: هو أبو مُحَمَّد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن حنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد الزاهد، لقب "بشيخ الإسلام"، وهو إمام الحنابلة. ينظر: مليكة بن رية: **الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ومنهجه في اصلاح التصوف**، في مجلة دراسات وأبحاث ، مج13، ع01، جامعة زيان عاشور- الجلفة، 2021م، ص ص 764- 768.

[2] Ri nn (L) : **Marabous Et Khouanes, étude Sur L'slam En Algerie**, Alger, Imp Adolphe Jourdan 1899, P319.

[3] صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، دط، بيروت، 2002م، ج1، ص ص 144-145.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص43.

2- الطريقة الشاذلية:

يعود تاريخ تأسيس الطريقة الشاذلية إلى النصف الأول من القرن 13م، وتعتبر هذه الطريقة مع سابقتها القادرية من أقدم الطرق الصوفية استقرارا بالمغرب، حيث كان مركزها في مراكش، وهي من الطرق الأولى التي أدخلت التصوف إلى منطقة المغرب وانطلقت الشاذلية من مركزها المذكور لتنتشر إنتشارا واسعا في الجزائر، واستطاعت بمرونة تعاليمها واعتدال نهجها أن تؤثر تأثيرا واسعا وملحوظا في أكثر الطرق الصوفية الأخرى، وإستطاعت أن تستقطب إليها الكثير من كبار العلماء الذين أصبحوا ينتسبون إليها أمثال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وأحمد بن يوسف الملياني وإبراهيم النازي وغيرهم ممكن كتبوا عنها وخصوها بالتأليف والترجمة لأعلامها[1].

ظهرت هذه الطريقة في المغرب الأقصى في أواخر القرن 18م، ثم انتشرت في مناطق عديدة من اقليم الوسط بالجزائر العاصمة قسنطينة ومناطق أخرى، وكان لفظ الشاذلية؛ نسبة إلى أبو الحسن الشاذلي عبد السلام ابن مشيش عن أبي مدين الغوث. وكانت الشاذلية تحث على ممارسة الأخلاق الفضيلة والتوحيد، وتقوم مبادئها على الرحلة الفكرية، والتأمل المستمر في وحدانية الله وعلى الهيمان في أرض الله بحثا عن التطهر والتسامي، والقيام بالصلوات والواجبات الشرعية. وهذه الطريقة لا تهتم ولا تؤمن بالخلوة ولا بالممارسات التهريجية ولا بالإنتفاضات، بل تهتم بالعلم الروحاني[2].

واللافت للانتباه أن الطريقة الشاذلية التي نشأت بمنطقة الريف الشمالي للمغرب وترعرعت بمصر وباقي أقطار الشرق الإسلامي ازدادت إنتشارا وقوة وصلابة في الدعوة الى الله، بعد أن ضعفت الخلافة الاسلامية العثمانية، فأبي الحسن الشاذلي كانت له طريقتين يتبعهما، الأولى الطريقة المشيشية؛ فيها صيت واقتداء من غير خرقة، وأخرى فيها لباس الخرقة وتلقين الذكر[3].

---

[1] صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص ص 149-150.

[2] أحمد مريوش: المرجع السابق، ص 107.

[3] عبد الحليم محمود: **أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد والعرف بالله**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، القاهرة، 1967م، ص 49.

3- الطريقة الرحمانية:

في البداية لم تكن تعرف إلا باسم الخلوتية، وبعد وفاة الشيخ عبد الرحمن الأزهري[1] نسبت إليه، فقيل الطريقة الرحمانية الخلوتية وهي طريقة صوفية شهيرة، من فروع الطريقة السهروردية، تعد من أهم الطرق في تركيا[2]. وانتشرت بين صوفية الأكراد والفرس والأتراك أولا، ثم انتقلت إلى باقي المناطق: العراق، الشام، الحجاز ووصلت إلى باكو وأذربيجان وأوربا الشرقية، وشمال إفريقيا، ليبيا، تونس، المغرب الجزائر[3].

وهي طريقة قائمة على احترام الشيخ والتزام الخلوة، واشتهرت بتربية المريدين تربية صارمة، ومبناها على الذكر بالكلمة الطيبة: "لا إله إلا الله"، والاشتغال بالأسماء السبعة بالجهر والسر، ومن شأن المريد أن يذكر لا إله إلا الله ويداوم على ذلك مدة، ثم يشتغل بذكر الجلالة وهو الله ثم يذكر بقية الأسماء السبعة، واحدا بعد آخر، وهي: الحق، الحي، القيوم، القهار، العزيز الغفار[4].

أتى بها إلى الجزائر الشبخ عبد الرحمان الأزهري، وقدّر عدد أتباعها في نهاية القرن 13هـ/19م، بمائة وست وخمسون ألف، ومائة وسبع وسبعين زاوية، ومن أهم مراكزها في العهد العثماني الأخير الحامة في العاصمة، وآيت إسماعيل ببلاد القبائل، وزاوية صدوق بناحية سطيف وقسنطينة، والبرج

---

[1] Rinn (L): **Marabous Et Khouanes, étude Sur L'slam En Algerie**, Alger, Imp Adolphe Jourdan 1899, P 452 .

[2] عبد المنعم قاسمي الحسني: **الطريقة الخلوتية الرحمانية: الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، رسالة دكتوراه العلوم، في العلوم الإسلامية ، تخصص: عقيدة، اشراف: عمار جيدل، جامعة الجزائر1، السنة الجامعية 2008-2009م، ص52.

[3] Octave Depont et Xavier Coppolani : **Les confréries religieuses musulmanes,** Alger. Adolphe jourdan. 1897, p367.

[4] كمال الدين الحريري: **تبيان الحقائق في بيان سلاسل الطرائق**، ج2، ورقة 15.

قرب طولقة، أولاد جلال وخنقة سيدي ناجي، وتقع المراكز الأخيرة بالواحات وقد تميزت دون الطرق الصوفية الأخرى باهتمامها الكبير بنشر التعليم في زواياها[1].

4 – الطريقة التيجانية:

تأسّست الطريقة في عين ماضي، وكان مؤسلس هذه الطريقة يتردد إلى شريف فاس ويلتقي به، ومؤسس هذه الطريقة، هو الشيخ سيدي أحمد بن المختار بن سالم التيجاني، حيث بدأ في نشر طريقته سنة 1147هـ/ 1782م[2].

وبعد نشأة الزاوية رحل الشيخ التيجاني وعمره لا يزيد عن ستة عشر سنة إلى فاس لتلقي العلوم الإسلامية وحج إلى بيت الله الحرام وعمره 36 سنة، وزار زوايا تونس والقاهرة والمدينة المنورة، فإقتدى بالقادرية والخلوتية والشاذلية[3].

وقد انتشرت الطريقة التيجانية في أغلب مناطق افريقيا جنوب الصحراء ، وعرفت مدينة"دكار" عاصمة السينغال وحدها ما يربو عن مائة زاوية، حيث قال أحد الكتّاب:" أن إفريقيا كادت أن تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التيجانية ،هذه كما أن أوربا كادت تكون لولا انتصار "شارل مارتل" على العرب في بواتي (بلاط الشهداء)[4].

---

[1] الطاهر فيلالي: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في للجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، ط1، باتنة، د س ن، ص45.

[2] عزيز سامح التر: **الاتراك العثمانيون**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة، ط1، ص 576.

[3] بلحيا بودواية: **التصوف في بلاد المغر العربي**، دار القدس العربي، ط1، الجزائر، 2009م، ص81.

[4] لوثروب ستودارد: **حاضر العالم الإسلامي**، تح: شكيب أرسلان– عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1391هـ/1971م،ج2، ص398.

وبعد وفاة الشيخ التيجاني بثماني سنوات، انتقل المد التجاني إلى افريقيا جنوب الصحراء، حيث ظهر الشيخ الكبير عمر الفوتي[1]، أين اجتمع بمجالس بكبار فقهائها أين جالسهم في حلقات العلم والفقه، وبفضله انتشرت التيجانية في مصر فيما بعد[2].

ولقد طغى على التجانيين الكبرياء، حيث كانوا يعتبرون أنفسهم أحسن الخلق، كما أنها لم تكن واسعة الانتشار كثيرا، مما يدل على عدم انتشارها قلة زوايا ومريديها[3]، كما كانت الطريقة التيجانية حريصة على شؤون الدين تنظيما وغاية، فهي ليست معقدة بل سهلة ومرنة تتماشي وحركة الإنسان، وأذكارها لا تجبر المريد على الخلوة بل يمكن للمريد التجاني أن يأديها في أي وقت بتفرغ فيه[4].

5- الطريقة الدرقاوية:

تعود أصول هذه الطريقة إلى الطريقة الشاذلية، وقد ظهرت في المغرب الأقصى، وأن أول من دعا إلى مذهب الدرقاوية، هو "الشريف إدريس" المدعو علي بن عبد الرحمن الجمل أول الجمال، أسّس الشيخ علي بن عبد الرحمان زاوية في فاس، وكان من أشهر تلاميذه "مولاي العربي الدرقاوي" رغم أن العربي الدرقاوي كان مؤسس الطريقة ومنظمها ألا أنها تنسب إلى أحد أسلافه، وهو أبو عبد

---

[1] **عمر بن سعيد الفوتي**: ولد الحاج عمر بن السعيد الفوتي سنة 1212هـ/1797م، بالسينغال، اجتهد في تحصيل العلوم الشرعية، أخذ مبادئ الطريقة التجانية عن الشيخ مولود فال الشنقيطي وكذا عن الشيخ عبد الكريم أحمد الناقل، سافر إلى البقاع المقدسة، أخذ عن الشيخ محمد الغالي، كما زار مصر، والمسجد الأقصى بالقدس الشريف وسوريا، ثم عاد إلى مكة للحج، بعدها، عينه شيخه محمد الغالي خليفة للتجانية في السودان الغربي، ثم عاد من الحجاز سنة 1832م، حاملا مشروع تجديد الإسلام ومحاربة الوثنية. ومن مؤلفاته نذكر " رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم " وكتاب " سفينة السعادة " وكتاب "بيان ماوقع " إلى جانب القصائد. توفي الحاج عمر في 12 فيفري 1864م، في بانداياقرا أثناء معركة ضد البكايسين. ينظر : محمد الحافظ التجاني : **الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية بغرب افريقيا**، الزاوية التجانية، مصر، 1383هـ، ص 9 .

[2] علي بوركنة: **التجاني عمر بن سعيد تال الفوتي**، في مجلة المفكر، جامعة الجزائر02، مج04، ع02، ديسمبر 2020م،

[3] رشيدة شدري معمر: العلماء والسلطة، المرجع السابق، ص 197.

[4] تلمساني بن يوسف: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم التعثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الإستعماري)1782-1900م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1997-1998م، ص 120.

الله مُحَّد بن يوسف الملقب بـ " أبي درقة"[1] ، أما مولاي العربي الدرقاوي فقد نظم الطريقة ووضع أسسها على قواعد صحيحة، كما أكمل نشر تعاليمها[2].

انتشرت الطريقة الدرقاوية في غرب الجزائر، ويبدو أن عددا من علماء الجزائر قد انجذبوا نحو هذه الطريقة وأصبحوا من مريديها، ولما كانت الدرقاوية قد انتشرت في الوقت الذي تفاقم فيه الضعف السياسي للحكم العثماني في الجزائر، فإن رد فعل هذا الكم ضدها كان عنيفا، ثم إن الدرقاوية نفسها لم تدّخر وسعا في أضعاف العثمانيين، فقد هاجمتهم في عقر دارهم وعلى جبهتين هامتين: إقليم قسنطينة وإقليم وهران. وكادت تهز النظام بكامله[3].

والواقع أن الطريقة الدرقاوية لم تنتشر في الجزائر إلا في مطلع القرن 19م، وكان انتشارها على يدي "عبد القادر بن الشريف"[4].

د) أهم الطرق الصوفية بمصر

أدّت الطرق الصوفية الدور الرئيسي، حيث كانت أكثر مظاهر الحياة الدينية حيوية وانتشارا في مصر، ومنذ دخول العثمانيين إلى مصر ناصروا التصوف واهتموا به، وقد شهد القرن 18م انطلاق الطرق الصوفية، والدليل على ذلك أعمال الإصلاح التي سبقتها بعض الطرق وظهور بعض الطرق

[1] **أبو درقة**: هو أحد العلماء العارفين الزاهدين، يرجع نسبه إلى ادريس الأكبر، كان كثير القيام والصيام، لقب بأبي درقة. وهي الترس من الجلود كالدرقة الكبيرة التي كان يحملها ليحتمي بها في الحروب. ينظر: ابن عجيبة: مجموعة **رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني**، تح: بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، 1999م، ص المقدمة.

[2] اسماعيل العربي: **معجم الفرق والمذاهب الإسلامية**، دار الآفاق الجديدة، دط، المغرب،د ت ن، ص 169.

[3] ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 517.

[4] **عبد القادر بن الشريف**: ينتمي ابن الشريف إلى قبيلة سيدي بالليل بوادي العبد، سافر إلى المغرب وتتلمذ على يدي " مُحَّد العربي بن أحمد الدرقاوي" في زاوية "بوبريح"، حيث أخذ عنه الذكر. وبعد أن قضى مدة من الزمن كمدرس القرآن في الزاوية المذكورة، أجازه شيخه و كلفه بنشر تعاليم طريقة درقاوية، حيث عاد إثر ذلك إلى الجزائر، وبدأ نشر دعوته الدينية التي لقيت نجاحا كبيرا حيث ذاع صيته بين القبائل وأقبلت عليه تبايعه وتؤيده مما ساعده على القيام بالثورة ضد بايات الغرب الجزائري دامت أكثر من عشر سنوات، وقد لمع اسمه أثناء الثورة التي قام بها في الغرب الجزائري. ينظر: سعيدة زيزاح: **ظاهرة الطرق الصوفية والتغير الإجتماعي في المجتمع الجزائري**، في مجلة الباحث، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع 11، ديسمبر 2012م، ص205.

الجديدة. واهتمت زوايا الطرق الصوفية بنشر العلوم الدينية، كما انصرف اهتمام أهلها إلى مزاولة الشعائر الدينية وممارسة الحياة الصوفية صادقين كانوا أو كاذبين[1]، ومن أشهر هذه الطرق نذكر :

1- الطريقة الخلوتية:

تنسب للشيخ سيراج الدين عمر الخلوتي المتوفي في (ت.800 هـ/1397م)، أخذ الطريقة عن شيخه وخاله مُحَمَّد بن نور الخلوتي، لقب هو وخاله بخلوتي لكثرة التزامهما بالخلوة، أول انتشار واسع للخلوتية ظهر على يد الشيخ صدر الدين الحياوي وخصوصا على يد خليفته صهره يحي الشرفاني الذي استقر بباكور بأذربيجان، لم تنحصر الطريقة في إيران وأذربيجان والقوقاز، وانما امتدت من الفتح العثماني من الأناضول إلى أوروبا ثم مصر والسودان فالجزائر.

تجدّد النشاط الصوفي في مصر خلال الثلث الأول من القرن 18م، على يد الشيخ "الدمشقي مصطفى بن كمال البكري الدمشقي الخلوتي" (1162هـ/1746م) [2] الذي تزعم هذه الطريقة، وقد حظيت بانطلاقه جديدة في مصر، وذلك يعود، لى نمط هذه الطريقة وتراجعها عن بعض الأوكار الشعبية المتطرفة وازداد انتشارها، حيث انبثقت منها العديد من الطرق الفرعية التي أنشأها بعض المشاييخ المصريين، و صار الشيخ "مُحَمَّد الحفناوي" من أشهر ممثلي هذه الطريقة، والذي أصبح شيخا للجامع الأزهر[3].

ومن أتباعه الشيخ حسن الشبيني، ومُحَمَّد الديربي، وعمر الغنوشي التونسي المعروف بابن الوكيل 1761م[4]، كما تعد طريق الجيلانية والدمرداشية من أهم فروع هذه الطريقة بمصر[5].

---

[1] توفيق الطويل: **التصوف في مصر إبان العصر العثماني**، مكتبة الآداب بالجماميز، دط، مصر، 1946م، ص27.

[2] مُحَمَّد صبري الدالي: **فقهاء وفقراء اتجاهات سياسية وفكرية في مصر العثمانية**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م، ص199. ينظر أيضا:الجبرتي: المصدر السابق، ج1، ص297

[3] حسن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج1، ص ص 298-299

[4] مُحَمَّد صبري الدالي: المرجع السابق، ص200.

[5] حسن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج1، ص303 .

2- الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة القادرية، إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، حيث يعتبره المتصوفة أول من نادى بالطرق الصوفية، حيث كانت أهم الطرق وأوسعها انتشارا[1]، فقد اهتم مؤسّسها بإرساء قواعد طريقته على الأصول الواضحة في الكتاب والسنة، جنبها خطر الوقوع في مزالق التأويلات، وبعد وفاة عبد القادر الجيلاني قام أحفاده بإحياء طريقته فخلفه في مشيختها أبناؤه: عبد الوهاب، وعبد الرزاق[2].

وتعد الطريقة "الفارضية" من أقدم فروع القادرية في مصر، حيث تعود إلى القرن 07هـ/13م، ويُعد "جامع السادة القادرية" الموجود في القرافة الصغرى مقرا لهذه الطريقة[3]. وهكذا استقرت القادرية منذ وقت مبكر بمصر[4].

3- الطريقة الرفاعية:

يقع مركزها في منطقة الرملية "القاهرة" قرب ضريح أحمد الرفاعي، اشتهر دراويش في هذه الطريقة بعمليات التعذيب الذاتي، حيث كانوا يضعون في أفواههم ويغرسون الدبابيس في وجناتهم والسيوف في أجسادهم[5].

وقد ذكر الجبرتي أن الأوباش كانوا ينضمون إلى طريقي الأحمدية والسعدية، وكانت الطريقة الأحمدية تعرف بالطريقة البدوية؛ نسبة إلى مؤسّسها "أحمد البدوي" بطنطا، وصارت تضم أعدادا

---

[1] يوسف محمّد طه زيدان: **الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر**، دار الجيل، ط1، بيروت، 1994م، ص 175.

[2] عبد الحي الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط- محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ/ 1986، بيروت، ج5، ص09.

[3] أبو الوفا التفتازاني: **مدخل الى التصوف الاسلامي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 1983م، ص 110.

[4] يوسف محمّد طه زيدان: المرجع السابق، ص 188.

[5] عامر النجار: **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها**، دار المعارف ط5، مصر، د ت ن، ص ص 63-65.

هائلة بنهاية القرن 18م، إلا انقسمت إلى عدّة طرق، منها: "الشعراوية، والبيومية، والتي أسّسها الشيخ علي البيومي سنة 1769م"[1].

4- الطريقة السادانية الوفائية .

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ مُحَّد وفا السكندري الشاذلي (ت. 765هـ/1364م)، الذي أخذ أصول هذه الطريقة على يد داود بن ماخلا، حيث اشتغل بالعبادة والتصوف حتي أصبح من كبار المشايخ[2].

ولعل أهم ما تميزت به هذه الطريقة الصوفية، هو التبجيل الكبير الذي يكنّه مريدوها للشيخ المؤسس واعتباره من آل البيت، امتدادا للحقيقة المحمدية، وقد شغل السادات منصب نقيب الأشراف حتى وفاته، ومن ناحية أخرى لقد كانت علاقة الشيخ السادات بالعثمانيين جيدة حتى أنه عندما طلب أموالا من رئيس الكتاب العثمانيين لترميم زاويته صرفت له عدّة اعتمادات كبيرة، وقد وسع أبو الأنوار نفوذه أيضا بين المماليك وحصل منهم على تقدير كبير منه تعيينه ناظرا للأوقاف[3]. وقد وجدت طائفة من المتصوفة نبغت في مصر، نذكر منهم:

- علي بن مُحَّد المصري (ت. 1167هـ/1754م)، وله تعاليــق وشروح؛

- علي بن حجازي البيومي الدمرداشي، وله كتاب في الطريقة الدمرداشية وكتاب الأسرار الخفية؛

- ومن مشاهير الصوفية وكبارهم الشيخ عبد الرحمن العيدوسي، صاحب كتاب النفحة العيدروسية في الطريقة النقشبندية؛

[1] حسن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج4، ص190.

[2] خالد بن ناصر العتبي: **الطريقة الشاذلية عرض ونقد**، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 2011م، مج1، ص ص 474-475.

3 عبد الرزاق معاد: نفسه ص12-13.

- مُحَّد بن حسن بن مُحَّد السمنودي الأزهري جمال الدين، وله تحفة السالكين ودلالات السائرين بين منهج المرقبين؛

- سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري الجمال (ت. 1202هـ/1787م)[1].

ثانيا: مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر ومصر:

أ) دور الزوايا والتكايا والخانقاهات والأربطة في التصوف بمصر :

ازداد انتشار الزوايا والتكايا والخانقاهات[2] والوكالات والحمامات والأضرحة بمصر، نتيجة قوة الدولة العثمانية وثرائها في ذلك الوقت، ومن هاته الزوايا نذكر على سبيل المثال: زاوية الشيخ الشعراني، وزاوية أحمد بن شعبان، وزاوية أبي الحمايل، وزاوية أبي الشعود الجارحي، وزاوية إبراهيم، وزاوية الشامية، وزاوية أبي الخير الكليباتي، وزاوية تاج الدين الذاكر، وزاوية أحمد الشنبكي، وزاوية ابن الجيعان، وزاوية الرحمن المجذوب، وزاوية عبيد البلعيني، وزاوية علي الخواص، وزاوية عبد العالي الموضعي، وزاوية عبد الحليم المنزلاوي، وزاوية علي المصري، وزاوية الشيخ عبد الله، وزاوية على بن عنان، وزاوية علي بن خودة، وزاوية حسن الرومي، وزاوية الحلوجي، وزاوية شاهين الجزكسي، وزاوية شهاب النشيلي، وزاوية كريم الدين الخلوتي، وزاوية الشيخ مرشد، وزاوية مُحَّد المنير البلبيسي، وزاوية مُحَّد

---

[1] جورجي زيدان: **مصر العثمانية**، دار الهلال، تح: مُحَّد حرب، دط، مصر، 1994م، ص ص290-291.

[2] **خانقاه:** جمع خوانق، وهي كلمة فارسية معناها بيت، وقيل الموضع الذي يأكل به الملك، والخوانق لفظ جاء اتقريبا بعد 400 من الهجرة، وقال البعض: البيت الذي ينزل فيه الصوفي، وقيل سميت خانقاهمن الخنق لتضيق الصوفية على انفسهم، ومن الخوانق التي بنت في مصر: الخانقاه البندقدارية، والطيبرسية، والبيبرسية، والأرسلانية، والسريافوسية، والمهمندارية، والجمالية، خانقاه ام أنورك، والمظفرية ، والشخونية، والأسحاقية، ووخانقاه بشتاك، والظاهرية وغيرهم ينظر: تقي الدين المقريزي : المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج2، ص 415. ينظر وأيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور: **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، ط ج، القاهرة 1992م، ص187. عبد المنعم الحنفي: **معجم مصطلحات الصوفية**، دار الميسرة، بيروت 1980م، ص87.

الشناوي، وزاوية مُحَّد ضرغام، وزاوية سليمان الخضيري، وزاوية الشيخ سعود، وزاوية سيدي غيث، وزاوية جلال الدين البكري[1].

كان لكل زاوية شيخ ونقيب أو نقباء حسب عدد المجاورين للزاوية، وكذلك قراء وإمام أو أئمة، ومؤّدب أطفال، كما كان لكل زاوية نظامها الداخلي في كيفية إقامة الشعائر وكيفية الحضور والغياب، كذلك في آداب المعيشة داخل تلك الزوايا، أما التكايا فكانت من المؤسّسات الصوفية المهمة في مصر، حيث إن ظروف العصر قد فرضت ظهورها بصفتها مؤسّسات لها شأن كبير، فالتكية باعتبارها عثمانية الاصل تقابل الخانقاه، وقد تطورت على حسابها وتؤدي نفس والوظيفة حتى اختفت وحلت محلها التكية والتي أصبحت تضم شيوخا وفقهاء، لكن فيما بعد نقص دورها التعليم التصوفي حين أصبحت مكان يقوم فيه الدراويش[2] والمرضى والذين ليس لهم قوت واعتمد الانفاق على هاته التكايا من أصحاب الوظائف والنازلين فيها من المتصوفة والأوقاف التي كانت تمنح من بعض البشاوات والتجار وأهل الخير[3].

ب) مكانة المتصوفة في المجتمع وعلاقتهم الاجتماعية:

لقد جعل معظم المتصوفة من الزهد والتقشف شعارا لهم في كل كتاباتهم وممارساتهم الظاهرية أمام المجتمع، وأيضا في نصائحهم لأتباعهم من المريدين، ومن أبرز الشيوخ الذين حملوا هذه الدعوة في

---

[1] عبد الوهاب الشعراني: **البحر المورود في المواثيق والعهود**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1424هـ/ 2004م، ص 150.

[2] **درويش**: اختلفت الأقوال في كلمة درويش، فمنهم من يرى أنه مشتق من "الدراشة " . ومنها اشتقاق الدرويش بمعنى الفقير "الشحاذ، السائل"، ومنهم من جعله مشتقا من "درويزة"، وتعني بالفارسية "كدائي: أي المتسول، ومنهم من يجعله من " دروا" أي السؤال بالكف ، أو دريوز بمعنى الفقر وقلة ذات اليد ، أما عن الدرويش اصطلاحا فالمفهوم العام له هو المفلس والفقير والمسكين والمحتاج والزاهد، وتارك الدنيا والمعتزل والصوفي، ويصطلح بلفظة درويش على المريد المنتهي إلى طريقة من الطرق الصوفية المعاصرة ، أما المفهوم الخاص للدرويش فيرتبط في أذهان الكثير بأمرين : الفقير حقيقة وهو المعدم ماديا، والفقير مجازا : باعتباره فقيرا إلى الله وإن كان غنيا في المادة، وعند البعض "الدرويش" هو الرجل الزاهد في متاع الحياة عن رغبة وانصراف نفس لا عن فقر وإعدام. ينظ : مُحَّد قنديل البقلي: **آداب الدراويش**، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، القاهرة 1970م، ص 45.

[3] سعاد ماهر مُحَّد: المرجع السابق، ج2، ص ص 96-97.

مصر مثلا عبد الوهاب الشعراني، وعلي الخواص، وأمين الدين، وعبد الحليم بن مسطح، وعلي البحيري ومُحَّد بن عنان، ومُحَّد المنير، ومصطفى العزيزي، وغيرهم كثير ممن أفاضت كتب التصوف في ذكرهم، حتى نجد شخصا مثل الشعراني يكثر من حديثه عن الزهد وعدم الاهتمام بأمور الدنيا لدرجة مثيرة، فيذكر متفاخرا أن من أخلاق المتصوفة: عدم اهتمامهم بأمر الرزق، وانشراح صدورهم إذا لم يكن عند أحدهم دينار ولا درهم، بل وصل به الحد إلى إعجابه بأحد المتصوفة الذي كان يستحيي أن ينش الذباب عن وجهه، لقوة حيائه من الله أن يراه في طلب حظ نفسه، وأوضح أن من يذب الذباب عن وجهه، فقد طلب النعيم المعجل له في الدنيا[1].

كما زينوا للناس حياة الفقر والرضا بالرثاثة والقذارة والصبر على كل مكروه، والإذعان لكل ما يناله من الحكام المتجبرين والطغاة الظالمين، كذلك الانصراف عن الدنيا ومتاعها ومشاكلها إلى الآخرة والاستعداد لها، مما جعل التسليم المطلق بالقضاء والقدر، والقناعة إلى حد الاستكانة، والاتكالية، وعدم مقاومة الظلم، السمعة الغالبة على جميع أفراد المجتمع[2] .

أما الكرامات، فهي من المظاهر التي انتشرت انتشارا مفزعا بين معظم الناس، وكان للمتصوفة الدور الرئيسي في إيجادها وانتشارها .

وقد آمن المتصوفة بالكرامات وحثوا الناس على الإيمان بها، وها هو الشعراني يذكر أن العهود أخذت عليهم ألا يمكنوا أحدا من المتصوفة بالإصغاء إلى من يحط من قدر أو مكانة أحد من الأولياء أيا كان أو يعتدي على كراماتهم ومناقبهم، بل وصل الأمر إلى إدراج من يفعل هذا مع من يحط من قدر أبي بكر وعمر رضي الله وفضائلهما، وتعدّدت أنواع هذه الكرامات التي آمنوا بها وحثوا الناس على الاقتناع بها وتصديقها، كإحياء الموتى وكلامهم في الدنيا، وانقلاب البحر وجفافه، وانقلاب الأعيان، وانزواء الأرض، وكلام الحيوان والنبات والجماد، وإبراء العلل، وطاعة الحيوان، وطي الزمان

---

[1] عبد الوهاب الشعراني: **الجواهر والدرر مما استفاده سيدي عبد الوهاب الشعراني من شيخه سيد علي الخواص**، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1971م، ص ص 110-111.

[2] ليلي عبد اللطيف: **المجتمع المصري في العصر العثماني**، دار الكتاب الجامعي، د ط، القاهرة، 1987م، ص180.

ونشره، وإجابة الدعاء، والعلم بالغيب، والصبر على عدم الطعام والشراب لأمد طويل، والقدرة على رؤية الأماكن البعيدة من وراء حجاب، والتطور بأشكال مختلفة ومتباينة، ورؤية الله تعالى على شكل إنسان في أثناء النوم! والقدرة على إطالة العمر بطرد ملك الموت ، والتصرف في الفعل الإلهي! وإرشاد الخلق ونصحهم بعد الموت من داخل القبر! وغير ذلك كثيرا[1].

وقد ازداد الاعتقاد في كرامات الأولياء في القرون الثلاثة الأخيرة، بل وصل الأمر إلى حد الاعتقاد في الحيوانات، ويذكر عبد الرحمن الجبرتي أن الناس في مصر "أقبلوا على عنزة وأتوا إليها بالنذور والهدايا، وأتوا إلى صاحبها بالقناطير من اللوز والفستق، وعملت النساء للعنزة القلائد الذهب والأطواق والحلي ونحو ذلك، وافتتنوا بها، وشاع خبرها في بيوت الأمراء وأكابر النساء، وأرسلن على قدر مقامهن من النذور والهدايا، وذهبن لزيارتها ومشاهدتها وازدحمن عليها "[2].

ومن العجيب أن ينضم بعض علماء الأزهر للإيمان بهذه الكرامات والدفاع عنها مثل الشيخ حسن الكفراوي الذي "كان له بالشيخ صادومة التئام وعشرة ومحبة أكيدة واعتقاد عظيم، ويخبر عنه أنه من الأولياء وأرباب الأحوال والمكاشفات، بل يقول إنه هو الفرد الجامع، ونوّه بشأنه عند الأمراء ... أبرزه في قالب الولاية وجعل شعوذته ... من قبيل الخوارق والكرامات"[3]

لقد وصل هذا الاعتقاد في الأولياء وكرامتهم درجة خطيرة في القرن الثامن عشر ميلادي، تناسبت مع زيادة الاعتقاد في التصوف مع وجود الخرافات والأوهام التي سادت في ذلك العصر "حتى إنه في يوم 24 من ذي الحجة عام 1147هـ، أشيع في الناس يوم الجمعة 26 من ذي الحجة، وفشا هذا الكلام في الناس قاطبة حتى في القرى والأرياف، وودع الناس بعضهم بعضا"،

[1] عبد الرؤوف المناوي: **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، مطبعة الانوار المحمدية، ط1، القاهرة، 1938م، ج1، ص ص 11- 13. ينظر أيضا: عبد الوهاب الشعراني: البحر المورود، المصدر السابق، ص18.

[2] عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار...، المصدر السابق، ج1، ص ص 241-247.

[3] نفسه: ج1، ص ص 64-65.

وعندما مر يوم الجمعة دون قيام القيامة انتقلوا يقولون: فلان العالم قال: إن سيدي أحمد البدوي والدسوقي والشافعي تشفعوا في ذلك، وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخر اللهم انفعنا بهم"[1] .

ومن الجدير بالذكر، أن الأحوال الاجتماعية في مصر خلال الفترة العثمانية لم يكن هناك استسلام تام للكرامات، فقد كان هناك كثير من العلماء المنكرين لها، إلى جانب الدولة العثمانية، وحاولت السلطات الحاكمة والعلماء الوقوف في وجه هؤلاء المشعوذين بالترهيب أو الترغيب، ونجحوا في ذلك لكن بشكل محدود[2].

ومن الظواهر التي انتشرت بين الناس، وأدى المتصوفة دورا أساسيا في إيجادها واستمرارها وازدهارها، إلى يومنا هذا، ظاهرة المولد، حيث حفلت مصر وبعض الولايات العثمانية بعدد كبير جدا من الموالد الصوفية، أو ذات الصبغة الصوفية، وقد كانت تقام تكريما لأهل البيت، أو لأقطاب المتصوفة، أو لزعماء الطرق، أو لشيوخ المدن والقرى والأقل أهمية أو للدراويش والمجاذيب، وكان من أهمها موالد أهل البيت، مثل المولد النبوي، وموالد الحسين، والسيدة زينب، والسيدة فاطمة، والسيدة سكينة، والسيدة نفيسة، والسيدة عائشة، وزين العابدين، والإمام الشافعي، وجعفر الصادق.

ومن الموالد المرتبطة بزعماء الطرق الصوفية مولد عبدالوهاب المرزوقي العفيفي، مولد الشعراني، مولد أحمد البدوي ، ابراهيم الدسوقي[3].

وكانت ترصد لاقامة هذه المواسم الشعائر والاحتفالات المختلفة مبالغ مالية كبيرة، من مصادر متعدّدة.

كما قام المتصوفة بتشجيع الناس على حضور الموالد في المدن والقرى والأرياف من الرجال والنساء والأطفال، وخرجوا بهذا عن تعاليم الشريعة الإسلامية التي تحرم هذه الموالد وغيرها، والحقيقة

---

[1] نفسه: ص ص 65-66.

[2] زكي مبارك: **التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق**، مطبعة الاعتماد، ط1، القاهرة، 1938م، ج1، ص 42.

[3] فاروق أحمد مصطفى: **دراسات في المجتمع المصري الموالد– دراسة للعادات والتقاليد بمصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، الاسكندرية، 1980م، ص33.

تكمن في أن نتائجها سلبية على المجتمع، وثمة انتهاك لحرمة الدين، من ذلك: انتشار الشذوذ الجنسي، والمخدرات، والرشوة، وإهمالهم الكثير من الفرائض الدينية الأساسية، ومن ذلك أيضا ما ذكره الشعراني عن أحد الطلاب المجذوبين الذي كان يقيم عند نساء بباب الفتوح يخدمهن، وبعضهن بغايا، وما ذكره الجبرتي عن الشيخ بن أبي بكر الشهير "بالأثرم"، الذي كان يحضر بين يديه الشراب، وتنكب عليه نساء البلد[1].

وقد ذكر الشعراني في كتبه بعض أمثلة على هذا النوع من الخروج الأخلاقي عن الدين والأعراف والعادات السليمة، وهي أمثلة صارخة جدا ، ولها دلالاتها المهمة في هذا الشأن، خاصة أننا نتناول دور المتصوفة الذين قامت دعواهم في الأساس على الزهد والتقشف والتدين، ومن هنا فقد كان من السهل عليهم الدخول إلى البيوت والوصول إلى أسرارها بفضل ما أحاطوا به أنفسهم من هالات الثقى والصلاح، حيث تحدثهم النسوة عن أزماتهن الوجدانية بلا حرج ولا حياء.

ولم يكن دور المتصوفة في ترويج "الحشيش والأفيون والخمر" أقل من دورهم السابق، ويرى أد الباحثين الذين أدخلوا مادة الحشيش إلى مصر، وأشاعوا استعمالها بين المصريين في أوائل القرن 07هـ/13م هم المتصوفة[2].

ويرى البعض الآخر أنه على الرغم من أن محرمات الشريعة كانت لا تراعى بصورة واسعة في مسائل شرب الخمر وتعاطي المخدرات، فإنه من المؤكد أنهم هم الذين سبقوا غيرهم في تعاطي هذه الأنواع من المخدرات، ويكفي للدلالة على هذا أن الشعراني أشار إلى ضرورة عدم بغض الحشاشين، وإلى عدم زجرهم وضرورة التلطف معهم، بل جعل من مين الله عليه "خفض جناحه لفسقة المسلمين كالحشاشين"، وحذر معاصريه من " ازدراء من جلس في خان بنات الخطايا أو باع الحشيش"، بل

[1] عبد الستار فتح الله سعيد: **فتوى في دار علماء أزهر الشريف حول الأضرحة والقبور والواليد والنذور**، دار اليسر، ط5، القاهرة، 2010م، ص ص 76-79.

[2] عبد الوهاب الشعراني: **لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدّث بنعمة الله على الإطلاق**، مطبعة بولاق، دط، ص ص 206-466.

لقد قام بعضهم بالإتجار في الحشيش، مثال ذلك الشيخ عبد الله المجذوب الذي كان يطحن الحشيش ويبيعه[1].

من ناحية أخرى، أيد المتصوفة مبدأ رشوة الحكام والقضاة وغيرهم، وقال الشعراني: "إن العهود قد أخذت علينا أن نرشي بالدنيا ... كل من تحرك علينا بالأذى من جار أو شيخ بلد أو غفير وغيرهم، ولاسيما إذا تصدى للمرافعة فينا عند الحكام والقضاء، ولو لم يكن بيدنا إلا لقمة واحدة أعطيناها له"، ثم يعود فيذكر في موضع آخر أن الشيخ الدشطوطي نصحه قائلا: "إذا ذهب أحدكم إلى قاض ليثبت له حقا فليرشه قبل ذلك بما استطاع، وألا يخاف عليه أن يقبل الرشوة من الخصم ويضيع مالكم"[2].

وقد انتشرت مظاهر الرشوة، والنفاق، والتملق، والكذب، وقد عمل زعماء المتصوفة على استمرارها واستفحالها في المجتمع، وغلفوها بغلاف ديني كاذب ومزور، حيث تظاهر الكثير منهم بالمحافظة على قواعد الدين وأسسه، وغالوا في شروطهم للمتصوفة الجدد، ذلك قول الشعراني في الطبقات أنه "يكره أن يغتسل الشخص عريانا ولو في خلوة ..."[3]، بيد أن الواقع الفعلي أن هؤلاء المتصوفة كانوا أول الخارجين على الدين الإسلامي، فبعضهم ومنهم الشيخ عبد القادر الدشطوطي لم يكن يقيم الصلاة ويدعي أنه يقيمها في أماكن بعيدة مكة والمدينة وبيت المقدس، أما الشيخ بركات الخياط فقد طلب منه إمام المسجد مع فئة من العلماء أن يصحبهم إلى صلاة الجمعة "فاعتذر بأنه لم يتعود إقامتها، ثم استجاب لإلحاحهم وأراد أن يتطهر بماء قذر نجس، فلما ضاقوا به انهال عليهم سبا وطعنا"، بينما كان الشيخ تاج الدين يمكث سبعة أيام بوضوء واحد، وانتهى أمره أنه كان في آخر عمره يتوضأ كل أحد عشر يوما! أما إمام التصوف الشعراني، فقد أيد بشكل ضمني سقوط التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغير ذلك عن أولئك الذين سماهم بـ" الأولياء".

---

[1] عبد الوهاب الشعراني: **البحر المورود،** المصدر السابق، ج1، ص ص 146-147.

[2] عبد الوهاب الشعراني: **الطبقات الكبرى المسماة "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار"**، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ط3، 1987، ج2، ص 125

[3] عبد الوهاب الشعراني: **الطبقات الكبرى،** المصدر السابق، ج2، ص 125.

من ناحية أخرى، كان بعض هؤلاء المتصوفة يقومون بأداء البدع والمحرمات، وما زالت سائدة إلى يومنا هذا، مثل الدعاء إلى ولي من الأولياء بدلا من دعاء الله عز وجل، ويذكر الشربيني أنه التقى برجل من المتصوفة كان يكثر الذكر والعبادة، وعندما قام وصلى وفرغ من صلاته توجه إلى ناحية أحمد البدوي قائلا: "كن لي يا أبا الفرجات، وتقبل عبادتي ، ويسر لي رزقي"، وعندما لامه الشربيني على ذلك، وأوضح له الصواب، أجابه بأنه إنما فعل ذلك نقلا عن شيخه الذي كان يقول له: "أقصد بعبادتك سيدي أحمد البدوي"[1].

كما شجع المتصوفة ازدياد انتشار الاعتقاد في السعر والشعوذة، وذلك من خلال جرهم للمجتمعات التي يعشون فيها للإيمان بالأولياء والدراويش، سواء في كرماتهم أو طلاسيمهم أو سحرهم خاصة في جو ساده الجهل والمرض.

على أية حال، فإن كثرة أنواع هذه الأمراض الاجتماعية وانتشارها بشكل حاد، أدى إلى إيجاد بعض المنكرين على المتصوفة، وهم رغم قلتهم وضعف دورهم فإننا يجب ألا نهملهم، فقد أنكر بعض العلماء على أولاك المتصوفة ما كانو يفعلونه ويظهرونه من أفعال سيئة، لا تتفق مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وممن أنكر على المتصوفة في مصر مُحَمَّد صفي الدين الحنفي في رسالة سماها "الصاعقة المحرفة"، رد فيها على المتصوفة الذين اتخذوا الرقص واللعب دينا، وخلطوهما بالعبادة[2].

بيد أن هذا الإنكار من العلماء والمثقفين سرعان ما قل وكاد أن يتلاشي في القرنيين 11-12هـ/ 17-18م، خاصة وقد انخرط الأزهر معقل الفقهاء في التصوف، وأصبح يمثل جانبا من جوانب التطور بشكل عام، لينحصر الأمر في بعض الأشخاص بأعينهم، ولتصبح ظاهرة فردية لا تستطيع أن تقدم حلا أو علاجا جذريا بعينه، فعلى سبيل المثال كان الشيخ الشربيني يعترض على

[1] عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج2، ص ص 125-126 .

[2] علي مبارك: الخطط التوفيقية، المصدر السابق، ج1، ص 162.

هذه الأوضاع السيئة خاصة في الريف، بينما كان الجبرتي يبدي نوعا من الاعتراض على تلك المظاهر المنحرفة التي صاحبت موالد الأولياء، والإيمان بكراماتهم[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الباحثين والكتاب أوغلوا في الكتابة عن دور المتصوفة في رفع الظلم الذي كان يقع على بعض أفراد المجتمع، من قبل الأمراء والوزراء والولاة العثمانيين، ويضربون بعض الأمثلة على ذلك، كمقاومة الشعب المصري وتمرده على الولاة الظالمين، تلك المقاومة التي تمثلت في شخصية الشعراني، الذي استطاع بإيمانه وشخصيته وجهاده أن يمثل سلطة الشعب، وأن يرد العدوان عنه، وأن ينتزع له حقوقه من ظالميه، وكشخصية الشرقاوي الذي تزعم الشعب المصري عام 1208هـ/ 1793م، لرد عدوان الظالمين وعقابهم أيضا، وبالغ البعض في ذلك إلى الحد الذي وصف به الشعب المصري في هذه الحادثة بأنه: " انتزع وثيقة حقوق الإنسان من العثمانيين في الحرية والعدل والأمن"[2].

والحقيقة أن المتتبع لمواقف المتصوفة وأسبابها يلاحظ عدم دقة مثل هذه المقولات، بالتالي بعدها عن الصحة في أحيان كثيرة، فقد حاول الشعراني أن يلعب دورا مزدوجا مع الحكام والمحكومين، بحيث يظهر في عيون الحكام بصورة الشخص المطيع والمؤيد لهم، على حين يبقى في عقول المصريين وقلوبهم الشخص المعين الذي يرفع الظلم عن كاهل المظلومين.

وعلى الرغم من نجاح الشعراني بدرجة معقولة في تنفيذ هذه السياسة، فإن متابعة كتاباته التناقضات والازدواجيتان التي وقع فيها، بحيث يبدو أن الرجل قد تلون مع كل الأطراف بكل الألوان، وحاول الإفادة منهم جميعا، فبينما رفع الدعوة بضرورة أن يقيم الناس العذر للحكام الظالمين، رفع في مقابلها دعوة عدم قبول هدايا هؤلاء الحكام، وفي الوقت الذي اعترف باعوجاج الحكام في عصره، اعترف كذلك باعوجاج الرعية، بل أرجع اعوجاج الحكام إلى اعوجاج المحكومين، وبينما دعا معاصريه إلى التحلي بالمثل والأخلاق الفاضلة، فإنه ذكر في عدة مواضع أن الإنسان يحتاج في هذا

[1] عبد الحليم محمود: **قضية التصوف– المدرسة الشاذلية**، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1983م، ص415.

[2] عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار...، المصدر السابق، ج1، ص195.

الزمان إلى قلة الحياء في مواطن كثيرة، ويكون ذلك أرجح وأصلح من الحياء والحشمة، فكن يا أخي، مشاكلا للناس في أحوالهم وتلون لهم كما تلونوا لك، فإن ظهروا بمظهر "الذئاب" فكن ذئبا، وإن ظهروا بمظهر السباع فكن سبعا، وإن ظهروا بمظهر الثعالب فكن ثعلبا، وإن نصبوا عليك فانصب عليهم حتى تصل إلى حقك[1] ".

وعندما تطورت الأوضاع المختلفة للمتصوفة، أصبحت مواقفهم من قضايا الظلم الاقتصادي والاجتماعي والإداري والتعليمي تعبر عن أوضاعهم الخاصة أولا، ثم عن أوضاعهم بصفتهم متصوفة ثانيا.

ج) دور المتصوفة بمصر في الحياة الثقافية:

سيطرت الروح الصوفية سيطرة تكاد تكون تامة على جامع الأزهر بوجه عام، باعتباره أكبر مؤسسة تعليمية في الدولة العثمانية، وكان معظم شيوخه الذين ترجم لهم الجبرتي وغيره منتمين إلى الطرق الصوفية، وكان العالم الأزهري يجاز أولًا في العلوم الشرعية، ثم يجاز ثانيا بإجازة الطريق الصوفي أو العكس. ومن المتصوفة الذين كانوا شيوخا في الجامع الأزهر وتولوا رئاسته: الشيخ إبراهيم الفيومي المالكي (1123-1137هـ/ 1721-1725م)، الذي وصف بأنه كان رجلًا وليا[2]، والشيخ عبد الله الشبراوي (1137- 1171هـ / 1725- 1757م) الذي انتصر للشيخ علي البيومي عند الوالي حينما اعترض عليه المعترضون، بسبب عقده مجلس الذكر في المشهد الحسيني، والشيخ مُحَمَّد بن سالم الحفناوي (1171-1181هـ/ 1757-1767م)، الذي كان خلوتيا [3]، كما ذكرنا سابقا، ومنهم الشيخ أحمد العروسي (1192 - 1208 هـ / 1778-1793م)، الذي تلقي الطريقة على يد السيد مصطفى البكري ولازمه كثيرا، واجتمع بعد ذلك بالشيخ أحمد العريان، واهتم

---

[1] عبد الوهاب الشعراني: **الأنوار القدسية في بيان أداء العبودية**، مطبوع على هامش كتاب الطبقات الكبرى للشعراني، مطبعة مُحَمَّد علي صبيح وأولاه، ص ص 38-39.

[2] ماجدة منصور: **أثر الطرق الصوفية في الحياة السياسية والإجتماعية في مصر العثماني**، في المجلة التاريخية المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، مج50، القاهرة، 1438هـ/2016م، ص 228.

[3] نفسه: ص ص 228-229.

به اهتماما زائدا فكان لا يفارقه وزوجه إحدى بناته ، خاصة أن العريان قد بشره بأنه سيشود، ومنهم، الشيخ عبد الله الشرقاوي (1208-1227هـ /1793-1812م)، الذي أوغل في دخول الطريق الخلوتي، وصار له مجلس ذكر، حتى أن مجلسه هذا كان يضم أحيانا أناسا يأخذون في الذكر والإرشاد وينادون في إنشادهم بقولهم: يا بكري مدد، يا حنفي مدد، يا شرقاوي مدد، وعندما مات الشيخ الحنفي نجح الشرقاوي أن يكون خليفة بعده[1].

نجد أن العصر العثماني في مصر وبعض الولايات العربية، قد شهد توغل التصوف داخل الأزهر باطراد طوال القرون الثلاثة، ويتّضح ذلك بصورة جلية في كتابات الشعراني، والنابلسي، والمحبي، وأحمد شلبي، والمناوي، وغيرهم، فالشيخ زكريا الأنصاري على الرغم من تصوفه إلا أنه التحق بالأزهر واستمر ملازما للاستماع إلى كبار علمائه وفقهائه والمتصوفين منهم خاصة، حتى أصبح أحد أركان الطريقين "الفقه والتصوف"، بل كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فوق سطح منزله[2]، أما الشيخ مُحَّد المنير البلبيسي فقد كان يصوم رمضان كل عام بالجامع الأزهر[3].

وكان الشيخ الشوني أول من عمل طريقة المحيا في الصلاة على النبي ﷺ بالأزهر، وأصبح شيخها في مصر ونواحيها، ورغم اعتراض بعض رجال الأزهر عليه، فإن البعض الاخر سانده وهناك عشرات الأسماء ممن كانوا قد تعلموا وتصوفوا في الوقت نفسه، ومنهم على سبيل المثال أيضا مُحَّد بن سالم الطبلاوي (ت.967هـ/1559م)، وصالح بن عبد الله الكتامي (ت.991هـ/1583م)[4].

ولما كان الأزهر أكبر مؤسّسة تعليمية في ذلك الوقت، سواء في تعليم الطلبة وتخرجهم، أو في نشر الثقافة، انعكس هذا التحول على مؤسسات التعليم في مصر وبقية البلاد العثمانية، وأصبح من الواضح فيها هي الأخرى اندماج الفقه والتصوف، وبروز الفقهاء المتصوفة على اعتبار أن معظم

---

[1] ماجدة منصور: أثر الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص 229.

[2] علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، المصدر السابق، ص ص 27-30.

[3] نجم الدين مُحَّد الغزي: **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1997م، 1418هـ/1997م، ج1، ص 95.

[4] نفسه: ج2، ص 214.

القائمين على التعليم فيها كانوا من خريجي الأزهر، أو ممن حضروا حلقات علمه، أو ممن تأثروا بالفكر السائد به وبمكانته العلمية واتجاهاته الفكرية [1].

ولم يقتصر التصوف على جامع الأزهر، بل لقد انتشر في سائر المؤسّسات التعليمية آنذاك، ومنها المساجد والجوامع والزوايا والتكايا، وكان معظم الشيوخ الذين قاموا بالتدريس فيها من المتصوفة الذين تلقوا تعليمهم في الجامع الأزهر. وقد شهدت الزوايا هي الأخرى خلال الفترة العثمانية، تعددا لمهامها، فقد جاء في حجة وقف مصطفى باشا على زاويته أنه: "وقفها مسجدا الله تعالى، تصلى فيها الصلوات المفروضات، وتقام فيها السنن والجماعات، ويعتكف فيها على العبادة والطاعات ...، وتلاوة القرآن العظيم، وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، ومذاكرة العلوم وتفهيمها ومدارستها وتعليمها، وأذن في دخولها، والصلاة فيها والاعتكاف، وجعل حكمها حكم المساجد"[2].

أما التكايا، فقد كانت تهتم بالجانب العلمي، وتحرص على أن يكون بها الطلبة الأتراك ومدرسون، حيث توفر لهم كل ما يحتاجونه من أمور المعيشة، وقد حظيت بأوقاف واسعة انعكست على مستوى معيشة الطلاب النازلين بها، وعلى القائمين بالتدريس فيها[3] .

في الحقيقة، إن العملية التعليمية داخل التكايا كانت تتشابه كثيرا مع مثيلاتها في المؤسسات الصوفية الأخرى، سواء من حيث الدراسة أو نظامها، ولكونها كانت تضم الطلبة الأتراك فقد كانت تدرس بها بعض كتب التصوف التي لم يكن الطلبة المصريون يتداولونها بين أيديهم من قبل، سواء للدراسة أو القراءة، ومن أهم هذه الكتب كتاب "المثنوي" لجلال الدين الرومي، وقلما وجدت زاوية أو تكية للأتراك في البلاد العربية لم تكن تدرس هذا الكتاب، وعلى سبيل المثال نصت حجة وقف

---

[1] عبد الجواد صابر إسماعيل: **مجتمع علماء الأزهر إبان الحكم العثماني 1517-1797م**، دار الكتب والوثائق القومية، دط، القاهرة، 2016، ص 297.

[2] ماجدة منصور: أثر الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص 230.

[3] محمد صبري الدالي: التصوف وأيامه...، المرجع السابق، ص 106-107.

حسن الدفتردار على التكية المولوية على أن "يصرف في كل شهر من شهور الأهلة من الفضة الموصوفة خمسة عشر نصفا لقارئي المستوى بالتكية"[1]

أما الخانقاهات، فعلى الرغم من تدهور أحوالها إلا أن الدراسة بمعظمها إجبارية، وكان يتولى مشيختها كبار العلماء والفقهاء، وتمنح الدارسين بها إجازات علمية، كذلك لم يكن الأمر فيها يخلو من عقد جلسات للوعظ والإرشاد. ومن الأمور التي ارتبطت بالمؤسسات التعليمية الصوفية المكتبات، وقد كان الجامع الأزهر يأتي في المقدمة بشأن المكتبات، فقد كان لكل رواق مكتبته الخاصة لتيسر مهمة البحث والدرس للطلاب المنتمين إليه، فكان في كل من رواق المغاربة، ورواق الترك، ورواق الشوام، ورواق الصعايدة، ورواق الحنفية، وغيرها من الأروقة، مجموعات من الكتب، تبلغ كل مجموعة منها الآلاف من المجلدات.

أما اسهامات المتصوفة في حركة التأليف أو التصنيف في العهد العهد العثماني إعتبارها المؤشر الحقيقي للتطور الحياة الفكرية أو تأخرها، فإنه موضوع معقد ومتشابك إلى أقصى حد، نظرا لطول فترة الحكم العثماني من ناحية، وكثرة عدد الكتب وصعوبة تصيفيه وفق تخصصتها واختلاط المتون والشروح والحواشي، وعدم وضوح العدد الحقيقي لمؤلفات المؤلف من تأليف الخالص من ناحية أخرى وهي مدة تتسم بيد حركة التأليف في ذلك العصر[2].

وقد كان الحديث الشريف من العلوم الشرعية التي اهتم بها المتصوفة اهتماما متباينا، وانعكس ذلك التباين على تطوره، فقد كانت دراسة الحديث عند المتصوفة منذ القرن السادس عشر الميلادي، بل من قبله منصبا تماما على الأحاديث التي تحض على الزهد والفقر والعبادة حتى لو كانت ضعيفة[3].

ويذكر الشعراني قائلا :"أخذ علينا العهود أن نعمل بها كما هو الغالب في الناس"، ولقد كان الشعراني أبرز مثال على صحة ذلك، فقد شغل بتلك الأنواع من الأحاديث ومعظمها غير صحيح،

---

[1] ماجدة منصور: المرجع السابق، ص 231.

[2] عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، ج1، ص ص 372-392.

[3] مُحَمَّد صبري الدالي: التصوف وأيامه...، المرجع السابق، ص 387.

وللشعراني مؤلفان في الحديث سارا في الدرب نفسه، هما: "البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير"، و"المنهج المين في بيان أدلة المجتهدين"[1].

وقد تعامل الشعراني مع الفقهاء والعلماء بمصر وخداع شديدين، ونصح أتباعه وزمرته بذلك، إذ قال: "ومن أخلاقهم أي المتصوفة، موافقة الفقيه إذا أنكر شيئا من أحوال أهل الطريقة أو أمرهم بشيء، ولا يقم أحدهم عليه. أي على الفقيه الحجة إلا إن علم أنه يرجع إلى قوله، وذلك لأن الفقيه في دائرة لا يعرف غيرها، فإذا قال أن القطب مثلا أو البدل أو الوتد لا حقيقة له، فقل له نعم، واقصد بذلك أنه ليس حقيقة عنده، وإذا قال الأولياء قد انقرضوا ولم يبق منهم أحد فقل له صدقت، أي على معتقده هو، وكذا إن قال الخضر لا وجود له فقل له نعم ... "[2]. وقال أيضا: " سمعتُ سيدي علي الخواص يقول: لا اعتراض على الفقيه إذا أنكر على المتصوفة أمرا يخالف الشرع، واعلم يا أخي أن غالب الإنكار الذي يقع بين الفقهاء والصوفية إنما هو بين القاصر من كل منهما وبين مثله، وإلا فالكامل من الفقهاء يسلم للعارفين، والعارفون يسلمون للعلماء ... "[3]، وقد وصل الأمر في نهايته إلى قيام نوع من الوفاق بين الفقهاء ومجلّهم من المتصوفة . والمتصوفة، مما أدى إلى قوة تيار التصوف.

أما إسهامات المتصوفة في التأليف في مجال الشعر فهي كثيرة، وقد تعددت أهداف الشعر لديهم تعددا كبيرا، فمنه ما كان موجها لمدح الصحابة رضوان الله عليهم وذكر مناقبهم، وإظهار الولاء والاحترام لهم، ومنه ما كان موجها للوعظ والإرشاد، وتوضيح آداب الطريق للمريدين بشكل عام فيما

[1] عبد الوهاب الشعراني: **الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق**، تح: حسن مُحَّد الشرقاوي، دار المعارف، مصر، 1991م، ص ص 17-18.

[2] عبد الوهاب الشعراني: المصدر السابق، ص ص 17-18.

[3] المصدر نفسه، ص ص 17-18.

يتصل بحياتهم الخاصة، وحياتهم بوصفهم متصوفة، وطرق أكلهم وملبسهم وشتى أوجه اهتماماتهم ومعيشتهم[1].

وهنا يبرز موقف زعماء المتصوفة من بعض العلوم، حيث قال علي الخواص: "العلم علمان، علم يحتاج منه مثل ما تحتاج من القوت، فينبغي الاقتصاد والاقتصار على قدر الحاجة منه، وهو علم الأحكام الشرعية، فلا ينغي النظر فيه إلا بقدر ما تمس الحاجة اليه في الوقت، فان تعلق تلك العلوم انما هو بالاحوال الواقعة في الدنيا لاغير، وعلم ليس له حد يوقف عند وهو علم متعلق بالله ومواطن القيامة أذ أعلم بمواطنها يؤدي العالم بها الى الاستعداد لكل موطن بما يليق به...ليعد له الجواب. ومواطن القيامة منه، فإن العلم بموطنها يؤدي العالم بها إلى الاستعداد لكل موطن يليق به ارد، ليعد له الجواب[2].

وقال الشعراني: "ومما أنعم الله به علي من صغرى كراهتي لتعلم علم الحرف وعلم الرمل والهندسة والسيمياء، وغير ذلك من علوم الفلسفة، وزجر أعواني في تعلم ذلك، فإن هذه الأمور إنما يفعلها المفلسون من صفات الصالحين، فيريدون أن يكون لهم تأثير في الوجود تشبيها بالصالحين الذين يقع منهم تأثير بتوجههم الى الله تعالى في ظالم أو فاجر ...ولو أن أهل هذه العلوم شموا رائحة الأذب مع الله تعالى"[3].

د) عبد الرحمان الأزهري والطريقة الرحمانية:

عرفت الجزائر على مرّ العصور كثيراً من رجال الثقافة والعلماء البارزين في شتى العلوم من فقه وتفسير وحديث وفلسفة وتصوف وفلك وغيرها، ومن أبرز هؤلاء الأعلام الذين أنجبتهم الجزائر الشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن الأزهري، فهو من الشخصيات العلمية و الدينية التي أثرت في المجتمع الجزائري

---

[1] ماجدة منصور: أثر الطرق الصوفية...، المرجع السابق ، ص 233.

[2] اسماعيل حقي البروسوي: **تفسير روح البيان**، المطبعة العثمانية، دط، استانبول، 1926م، مج09، ص 205.

[3] مُحَّد فؤاد شاكر: **الأحاديث الموضوعة عند الصوفية**، رسالة دكتوراه في الآداب، اشراف: مُحَّد عويس مُحَّد، كلية الاداب، جامعة سوهاج قسم اللغة العربية، 1410هـ/ 1989م، ص240.

بصفة كبيرة جدا، وتركت بصماتها واضحة جلية في الحياة الدينية، ومن الذين ساهموا في إثراء التجربة الروحية في الجزائر.

1- التعريف بـ "عبد الرحمان الأزهري":

هو الإمام العارف بالله أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن القحطولي الزواوي الأزهري، الفقيه الصوفي، فقد اختلف المؤرخون حول تاريخ ولادته، مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم القشطولي الزواوي الإدريسي، الملقب ببوقبرين، الحسين شيخ الطريقة الرحمانية الخلوتية، المنتشرة في كامل إفريقيا الشمالية والوسطى، وهو أول من جاء بها من المشرق للمغرب ولد بقرية بوعلاوة[1]، بعشيرة آيت إسماعيل من إقليم قشطولة من أرض جرجرة، وهناك نشأ وزاول تعليمه الأول بزاوية الشيخ الحسين آغراب بآيت إيراثن ببلاد القبائل[2]، على يد الشيخ بن بلقاسم التاجديوي وكان ابن أعراب قد زار مصر، وعاد منها بثقافة واسعة ثم ارتحل صغيرا للمشرق سنة (1152 هـ/1740م)، فحج لبيت الله ثم نزل القاهرة مجاورا الأزهر الشريف[3] ، وأخذ العلم من المشايخ، أمثال: مُحَمَّد بن سالم الحفناوي، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي، الشيخ أحمد الدردير ومن ذويهم من علماء مصر، وبعدها ارتحل من الهند مباشرة إلى الجزائر سنة 1183هـ/1769م، واستقر ببجاية فأقبل عليه الناس ما بين متبرك ومستفيد، واكتسب اتباعا له بعدها انقطع للقيام بتلقين آداب الطريقة الخلوتية ونشرها بين كافة الشعب حتى عمت هذه الطريقة بلاد الجزائر إضافة لانتشارها في تونس[4].

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج4، ص 268.

[2] حفناوي بعلي: الرحلات الحجازية...، المرجع السابق، ص447.

[3] خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ص 134.

[4] عبد الحكيم مرتاض: **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني(924-1246هـ/1518-1830م)**، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ، جامعة أحمد بن بلة01، وهران، السنة الجامعية 1436-1437هـ/2015-2016م،ص46.

2- شيوخ الأزهري المتصوفة بمصر:

- الشيخ الصعيدي العدوي (ت.1189 هـ/1775م):

وهو علي بن أحمد بن مكرم، أبو الحسن وأبو الضياء الصعيدي العدوي المالكي، ولد سنة 1111هـ/1700م، من شيوخ الأزهر المعروفين، شيخ مشائخ الإسلام في زمانه، قدم القاهرة من الصعيد وأخذ العلم عن الملوي والبرلسي والنفراوي...و غيرهم ودرس بالأزهر الشريف وأخذ عنه أعلام منهم: البناني، القلعي، الدردير...إلخ[1].

ومن تآليفه: "حاشية على شرح كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني"، "حاشية على ابن تركي" وأخرى على "شرح الزرقاني" ...، وقبل ظهوره لم تكن تعرف المالكية الحواشي في كتبهم الفقهية، فهو أول من خدم تلك الكتب بها[2].

أخذ عنه الشيخ الأزهري الفقه وغيره. ويرفع الجبرتي سلسلته في الفقه إلى الرسول، حيث يقول:

"وقد أخذت الفقه وغيره عن شيخنا العلامة صاحب التصانيف النافعة الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي وهو عن جماعة منهم...عن سيد أهل الدنيا و الآخرة مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب"[3].

[1] مُحَمَّد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، المصدر السابق، ج3، ص206، ينظر أيضا: البغدادي: هدية العارفين، المصدر السابق، ج1، ص 769. أيضا: مُحَمَّد مخلوف، شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 341، أيضا: رضا كحالة: معجم المؤلفين، المصدر السابق، ج7، ص 29. أيضا: خير الدين الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، مج4، ص 260.

[2] حسن الجبرتي: عجائب الآثار... ، المصدر السابق، ج1، ص 477.

[3] مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأزهري : **طي الأنفاس** ، مخطوط بزاوية الهامل ، نسخ سنة 1265 هـ ، ص24، أيضا: مُحَمَّد الحفناوي تعريف الخلف، المرجع السابق، ج2، ص 465.

- الشيخ الدردير(ت.1201هـ/1786م):

أحمد بن مُحَّد بن أبي حامد العدوي، المالكي الأزهري، الخلوتي الشهير بالدردير، وذكر عن لقبه "الدردير" أن قبيلة من العرب نزلت ببني عدي، وكان كبيرهم رجل مبارك من أهل العلم والفضل يدعى الدردير، فلقب أحمد به تفاؤلا لبركته[1]، واحد من المنسوب إليهم التجديد على رأس لمائة الثانية عشر من المالكية. ولد سنة 1127هـ/1715م، بقرية بني عدي التي تسكنها قبيلة بني عدي القرشية في أسيوط بصعيد مصر، وهم من نسل الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب، وجلهم، إن لم يكونوا كلهم، على مذهب مالك[2].

حفظ القرآن وجوده، وحبب إليه طلب العلم، فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء: الشيخ مُحَّد الدفراوي، وعلوم الحديث النبوي الشريف عن شيخ أحمد الصباغ. وتفقه على الشيخ علي الصعيدي العدوي، ولازمه في كل دروسه حتى ظهرت نجابته ونباهته ... وعلى شمس الدين الحنفي، وبه تخرج في طريق القوم، فتلقن الذكر وطريقة الخلوتية من الحنفي وصار من أكبر خلفائه[3].

وكان صوفيا نقيا سنيا زاهدا، قوالا للحق، زجارا للخلق عن المنكرات و المعاصي، لا يهاب واليا ولا سلطانا ولا وجيها من الناس، سليم الباطن مهذب النفس كريم الأخلاق.

وأفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة والزهد والفقه والديانة، حتى تولى الفتيا بمصر ورئاسة الجامع الأزهر، وللشيخ أحمد الدردير عدة مؤلفات، نذكر منها:

---

[1] عبد الحليم محمود: **أبو البركات سيدي أحمد الدردير**، دار المعارف، ط1، مصر، 1974م، ص35 . أيضا: الحسن الجبرتي: تاريخ عجائب الآثار، المصدر السابق، ج2، ص 32. أيضا: إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[2] عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج1، ص 293.

[3] حسن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج2، ص 32.

- شرح مختصر خليل، الذي هو عمدة الفقه المالكي، أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري و الزرقاني، واقتصر فيه على الراجح من الأقوال؛

- متن في فقه المذهب المالكي، سماه " أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك"؛

- نظم الخريدة السبية في العقيدة السنية...في علم التوحيد، وشرحها كذلك؛

- تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف السني[1].

ولما توفي الشيخ علي الصعيدي عيّن أحمد الدردير شيخا للمالكية، وفقيها وناظرا على "وقف الصعايدة"، بل وشيخا على "رواق الصعايدة" بالأزهر، وشيخا على أهل مصر بأسرها في وقته[2]، مرض أياما ولزم الفراش مدة، حتى توفي، وصلى عليه بالأزهر، ودفن بزاويته التي أنشأها بخط الكعكيين بجوار الأزهر الشريف. فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وله في السعي على الخير يد بيضاء. حضر الشيخ الأزهر بعضا من دروسه وأجازه في علم الفقه، فهما يشتركان في الأخذ عن الشيخ الصعيدي، وكانا زميلي دراسة بالأزهر الشريف[3].

- الشيخ العمروسي(ت. 1173هـ/1760)

علي بن خضر بن أحمد العمروسي، المالكي، الفقيه، متكلم، درس بالجامع الأزهر[4]، من فقهاء المالكية بمصر، من علماء الأزهر[5]، لم تذكر المصادر سنة مولده، وأحد علماء الأزهر الشريف،

---

[1] محمد البشير ظافر أزهري: **كتاب اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**، مطبعة الملاجئ العباسية،دط، القاهرة، 1325هـ، ج1، ص64. ينظر أيضا: عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص ص 53-54.

[2] محمد البشير ظافر أزهري: المرجه نفسه، ص 53.

[3] أبي البركات أحمد الدردير: **شرح تحفة الاخوان في علم المجاز**، دراسة وتح: عمرو رابحي، د دن، دط، د س ن، ص ص 42-43.

[4] عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين: المصدر السابق، ج7، ص 86.

[5] خير الدين الزركلي: الأعلام: المصدر السابق،ج4، ص ص 284-285.

أخذ عن جلة منهم السلموني ومُحَّد الزرقاني والشهاب النفراوي[1]، وانتفع به الطلبة.

من تصانيفه: له -"شرح مختصر الشيخ خليل في فروع المالكية " مجلدين.

-"حاشية على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد"[2].

- الشيخ الجداوي (ت. 1202هـ/1796م)

حسن بن غالب الجداوي الأزهري، الامام العلامة، أحد المتصدرين وأوحد العلماء المتخرجين، صاحب التحقيقات[3] تفقه على أفقه المالكية في وقته، الشيخ ممد السلموني وأخذ الفنون بإتقان عن الشيخ علي خضر العمروسي وعلى الشيخ مُحَّد البليدي والصعيدي[4]، من مؤلفاته:

- "شرح اليعقوبية في مصطلح الحديث"؛

- "ديوان خطب"[5].

- الشيخ المنور التلمساني(ت.1173 هـ/1760م)

هو مُحَّد بن عبد الله بن أيوب، أبو عبد الله المعروف بـ "المنور التلمساني "، محدّث كبير، أديب ورحالة، من فقهاء المالكية، من أهل تلمسان، رحل في كلب العلم، فأخذ عن كثير من علماء المشرق وأجازه آخرون[1]، وهو من أتباع الطريقة الشاذلية، ولد بتلمسان ونشأ بها وأخذ الفقه عن الشيخ مصطفى الرماصي(ت.1137هـ/ 1724م).

---

[1] عمر مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص 339.

[2] البغدادي: هدية العارفين، المصدر السابق،ج1، ص768.

[3] عمر مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ج1، ص517

[4] إبراهيم البيطار: حلية البشر، المصدر السابق، ص ص 480-481.

[5] عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج8، المصدر السابق، ص 268.

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص79.

تولى التدريس بالجامع الأزهر، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ مُحَّد بن أبي زيان القنادسي بالقنادسة، وأخذ عنه الشيخ الأزهري، أحمد بن عمارة، وأخذ عنه أيضا عهد الطريقة الشاذلية وأورادها، عبد القادر المشرفي، الحافظ الزبيــدي(ت.1205هـ/1790م)، ثمّ رحل إلى المشرق، فأخذ عن كثير من علمائه وأجازوه، منهم: أحمد بن مبارك اللمطي، والمسناوي، مُحَّد بن عبد الرحمن بن زكري ... وغيرهم[1].

ومن آثاره: "مجموعة في إجازاته له مشائخه"، ذكر بعضها الشيخ الكتاني في فهرسه توفي بمصر بعد رجوعه من الحج[2].

3- شيخه في الطريقة:

- الشيخ مُحَّد الحفناوي(ت.1181هـ/1767م)

مُحَّد بن سالم بن أحمد الحفني الحفناوي، الشافعي الخلوتي، أبو المكارم نجم الدين، فقيه، نحوي، بياني، رياضي، ولد بحفنة، تعلم في الأزهر، تولى التدريس فيه، وولي مشيخة الأزهر[3]، أخذ عن مشايخ عصره كحمد بن عبد الله السجلماسي، وعبيد بن علي النمرسي، ومصطفي بن أحمد العزيزي، وجمال عبد الله الشبراوي، والشهابين أحمد الملوي وأمد الجوهري، ....، وأخذ الطريقة الخلوتية عن مصطفى بن كمال الدين البكري، وتربى على يديه[1].

---

[1] خير الدين الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج7، ص70. أيضا: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج7، ص70.

[2] عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج2، ص570.

[3] عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، الصدر السابق، ج10، ص 15

[1] مُحَّد خليل المرادي: سللك الدرر، المصدر السابق، ج4، ص ص 49-50.

وله العديد من التآليف النافعة، ومن مؤلفاته: " الثمرة البهية في أسماء الصابة البدرية"، "حاشية على شرح الأشموني"، "أنفس نفائس الدرر"، "حاشية على شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي"، "رسالة في التقاليد في الفروع"[1].

وجاء في إجازة الشيخ الحفناوي للأزهري ما يأتي: " قد أجزت الحسيب النسيب سيدي مُحَّد بن عبد الرحمن الزواوي، بأوراد طريقتنا طريق السادات الخلوتية، وأن يجيزها من طلبها منه ... كتبه مُحَّد بن سالم الحفناوي الشافعي غفر الله ولوالديه وللمسلمين، في غرة صفر الخير من شهور سنة 1168ه"[2].

وصفوة القول، تُعد الطرق الصوفية ظاهرة دينية بارزة في القرن 18م، وقد حظي شيوخها بمكانة ونفوذ كبيرين في المجتمع المصري، وكان لهم دور هام في في الحياة الدينية.

ه) الطريقة الخلوتية ودورها في التواصل:

ارتبط اسم الطريقة الخلوتية بمصر في عدّة مواضع بالشخ أبي سالم مُحَّد الحفناوي، حتى أصبح يطلق على أتباعها الحفناويين، وهي من الطرق الحديثة التي وجدت صدى واسع في بلاد المغارب عموما والجزائر خصوصا أثناء القرن 18م.

ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى العلاقات الجزائرية المصرية وأعلام المتصوفة والزوايا، وفي مقدّمتهم الشيخ محمود الكردي وتلميذه في مناطق المغرب من أهمهم: أحمد الصقلي الفاسي (ت.1764م)، وهو مؤسّس طريقة نسبة إلى اسمه وسميت بالطريقة الصقلية، وكان من تلاميذ الحفناوي ممن ساهموا في نشر الصوفية وتوطيد الصلات الروحية بين مصر ومناطق بلاد المغارب والجزائر الرحَّالَة الورتيلاني، والزبادي، ومُحَّد بن الطيب القادري (ت. 1773م)، والشيخ مُحَّد بن عبد

---

[1] خير الدين الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج6، ص ص 134-134.

[2] شرح على الريفاوي: مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة رقم: 944.

الرحمن الزواوي الجزائري (ت. 1793م)، وكان لهذا الشيخ مكانة خاصة بين المتصوفة الأمر الذي أدّى إلى اعتماد طريقته في جميع أقطار العالم الإسلامي وفي الزوايا المصرية والجزائرية[1].

كما شجع ولات مصر على التواصل بين الجزائر ومصر، خاصة ركب الحج حيث نجد رسالة من والي مصر إلى والي الجزائر، مضمونها إعفاء الجزائريين المتوجهين إلى الحج من أداء رسوم الجمركية[2].

ثالثا: دور الزوايا بالجزائر في التواصل الروحي:

أ) أنواع الزوايا:

عرفت الزاوية تطورًا كبيرًا منذ مطلع مقتبل القرن 07هـ/ 13م، حيث أنشئت الزوايا وأدّت إلى نشاط كبير في الحركة المعرفية والروحية داخل القرى والمدن، مما ساعد على تمسك شعوب المنطقة بدينها، وكما كان لها دور في محاربة المستعمرين وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزاة الأجانب، أما في زمن الحرب فكانت تلك الزوايا أهدافها ووظائفها تتلخص في محاولة القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية والروحية، وكانت مؤسسها من طرف مشايخ، ورجال متصوفين، وعلماء قصدهم الأساسي وجهه عز وجل فلا يريدون من أحد جزاء ولا شكورًا، ومال ولا جاه[3].

أما في الجزائر، فلقد عرفت عددًا هامًا من الزوايا أدّت دورها بشكل شبة متكامل من الناحية العلمية والثقافية والروحية، فمنذ انتشارها انتشارًا واضحًا، سواء في الأرياف أو في المدن، سعت إلى تقريب الوطن خاصة الجهة الغربية والوسط. كما انتشرت وتوسعت في منطقة القبائل انتشارًا كبيرًا خصوصًا بعد الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية.

---

[1] عليان الجالودي: **التحولات الفكرية في العالم الإسلامي، أعلام وكتب وحركات وأفكار، من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،دط، الأردن، 1435 هـ/2014، ص633.

[2] وثائق المراسلات، المجموعة 3190، ص 104، ينظر الملحق رقم 14، ص 408.

[3] عبد القادر الشطي: **السلفية الوفية مذهب أهل الحق الصوفية**، دار هومة، دط، الجزائر، 2002، ص310.

كما سجلت الزوايا القرآنية مرتكزًا هامًا في التاريخ الجزائر الثقافي والروحي، والذي يعبر عن مدى بعث هذا على الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي بين المجتمع الجزائري.

إذ إن الجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن 05هـ/ 11م، ومع مرور الحقب الزمنية تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها ودورها ووظائفها وخصوصًا في مطلع القرن 10هـ/16م، بعد سقوط الأندلس، وبعد أن انتشرت الأطماع الأوربية الرامية إلى محاولة السيطرة على السواحل الجزائرية.

ويذكر أن من أقدم زاوية تأسّست في منطقة الجزائر، هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من منطقة طولقة في القرن (06هـ/13م)، فترتب على ذلك انتشار وظهور الزوايا في الجزائر[1].

لقد عرفت الزاوية في بلاد المغارب أن مؤسّسي الطرق الصوفية كانوا يجتمعوا فيها، لكي يقومون بترديد الأوراد، كما اتتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم والفقراء وأصحاب العزلة عن متاع الدنيا، وآخرون قصدوها لاستفتاء عن أحوال الدنيا، فلقد كانت مسجدًا ومدرسة ومعهدًا للتعليم القرآني والديني ومأوى للطلبة يشيعون في تلك الزاوية بدون مقابل، وهي الطهر والتقوى والإصلاح، لذا فكان يطلق عليها في بعض المواضع كونها زوايا الحماية الخلقية والحصانة الإيمانية النورانية والروحية، وزوايا النصر.

ويعود تأسيس الزوايا في بالأرياف في الجزائر الى أتباع المرابطين ولقد أدت الزاوية في الريف دورًا مهمًا وأكثرها إيجابية دون غيرها من الزوايا الأخرى في المدينة، لأنها كانت نقطة أساسية في محاربة الأعداء ونصرة الدين وحماية البلاد. ويذكر أنه وجد أنواع للزوايا في المجتمع الجزائري في العهد العثماني ومنها:

[1] أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص272.

1- زوايا المرابطين:

كانت خصيصًا لافادة الطلبة ونشر العلم والمعرفة، ورعاية المحرومين الذين يبحثون عن ملجأ، ومكان آمن، وهي أيضًا كانت مكانا للزوار الذين يأتون لتقديم التبرعات والصدقات. كما أن هذا النوع من الزوايا في الغالب ليس لها طريقة صوفية تتبعها ومريدين تابعين، فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل على الرغم من فقرهم[1].

2- زوايا الطرق الصوفية:

وهي في الغالب كانت عبارة عن زاويا تابعة للطريقة الصوفية الأم أو لأحد فرعها، فإنها بذلك تعد ملكية خاصة للطرق الصوفية، فتوصف أن لها نظام شبيه بالنظام الملكي الوراثي، بيد يكون الشيخ هو المشرف والقائد والمسؤول المباشر في كل شيء. ولها مريدون وأتباع هم الذين يقومون بتموينها، أما إذا توفي الشيخ فتكون الخلافة عن طريق الوصاية، فتخضع لعدة شروط خاصة اتفق الناس عليها.

3- الزوايا المنسوبة:

وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت اتفق عامة الناس على تقدسيه وتحيي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنتسب إليه، فتأتي الزيارات إلى هذه الزوايا لأجل طلب البركة لا للعلم والإحسان أي زيارة الأضرحة[2].

4- زوايا العلم:

وهي من الزوايا التي أسّست، لأجل نشر وممارسة النشاط التعليمي كمثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليمه للأجيال من الطلبة، وتوفير ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية

---

[1] مُحَّد نسيب: **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر، 1989، ص106.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 269.

ونشر القيم والفضائل الإسلامية، ومن هنا انتشر التعليم في الزوايا، وكان في الغالب مقصورًا على تعليم الدين والأخلاق واللغة العربية والتصوف، ويبقى لها أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم وتربيته، وكانت أيضًا بمثابة مخازن مختلف العلوم، الفنون وذلك بفضل اهتمام شيوخها وكبار رجالها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية[1].

ب) دور الزوايا:

تُعد زوايا المشايخ من الزوايا التي كان لها دورًا هامًا في توطيد الصلات الروحية، سواء كان على المستوى المحلي أو الإقليمي، لكونها ساهمت في تعليم الطلاب وأن هؤلاء الطلاب أصبحوا فيما بعد علماء وكبار رجال ركب الحج، وإنشاؤه علاقات وصلات بينهم وبين مناطق المشرق العربي وخصوصًا مصر، إذ كان الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة[2].

وعلى مرّ القرون، توطد التصوف الجزائري وتشعبت وتنوعت شبكته واتصالاته بفضل ازدهار الحركة التجارية التي ربطت بلاد السودان بالبحر الأبيض المتوسط عبر طرق واسعة امتدت من الصحراء الكبرى إلى بحيرة تشاد وتنبكتو فضلًا عن الأسطول الجزائري الضخم الذي كان لها دورًا واضحًا في ذلك، إذ أنه كان يجوب البحار بين أوروبا وإفريقية والهند وكذا فتح المزيد من الثغور والرابطات التي أمنت السواحل وكرست قواعد الحركة الزهدية المرابطة التي تولدت عنها سائر الطرق الصوفية كما أرست تقاليد الفتوة المرتكزة أساسًا على مثل الشهامة والنجدة والإيثار وغيرها من مكارم الأخلاق.

وكانت الزوايا والخوانيق تحتل الصدارة بين المراكز الثقافية والروحية، وكانت تنقسم إلى قسمين:

---

[1] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1999م، ص ص134-135.

[2] مُحَمَّد نسيب: المرجع السابق، ص103.

القسم الأول: يقوم ويعتمد على وظيفة تحفيظ القرآن الكريم، وكانت تضم في الغالب الغرباء والذين سبق لهم تعلم الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم على الأقل.

القسم الثاني: وهو يعتمد على تدريس الفقه، وبعض المبادئ الأساسية لعلوم الفلك والنحو والصرف وفنون اللغة والنطق، وهذا ما ميز الزوايا والخوانيق في العهد العثماني بالجزائر فعاش معظم المتصوفة يمارسون عقائدهم ويلقنون اتباعهم "الأذكار والأوراد" مبتعدين عن صخب ومتع الحياة، فاختاروا العزلة والعبادة، ويعلم فيه المتصوف، ويصبح المكان يدعى بين الناس زوايا سيد فلان[1].

كما كان للزوايا في الجزائر دورًا اجتماعيا وتربويا، كما هو الشأن في مصر وبلاد المغاربة، بحيث كانت تهدف الى المحافظة على الهوية الاسلامية بين الشعوب العربية، إذ لم تكن حكرًا على طريقة واحدة، لذا فقد كان معظم الطرق الصوفية مركزًا للإشعاع الروحي والعلمي بين المسلمين، ومنبعًا للهداية وللفضيلة والأخلاق، فهي صاحبة الفضل في استمرار الأفكار الصوفية وانتشارها وتبادلها بين مناطق أقطاب العالم الإسلامي وخاصة في المغرب والجزائر ومصر والتي انتشر بيهم طرق صوفية مشتركة، وكذا كان لها دورًا هامًا في الحفاظ على الإسلام واللغة العربية لتظل نقطة التقاء المريدين والطلاب تعلم الفقه والعلوم الدينية، فزوايا الطرق الصوفية تعتبر ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الجديرة بالاهتمام والذكر، لأنها كان لها تأثير واضح في كافة مناحي الحياة وخصوصًا بالحياة الاجتماعية والتربوية في المجتمع الاسلامي الإسلامية ففي الجزائر تنتشر هذه الزوايا والتي انتفع منها الطرق الصوفية، إذ بلغ عددها حوالي 349 زاوية في القرن 19م[2].

ويتجاوز تأثير الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر الاعتماد عليها لتدريس القرآن إلى أن وصل لها دورًا أساسيًا في الصلات سواء الاقتصادية والعلمية والروحية.

---

[1] محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، شركة النشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص95.

[2] محمد نسيب: المرجع السابق، ص31

إذ أن للزوايا تاريخ طويل في مجال الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للشعب الجزائري، وتوجد عدّة زوايا تمثل اتجاهات طرق صوفية اشتركت أدوارها ومبادئها بين مصر والجزائر، ومنها: الطريقة القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، والطريقة التيجانية نسبة إلى سيدي أحمد التيجاني، وطرق أخرى كالبلقايدية، والمصطفاوية، والرحمانية، والهبرية، والشاذلية، ولكل طريقة مقر رئيسي ومجموعة كبيرة من الفروع، انتشرت في الجزائر وإفريقيا[1].

فالزوايا من المنظور الاجتماعي والثقافي، يمكن القول وبحق إن زوايا الطرق الصوفية كانت ولا تزال عاملًا موحدًا بين بلاد وشعوب العالم الإسلامي عامة وشعوب البلاد المغاربية، خاصة لأن انتشار هذه الزوايا والطرق لا يعرف حدودًا إدارية أو غير ذلك من الحدود الصناعية التي وضعها البشر في العصر الحديث، ولأنه أكسب هذه البلدان ثقافة مشتركة تسمح على الأقل بالإحساس، وبالتواصل وبوحدة الانتماء، إذ أدى لعب المتصوفة دورًا اجتماعيًا وتربويًا كبيرًا، انعكس على التواصل الروحي بين مصر والجزائر.

إن المتتبع لأحوال الطرق الصوفية ونظامها في الجزائر ومصر، يتوصل إلى أن هناك ترابط وتشابه كبير بين العادات والممارسات السلوكية والروحية بين الطرق الصوفية في كلا المنطقتين، ففي مصر وجد طرق صوفية لها امتدادات في الجزائر، ومنها: الطريقة القادرية "الجيلانية"، الطريقة الخلوتية والطريقة التيجانية، وغيرها من الطرق الصوفية، والتي كانت تبدأ مسيرتها من الزوايا في مصر والجزائر وكما ذكرنا آنفًا أن الطرق الصوفية سواء كانت في الجزائر أو أي منطقة أخرى، كانت تبدأ مسيرتها من الزوايا، أي أن الزوايا بدورها كانت وظائفها ومهامها تتركز في التعليم والتهذيب والترابط الروحي، وبما أن كلا المنطقتين كانوا يقعون تحت الحكم العثماني وأن العثمانيين كانوا يستخدمون الزوايا والصوفين في تحقيق أهدافهم، والتي تتمثل في الحفاظ وبقاء الأتراك والسلطة العثمانية فنشأ وراء ذلك علاقات وصلات روحية بين مصر والجزائر، وجاءت ذروتها في ظل إرسال الزوايا بعثات حج وعلم إلى

---

[1] أحمد عزيز: **الطرق الصوفية بالجزائر.. امتداد في التاريخ**، تقرير منشور لدى جريدة هسبيريس، بتاريخ 2017/1/5.

مناطق المشرق العربي، وخصوصًا مصر والتي كانت محطة رئيسية ركاب الجزائري في تلك الفترة وخصوصًا في أواخر العهد العثماني.

ففي ذلك ساهمت الطريقة والزوايا القادرية في التواصل الروحي بين مصر والجزائر، إذ كان تلاميذ الشيخ القادري لا يحصون في العالم الإسلامي، كما ساهمت الطريقة والزوايا التابعة للطريقة الشاذلية في ذلك لكونها كان لها انتشار واسع في العالم الإسلامي، وخاصة بمصر وبلاد المغاربة. حيث يقول المؤرخ سعد الله: "وكان لتعاليم أبي الحسن الشاذلي أثير كبير في الجزائر، ونكاد نجزم أن معظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن الثامن الهجري تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية، وقد أحصى بعضهم عدد الطرق الصوفية في المغرب العربي أوآخر القرن الثالث عشر الهجري فوجد ثلاث عشرة طريقة من مجموع ست عشر شاذلية الأصل، وكان أبو الحسن الشاذلي قد تأثر بتعاليم عبد السلام بن مشيش تلميذ أبي مدين، ورغم ذهاب الشاذلي إلى مصر ووفاته بها فان تعاليمه قد انتشرت بعده في المغرب العربي انتشارًا كبيرًا: ويمكننا أن نعد الشيخ واضح، ومُحَّد الهواري، وإبراهيم التازي، ومُحَّد بن يوسف السنوسي، وعبد الرحمن الثعالبي، وأحمد الملياني وغيرهم من أتباع الطريقة الشاذلية، وجميعهم قد آثروا في معاصريهم وتركوا تلاميذًا واتباعًا وأسس بعضهم زويا ظلت إلى اليوم وألّفوا كتبًا في أصول هذه الطريفة وترجم رجالها، ويمكننا القول إن الجزائر قبل العثمانيين كانت من الناحية الصوفية تحت نفوذ الطريقتين الشاذلية والقادرية"[1].

ويذكر أن من فروع الزوايا والطرق الشاذلية بين مصر والجزائر نشأت في عهد الشيخ أحمد التجاني، وظل أتباعه يورثون عادات الزوايا من بعده، ففي عهد أبنه وفي الفترة بين عامي (1127-1181هـ/1715-1768م) ازدهرت أحوال الزوايا الخاصة بهذه الطريقة الصوفية، وانتشرت أرجائها

[1] عبد القادر مفتاح: **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعة**، دار الكتب العلمية، د ت ن، ص ص14-15.

إلى المناطق الشمال إفريقيا وبخاصة مصر، فزاد عدد أتباعها في الجزائر دون غيرها من المناطق وبمرور الوقت إلى أن وصل إلى خمسين (50) في منتصف القرن العشرين[1].

وأخذ أتباع هذه الطريقة على أنفسهم الحرص على التربية الروحية، والإكثار من الصلاة والعبادات، والسلوكيات والممارسات الأخرى التي تتصف بها الطرق الصوفية، سواء كانت في مصر أو الجزائر. ويظهر أن الطريقة الرحمانية الخلوتية انتشرت بداية في العراق ثم مصر ثم تفرعت إلى باقي أنحاء شمال أفريقية والجزائر[2].

ومن ملامح الصلات الروحية بين بلاد المغارب ومصر هو التشابه في السلوك التهذيب وعند ممارسة طريقة الحضرة، والتي تعتمد على السماع وإنشاد القصائد فحرص أتباعها على ممارسة تلك السلوكيات، وكما أن الاهتزاز والرقص والشطح والضرب على الدف، كل هذه الممارسات تدل على الامتزاج والصلات الصوفية بين مصر وبلاد المغارب، والتي رسخت في فترة العهد الاسلامي.

كما أن الطريقة الشاذلية التي تأسّست في مصر ومناطق بلاد المغارب، صقلت مواهب المتصوفة هناك، وأدّت إلى اكتمال السلوك الروحي بين أتباع هذه الطريقة، فكانت سلوكياتهم شبة متشابه في مصر والجزائر[3].

– خاتمة الفصل:

استهدف محور التواصل الروحي بين مصر والجزائر إلى إلقاء الضوء على مكونات تلك الصلات، وكان ذلك حاضرًا وواضحًا بفضل انتشار الصوفية وطرقها في مصر والجزائر، فكان لها امتداد بين كلا البلدين، حيث أسهمت الطرق الصوفية في الحفاظ على الهوية الإسلامية المعتدلة، كما كان للزوايا دورًا واضحًا وبارزًا في ذلك، فانتشرت أفكارها وعاداتها وممارستها في مناطق شمال إفريقيا،

[1] عبد القادر مفتاح: المرجع السابق، ص15.

[2] نفسه: ص ص 16-18.

[3] حسام عبد المعطي: المغاربة بمصر، المرجع السابق، ص245.

فكان حصيلة لهذا التواصل وافرة وعامرة بكثير من العلماء وكبار المتصوفة والذي انتشر أتباعهم في مناطق مصر والمغرب والجزائر العربي.

وكما أن للزوايا والمتصوفة عمومًا دورًا هاما في عمليات وحركات الاصلاح الديني والعلمي والروحي في مصر وبلاد المغارب، ولهذا كانت مصر أحد أهم وأبرز المحطات التي أهتم بها المتصوفة وركاب الحج الجزائريين، فاستقروا بها ونتاج عن ذلك تبادل الخبرات والسلوكيات والممارسات التي تميز بها الصوفيون حتى يتضح ذلك في العصر الحالي في الحضرات الصوفية، وطرق الرقص والذكر التي يقوم بها المتصوفة

كما أدّى تدهور الأحوال السياسية في أواخر العهد العثماني إلى هروب العلماء وأقطاب الصوفيّة خارج مناطق نفوذ حكم العثماني، وإن كان ذلك صحيحًا نوعًا ما، خصوصًا أنّه عرف عن تلك الحقبة من تاريخ الجزائر قبلة التأليف وعدم الاهتمام بالعلماء والمثقفين، ممّا ترتّب عنه هجرة الراغبين منهم في طلب العلم، فأدى الوضع العام إلى انتشار الصوفية والطرق الصوفية الزوايا بأنواعها ومن ثمَّ شيوع حلقات الذكر والأوراد وتعدّد طرق الصوفية وتطرّفها في عقائدها، وقد كان بعضها يعمل بتشجيع واضح وصريح من قبيل الحكام العثمانيين، مما أدى إلى وجود صلات روحية وعلمية بين هؤلاء والمناطق التي استقروا بها وخاصة مصر.

الفصل الثاني: التواصل الروحي بين الجزائر وبلاد الحجاز.

أولا: التصوف مظهر من مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر والحجاز.

ثانيا: التجليات السلوكية الروحية عند دخول الجزائريين بمكة المكرمة والحرم المكي

ثالثا: العادات والطقوس الصوفية بالحجاز من خلال الرحلات الحجازية.

رابعا: أعلام الجزائر المتصوفة بالحجاز ودورهم في التواصل الروحي .

خامسا: أعلام الحجاز المتصوفين.

سادسا: الدعوة الوهابية.

- تمهيد:

لم يعد خافيًا على أحد أن التصوف ما هو إلا عبارة عن طريقة لتقويم سلوك النفس الإنسانية والعلو بها وتعظيم شأنها وتجلياتها، والمشهود أن التصوف أداة لتنقية النفس عبر مظاهر متنوعة، كإحياء وانتشار مجالس الذكر الرباني، وقراءة وتلاوة آيات القرآن الكريم، والسيرة النبوية بصفة خاصة، لذا فقد أضحى التصوف وما يشمله من تفاعلات إنسانية تعد سمة من سمات المجتمع الحجازي، وجزء لا يتجزأ من التاريخ التراثي لهذا المجتمع، وفي خلال مختلف فترات تاريخنا الإسلامي.

بيد أن مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة في مقدّمة المدن الحجازية اللتان قد احتضنتا التصوف والطرق الصوفية بشكل جماعي أو بشكل فردي، وفيما يخص كل صاحب فكر ومنهج تعبدي يقصد التقرب إلى الله بالطاعات.

وبطبيعة أحوال المجتمع الحجازي قبل وأثناء الفترة العثمانية، لم تكن مجالس الذكر الجماعية مرفوضة من قبل أئمة العلم، وخصوصًا هؤلاء الذين يرجع جذور نسبهم من آل الشريف، ومن مختلف أهل السنة بصفة عامة، والأكثر من ذلك أنه قد شارك العديد من هم في إحياء وتنظيم مجالس الصوفية وطرقها منذ فجر تاريخ الإسلامي.

وسواء من هؤلاء علماء الحجاز أو المشرق عمومًا، ومنهم: الإمام تقي الدين أبو الحسن السُّبكي المتوفي في القرن الثامن الهجري، إذ يُعد من الأوائل الذين أعطوا مساحة كبيرة لحب النبي وآل البيت، فقد عرف عنه أول من طبق مبدأ الاحترام والتجليل والوقوف عند ذكر النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وذلك في حالة إذا ما ذكر اسمه أو قراءة أي شيء يتعلق به سواء فيما يخص سيرته أو ميلاده، إذ اعتبر أن ذلك يعد ثمة مهابة وتبجيل للنبي مُحَمَّد ﷺ، ليتم ممارسة ذلك تلقائيًا من حينها حتى وقتنا هذا في المجالس الصوفية.

ومن ملامح اهتمام العلماء بالصوفية عمومًا ومجالس الذكر خصوصًا، أن نشأت وانتشرت عدّة طرق صوفية في منطقة الحجاز، مما ساهم بطبيعة الحال في انتشار الزوايا حتى أن وصلت إلى ما

يزيد عن 300 زاوية في حينها في منطقة مكة المكرمة فقط[1]، تتخصّص في خدمة مرديها من أقطاب الأمة الإسلامية وعلى الوجه الخاص خلال فترة الحج، وأعطى لها المجتمعات مكانة ومساحة كبيرة في أوقافهم سواء هؤلاء من خارج أو داخل مكة المكرمة، فكان لهذه الزوايا دورًا واضحًا في توطيد الصلات الروحية بين أهل منطقي الحجاز والشمال العربي، لا سيما وأن السمة المميزة لمصر وبلاد المغرب في هذه الفترة هي التصوف.

وكان الحجاز بشكل عام في العهد العثماني ساحةً للتصوف، فبحكم مكانته الدينية بوجود الحرمين، فقد كان تنوع الطرق الصوفية فيها عجيباً، حيث سادت منذ القرن العاشر الهجري حتى الرابع عشر، جملة من الطرق الصوفية، حيث ذكر حسن العجيمي (ت.1114 هـ/1702م)[2] أن أربعين طريقة صوفية في كتابه: "خبايا الزوايا "كانت سائدة في الحجاز[3] ومنتشرة، على الرغم من سعي الدولة السعودية الأولى إلى إزالتها حين سيطرت على الحجاز في الفترة (1218-1233هـ/ 1803-1818م)، نظرا لما يصاحب غالبيتها من مظاهر شركية كتقديس الأولياء من الأموات والأحياء، وتقديم النذور لهم، وطلب الشفاعة منهم والاستعانة لجلب نفع، أو دفع ضر وما إلى ذلك، وقد انتشرت الصوفية بين البدو أكثر من غيرهم، ويعود ذلك إلى تفشي الجهل بالأمور الدينية في الغالبية منهم، بحيث أسهم هذا في انتشار المعتقدات والخرافات الدينية الباطلة[4].

---

[1] زيد علي الفضيل: **أوراق مبعثرة**، سلسلة 2، إصدارات سيبويه للطباعة والنشر الرقمي، السعودية، د ت ن، ص14.

[2] **حسن العجيمي(ت.1114هـ/1702م)**: حسن بن علي الحنفي المكير الشهير بالعجيمي، ولد بمكة المكرمة وتربي بها، وتوجه إلى المدينة وأخذ عن صوفيتها، ولبس الخرقة وتلقن الذكر، ثم رجع إلى مكة وتصدى للإقراء والتدريس، توفي بمكة، ينظر: أحمد الحضراوي: نزهة الفكر، المصدر السابق، ج1، ص 303.

[3] مُحَّد حسن العجيمي: **خبايا الزوايا**، تح: أحمد السايح وتوفيق وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة ، 1430هـ، ص ص 14-50.

[4] عبد الله بن صالح العثيمين: **الرسائل الشخصية للشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب، (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب)**، جامعة الامام مُحَّد بن سعود الاسلامية، ط2، الرياض، 1420هـ/ 1999م، ج1، ص 11.

أولا: التصوف مظهر من مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر والحجاز

أ) أهم الطرق الصوفية بالحجاز:

1- الطريقة الميرغنية:

تُنتسب إلى عبدالله بن إبراهيم الميرغني المكي الملقب بالمحجوب (ت.1207 هـ/1793م) انتشرت هذه الطريقة في جدة ومكة المكرمة والطائف[1].

2- الطريقة العلوية:

تُنسب إلى محمَّد بن علي بن محمَّد باعلوي المشهور بالفقيه "المقدم"(ت.653 هـ/1206م)، وهذه الطريقة سائدة عند العلوية الحضرمية ممن يسكنون الحجاز وأتباع، هذه الطريقة يأخذون الطريقة والذكر ولبس الخرقة بالإسناد إلى المنسوبة إليه[2]. ومن أشهر رجالاتها عبدالقادر بن أحمد السقاف في جدة[3].

3- الطريقة الخلوتية:

وقد نشر هذه الطريقة إبراهيم الزمزمي المكي (ت.1195 هـ/1781م) أخذها عن مصطفى البكري المصري، وأنايه البكري في فتح مجالس للذكر في مكة[4]. ومن الصوفية المتأخرين الذين

---

[1] محمَّد حسن العجيمي: المصدر السابق، ص 70 .

[2] الحبيب بن إبراهيم بن سمط باعلوي: **المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي للحبيب زين**، دار العلم والدعوة، ط1، داليمن، 2005م، ص ص 19-22.

[3] أبو بكر العدني بن علي المشه: **جني القطاف من مناقب وأحوال الإمام العلامة عبدالقادر بن أحمد السقاف**، دار المهاجر، ط1، المدينة المنورة، 1419هـ، ص 26.

[4] حسن الجبرتي: عجائب الاثار ...، المصدر السابق، ج1،ص365.

ينتسبون للخلوتية؛ عبدالحميد قدس المكي الذي نُسب إليها في مقدمة كتابه: "النفحات القدسية "[1]، ومن أعلامها (أحمد زيني دحلان المكي) الذي ينسب نفسه إليها في إجازاته.

4- الطريقة الأحمدية:

التي تنسب إلى أحمد بن إدريس المغربي الذي قدم على الأقطار الحجازية، وأقام فيها، صاحب الطريقة الشهيرة بمكة المشرفة نشر فيها طريقته الأحمدية[2]، كان من أكابر العلماء، أهل التحقيق، متبع سنة خاتم النبيين وإرث رسول رب العالمين، ولد ببلدة فاس سنة (1172هـ/1758م)، وتربى بها، وتوفي في صبيا بالمخلاف السليماني سنة (1253هـ/1837م)[3].

5- الطريقة السنوسية:

التي تنسب إلى مُحَّد بن علي السنوسي المكي[4] الذي رحل إلى مكة المكرمة، وأقام فيها، وتصدر للتدريس، وأخذ عنه خلق كثير فيها[5] طريقة الشيخ مُحَّد السنوسي كان لها صدى بين البدو في الحجاز في البدو لكونه أكثر ملاءمة لتأسيس الزوايا، والمتأثرة بدعوة الشيخ مُحَّد بن عبدالوهاب السلفية، إذ كان الشيخ السنوسي يركز على هذا المجتمع، إضافة إلى رغبته في البعد عن السلطات الحاكمة وحين أقام في الحجاز الفترة (1246-1256هـ/1830-1840م)[6]. أنشأ فيه أول زاوية

---

[1] عبد الحميد بن مُحَّد قدس: **الفتوحات القدسية في شرح التوسلات السمانية**، المطبعة الحميدية، دط، القاهرة ، 1405هـ، ص4.

[2] عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي: **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي** تح: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط 2، مكة المكرمة، د ت ن، ج1 ، ص 146، ينظر أيضا: رضا كحالة: معجم المؤلفين، المصدر السابق، ج1، ص 158.

[3] مجهول: **اعلام المكيين (من القرن التاسع إلى القرن الرابع الهجري)**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلام فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص ص 20-21.

[4] سنشير إليه اكثر في المبحث القادم.

[5] مجهول: أعلام الملكيين، المصدر السابق، ص 541.

[6] مُحَّد كمال جمعة: **انتشار دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية**، دارة الملك عبد العزيز، ط2، الرياض 1977م، ص 210.

للسنوسية هي زاوية أبي قبيس سنة (1252هـ /1836 م)[1]، كما أنشأ زوايا أخرى المدينة المنورة والطائف وبدر[2].

- الطريقة السيمانية:

التي تنسب إلى مُحَمَّد بن عبدالكريم السيان المدني (ت 1189 هـ/1775م)، الذي تلقى الطريقة الخلوتية عن مصطفى بن كمال الدين البكري الخلوتي، ثم عاد إلى المدينة؛ ليتولى التدريس ويقوم بتأسيس الطريقة السمانية فيها[3].

- الطريقة الشاذلية:

انتهت مشيختها في الحجاز إلى مُحَمَّد شمس الدين الفاسي المولود في مكة المكرمة سنة 1345هـ[4]. ومن أشهر رجالها أجواد بن عبدالله الفاسي في مكة المكرمة "[5]، وزكريا بن عبدالعزيز الجعفري في الأحساء.[6]

- الطريقة النقشبندية:

من المنتسبين إليها الدكتور "عمر كامل الحجازي" الذي ادعى أنه شيخ النقشبندية في الحجاز[1].

---

[1] **الزاوية السنوسية:** أقيمت هذه الزاوية عند جبل ابي قبيس، وهو جبل عال متصل بالصفا ومطل على المسجد الحرام، ينظر : سلمانة الحجاز سنة 1303 هـ، رسالة دحلان 145.

[2] شوقي عطالله جمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)** مكتبة الانجلو المصرية، دط، القاهرة، 1977م، ص ص 152-156.

[3] خليل المرادي :سلك الدرر، المصدر السابق، ج4، ص60.

[4] عبد الرحمان المهدي: **الامام الفاسي وآل بيته الاطهار**، مكتبة الاشراف القاهرة ، ط1، 1413هـ، ص172.

[5] عمر ابرهيم الزبيدي: **الفسيفساء السعودية**، الدار العربية للموسوعات، ط1،بيروت، 1432هـ، ج1 ص ص 295-296.

[6] **الأحساء:** توجد الطريقة الشاذلية التي انتهت إلى إبراهيم الخليفة الأحسائي. والطريقة النقشبندية التي انتمى إليها آل ملا. ينظر: علي بن حسين البسام: **العلماء المغاربيون ودورهم في إقامة الصلات العلمية بين الاحساء والمغرب العربي**، في المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ع135، تونس، 2009م، ص39.

وفي هذا الصدد، تحدّث أبو القاسم سعد الله نقلا عن الرحالة المغربي أبو سالم العياشي عن الطريقة النقشبندية[2]، التي كانت تعرف انتشاراً واسعاً في منطقة الحجاز، والسبب في اكتسابها لهذه الشعبية ما ذكره العياشي عن إمام هذه الطريقة، نقلا عن كلام الشيخ أبي الحسن الواعظ في كتابه "فصل الخطيب": " إن طريق الخوجة عبد الخالق حجة على جميع الفرق ومقبول لهم لانه كان على الدوام على طريق الصدق والوفاء ومتابعة الشرع وسنة المصطفى ومجانبة البدع ومخالف الهوى"[3].

ومن هذا المنطلق الصوفي والعقائدي لعبد الخالق الغجدواني أثبنت وصاياه الاثنا عشرة وشكّلت بذلك مبنى الطريقة النقشبندية[4].

وفي إطار هذا التفكير الديني والصوفي، وتعدد الطوائف المذهبية كانت تمارس عدّة وطقوس تختلف باختلاف كل طريقة وطائفة.

وعن الروافض، يقول أبو سالم العياشي: "إن الرافضة، قبحهم الله، منهم طائفة تقدم إسماعيل على أخيه، ويقولون إنه هو الإمام بعد أبيه، وأنه أحد الأئمة الإثنى عشر المعدودين عندهم ،يعتقدون فيهما العصمة، وهذه الطائفة تسمى الإسماعيلية "[5]، ولعل هذا ما يفسّر الاحتفال الذي تقوم به هذه الطائفة عند مشهد قبر إسماعيل، ولم يخف العياشي من حيث كونه سنياً ومتصوفاً شاذلياً، استغرابه وانتقاده لما يعتقده الإسماعيليون في آل البيت بتنزيههم لهم عن الموت[1]، وفي هذا الصدد يقول العياشي: "العجب من متابعة بعض أهل التصوف في ذلك لهم".

---

[1] حسن الجبرتي: عجائب الآثار ...، المصدر السابق، ج4، ص164.

[2] **النقشبندية**: نسبة إلى مؤسسها بهاء الدين النقشبندي البخاري (717- 791هـ/1317-1388م)، وكانت قبله تنسب الى عبد الخالق الغجدواني، وسميت كذلك بالمجديدية أو الفاروقية نسبة الى أحمد الفاروق السرهندي. ينظر: عبد الرحمن سعيد دمشقية: **الطريقة النقشبندية**، دار الفرقان، دط، تركيا، 1331هـ، ص ص 13-14.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 495.

[4] ابن الشيخ فتح الله زاده: **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب**، مطبعة السعادة، ط9، 1372هـ، ص 539.

[5] أبو سالم العياشي: الرحلة، المصدر السابق، ص ص 380-381.

[1] نفسه: 381.

ومن الملاحظ عند استعراض العياشي للطوائف الصوفية والعقدية بالحجاز، استنكاره الشديد لمعتقدات بعض هذه الطوائف التي في نظره لا تحتكم إلى الكتاب والسنة دون مخالفة الحقائق العقلية، وذلك ما عبر عنه العياشي في محاورته لبعض المعتزلة، ومن يبرز مزايا معتقدات أهل السنة: «ونحن معاشر أهل السنة والجماعة تجعل معتقدنا في العقائد الدينية بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة الصحيحة والموافقة للأدلة العقلية ... وأنتم بالعكس تحكمون عقولكم واوهامكم"[1].

وعلى الرغم مما تقدّم يتّضح بأن التصوف في المجتمع الحجازي كان منتشرا، إلا أن الحجازيون ظلوا في الوقت نفسه بعيدون عن تأصيل مناهج الصوفية وسلوكياتهم في مكونات التراث السلوكي الإنساني، وذلك يرجع إلى عدّة أسباب مختلفة، كانفراد المجتمع الحجازي بها دون غيرها عن المجتمعات في فترة أواخر العهد العثماني لعل في مقدمة ذلك بداية انتشار الوهابية، والذي كان لها أثر كبير في تعظيم الفجوة بين المجتمع الحجازي والمجتمعات الإسلامية الأخرى التي كان ينظر إليها كونها أمة إسلامية متصوفة كالجزائيين والمصريين والمغاربة.

وتدريجيًا شيئًا فشيئًا، تغيرت هذه الأوضاع ومرة أخرى عاد المجتمع كما هو وعادت الصلات الروحية والفكرية بينه وبين سائر المجتمعات الأخرى وذلك بعد وفاة الشيخ: "محمَّد بن عبد الوهاب"[2]، إذ إن منهجه وأتباعه كانوا عائقا كبيرا أدى إلى تقليص ظهور الصوفية في الحجاز، وخصوصًا في منطقتي مكة والمدينة، لكونهم كانوا يحرمون بناء الزوايا والزيارات الصوفية، وكذلك تحريم زيارة القبور

---

[1] محمَّد أمحزون: **المدينة المنورة في رحلة العياشي**، تق: سامي الصقار، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 1408هـ/1988م، ص206.

[2] **محمَّد بن عبد الوهّاب (ت1206هـ/1791م)**: هو محمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ولد سنة 1115هـ/1703م، هو عالم دين سني على المذهب الحنبلي، يعتبره من مجددي الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية حيث شرع في دعوة المسلمين للتخلص من البدع والخرافات ونبذ الشرك، كان والده عالمِا فقيهًا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأحد القضاة المعروفين، فقد تولَّى القضاء في عدَّة جهات؛ مثل: العيينة وحريملاء، وكان عمُّه الشيخ إبراهيم بن سليمان من مشاهير العلماء في تلك البلاد، نشأت عدة عداءات بينه وبين الصوفيون والدولة العثمانية، للمزيد عنه. أنظر: ناصر بن إبراهيم بن عبد الله التويم: **الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب "حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)**، د د ن، دط، الرياض، 1423هـ، ص41.

سواء من أعلام الإسلام والتصوف، وكذا تحريم مناسبات إسلامية أخرى ينظر إليها بأنها مناسبات محببة وصوفية بامتياز، ومنها الاحتفال بالمولد النبوي، زيارة أماكن تتعلق بأحوال سيرة النبي محمد صلى الله عليه سلم وآل البيت، ومنها زيارات مشايخ من الحجاز للجزائر حيث وجدنا في وثيقة أرشيفية عبارة عن رسالة من الشيخ محمد درويش بالمدينة المنورة إلى حسين باشا ولرغبة الشيخ في زيارة قبر والي دادة المدفون بالجزائر[1].

على أي حال، سبق وأن تأكدنا كيف كانت مكونات الصلات الفكرية بين كل من مصر والحجاز من جهة والجزائر من الجهة الأخرى، وكيف أدى الإعلام والعلماء من تلك المناطق دورًا محوريًا في توطيد وتوثيق الصلات من الناحية الفكرية، كما كان للسلطة ومجهودات الأهالي فيما يتمثل الأوقاف دورًا كبيرًا في توطيد الصلات في الفكرية بين الجزائر والحجاز، وتوصلنا في العرض السابق إلى أن التصوف والصوفية كان له باع كبير في التأثير على المجتمع الجزائري في العهد العثماني، ونتاج عن ذلك وجود علامات واضحة للصلات الجزائرية الحجازية من الجوانب الروحية.

كما أن عمليات وحركات ركب الحج التي كانت تنتشر في المجتمع الجزائر، كان لها دورًا أيضًا في تلك الصلات، إذ إن الركب ما هو إلا مجموعة من العلماء والإعلام، سواء من المتصوفة أو من المهتمين بالعلوم الدينية عمومًا، والذين ساهموا في نشر العلوم الفكر بين الجزائر ومصر والحجاز.

وتُعد الصلات الروحية بين الجزائر والحجاز جزء لا يتجزأ من مجموع عمليات التواصل الروحي إبان العهد العثماني في المجتمع المشرقي والمغربي بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، وهذا ما نسعى إلى تبيانه في العرض التالي، اعتمادا على مادّونته الرحلات الحجازية التي تعد لها دورًا في تعظيم الصلات الروحية بين الجزائر والحجاز.

ثانيا: التجليات السلوكية الروحية عند دخول الجزائريين بمكة المكرمة والحرم المكي:

[1] وثائق المراسلات المجموعة 3019، ص68. ينظر الملحق رقم 15، ص 409.

بما أن الحجاز كان يشكل مركزا حضاريا وإشعاع علم ومعرفة بالنسبة للجزائريين، فقد ارتبطت الرحلات الحجية بهدف أداء مناسك الحج وطلب العلم، فالحجاز كان ومازال قبلة ثقافية وعلميا يجتمع فيه الناس من أجل العلم ولقاء العلماء والمشايخ[1]، وإن جاز التعبير، فقد مثّل الحجاز جامعة ثقافية إسلامية موسمية، يتسنى فيها للحجاج الحضور العفوي في هذا الملتــقى، ولا يقتصر هذا الحضور على النخبة المثقفة فحسب، بل شمل المثقفين كذلك والذين أتوا برسم الحج، إذ أن حلقات الوعظ والإرشاد والحديث، وجلسات العلم والأدب كانت ولا تزال تعقد في دينه، ومن يريد لقاء فطاحل العلماء والسماع المباشر منهم، كما يتمكن المرء في هذا الموسم من الحصول على أخبار الكثير من البلاد الإسلامية أيضا[2].

وقد كان أول هذه المراكز أهمية في نفوس الجزائريين بالحجاز مكة المكرمة، التي جعل الله تعالى بها بيته الحرام الذي هو قيام للناس وأمان لهم، وسمته البيت العتيق في قوله تعالــى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[3].

فالعبادة فيه مضاعفة الأجـــر والصلوات الخمس يتضاعف ثوابها فيه، لما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام))[1].

---

[1] شرف موسى: **أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلة أبي سالم العياشي وابن الطيب الشرقي والهلالي نماذجا**، في مجلة قضايا تاريخية، مخبر الدراسات التارخية المعاصرة، ع07، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة، 2017م، ص83.

[2] حسن صادقي: **الوجود المغربي في المشرق من خلال كتب التراجم المشرقية**، في مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، ع32، الرباط-المغرب، 1989م، ص 299.

[3] سورة الحج: الآية 29.

[1] أحمد بن علي النسائي: **السنن الكبرى**، تح: عبد الغفار سليمان بالنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/ 1991م، ج2، ص 33.

ولم تزل مكة المكرمة مشرفة و معظمة، ولم يزل داخلها يذكر عند البيت فقد كان صلى الله عليه وسلم حينما ينظر إلى البيت، يقول: ((اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هَذَا تَشْرِيفًا وتَعْظِيمًا وتَكْرِيمًا و بِـرًّا ومَهَابَة، وزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وعَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ واعْتَمَرَهُ تَعْظِيمًا وتَشْرِيفًا وبِرًّا ومَهَابَةً[1]))، إنها مكانة لا تدانيها مكانة في بلدان العالم، وتبقى مكة المكرمة عبر الزمان آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان حتى قيام الساعة[2]. وجاء في حكم التنزيل قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[3].

وتليها منزلة مدينة الرسول ﷺ من حيث قداستها لدى المسلمين عـامة، لاحتوائها على المسجد النبوي الذي كان ومازال يمثل منارة العالم المثالية لطلبة العـلـم والمجاورين له[4].

وقد ذكر القرآن الكريم الأسباب التي من أجلها يقصد الناس الحرمين الشريفين، ومن أول هذه الأسباب المذكورة، قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقْ﴾[5]، وإنه لأمر واقع من الحج والعمرة مما يحقق المنافع للناس ولكن قبل أن يذكر هذا السبب العام فهناك علة أخرى تتمثل في قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ الله فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾[1]، وهذا دليل كاف على أن الله سبحانه وتعالى يعلم أن عباده تعدد أغراضهم وأهدافهم في تحركاتهم وتنقلاتهم حتى

---

[1] عبد الله بن قدامة : **الـمغـني**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح ممد الحلو، دار عالم الكتب، ط1، ج5، دار هجر للطباعة، القاهرة، 1986م، ص 211.

[2] آمال رمضان: الحياة العلمية في مكة، المرجع السابق، ص 24.

[3] سورة قريش.

[4] عبد الواحد دنون طه: **صور من تواصل علماء التصوف في الغرب الإسلامي مع المشرق– ضمن كتاب التصوف والحواظر الروحية في بلاد المغارب**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018م، ص378.

[5] سورة الحج: الآية 27.

[1] سورة الحج: الآية 28.

مكة المكرمة موطن بيت الله العتيق[1]، ولهذا جعل الله أول سبب يذكر في مطلع الأسباب، قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾[2].

أ) الاشتياق والاستمداد الروحي بدخول مكة والمسجد الحرام:

لا شك أن قلوب المسلمين قبل أجسادهم تتوافد إلى مكة المكرمة، لأن الجميع هناك ومن كل دول العالم، كلهم يرجون رحمة ربهم ويؤدون عبادتهم معتمرين ومصلين وسط أجواء من الراحة والطمأنينة، لما لهذا المكان من راحة تامة عند العلماء وجميع الحجاج والمعتمرين، فقد يصل زخم الرحلة إلى أقصاه مع الوصول إلى مكة.

ويصف الرحالة الجزائري الورثيلاني هذه اللحظة، بقوله: "فدخلنا مكة ... وكأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا الله، بل الأرواح قد تجلى عليها ربها، فخرت صعقة مغشية عليها فغيبها عن الأكوان كلها بمشاهدة مكونها"[3]. ونسرد أسفله مقطعا عن مناسك الحج والجو السائد في تلك البقاع آنذاك على النحو الآتي: "نزلنا بمينى قرب مسجد علي؛ أي استندنا لحائطه من جهة اليمين بينه وبين الجبل الذي فوقه، وهذا المسجد الدعاء فيه مقبول مستجاب وورد فيه فضل عظيم، وثواب جسيم، والصلاة فيه كذلك فصلينا فيه المغرب والعشاء، وإن بعض الأركاب من المصري والشامي والعراقي والمغربي لم يرحل إلى نصف الليل أو الثلث الاول، ثم ارتحلوا إلى عرفة ... فارتحلنا. فلما خرجنا من مزدلفة ووصلنا بينها وبين عرفة، طلع الفجر أي بين العلمين فوجدنا أكثر الأركاب هناك نائمين أو الكل والله أعلم، وبطل ظننا الذي أنهم ارتحلوا ليدركوا الوقوف ليلا في

---

[1] عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: **ملامح الرحلة العلمية اليمانية إلى مكة المكرمة في القرون الخمسة الهجرية الأولى**، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، 1426هـ/2005م، ص ص 61-62.

[2] سورة الملك: الآية 14.

[3] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص ص 259-260.

عرفة، فوصلنا ضحى مسجد نمرة[1]، ينبغي الجمع بين الظهرين فيه بالقصر ولو لأهل مكة أي لغير أهله،.... فامتلأ المسجد ناسا، واشتد فيه الحر بحيث لا يقدر أحدا أن يضع رجله على الأرض عند الضحى[2]،... فلما حان وقت الظهر صلينا في زحمة عظيمة يكاد الإنسان أن يموت من شدة الحر وأن العرق علينا يسيل فلا يجد أحدا إلا كاد أن تزهق روحه، فصلينا خلف واحد من الأئمة ونوينا القصر وصلى هو بالإتمام من علم منا، ولما فرغ أعاد جميع أهل بلدنا وهو أننا نوينا القصر ونوى هو بالإتمام فلما اختلفنا في النية بطلت صلاتنا ثم أعدناها جماعة جمعا وقصرا، ثم حثثنا مطايانا للوقوف بعرفة"[3]. فالمكانة العالية والجاذبية الروحية التي تتمتع بها مكة المكرمة، تركت العديد من العلماء يدونون كل شعائرهم بشوق وحنين على مكة واستمدادها الروحي، حيث يذكر العياشي ذلك في الأبيات الآتية:

لِمَكَّـــةِ فَضْـــلِ الْبَـــدْءِ وَالْخَـــتْمِ فَضَّـــلَهُ   لِطَيِّبَـــةٍ فَـــالْثَمْ يَا مُحِـــبَّ ثَرَاهَـــا

وَجَـــــاوَرَ بِهَـــــدْي ثُمَّ مُـــــدَّةٌ   بِهَـــدْي وَلَا تَطَلُّـــبُ مَكَـــانًا سِـــوَاهَا[4]

أما عبد المجيد المنالي، فنظم هو أيضا شعرا، ومما قاله في ذلك :

بَيْـــتٌ لَـــهُ الشَّـــرَفُ المؤتـــل وَالْسُـــنَا   وَلَـــهُ الْعُـــلَا وَالْمَجْـــدُ والايثـــار

وَمَـــنْ لَمْ يَكُـــنْ نَالَ الْمُـــنَى فِي مُـــنًى   وَلَمْ يَكُـــنْ فِي هَيْبَـــةٍ فَقَـــدْ خَشَـــعَ

وَاِقْصِـــــدْ لِبَيْـــــتِ اللهِ مَـــــنْ بَابِ   السُّـــــلَّامِ تَلُـــحْ لَـــكَ الانـــوار[1]

[1] **مسجد نمرة**: سمى مسجد نمرة بمسجد عرفة أو مسجد إبراهيم الخليل عليه السّلام، ويقع مسجد نمرة غرب، ونمرة هي أيضاً قرية تقع خارج عرفات وتعتبر الحدّ الفاصل بين الحرم والحل، ولذلك نهى الرّسول عليه الصّلاة والسّلام من الوقوف في مسجد نمرة والأصل الوقوف في جبل عرفات. ينظر: عاتق بن غيث البلادي: **معالم مكة التاريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، 1400هـ/1980م، ص ص 276-277.

[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص 266.

[3] نفسه: ج2، ص267.

[4] سالم العياشي: الرحلة، المصدر السابق، ج2 ص91.

ومن بين الرحالة الجزائرين أيضا الذين تغلبت أشوقهم لبيت الله، الشيخ ابراهيم بن باحان اليسجني المصعبي (ت 1232هـ/1817م) يكتب في بداية رحلته عن بشائر وفرحه وحمده لله على اداء فريضة الحج ، كما تترجم لنا أبياته المنظومة عن عمق المحبة الالهية وقوة التعلق بالله بقوله:" الحمد لله الذي بلغ مرادنا من زورة بيته الحرام، ومنا علينا برواء نزعة سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ، واوردنا من مناهل رؤية مشاهده الجليلة "[2].

فَمِـــنْ قَـــاعِ بـــزوة قَـــدَّمَنَا الى رَبِّى فَلِبَيْـــتٍ مِنْهَـــا سَـــيِّدُي وَالِهِيـــا

فـــافردت عَمَّـــرْتِي عَـــنِ الْحَـــجُّ قَاصِـــدًا ثَـــوَابَ اِتِّبَـــاعَيِ الْحَـــائِزَيْنِ المعاليـــا

فَجُـــزْنَا عَلَـــى عَسْـــفَانِ أَبِيَـــارَ دِفْلَـــةٍ الى الْـــوَادِ فَـــالتَّنْعِيمَ هَـــذَا مُـــرَاديا[3]

كما نجد الورثيلاني يذكر مناسك الحج و الجو السائد في تلك البقاع آنذاك على النحو الآتي:

"نزلنا بمنى قرب مسجد ... وهذا المسجد الدعاء فيه مقبول مستجاب وورد فيه فضل عظيم... فصلينا فيه المغرب والعشاء، وإن بعض الأركاب من المصري والشامي والعراقي والمغربي ... ارتحلوا إلى عرفة... فارتحلنا. فلما خرجنا من مزدلفة ووصلنا بينها وبين عرفة، طلع الفجر أي بين العلمين فوجدنا أكثر الأركاب هناك نائمين... وبطل ظننا أنه ارتحلوا ليدركوا الوقوف ليلا في عرفة، فوصلنا ضحى مسجد نمرة الذي ينبغي الجمع بين الظهرين فيه بالقصر... فامتلأ المسجد ناسا وكذا مراحه واشتد فيه الحر بحيث لايقدر أحدا أن يضع رجله على الأرض... فلما حان وقت الظهر صلينا في زحمة عظيمة يكاد الإنسان أن يموت من شدة الحر وأن العرق علينا يسيل فلا يجد أحدا إلا كاد أن تزهق روحه فصلينا خلف واحد من الأئمة ونوينا القصر وصلى هو بالإتمام ...ولما فرغ أعاد جميع أهل بلدنا

---

[1] عبد المجيد المنالي الزبادي: **بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام**، مخطوط رقم10989، المكتبة الحسينية الرباط، ص 93.

[2] ابراهيم بن حمان المصعبي: **رحلة المصعبي**، تح: يحي بن بهون، وزارة الثقافة، ط1، الجزائر، 2007م، ص 61.

[3] نفسه: ص ص 77-78.

وهو أننا نوينا القصر ونوى هو بالإتمام فلما اختلفنا في النية بطلت صلاتنا ثم أعدناها جماعة جمعا وقصرا ثم حثثنا مطايانا للوقوف بعرفة"[1].

ويذكر الورثيلاني أنه تمكّن من الدخول إلى مربع بيت الكعبة رغم استحيائه وتردّده بعدما حثه أحد رفقائه الحاج أبو عزة المراكشي وبمعية أمير الحج المصري إبراهيم أبو شنب، حيث يقول: "فدخلت البيت وعلاني من الهيبة ما الله به عالم فركعت به ركعتين لناحية الباب مواجهه غافلا عن السنة بأن أجعله خلف ظهري، لما علاني من الخجل، والدهش والوجل، ودعوت بما أمكنني وحضر لي من الدعوات، معمما ومخصصا أهل المحبة والقرابات، ولم تطل مدة فتحه وإنما يفتحونه هذا اليوم لتعليق الكسوة الجديدة وإزالة العتيقة"[2].

ويسهب الورثيلاني في ذكر مناسك الحج وازدحام الحجاج في الأسواق، ومن ذلك وصفه المشوق والبهيج لأحد الليالي بمنى، وهي الليلة الثانية على النحو الآتي: "ولما كانت الليلة الثالثة، بالغ أهل مصر وأهل الشام في إيقاد المشاعل والمصابيح، واتخاذ المصانع منها وصور الأشجار والأخبية وإكثار الرمي بالمدافع والبنادق والمحارق المرتفعة في الجو، وفي ذلك نزهة الأبصار، وتسلية للأفكار، ومجال للاتعاظ والأذكار، والقبول والإنكار، منزل جميع أصناف العباد، وحشر إليه عمار البلاد، فهو أجمل الأندية، ومبانيه أحسن الأبنية، تشرق في النهار فساطيطه المؤنقة، في الليل بالمصابيح المشرقة.[3]

وأما الوقوف بعرفة، فجليل وأكبر من أن يوصف بقوله: "فلو شاهدت يا هذا تلك الحال وما عليه الناس في جبل عرفات، ووقوفهم بتلك العرصات، لهالك ذلك المشهد الذي هال أمره، وعجز عن وصفه زيد البيان وعمره، إذ ترى الملوك في مقام الافتقار والذلة، والفقراء في محل الاضطرار والقلة، والجميع يرغبون في المغفرة من الرحمن، ويطلبون الرحمة والعفو من العفو الرحيم الحنان المنان." وقد أنشد الورثيلاني في ذلك قصيدة من اثنين وأربعين بيتا منها:

---

[1] الحسين الورثيلاني: ج2، ص 266.

[2] نفسه: ج2، ص278.

[3] نفسه: ج2، ص ص 322- 323.

وَكَـــمْ خَاضِـــعُ كَـــمْ خَاشِـــعُ مُتَـــذَلِّلُ وَكَـــمْ سَـــائِلُ مَـــدَّتْ إِلَى اللهِ كَفَـــاهِ

وَسَـــاوَى عَزِيـــزُ فِي الْوُقُـــوفِ ذَلِيلِنَـــا فَكَـــمْ ثَـــوْبِ ذُلِّ فِي الْوُقُـــوفِ لبســـانه

وَلَمَّـــا رَأْيِ تِلْـــكَ الـــدُّموعِ الَّـــتِي جَـــرَتْ وَطُـــولَ خُشُـــوعِ مَـــعَ خُضُـــوعِ خَضَـــعْنَاهُ

تَجَلَّـــى عَلَيْنَـــا بالمتـــاب وَ بِالرِّضَـــى وَبَاهَـــى بِنَـــا الْأَمْـــلَاكُ حِـــينَ وَقَفْنَـــاهُ

عَلَـــى عَرَفَـــاتٍ قَـــدْ وَقَفَنَـــا بِمَوْقِـــفٍ بِـــهِ الـــذَّنْبُ مَغْفُـــورٌ وَفِيـــهُ مَحَـــوْنَاهُ

وَقَـــدْ أَقْبَـــلَ الْبَـــارِيُّ عَلَيْنَـــا بِوَجْهِـــهِ وَقَـــالِ أُبْشُـــرُوا فَـــالْعَفْوَ فِـــيكُمْ نَشَـــرْنَاهُ[1]

كما أورد الورثيلاني بعض المزرات التي ينبغي للحاج أن يزور البيت الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بمنطقة الشعيب؛ "إذ والعجب أنهم عينوا محلا من الدار بمقدار مضجع و قالوا أنه موضع ولادته ﷺ ودار أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومسجد العقبة الذي بايع فيه رسول الله ﷺ لجن، ومسجد إبراهيم بعرفة ومسجد الكبش بمني الذي نزل فيه فداء إسماعيل عليه السلام، ومسجد المتكأ بأجياد قيل أن رسول الله ﷺ اتكا هناك، وغار جبل الثور الذي اختفى فيه رسول الله و ﷺ أبو بكر رضي الله عنه فيهجرتهما، وغار حراء الذي كان الرسول ﷺ يتحنث فيه قبل النبوة وفيه نزل الوحي، "والجعرانة بين مكة والطائف إذ " منها كانت عمرة النبي ﷺ في ذي العقدة حين قسم غنائم حنين كما في الصحيحين، " ومكان مولد فاطمة رضي الله عنها، والبيت الذي سكنه رسول الله ﷺ مع السيدة خديجة رضي الله عنها. ويذكر الورثلاني أن بعض هذه المعالم القيمية " ليس هناك من يعتني بحفظها" ويعيد ذلك على ما "علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتناهم بالتقييد بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي لصرف اعتناهم هو أهم من حفظ الشريعة والذب عنها بالسنان واللسان وكان ذلك هو

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص ص 274-275.

السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الإسلام ومن مساجده عليه الصلاة والسلام ومواضع غزواته ومدفن كثير من أصحابه"[1].

وأيا كان الأمر، فإن هذه المناطق تزار بحسن النية رعاية لتعظيم قدر من أضيفت إليه صلى الله عليه وسلم فليستحضر الزائر في قلبه عظمة من نسبت إليه الأمكنة ... ولا يشغل باله بصحة النسبة وضعفها عنها[2].

كما نجد المصعبي يسرد أهم الشعائر المفروضة على الحاج، بقوله:

دَخَلَـــتْ إِلَى الْبَيْـــتِ الْعَتِيـــقِ بِسَـــابعٍ	مِـــنَ الشَّـــهْرِ، ثُمَّ طَفَـــتْ سَـــبْعُ طَوَافًـــا
سَـــعَيْتُ بِعِيـــدِ الشُّـــرْبِ مَـــنْ بِـــيرَ زمـــز	فَأَحْلَلْـــتُ بَعْـــدَ أَنْ قَضَـــيْتُ ثفاتيـــا
فَأَحْرَمَـــتْ تَحْـــتَ الْمِيـــزَابِ لَحَجْـــتِي	بِيَـــوْمِ الْخَمِـــيسِ كَـــانَ يَـــوْمُ الثمانيـــا
فِيـــتَ مَـــعَ الأركَـــاب لَيْلَـــةَ التَّاسِـــعِ	بِمَرْمَـــى الْجُمَّـــارِ مَنْحَـــرَ لـــدمائيا
وَقَفَـــتْ بِيَـــوْمِ جَمْعَـــةٍ مُتَعَجِّبًـــا	بِكَثْـــرَةِ خَلْـــقِ اللهِ فِيْءِ عَرَفَـــاتِيّ
بِمُيَمَّنَـــةِ مُـــنَى مَقَـــامٍ لِسَـــيِّدِي	ابي بَـــرَّهُمْ صَـــلَّى عَلِيُّـــهُ اِلْهَيَـــا
وَمَـــا بِـــيرَ اسْمَاعِيـــلُ الَا كَقُبَّـــةٍ	بِمَسِـــيرَةِ الْمَقَـــامِ وَالْبَـــابِ رَاسِـــيًا
فَمِـــنْ بَـــيْنَ رُكْـــنٍ لِلْيَمَـــانِيّ وَاسْـــوَدّ	خَرَجْنَـــا الى الصَّـــفَّا نُرِيـــدُ الماعيـــا[3]

---

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص ص 329-330.

[2] مُحَمَّد فوزي عبده الساعاتي: **العلاقات الثقافية والاجتماعية في موسم الحج من خلال علماء بلاد المغرب العربي عبر القرون- ضمن كتاب بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني**، دارة الملك عبد العزي، دط، الرياض، 2006م، ص87.

[3] ابراهيم بن حمان المصعبي: المصدر السابق، ص ص 78-80.

أما أبو راس، فحبه الكبير وتعلّقه بمكة مكة والمدينة دفع بيه إلى أن يعبر عن ذلك بعبارات مفعمة وسجع رقيق وما يملكه من أحاسيس الشوق ولحظة الوصول وتزايد القرب من الكعبة المشرفة، فقال: رحلت إلى " أم القرى" ذات المكارم والعلى والعرى، التي لا بغيرها تقاس، لأنها " أول بيت وضع للناس" ... ذات النعم المفعمة السجال .. وميدان السعادة الرحب المجال ...ذات المقر الأشراف الذي فضل المحال الدينية محله، وكثر في بئر زمزم مقبض اسماعيل عليه السلام... فوقها البيت المعمور التي بالمكارم عدت"[1].

ويتكرر شوق الورثيلاني إلى البلاد المقدسة بعد خروجه من مكة ودخوله المدينة المنورة، إذ يقول "لما أشرفنا على المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام غشينا نور عظيم وبهاء قوي لا يخفى على أهل الذوق السليم و الطبع المستقيم..."[2].

ويضيف عند دخوله المسجد النبوي "دخلنا من باب السلام على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، ولقد تاه القلب في الجلال، والبهاء والكمال، وانبسط علينا النور في الحال، وكنا في التنقل في مراتب التجلي أعز انتقال، فاطمأن الفؤاد وطاب الحمد والثناء على الوصول إلى روضة المتعال، فبلغ القلب مناه فغاب عن الأكوان بكامل البدور وقمر العز فتنزه عن سواه" [3].

ويتّضح في رحلة الورثيلاني أنه على علم واسع بالأماكن المقدسة بمكة والمدينة ويروي مآثرها بالتفصيل مثلما يروى عن مقبرة البقاع ومن دفن فيها وما رواه أهل العلم والفقهاء في ذلك، ومسجد قبا، ومسجد الضرار ومسجد الجمعة ومسجد الفضيح، ومسجد مشرية، ومسجد الإجابة، ومسجد الفتح، ومسجد الفسح، وجبل أحد، وقبر الصحابة، ومنهم سيد الشهداء حمزة ﵁، والآبار التي

---

[1] ابو راس الناصري: المصدر السابق، ص 118.
[2] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج2، ص386.
[3] نفسه: ج2، ص387.

شرب منها الرسول ﷺ أو توضأ فيها "فاكتسبت بذلك فضلا على غيرها فصارت مقصودة بالزيارة وبالاستشفاء بمائها، "وتربة "صعيب" التي يتبرك بها بالمدينة،... الخ [1].

وكان توديع الورثيلاني لمدينة الرسول أشد ما يكون قسوة عليه، إذ يصف لحظة المغادرة بـ "وعظم علي أمر التوديع حتى علا صوتي وارتفع وكاد أمري إلى العويل بل أنوح عليه نياح الثكلى العديمة لولدها وكيف لا وهو أن فراقه أعظم المصائب، ولم أنفصل عنه إلا بصبر عظيم وهول جسيم وحزن شديد، فلم أملك نفسي عند ذلك فعظمت المصيبة وعز الصبر غير أني تسليت بانتقاله من دار الدنيا وفراق أصحابه"[2].

أما الرافعي التطواني فعبر عن لحظة فراقه لمدينة الرسول ﷺ بكلمات روحانية، حيث يقول في رحلته:

قَالُو الرَّحِيلِ مِنْ هُنَا بِسُرْعَةٍ ... كَيْفَ الرَّحِيلِ وَالْفُؤَادِ هُنَا مُسْتَقِيمٌ

كَيْفَ الرَّحِيلِ مِنْ حُمًى لِطَيِّبَةٍ ... هَلْ لَا أُقِيمُ بِطَيِّبَةٍ دَهَرًا عَمِيمُ

هَلْ لَا اِغْتَنَمَتْ بِطَيِّبَةٍ كُلَّ الْمُنَى ... هَلْ لَا اِقْتَطَفَتْ رَوْضَةُ خَيْرِ حَمِيمِ

هَلْ لَا اِعْتَبَرَتْ أَزَهَّارَا وَانْعَمَا ... هَلْ لَا أَعْقَبَتْ عُرْفَةُ عِطْرِ نَسِيمِ

هَلْ لَا أَعَفَرَتْ شَيْبُكَ بِهِ الثَّرَى ... هَلْ لَا وَقَفَتْ بِبَابِهِ وَقْفَ الْخَدِيمِ

هَذَا الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى بِحُرِّ النَّدَى ... هَذَا الصَّفِّيِ هَذَا النَّجِيِّ والحليم

هَذَا الْغِيَاثِ وَالشَّفِيعِ فِي الْوَرَى ... لِهَذَا الْحَبِيبِ وَالْخَلِيلِ وَالْكَلِيمِ[1]

---

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج3، ص62.

[2] نفسه، ص113.

[1] محمد الرافعي التطواني: **المعارج المرقية في الرحلة المشرقية، مخطوط بالخانة الملكية، الرباط،** رقم 134، ص ص 199-200.

كما يتّضح لنا جليا أن المصعبي من خلال شعره أن قلبه كان معلق بمكة وروحه تتهئ لملاقات قبر الرسول وروضته ومما ذكر:

فَفِــي نَيَّــفَ الْعُشْــرَيْنِ مِــنْ شَــهْرِ حُجَّــتِي رَحَلَــــتِ الى زُورَ الْمَدِينَــــةِ غَــــادِيًا

فَبَقَرَهَــا قَــدْ مَــاتَ عِيسَــى بْــن أَحْمَــدَ بِسَــابعِ شَــهْرِ قَــدْ وَرَّيْتُــهُ خَافِيًــا

أَتَيْــتُ بِيَــوْمِ السَّــبْتِ قَبْــرَ مُحَمَّــدَ نَبِيًّــا كَرِيمًــا سَــيِّدَ الْخَلْــقِ هَــادِيًّا

فَكَــمْ مَشْــهَدِ جَــلٍّ بِطَيِّبَــةِ زِرَّتــهِ وَكُنْــتُ بِــهِ مِــنَ الْمُهَــيْمِنِ دَاعِيًــا[1]

أما ابن عثمان المكناسي فيذكر في " إحراز المعنى والرقيب" وهو الذي قام برحلته عام (1200هـ/1785م)، نجد عباراته عن الاستمداد الروحي من هذه المعالم المقدسة عند المسلمين ومنها لحظة دخوله المنورة مرتبطة بسياق حديثه عن مناسك الحج، وبهذا الخصوص كتب المكناسي:

وَمِــنْ كُــدَى أُخْــرُجْ بِضَــمِّ الْكَــافِ بِعَــزْمِ صَــادِقِ وَقَلْــبِ صَــافٍ

وَسِــرٌّ إِلَى سِــرِّ الْوُجُــودِ الْهَــادِيِّ بِجِــدِّ سَــيْرِ تُحْــظِ بِالْمُــرَادِ

مُكَــبِّرًا حَيْــثُ عَلَــوْتُ شَــرَفًا مَصْــليا عَلَــى الرَّسُــولِ الْمُصْــطَفَى

حَــتَّى إِذَا إِلَى الْمَدِينَــةِ وَصِــلّ وَالْفَــوْزِ بِــذَاكَ الْجِــوَارِ قَــدْ حَصَــلَ

فينبغــي الْغُسْــلَ مَــعَ التَّطْيِيــبِ تَحْسِــينَ هَيْئَــةٍ مِــنَ الْمَطْلُــوبِ

صَــلَاةَ رَكَعَتَــيْنِ مِــنْ قَبْــلَ الــدُّخُول وَلَــيَمْشِ رَاجِــلَا إِلَى خَيَّــرَ رَسُــولٌ[1]

[1] ابراهيم بن حمان المصعبي: المصدر السابق، ص ص 81-82.

[1] مُحَمَّد بن عبد الوهاب المكناسي: **رحلة المكناسي احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785**م، تح: مُحَمَّد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الامارات، 2003م، ص276.

أما أبوراس يذكر مسيرته نحو طيبة، فيقول عنها " أنها المدينة المشرفة على من تشرفت به أفضل الصلاة والسلام، فيا حبذا مهبط الوحي نزول جبرائيل عليه السلام وتشريع الأحـكام، من حلال وحرام، ونعم المهاد، ومبعث الجيوش والسرايا للجهاد، وضريح سيد المرسلين والكونين والثقلين والفريقين: من عرب ومن عجم، ولقيت بها علماء أجلاء من كل قطـر ومصر، وكثيرا ما أقبلنا على ضريحه صلى الله عليه وسلم، وعلى ضريحي صاحبيه أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، ثم زرنا الصحابة بـ "البقيع"، وغيره ﷺ أجمعين، وجرى لنا مع العلماء أبحاث ومناظرات غير مرات"[1].

وبقرب الوصول إلى المدينة المنورة نجد العياشي زادت عنده نفحات المحبة عندما اقترب من مدينة الرسول عليه ازكى السلام وأطيب التسليم، وخاصة منها إحدى القرى الأقرب إلى المدينة المنورة، فقال من نظمه:

خَلِيلِــيَّ مَــا لِلْعَــيْشِ فِي سَــيْرِهَا تَعُــدْ ... قَبْــلَ أَعَيَّــتْ مَــنْ يَسُــوقُ وَمــنْ يحــدو

أَظَــنُّ لَهَــا عِلْمَــا يَقِينَــا بِأَنَّهَــا ... لِقَــبْرِ رَسُــولِ اللهِ قَــدْ أَصْــبَحَتْ تَعْــدُو

لِــذَلِكَ لَمْ تُجَــزّعْ لِحُــرِّ أَصَــابَهَا ... كَمَــا جَزَّعَــتْ بِالْأَمْــسِ إِنَّ مَسَّــهَا

فَــلَا تُعْجِبُــوا مِــنْ عِلْمِهَــا بِاقْتِرَابِهَــا ... وَلَــيْسَ لَهَــا بِالــدَّارِ مِــنْ قَبْــلَ ذَا عَهْــدٍ

فَفَضْــلَ رَسُــولِ اللهِ فِي الْكَــوْنِ ظَــاهِرَ ... أَقَــرَّتْ بِــهِ الْعَجْمَــاءُ وَالْحَجَــرُ الصَّــلْدَ

وَأَنْــوَرَ أرْضِ جَلّهَــا قَــدْ تــلألأتْ ... أَحَسَّــتْ بِهَــا الْأَبْصَــارُ وَالْعَظْــمُ وَالْجَلْــدُ[1]

ثالثا: العادات والطقوس الصوفية بالحجاز من خلال الرحلات الحجازية:

---

[1] أبوراس الناصري: فتح الاله..، المصدر السابق، ص 119.

[1] أبو سالم العياشي: الرحلة، المصدر السابق، ج1، ص368.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن التصوف والاستمداد الروحي بالحج والزيارات، نرصد مظاهر دينية صوفية اجتماعية أخرى كانت منتشرة بالحجاز، ومن أبرز ما أثار أصحاب الرحالات في هذا الشأن.

أ) طقوس يوم الجمعة:

يعتبره الحجازيون موسماً دينياً وثقافياً حافلاً بالطقوس والعادات التي ينفرد بها عن العالم الإسلامي فمن عادات أهل الحجاز في يوم الجمعة تعطيل الدراسة حتى يتمكن الناس من القيام بالشعائر والعبادات حسب قول الدرعي: "ومن عادة المدرسين بالمدينة أيضاً تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الجمعة ويقرؤون فيما سوى ذلك من الايام خلاف عادتنا في المغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة ... "[1].

كما كانوا يخرجون للبقيع ويضعون الرياحين الكثيرة على القبور، خصوصا المشاهد المعلومة فيكون هناك أضغاث من الرياحين ويؤتى به إلى الحجرة الشريفة أيضاً، ويلقى من طيقان الشبابيك إلى داخلها فلا يزال هنالك حتى يذبل ويذوي فيخرج في كناسة الحجرة ويقتسمها الأغوات بينهم مابقي الشمع الذي يوقد داخل الحجرة وما يساقط من الطيب فيجمعون ذلك فيهدون منه لأصحابهم وللأكابر ويبعثون منه إلى من يهاديهم من أهل الآفاق[1].

فيوم الجمعة بالنسبة إلى أهل المدينة على الخصوص حافل بالأنشطة ، فلا يقتصر الأمر على خطبة الجمعة والصلاة، بل يتعداه إلى مظاهر احتفالية ذات بعد ديني اجتماعي وثقافي، وفي هذا الصدد يتحدث الحسين الورثيلاني عن تنظيف وكنس المسجد النبوي وتزييته حتى في طريقة الأذان والخطبة حيث يقول"... ومن عادتهم يوم الجمعة أيضا أن يكنسوا المسجد النبوي كله ويوتى بأغطية

---

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ج 2، ص 58.

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج3، ص ص76-77.

من ديباج أسود مخوص بالذهب فتعلق على أبواب المسجد، ويؤتى برايتين سوداوين من ديباج مخوص أيضا فيركزان عن يمين المنير وشماله وتكسى درج المنبر من أعلاه إلى أسفله ديباجا من ذلك النعت.

ويعلق أيضاً على أبواب الحجرة الشريفة، فإذا كان قبل الزوال بقريب من ساعتين طلع المؤذنون على الماذن فيبتدئ مؤذن الرائية بالذكر والصلاة على النبي ﷺ وقراءة آيات من القرآن، فإذا فرغ تلاه صاحب السليمانية على نحو من ذلك ثم لا يزالون كذلك يتناوبون الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتلاوة على المآذن كلها إلى أن يخرج الإمام بأثر الزوال يقتسمون الوقت بذلك، فإذا قرب دخول الإمام قام أحد المؤذنين على سرير المؤذنين فينشد ما شاء الله فإذا دخل الإمام ورقي المنبر أذن المؤذنون دفعة واحدة داخل المسجد على السرير الذي في وسط المسجد وكيفية آذانهم أنه يبتدئ رئيسهم فيقول: « الله أكبر الله أكبر»، فيقوله الآخرون بعده دفعة واحدة، ثم يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله» مثنى فيقولونه أيضاً بعد فراغه منه دفعة واحدة وهلم جرا إلى آخر كلام الآذان.

وأما الخطابة، فهي كالإمامة موزعة بين فقهاء المدينة لكل واحد مقدار معلوم من الأيام على قدر حصته التي يأخذها من جامكية الخطباء، فمنهم مقل ومكثر وذلك إما بالوراثة عن أسلافهم أو بالشراء من الولاة، وهو الغالب فمنهم من تدور نوبته في كل شهر مرة ومنهم من لا تصل إليه النوبة إلا مرة في السنة ومنهم بين ذلك على حسب أنصبائهم في المال المأخوذ على ذلك ..."[1].

أما ليل الجمعة، فإن أهل المدينة يحرصون على إحياء ليلة الجمعة من خلال تجمع الناس بالمسجد وإنشاد القصائد الشعرية حسب ناصر الدرعي في قوله: "ومن عادة أهل المدينة أيضاً في كل ليلة جمعة أن يجتمع الناس بعد صلاة العشاء في آخر أروقة المسجد النبوي الموالي لصحن المسجد فيأتي من المنشدين فينشد كل واحد قصيدة أو قصيدتين بصوت رخيم وتطريب وتقسيم والناس محدقون بهم ولهم أتباع يردون عليهم ... "[2]

[1] الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ج3 ص ص77-78. أيضا: أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، ج1، ص347.

[2] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ج2، ص56.

ومن المناسبات الاحتفالية والطقوس ذات البعد الديني الروحي والتي حظيت باهتمام العلماء أيضا:

ب) الاحتفال بذكرى المولد النبوي:

يعتبر المولد النبوي الشريف، من أحد الأعياد التي يحتفل بها بحكم مولد خير الأنام مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فيقوم الأهالي في هـ<ا اليوم بزيارة مكان مولده عليه السام بمكة المكرمة[1]، هذا عند سكان مكة، حيث كانت تقام العديد من الاحتفالات والطقوس، سواء بالمنازل أو في المساجد عن طريق إلقاء الخطب التي تخص سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

فإذا اقتربت ليلة المولد بالغ أهل المدينة في تنظيف وتزيين الحرم الشريف يذكر الدرعي بهذا الامر ".... فإذا كان بعد صلاة العصر من اليوم الحادي عشر أخرجت القناديل الكبار والحسك العظام من الحجرة الشريفة ووضعت فيه الشموع الغليظة، فيوضع في كل حسكة منه شمعة وتبسيط البسط الرفيعة من جوانبها القناديل من كل جهة، فيوضع لجلوس الأمراء وأرباب المراتب ولجلوس المنشدين، فإذا صليت المغرب أوقدت المصابيح كلها والشمع الذي وضع بالمسجد، وأخذ الناس في الاجتماع ... فإذا صليت العشاء جلس الأمراء على الفرش المعدة لهم كل على مرتبته وجلس الشعراء أمامهم والمنشدون، فينشدون قصائد في مدح النبي .... فيجيء السقاؤون بأنواع الأشربة الحلوة ... ثم يرقى بأنواع الرياحين والأزهار فتوضع بين أيديهم أضغاثاً ... ثم يؤتى بأطباق من اللوز والسكر وأنواع الحلوى فتفرق أيضاً.. يزالون كذلك حتى يمضي الليل ما شاء الله النصف أو قريب منه فينصرفون"[1]

---

[1] ابراهيم رفعت باشا: **مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية**، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1344هـ/1925م، ج1، ص 205.

[2] نهلة بنت الشحات : **الحياة الاجتماعية في ولاية الحجاز زمن الحكم العثماني في فترة مابين عامي 923-1157هـ**، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، المدينة المنورة، 1423هـ، ص 393.

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص55.

يلاحظ أن ناصر الدرعي لم يستطيع إخفاء إعجابه واندهاشه لهذه الأجواء الاحتفالية التي تقام ليلة المولد النبوي الشريف، وهذا ما يعكسه مبالغته في الوصف والتدقيق في تفاصيله وجزئياته من مصابيح وشموع وزرابي ... الخ. إلا أنه لم يخف انزعاجه من كثرة النساء في المسجد « وإكثارهن من الولاول »[1].

وقد استند ابن عمار في جواز مشروعية الاحتفال بالمولد بقوله: " ... مستمدين من مفيض العرفان على العقول ما أشرنا إليه من احتفال أهل بلدنا بموسم مولده صلى الله عليه وسلم واتخاذه عيدا من أعياد الإسلام تشريفا وتعظيما لليوم الذي ظهر فيه نوره عليه الصلاة والسلام فمحى الشرك والظلام ولاحت بولادته صلى الله عليه وسلم للسعادة والفوز أعلام، فهو الذي عليه العمل بالأمصار لهذا العهد وما قبله من الإعصار من الحجاز ومصر والشام ..."[2].

كما نوّه ابن عمار في ذم البدع القبيحة خلال الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فقال: "قال الإمام العلامة الشهاب أحمد بن حجر المكي في إتمام النعمة الكبرى: " يجب صون مجالس المواليد ونحوها من القبائح والفضائح والشنائع التي صدرت من الناس مقترنة بعمل المولد ولاسيما بمكة أي المدينة، منها اختلاط النساء بالرجال في المسجد الحرام والمسجد النبوي وتزيينهم بأحسن الحلي والحلل وتطيبهن بأطيب الطيب اختلاطا فاحشا، بحيث يقع في تلك الليالي من المفاسد و القبائح ما تصم عنه الآذان "[1].

---

[1] نفسه، ص56.

[2] أحمد ابن عمار: رحلة اللبيب، المصدر السابق، ص 38.

[1] شهاب الدين احمد الهيتمي: **النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم**، مكتبة الحقيقة، دط، اسطنبول، 2002م، ص ص109-110.

إذا لم يكن شهوة ولا فتنة والإحرام اتفاقا والواقع من النساء في المواليد كثيرا ما يترتب عليه الشهوة والفتنة هذا في نظر النساء إلى الرجال وأما نظرهم إليه المترتب غالبا على إشرافهن عليهم نظرهم فحرا على الأصح عندنا[1].

فنجد أن الرحالة ابن عمار حذر في رحلته من الوقوع في الخطأ خلال الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وذلك بالابتعاد عن البدع والاختلاط بين الرجال والنساء ورفع الشارات والغناء والرقص، مما ليس له علاقة بالمولد النبوي، حيث قال في هذا الخصوص: "ولقد وقع بمكة أن كثير من علماء المذاهب الأربعة قاموا أشد القيام وانتصروا أشد الانتصار في منع النساء من الخروج من بيوتهن إلى المسجد الحرام بالكلية، لما اشتهر عنهن من قبائح تصدر عنهن حتى في المسجد، فعارضهم آخرون فصاروا سببا لإغراء الفسقة ومن في قلبه زيغ وهوس إلى نصرة الباطل وإبقاء تلك القبائح كما كانت فزادت وطمت وانتشرت وعمت ... قلت وقد وقعت لي بالمدينة، نظير ذلك فسعيت في منع الاختلاط بين النساء والرجال في ليالي المولد والمعراج وموسم سيدنا حمزة وموسم الحج فعارضني جميع من العلم في عمامهم دون قلوبهم"[2].

ولا شك أن الرحالة قد وقفوا على تميز طقوس احتفالات المواسم الدينية بالحجاز عن بقية الأقطار الإسلامية المشارق والمغارب، في الكثير من التفاصيل، وبالإضافة إلى هذه المواسم الاحتفالية نجد مواسم أخرى.

ج) عادات الحجازيين في إقامة الصلوات الخمس والصلاة على الجنائز:

ذلك أنه على الرغم من كون هذه الأمور مشتركة بين جميع البلدان الإسلامية، إلا أن الرحالة رأوا فيها خصوصية حجازية تميزها من عادات أهل المغرب في هذه المناسبات حيث نجد من عادتهم في إقامة الصلوات الخمس في الحرم الشريف تقديم الصلوات في أول الوقت، ما عدا الصبح للحنفي،

[1] أحمد ابن عمار: المصدر السابق، ص93.

[2] نفسه: ص94.

فيؤخره إلى قرب الأسفار فيصلون الظهر أول ما نزول الشمس وما يقبل عامة الناس إلا بعد الصلاة فيذهبون بعد الصلاة إلى منازلهم لنوم القائلة، وكان ذلك يشق على الغرباء قبل اعتيادهم لذلك، فتكاد صلاة الظهر تفوتهم في المسجد لأنهم لا يتأهبون لها إلا بعد الأذان وليس بين الأذان والصلاة قدر يسع التأهب فمن لم يتأهب للصلاة قبل دخول الوقت فاتته الصلاة في الجماعة غالبا، وذلك خلاف في تأخير صلاة الظهر إلى ربع القامة أو أزيد للإيراد في شدة الحر فإن لله وانا اليه راجعون على تفويت الفصائل في أماكن قطب الافاضل[1].

ويبدو أن الاختلاف يقوم أساسا على الاختلافات المذهبية والفقهية، الأمر الذي لم يكن المغاربة متعودين عليه، حيث يسود المذهب المالكي، أما فيما يتعلق بالصلاة على الجنائز فقد لاحظ الرحالة أن أهل المدينة لهم مهارات تختلف عن أهل المغرب: "ومن عاداتهم في الصلاة على الجنائز إدخال الجنازة إلى الحرم الشريف فيصلى عليها ثم يمر بها أمام الوجه الشريف ويوقف بها وقفية ثم يذهبون بها إلى محلها من البقيع أو غيره إلى جنات الروافض، كالنخاولة فإنها لا يدخل بها المسجد ولا يؤتى بها للمواجهة بل يأتيها أصحابها إلى خارج المسجد من ناحية الروضة ثم يرجعون ولقد أحسن من سن بهم ذلك من الولاة فحق من يبغض ضجيعي الرسول ﷺ ورفيقيه في المحيا والهمات أن يبعد عن حماه حياً وميتاً فيبعث الله من يخلبهم منها إلى تيما وأريحا آمين آمين [1].

فقد لاحظ الورثيلاني هاته الطقوس فكان نفس الكلام والتعليق عليه عند ناصر الدرعي في قوله:"ومن عاداتهم في صلاة الجنائز ادخال الجنازة للحرم الشريف فيصل عليها بالمسجد ثم يمر بها أمام الوجه الشريف ويوقف بها وقفية ، ثم يذهبون بها الى محلها من البقيع أوغيره"[2].

---

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ج2، ص 58.

[1] الحسين الورثيلاني : المصدر السابق، ج3، ص81.

[2] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ج2، ص59.

د) طقوس الاحتفال بالشهور:

1- الاحتفال بشهر رجب أو الرجبية:

احتفال أهل الحجاز بموسم الرجبية شهر رجب أو رجب الكبير، أو الإسراء والمعراج، كونه يشكل إحدى أهم التظاهرات الدينية والثقافية والاجتماعية بمكة والمدينة نظراً لما لهذا من دلالات وأبعاد دينية وتاريخية[1].

ويبدو من خلال ما يقّدمه الرحالة أن الاحتفال بهذا الموسم لافت للانتباه بالنظر إلى استقطابه عدداً كبيراً من الناس والاحتفالات التي تقام له، يقول الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي: « إذا كان أول رجب جعل الناس يقدمون أقطار الحجاز واليمن كمكة والطائف وتجد وجدة وما والاها من أطراف اليمن لشهود الرجبين وزيارة سيد الشهداء حمزة ﷺ، فما من يوم إلا وتدخل فيه قافلة من مكة ونواحيها ولم يزل الناس يتلاصقون فخرج أهل المدينة إلى أحد من اليوم الخامس والسادس من الشهر ورجعوا في اليوم الثاني عشر ولم يبقى بالمدينة الا القليل، وخرج العسكر لحراسة الناس من المدينة الى أحد... وينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرون من ليلة المعراج... ومن لم يدل المسجد في تلك الليلة من وقت العصر قلما يجد موضعا لصلاة المغرب والعشاء ... ويبيت الناس فس ذكر وقراءة وصلاة على حسب ما يسنح له حتى الصباح ..."[1].

2- الاحتفال بشهر ذي القعدة:

يرى أبو سالم العياشي: أن عادة أهل مكة ليلة الثالثة عشر من ذي القعدة يخرجون إلى الجبل المشرف على المصعب حيث يزعمون آن به قبر عبدالله بن عمر فيبيتون هناك عامة ليلتهم" [2].

---

[1] مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص 480.

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ج2، ص70.

[2] سالم العياشي: المصدر السابق، ج1، ص 234.

ويضيف الدرعي معلقا على هذه الظاهرة أن الشيخ أبا سالم العياشي كان قد بحث عن أصل هذه الليلة واستقصى أولي العلم فقالوا إنهم لا يعلمون لذلك أصلا، وقد ابتدع أهل مكة بخصوص هذه الليلة جملة من الخرافات منها « أنهم يأخذون معهم ... التمر فيدفنونه بالأرض .. تلك الليلة، ويزعمون أن من دفن شيئا حصل له في تلك الليلة بعدده ريال أو دنانير" [1]، وهو ما أنكره الشيخ أبو سالم العياشي.

يبدو مما سبق؛ أن المجتمع الحجازي خلال هذه الفترة كان لا يخلو من الفكر الخرافي القائم على ابتداع الأساطير والمعتقدات الخاطئة، وهذا ما يفسر كثرة المواسم التي كان يحتفل بها أهل الحجاز خلال هذه الفترة، واتصالاً بالظاهرة نفسها؛ أي الخرافات والبدع التي كانت تتفشى داخل المجتمع الحجازي، وتسيطر على عقول الناس والحجاج، فإن أحمد بن ناصر الدرعي يذكر أيضاً أن أهل مكة كانوا يصعدون إلى جبل قبيس الذي يشرف على مكة كلها والبيت الحرام وتوجد به مغارة يعتقد أن بها قبر آدم، وكان الناس يشترون رؤوس الأغنام المشوية ويصعدون إليه بأكلونها فيه ويزعمون أن من فعل ذلك أمن من وجع الأسنان والرأس"[1].

هاته الطقوس والعادات أن يبرز مدى الأهمية الدينية والصوفية في حياة المشارقة عموماً والحجازيين خصوصا، حيث هيمن التفكير الصوفي على كل معاملاتهم الاجتماعية والدينة تمارس طقوس وعادات وباختلاف كل طريقة وطائفة منهم.

---

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ج2، ص27.

[1] نفسه: ج2، ص85.

هـ) زيارة القبور:

لابد من ان هذه المشاهد والقبور لمزارات المسلمين والمشاهير والاحتفال عندها كل حسب طريقته الخاصة وفي أيام معلومة، وفي هذا الإطار ذكر العياشي وغيره الاحتفالات التي يقوم بها أهل المدينة عند قبر سيد الشهداء حمرة كل يوم خميس أيضاً خروجهم إلى جبل أحد[1].

وفي هذا الصدد يذكر الدرعي أيضا عادة أتباع طريقة "صوفية" في إحياء ليالي مواسمهم، وخصوصا المولد الكبير الذي يقام عند مشهد السيد العيدروسي، وهو من المشاهد المشهورة، ومن المزارات المعظمة عند أهل مكة، ولأهل مكة في هذه الليلة عمل مولد كبير في مشهد السيد العيدروسي عند الشبيكة يجتمع هناك جماعة من أولاده وأتباعه السالكين على طريقه ويعمل هنالك سماع وقراءة وتلاوة ويجتمع فيه خلق كثير، وقد فرش كله وما حوله وأعدت للحاضرين أطعمة وأشربة ويستكثر هنالك من المصابيح وهو من المشاهد المشهورة بمكة والمزارات المعظمة وبيتهم له صيت ومكانة وهو عند الخاص والعام ... "[1].

ويبدو من خلال حديث الدرعي أن الشيخ العيدروسي كان زعيماً لطريقة صوفية كانت مشهورة ومتبعة في مكة[2].

والملاحظ عن الرحالة أنهم لا يقدمون تفاصيل إضافية عن بعض العادات في الحجاز باستثناء الجزء الذي يشكل اختلافاً أو نوعاً من الانفراد والتميز الذي لم يألفه المغاربة في أوطانهم، وهذا ما تعكسه أحاديثهم عن الكثير من العادات الحجازية: في الصلوات الخمس والجنائز ... إلخ، التي على الرغم من بعدها الديني فإنها تشكل ظاهرة دينية من خلال كيفية ممارستها على مستوى الواقع.

---

[1] سالم العياشي: المصدر السابق، ج 1، ص 283.

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ج 1، ص235.

[2] مصطفي الغاشي: المرجع السابق، ص 483.

رابعا: أعلام الجزائر المتصوفة بالحجاز ودورهم في التواصل الروحي :

أ) الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي:

ولد الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي سنة (1202هـ/1787م)[1]، وتوفي في (1276هـ/ 1859م). نشأ السنوسي في بيئة متميزة أثّرت في تكوين شخصيته الدينية والعلمية والسياسية، فشجعت بيئته في تحبيبه للعلم، فأحب العلم والتعلم مما جعلت السنوسي متميزًا بالذكاء والفطنة[1].

ولقد تأثر السنوسي بسوء الأحوال في مناطق شمال إفريقية، وخاصة أثناء تدهور أحوال الإدارة العثمانية، والذي انعكس على أحوال المجتمع العربي الإسلامي؛ حينها مما دفع الأهالي بقيام بعض من الاضطرابات. وفي ظل ذلك بدا تدخل الاستعمار الأوروبي ينتشر ويتوسع في سائر البلدان العربية والإفريقية، فساهم ذلك في بلورة مشروعه الاصلاحي من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية؛ فضلًا عن ذلك تأثره بعدد كبير من علماء بلدته الذين كانوا بطبيعة الحال، مثلهم مثل الأهالي ناقمون

---

[1] **مُحَّد بن علي السنوسي**: ولد السنوسي في مستغانم بالجزائر، وعندما بلغ سن الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب، ثم أخذ يجول في البلاد العربية، فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن ثم رجع إلى مكة المكرمة وأسس فيها أول زاوية لما عرف فيما بعد بالحركة السنوسية وله نحو أربعين كتابًا ورسالة أهمها: "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن"، وعرف والده علي السنوسي بالعمل والصلاح والفروسية، وقد توفي في شبابه حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره، بينما كان عمر السنوسي حينها حوالي سنتين، وبعد وفاة والده كفلته عمته فاطمة والتي كانت من فضليات أهل زمانها متبحرة في العلوم متقطعة للتدريس، فاعتنت عمته به واشغلته بالعلم وتحصيله، وفد لازم السنوسي عمته فاطمة حتى توفيت، وهو في العاشرة من عمره، وبعد وفاتها كفله ابن عم له هو الشارف مُحَّد السنوسي وكان ذا علم وصلاح، فقام بتعليمه الفقه والحديث والقرآن الكريم، كما أخذ عنه اللغة العربية. ينظر: مُحَّد بن علي السنوسي: **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مطبعة الثعالبية، دط، الجزائر، 1914م، ص ص 05-07. ينظر أيضا: خير الدين الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج6، ص137.

[1] مُحَّد بن علي السنوسي: المصدر السابق، ص 05.

على فساد بعض سياسيات الإدارة العثمانية، فمن أهم وأبرز هؤلاء العلماء الذين تأثر بهم "أبو عبد الله سيدي مُحَّد بن القندوز" الذي قتل عام (1245هـ/1829م)[1].

ب) الشيخ السنوسي وعلاقته ببلاد الحجاز:

توجه السنوسي إلى مناطق المشرق ساعيًا التوجه والاستقرار في النهاية في منقطة الحجاز، فمر في طريقة بتونس وطرابلس ومصر، فوصل مصر في عام (1239هـ/1824م)، إذ التقى فيها بعلماء الأزهر الشريف، كأمثال الشيخ الصاوي وغيرهم من علماء الأزهر المهمين، لذلك بنيت علاقات قوية السنوسي وعلماء مصر، وساهم ذلك في توطيد العلاقات الفكرية والروحية بين كلا البلدين.

وترك مصر بعد ذلك لعّدة أسباب بعد استقراره فيها لمدة عام، قاصدًا الاستقرار والاستفادة ببناء علاقات مع مناطق الحجاز والاستفادة المتبادلة بينه وبين علمائها، فوصل الحجاز وقام بأداء فريضة الحج وكان يطمح إلى لقاء الشيخ أحمد بن إدريس[1].

فعزم السنوسي ابتداء من مناطق بلاد المغارب بنشر الصوفية وأفكارها ومبادئها، والتي تتمثل في صورة الاهتمام والتركيز على الزهد والتعبد، فضلًا عن محاولة إصلاح المجتمع، فيذكر أنه عندما أراد بناء زوايا له في سفح جبال أبي قبيس في مكة المكرمة، رفضت السلطة الحاكمة ذلك، ولكن بعد

---

[1] أحمد صدقي الدجاني: **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن العشرين**، دار لبنان، ط1، بيروت، 1967م، ص ص36-42. ينظر أيضا: مجموعة من المؤلفين: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، أشرف عليه: رابح خدوسي، الجزائر، منشورات الحضارة، 2014م، ص101.

[1] **أبو العباس أحمد بن إدريس**: هو من ذرية الإمام إدريس بن عبد الله الحسني مؤسس دولة الإدريسية في المغرب، ولد في العرائش على ساحل المحيط الأطلسي (1172هـ/ م) تلقى دروسه في فاس، مال إلى التصوف وتعلم على يد شيوخ عصره ولدبته، ثم انتقل إلى مكة سنة (1214هـ/ 1799م) واستقر بها، وشاع فيها ذكره، ثم غادرها ونزل صبيًا فاستوطنها، ترك السيد أحمد بن إدريس مجموعات من الأحزاب والأوراد والأدعية منها" "روح السنة وورع النفوس المطمئنة" و"السلوك" وغيرها من الرسائل، ينظر: الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج1، ص95. أيضا: بطرس البستاني: **كتاب دائرة المعارف**، مطبعة الادبية، دط، بيروت، 1887م، مج8، ص167.

قيامه بإقناع شريف مكة، عرض الشريف المساعدة في بناء هذه الزوايا، ورفض ذلك السنوسي، فاكتفى فقط بقبول إذن البناء والاعتذار عن الرفض، وكانت هذه الواقعة له أثر كبير في تعزيز هالة أهمية السنوسي في نفوس الحجازيين من أهل مكة المكرمة، فتم بناء زاوية أبي قبيس بداية من عام 1827م، وانتهى بنائها في عام 1828م[1].

وتختلف المصادر في تحديد الفترة الزمنية في بناء هذه الزوايا فمنها من ترجعها إلى عام 1837م، ولكن لا تختلف هذه المصادر على مدى أهميتها في نشر التصوف الإسلامي لشمال الحجاز وتوطيد العلاقات والصلات الروحية بين الحجاز والجزائر، فينظر المؤرخون إلى تلك الزاوية كبداية انتشار الطريقة السنوسية بصفة رسمية الحجاز[1].

ولقد جهر السنوسي بتصوفه أثناء وجوده في مكة، فضلًا عن ذلك أنه قد أخذ من كبار أعلام التصوف وتلقى منهم الكثير من الأسانيد المتعلقة بمناسك طرق الصوفية، ولكن في الوقت نفسه يقول العالم الدجاني: أن السنوسي "أكسب صوفتيه طابع السنة ولجمها بحدود الشرع وأكسب فقهه طابع الروحية المتألقة، لذا لقد اكتسبت الطريقة السنوسية احترامًا شديدًا في نفوس المتصوفة السنيين الحجازيين وفي الوعي الجمعي الحجازي عمومًا"[2].

لقد وصلت الزوايا السنوسية لمناطق الحجاز في حدود عشرين زوايا، منها حوالي ثمانية زوايا تم إنشاؤها في حياة السنوسي، ومن أشهر هذه الزوايا نذكر:

---

[1] عبد المالك بن عبد القادر بن علي: **مختصر (الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية)**، دار الجزائر العربية، دط، دمشق، 2007م، ق01، ص ص 23-24.

[1] الشيخ رأفت غنيمي: **دراسات إفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2011م، ص291.

[2] أحمد صدقي الدجاني: **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1967م، ص64. ينظر الملحق رقم 16، ص 410.

1- زاوية أبي قبيس[1]:

مقرها بمكة المكرمة؛ فهي من أولى الزوايا التي نشأت في حياة ووجود السنوسي في مكة وبرعاية والتعاون مع رجال مكة[2]، وهي كانت ملحقة بمسجد ومدرسة لتعليم الطلاب الوافدين إلى مكة، لذلك كان لها دورًا واضحًا في الصلات الفكرية والروحية بين الحجاز والجزائر، وكان أول شيخ ليعد قائدًا وميسرًا لأحوال هذه الزوايا العلامة عبد الله التواتي[1]، ثم بعد وفاته أضحى مصطفى الغماري قائدًا لها.

2- زاوية الطائف:

وهي ثاني زاوية وجدت في الحجاز والتي تأسست بواسطة السنوسي في عام 1836، واختار سفاح جبال ابن منديل لبناء هذه الزاوية فيها[2].

3- زاوية المدينة المنورة:

بنيت في عام 1266هـ/1849م، وكان أول شيخ لها مُحَّد الشفيع[3].

---

[1] **أبي قبيس:** هو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قعيقعان ومكة، قيل سمي على اسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج 1، ص74.

[2] هناك اختلاف في تاريخ إنشاء زاوية أبي قبيس فبعض المراجع تذكر إنشاء السنوسي لها كان في حياة أستاذه الإدريسي عام 1242هـ/1827م حينما أجاز له بالتدريس وذهب إلى هذا الرأي الدجاني، الحركة السنوسية، ص 71، والصلابي: الحركة السنوسية، ص138، أما شكري فيذكر في كتابه أنه بناها بعد وفاة أستاذه الإدريسي، ينظر: مُحَّد فؤاد شكري: **السنوسية دين ودولة**، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1948م، ص 4.

[1] محمود عبدالغني صباغ وآخرون: **التصوف في السعودية والخليج**، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط3، دبي، 2011م، ص164.

[2] حسن بن علي بن يحيى العجيمي: **إهداء اللطائف من اخبار الطائف**، تح: علي مُحَّد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، دط، الرياض، 1996م، ص 62.

[3] محمود ابراهم: **العلامة مُحَّد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا 1788-1859م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص168.

ويذكر أن السنوسي قد تأثر بكتابات وتراث ابن حنبل وابن تيمية وحامد الغزالي، وفي الوقت نفسه بقى متأثرًا بالتصوف السني، فعمل على تنقيح الصوفية من بعض الأمور التي تؤدي إلى بروز إشكالية بين المسلمين، وخاصةً من أتباع التصوف الجذري والسلفية[1]، فعمل السنوسي على التشّدد في الزهد والتصوف، فلاقت حركاته قبول وترحيب كبير بين أهل وقادة الحجاز لا سيما في ظل انتشار الحركة الوهابية في تلك الفترة[2].

وكان للسنوسي اتصالًا كبيرًا بأعلام الجزائر والحجاز فمثل هذا العمل مثل اتصال فكري وروحي بين الجزائر والحجاز فيذكر أن السنوسي قد مكث في الحجاز حوالي خمسة عشر عامًا وبداية من عام 1825م[1]، فقد وصل عمره حينها إلى السادس والثلاثين في تلك الفترة درس العلوم الإسلامية على يد كبار أحناف مكة المكرمة ومنهم "الشيخ عبد الحفيظ بن درويش العجيمي"، والشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول، والشيخ مُحَّد صالح الريس[2].

ويذكر أن السنوسي قد اتلقى بالعديد من أعلام تلك المنطقة، ومنهم العالم أحمد بن إدريس، إذ تعلم منه الحديث فضلًا عن أسانيد الطريقة الصوفية الإدريسية، وفي غضون أيام معدودة أضحى من كبار رجالها حتى أضبح نائبًا للشيخ أحمد الإدرسي، فأعطى الأخير الكثير من القرارات التي من شأنها تمكّن للسنوسي تيسير أمور الطريقة الإدريسية، إذ قال ابن الشيخ الإدرسي ودليلًا لمدى أهميته: "أنت نحن ونحن أنت"، كما اهتم السنوسي بالطرق الصوفية الأخرى في أثناء وجوده في مناطق الحجاز، إذ

---

[1] محمود عبدالغني صباغ وآخرون: المرجع السابق، ص172.

[2] أحسن دواس: **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين-مقاربة سوسيو ثقافية**، رسالة ماجستير في الأدب المقارن، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م، ص ص 69-72.

[1] علي الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، المرجع السابق، ص38.

[2] أحمد صدقي الدجاني: المصدر السابق، ص 86.

سلك الطريقة الخلوتية والتي بدورها انتشرت انتشار كبير في مناطق شمال إفريقيا فيما بعد؛ والطريقة العويسية على يد العالم؛ عبد الله شاه، وكما تعلم وسلك الطريقة السهرودية على يد ابن إدريس[1] .

وكان للسنوسي اتصالًا كبيرًا لعلماء الحجاز المهتمين بالجوانب العلمية أكثر من الروحية، ومنهم؛ العالم والشيخ حسن العجيمي(ت.1701م)، والعالم والشيخ صالح الفلاني(ت.1803م)[2].

ولقد اهتم كثيرًا بذكر نشاطات الكوراني والفلاني في مؤلفاته، نظرًا لوجود نقاط مشتركة فيما بينهم فيما يخص بالجوانب العلمية والدينية والروحية، إذ كانوا مهتمين بقضايا وموضوعات الاجتهادات كما هو الحال عند السنوسي وابن إدريس، فينظر إلى ابن إدريس أنه بمثابة الأب الروحي والمعلم للسنوسي؛ إذ إنه يعد القاعدة والمرتكز الأساسي للقاعدة والمشروع الإصلاحي للسنوسي، فأخذ السنوسي منه العلم وكان من أهم مرافقيه في معظم أوقات استقراره في مكة؛[1] ثم بعد ذلك اتجه إلى صبيا[2] عسير في عام 1827م، ليتخذها بمثابة منفى ومنعزلًا عن العالم للخارجي مع معاونيه والشيخ ابن ادريس، وبعد ذلك توفي ابن ادريس في عام 1837م، ولقد روى عن الشيخ بن إدريس كلامًا عن السنوسي أثناء ذهابه إلى صبيا عسير وخاصة في منطقة بندر الليث فعرف عنه بقوله: "بوجود ابن السنوسي بمكة كأننا فارقناها"؛ أي في الفترة التي ابتعد السنوسي عن ابن إدريس في فترات زمنية معينة ووفقًا لأقاويل ابن إدريس، ويدل ذلك عن مدى أهميه السنوسي عند ابن إدريس[3] .

---

[1] مُحَمَّد بن عبدالله السليمان: **دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي**، وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، دط، الرياض، 1422هـ، ص ص 83-84.

[2] سعود دحدي: **البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (142-1931م)** رسالة ماجستر في التاريخ المعاصر، إشراف: ابراهيم ميساسي، جامعة ابن يوسف بن خدة الجزائر، 2009-2010م، ص 14.

[1] احمد صقي الدجاني: المصدر السابق، ص ص67-68

[2] **صبيا:** مدينة في منطقة جازان بمكة المكرمة. ينظر:حمد الجاسر: **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر)**، دار اليمامة، دط، الرياض، د ت ن، ج2، ص829.

[3] علي الصلابي: الحركة السنوسية، المرجع السابق، ص50.

ولقد وجد نقاط توافق بين علماء وكبار أعيان الحجاز وبين علماء الجزائر، فنقاط التوافق تمثلت في بعض الأحيان في مناهضة السلطة المركزية للدولة العثمانية، فضلًا عن المحاولة نشر المشاريع الإصلاحية الدينية والابتعاد عن بعض ممارسات المتصوفة التي تمثل إشكالية جدلية بين مذهب أهل السنة، وخصوصًا بين الوهابية وبين الصوفيية، لذلك انتشرت الزوايا التي يرجع جذورها إلى المتصوفة المعتدلين وفقًا لاتفاق الوهابيين، كما وجد نقاط اختلاف بينهم، وهي أن رجال الصوفية متسامحون كثيرًا في زيارات قبور آل البيت والأولياء وبعض الطقوس المختلفة والمتنوعة للتصوف، وأهل السنة كانوا على خلاف ذلك.

ولقد ذاع صيت زوايا السنوسي بعد وفاة ابن إدريس، وخاصة زوايا أبي قبيس، فأضحت مقصدًا للعلماء والحركة الإصلاحية الدينية والاجتماعية والروحية في الحجاز[1].

فتمكّن أيضًا السنوسي من تنظيم أحوال الزوايا، ونشر الصوفية السنية الإصلاحية المعتدلة على طول الساحل الحجازي. وفي هذا السياق يقول المؤرخ الغربي: "بريتشارد" في ذلك: "من المفيد جدًا أن نشير إلى أن السنوسية نالت مقامًا رفيعًا في الجزء الغربي من جزيرة العرب"، وغادر السنوسي مكة ذهابًا إلى برقة في عام 1841م، بعد أن ترك إرث صوفيًا سنيًا تأثر به الحجاز وترك الشيخ عبد الله التواتي " قيمًا على زوايا أبي قبيس، وعاد السنوسي مرة أخرى إلى الحجاز فيما بعد وأقام فيها لمدة ثمان سنوات"[1].

ويذكر الشيخ حسن عجيمي، في مخطوطه "خبايا الزوايا أهلًا لكرامات والمزايا"، أنه في القرن السابع عشر الميلادي، كان في مكة المكرمة وحدها ثماني عشرة زاوية أو مشهدًا، وأربعون طريقة صوفية، وكان لتلك الزوايا وظائفها التعليمية والدينية وكانت مدعومة بالأوقاف الجليلة التي تسد

[1] محمود براهم: المرجع السابق، ص125.

[1] محمود عبد الغني الصباغ: المرجع السابق، ص35.

احتياجاتها، وبالنذور والهدايا الطرقية التي يُقدمها الأهالي وأثرياء الحُجاج والعُربان وأمراء المقاطعات الإسلامية، وتُغني القائمين عليها ليتفرغوا للوظائف التعليمية والدينية المنوطة بهم[1].

ج) الشيخ الصوفي أحمد التيجاني:

ولد سيدي أبو العباس أحمد التيجاني 1150هـ/1737م، بقربة عين ماضي بالأغواط[2]، وتمكّن من حفظ القرآن الكريم في وقت قصير مدته سبع سنوات، كما أن بعض الروايات ذكرت على لسان الشيخ أنه لقن في منامه القرآن من الله حين قال له هكذا أنزل، وهذه الرواية يرويها صاحب كتاب جوهر المعاني، اشتغل سيدي أحمد التيجاني بطلب العلوم الأصولية والأدبية حتى أدرك أسرار معانيها، واستوى في اهتمامه المنقول والمعقول[1].

واستمر في طلب العلم ببلاده حتى بلغ مرتبة أهلته للتدريس والإفتاء، وعلى الرغم من وفاة والده إلا أنه ظل يشتغل بالعلم والتقاط ذروه بمسقط رأسه عين ماضي، ثم رحل أحمد التيجاني من عين ماضي إلى المغرب سنة 1171هـ/1757م، لطلب العلم والمعرفة، والتي كانت حاضرة يقصدها الطلاب من كل مكان، وفيها التقى بأعلام التصوف فتتلمذ على يد هم وأخذ منهم، أمثال الشيخ الطبيب الوزاني، وشيوخ القادرية والصدقية التي استقر بزاويتها مده طويلة أخذ خلالها عن شيوخها[2].

توفي التيجاني عام 1230هـ/1814م، ودفن في منطقة فاس، وقام برحلة إلى الحجاز وعلى وجه التحديد إلى جده حيث التقى بأبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله الهندي، والذي توفي عام

---

[1] حسن عجيمي: **خبايا الزوايا أهلًا لكرامات والمزايا.** ينظر الملحق رقم 17، ص 411.

[2] على حرازم بن العربي براده: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، منشورات دار الكتب العلمية، دط، بيروت،1997م، ص23. صالح بوسَليم ومُحَّد الزين: حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية بإقليم توات وإفريقيا الغربية خلال القرنين 13-12هـ/18-19م، في مجلة الحوار المتوسطي ، مج 04، ع01، جامعة سيدي بلعباس 2013، ص ص 42-38.

[1] بن شهرة المهدي: **الطرق الصوفية في الجزائر السنية**، دار الأديب للنشر والتوزيع، دط، وهران، 2004م، ص26.

[2] صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، المرجع السابق، ص175. صالح بوسَليم ومُحَّد الزين: المرجع السابق، ص ص 38-42.

1187هـ/1773م، وكما التقى بأبي عبد الله سيدي مُحَّد بن عبد الكريم الشهير بـ "السمان"، والذي قيل عنه أنه أعطاه سرًا كبيرًا، وعلى أثر رجوعه إلى مصر وتونس ثم فاس وتلمسان وذهابه إلى الصحراء حدث له ما انتظره كل هذه المدة وهو الكشف[1].

يمكن القول إن هؤلاء الرجال الذين اتصل بهم سيدي أحمد التيجاني في رحلته الحجازية الروحية كلهم كان على مقام من المقامات الصوفية باختلاف طرقهم ومشاربهم، إلا أن الشيخ سيدي أحمد التيجاني كان مطلبه يختلف عن مطالبهم كلهم، لهذا نجده لم يستقر على طريقة واحدة، ولم يأخذ عن شيخ واحد، بل كان كل شيخ يحاول أن يجعل له كشفه حيث كان يمتنع ويتحجج بحجه المغادرة كالذي حدث له مع "الشيخ السمان"[1].

د) الحسين الورثيلاني:

هو الحسين بن مُحَّد السعيد بن مُحَّد بن عبد القادر بن يحي بن أحمد الشريف بن علي البكاي البجائي الحسني من شرفاء تافيلالت الورثيلاني (نسبه لبني ورتيلان)، وهي قبيلة أمازيغية بمنطقة بجاية ببلاد زواوة في بلاد الجزائر[2].

ولد عام (1125 هـ/ 1713م)، ونشأ في وسط أسرة فقيرة دعامتها التقشف الصوفي، وأساسها الصلاح والشرف العلمي، فأبوه وجدّه كانا عالمين كبيرين في المنطقة التي يدعوها بعرشنا بني ورتيلان، تردد الحسين الورثيلاني كغيره من أطفال القرية على المدرسة القرآنية التي كان يشرف عليها والده، وعلى الزوايا أين تضلع في الفقه وعلم التوحيد، إلى جانب اهتمامه بالتصوف الروحي، والتبحر في اللغة العربية وآدابها والنحور، ودراسة التاريخ، كما أخذ عن علماء وفقهاء منطقة زواوة، وعنهم

---

[1] ابن شهرة المهدي: المرجع السابق، ص27. صالح بوسَليم ومُحَّد الزين: المرجع السابق، ص ص 38-42.

[1] عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشيخ أحمد الثجاني وأتباعه**، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 1971م، ص ص 57-58.

[2] الحسين الورتلاني: المصدر السابق، ج1، ص5.

يقول: "هؤلاء فقهاء مدرسون متبعون للسنة، وقد ظهرت عليهم آثار الفضل، وأنوار الحق مشرقة عليهم، وقد صحبتهم وأحبتهم، وشهدت من جميهم ما يدل على ذلك"[1].

رحل الورثيلاني إلى المشرق العربي عدة مرات، فالتقى بعلماء أجلاء فقهاء أكفاء، استفاد من علمهم ونهل من دروسهم، فأجازه في جميع العلوم ومنهم: الشيخ ابن الصباغ، الشيخ أحمد السكندري المالكي، الشيخ الصعيدي العدوي، الشيخ الطحلاوي، الشيخ على العمروسي، الشيخ أحمد النفراوي، الشيخ أحمد الجوهري الشافعي، الشيخ العفيفي، الشيخ مُحَمَّد التونسي، وغيرهم من علماء الحجاز والمشرق عمومًا.

توفي حسين الورتيلاني عام (1193هـ/1779م) بمسقط رأسه في قرية ورتيلان، ودفن في مقبرتها قرب زاويته ولا يزال قبره قائمًا إلى يومنا هذا[1]، ونفس التاريخ يؤكده، المؤرخ كما هو في المصدر أسفل التهميش[2].

ومن أعمله، اهتم الورثيلاني بجمع العلوم الفقهية وأصول الذكر على الطريقة الصوفية الشاذلية، كما انشغل بالتفسير وكتابة القصائد، فخلف آثارًا عديدة أغلبها شروح، وإن كان معظمها في عدد المفقود، أهمها وأشهرها وأكبرها، رحلته المعروفة برحلة الورتيلاني[3].

وكان للورتيلاني دورًا هامًا وفعالًا في التواصل الروحي بالحجاز، لكونه استقر بها لعده سنوات، التقى بها كما ذكرنا بعلماء أجلاء.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **من الثرات التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي**، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1999م، ص 418.

[1] القاسمي عبد المنعم الحسني: أعلام التصوف، المرجع السابق، ص 143.

[2] عبد الهادي التازي: **رحلة الرحلات، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، مر: عباس صالح طشا كندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، دط، مكة المكرمة، 2005م، ج1، ص375.

[3] مختار بن طاهر فيلالي: **رحلة الورثيلاني– عرض ودراسة، دار الشهاب**، دط، باتنة، د ت ن، ص ص 27-28.

خامسا: أعلام الحجاز المتصوفين:

1- حسن بن علي العجيمي (1049هـ/1639م- 1113هـ/1701م):

هو حسن بن علي بن يحيى أبو البقاء وأبو الأسرار العجيمي الحنفي المكّي[1]،وهو الإمام الشهير بشيخ الشيوخ، محدّث مناطق الحجاز، والمسند وأحد أهم وأبرز الشيوخ الثلاثة الذين ينتهي إليهم غالب الأسانيد من بعدهم من العلماء في الحجاز واليمن ومصر والشام وغيرها من مناطق العالم الإسلامي العربي، وثانيهم الشيخ عبد الله بن سالم البصري؛ وثالثهم الشيخ أحمد النخلي المكّي، ولد العجيمي بمكة المكرمة، ومات ويرجع نسبه إلى والده الذي قبل تمام السنة من عمره قامت بتربيته والدته[1].

وحفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره، وسعى إلى وطلب العلم وقرأ القرآن الكريم بقراءة نافع رواية قالون على المقرئ الشيخ مُحَمَّد بن علي البخاري، وأخذ عن الشيخ مهنا بن عوض الحضرمي، وأخذ الفقه عن الشيخ إبراهيم بيري المكّي والشيخ أحمد المخزنجي، وأخذ الحديث والتفسير وأصول الفقه والفرائض وعلم التوحيد والنحو والمعاني والبيان والعروض والصرف والمنطق والجدل وعلم الحساب والسير وغيرها عن الشيخ عيسى الثعالبي المغربي ثم المكي، فقد لازمه نحوًا من خمس عشرة سنة، وقرأ عليه كتبًا كثيرة في فنون عديدة مع التكرار في بعضها، وكان لا يخلي أوقاته من قراءة الحديث وسماعه[2]، واعتنى به فاستجاز له من شيوخ مصر فأجازه الشيخ علي الشبراملسي وغيره، وكان يذهب به السماع على شيوخ الرواية.

وقرأ في المناسخات على جماعة، منهم الشيخ مبارك بن سليمان اليمني، وأخذ علم الحكمة عن الملا إبراهيم الكوراني المدني، وأخذ علم الهندسة والهيئة عن السيد مُحَمَّد شفيع الهند، وأخذ علم الميقات عن السيد مُحَمَّد الشليب العلوي والملا إبراهيم الكوراني المذكور والشيخ مُحَمَّد بن سليمان الروداني والشيخ

[1] عبد الله مرداد أبو الخير: المختصر، المصدر السابق، ص167.

[1] عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج 1، ص209.

[2] خير الدين الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج، ص223.

أحمد الدمياطي البناء. وأخذ أيضًا مفردات العلم المذكورة عن كثير من شيوخ عصره الأماثل، وأجيز بالتدريس فتصدر له في منزله أولًا فأخذ عنه جماعة في النحو[1] والعروض والمنطق والحساب. ثم تصدر للتدريس بالمسجد الحرام في الموضع الذي فيه شيخه عيسى الثعالبي عند باب الوداع وباب أمهاني، وأخذ عنه جماعة أيضًا في النحو والمعاني والبيان والبديع والحديث ومصطلحه والسير والفقه[1].

2- الشيخ عبد الحفيظ بن درويش العجيمي (ت.1235هـ/1820م)[2]:

هو عبد الحفيظ بن عبد الله العجيمي، الحنفي المكي، فقيه، ولي افتاء مكة،[3] ولد في منتصف القرن 12هـ /18م بمكة المكرمة، في أسرة علمية، وتلقى تعليمه بمكة وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بحلقات علماء الحرم المكي الشريف، فدرس على يد كل من مفتي مكة عبد الملك القلعي، وطاهر سنبل، وأكثر دراسته عليهما ،كما أخذ عن الواردين إلى مكة المكرمة كأحمد الدردير، ومُحَمَّد الشنواني وغيرهما، وأجازوه بعلومهم ،وبرع العجيمي في الفقه الحنفي حتى لقب بأبي حنيفة الصغير، وكان يدرس الفقه الحنفي في المسجد الحرام، وتخرج على يديه الكثير من الطلاب، ومما يدل على فقهه وذكائه في وقت واحد ماروه الشيخ عبد الله أبو الخير ميرداد في كتابه نشر النور والزهر، حيث يقول: «قال رجل لزوجته وهي على سجادتها قاصدة الصلاة، إن لم تسقني ماء قبل أن تصلي فأنت طالق، فصلت ولم تسقه الماء، فذهب زوجها مستفتيًا الشيخ عبد الحفيظ، ومتندمًا على ما وقع منه، فأمره الشيخ بإحضار المرأة، وأمرها أن تتوضأ وهو ينظر إلى وضوئها، فلم تحسنه، بحيث لاتصح الصلاة معه، فقال لزوجها: خذ زوجتك، فهي لم تطلق، لأن الصلاة إذا أطلقت تنصرف إلى الصلاة الصحيحة الكاملة، وهذه لم تصح صلاتها»، وأسندت إلى العجيمي سنة 1221هـ/1806م، نيابة القضاء بمكة، ثم تولى القضاء بها، وظل في هذا المنصب حتى وفاته وهو في سجود الصلاة داخل

---

[1] مُحَمَّد الحبيب الهيلة: **التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، مكة المكرمة، 1994م، ص370.

[1] إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، المصدر السابق، ج1، ص294.

[2] نفسه: ج1، ص502.

[3] عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، المصدر السابق، ج5، ص 89.

المحكمة الشرعية في الثاني من ربيع الأول سنة 1246هـ/1830م، وقام مفتي مكة عبد الله الميرغني على جثمانه بعد موته وقبله وبكى وقال: دفن الفقه مع أبي حنيفة الصغير، وقد ترك بعد وفاته عددًا من المؤلفات منها مجموعة من الفتاوى، ورسائل في بعض الأحكام الفقهية[1].

3- محمّد صالح الكتبي (1245هـ/1829م- 1295هـ/1878م)

محمّد صالح بن محمّد حسين الكتبي، الحنفي الخطيب، الإمام، المدرس بالمسجد الحرام، ولد بمصر واشتغل بالعلم على والده، وعلى علماء عصره، فمهر وتفنن في علوم كثيرة[2].

قدم مع والده إلى مكة المكرمة وجاور بها، ولما تصدى والده للدرس بالمسجد الحرام، حضره الأعيان للتلقي، وحضره وبجملتهم.

وبعد وفاة والده، جلس للتدريس بالمسجد الحرام، فدرّس وأفاد، وحضر دروسه الطلبة الكثر، وكان محمّد صالح ذا تقرير حسن، فصيح اللهجة والعبارة، وخط مستحسن، كتب به كثيرًا من الكتب والرسائل، خصوصًا مؤلفات المكيين، مع غاية الضبط التام، وتحليتها بالهوامش المفيدة.

وكان محمّد صالح الكتبي أحد جلساء أمير مكة المكرمة، الشريف عبد الله بن محمّد بن عون، توفي رحمه الله بالطائف له: خبايا الزوايا (ترجم فيه مشايخه)؛ إهداء اللطائف من أخبار الطائف؛ حاشية على الأشباه والنظائر؛ حاشية على الدر، ثبت في مجلدين؛ إسبال الستر الجميل على ترجمة العبد الذليل؛ الفلك المشحون (جمع فيه فوائد جمّة)؛ النفح المسكي في عمرة المكّي؛ السيف المسلول في جهاد أعداء الرسول -ﷺ- إثارة ذوي النجدة لتنبيه بن درجدة؛ الورقات الوفيّة؛ تدارك الفوت

---

[1] عبد الله مرداد أبو الخير: المختصر، المصدر السابق، ص ص 231-232.

[2] عبد الله بن محمّد الغازي: **نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهور في تراجم أفاضل أهل مكة**، تح: عبد الله بن دهيش، المكتبة الأسدية، ط1، مكة المكرمة، 2014م، ص148. أيضا: عبد الله مرداد أبو الخير: المختصر، المصدر السابق، ص476. أيضا: عمر عبد الجبار: **سير وتراجم بعض علماء القرن الرابع عشر للهجرة**، تهامة لنشر والتوزيع، ط3، جدة، 1403هـ/1982م، جاء في حاشية ص240. بأن السيد محمّد صالح الكتبي، ولد بمكة المكرمة سنة 1245هـ، وأن والده السيد محمّد حسين كتبي هو جد آل كتبي المتوفي في 1280هـ، وكان السيد محمّد صالح أمين فتوى والده.

بجوابات سؤال ورد من حضرموت [1]إيقاظ الطرف النعوس، بلوغ المأمول من معرفة المكلف وطرق الوصول؛ رسالة متعلقة بالنياحة على الميت؛ إقالة العثرة في بيان حديث العترة؛ ثلاث رسائل في علم الفلك، تليين العطف لمن يدخل في الصف، فريد الجواهر (في الرمل)، بغية المسترفد في القول بصحة إيمان المقلّد؛ تحقيق النصرة للقول بإيمان أهل الفترة؛ رفعًا لإشتباه على عبارة وقعت في الأشباه؛ الأجوبة المرضية على الأسئلة اليمنية؛ بلوغ المآرب في صبر الناصح على المتاعب؛ رسالة في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[2]، ومناقشة على رسالة الواحدة؛ قرة عيون ذوي الرتبة بتدقيق مسائل الصلاة في الكعبة؛ مظهر الروح بسر الروح؛ رسالة في علم الفرائض؛ رسالة في المناسخات؛ رسالة الزايرجة؛ رسالة تتعلق بقوله تعالى: ﴿ إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3]؛ جواب سؤال في حكم البغاة؛ رسالة في التوبة وما يتعلق بها؛ تحصيلًا لقصد والمراد من أحاديث الترغيب في أيسر الأعمال والأوراد؛ إتحاف الخلال وفي بمعرفة مكان غسل النبي ﷺ بعد وفاته (غاسله)[4]؛ اتصال الرحمات الإلهية في المسلسلات النبوية؛ النشر المعطاء في أسانيد جملة من الأحزاب والأذكار[5] كشف اللثام بما اشتبه على العوام؛ منحة الباري في إصلاح زلّة القاري.

وقد جمع أسانيده تلميذه تاج الدين أحمد الدهان، بعنوان: كفاية المستطلع ونهاية المتطلع[6].

4- مُحَمَّد بن حسن العجيمي (ت. 1156هـ/1743م) :

[1]عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، المصدر السابق، ج 4، ص264.

[2] سورة الرعد: الآية 39.

[3] سور لقمان: الآية 28.

[4] يوسف بن تغرى الأتابكي: **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تح: مُحَمَّد مُحَمَّد أمين، مركز تحقيق التراث، دط، القاهرة، 1993م، ج7، ص ص401-445.

[5]عبد الله بن مُحَمَّد غازي: نظم الدرر، المصدر السابق، ص80.

[6] عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار، المصدر السابق، ج1، ص177.

مُحَّد بن حسن العجيمي الحنفي المكّي، ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها وأخذ العلوم عن علمائها الأعلام في عصره، منهم والده، وأصبح عالم زمانه وفريد أقرانه[1]. أُجيز بالتدريس فقام فيه مقام أبيه. توفي رحمه الله بمكة المكرمة. له: قطع الجدال؛ رسالة تتعلق ببيان الصف الأول[2].

5- سعيد المنوفي (ت. 1120هـ/1708م):

سعيد بن مُحَّد بن مُحَّد بن أحمد المنوفي، الشافعي، المكي، مفتي الشافعية بالبلد الحرام، والإمام الفقيه. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وقرأ على والده وعلى الشيخ عبد الله العباسي، والسيد الشلي وغيرهم من العلماء العظام، تولى منصب الإفتاء، ودرّس وأفاد، وكان حافظًا، محدّثًا نقادًا يتوقد ذكاءً، توفي رحمه الله بمكة المكرمة[3].

6- مُحَّد بن علي الطبري (ت.1173هـ/1760م):

هو مُحَّد بن علي بن فضل بن عبد الله بن مُحَّد بن يحيى بن مكرم الطبري الحسيني المكي، إمام المقام الإبراهيمي. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم وجوّده، كما حفظ مجموعة من المتون على المفتي عبد القادر الصديقي، والسيد أسلم بن عبد الرحمن ميرك الحسيني الحنفي السليمان المكي. وقرأ على المحدث عبد الله بن سالم البصري وأجازه إجازة عامّة بجميع ما يجوز له روايته، فبرع حتى بلغ النهاية في المنطوق والمفهوم. ولم يزل على دوام الاشتغال بالعلم والتدريس والإفادة حتى توفي رحمه الله بمكة المكرمة[4].

7- عبد القادر الصديقي (ت. 1138هـ/1726م)[5]:

---

[1] مُحَّد بن حسن العجيمي: **قطع الجدال في أحكام الاستقبال " للكعبة المشرفة"**، اع: يوسف مُحَّد صبحي، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 1422هـ/2001م، ص المقدمة.

[2] عبد الله مرداد أبو الخير: المختصر، المصدر السابق، ص ص461-462.

[3] نفسه: ص 206.

[4] خير الدين الزركلي: الأعلام، المصدر السابق، ج6، ص296. أيضا: عبد الله مرداد أبو الخير: المصدر السابق، ص458.

[5] عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، المصدر السابق، ج5، ص285.

عبد القادر بن أبي بكر الصديقي الحنفي المكي، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، الشيخ الفاضل الفقيه، الهمام أبو الفرج محيي الدين، أخذ العلم من مكة المشرفة ولازم الطلب على أبي الأسرار حسن بن علي العجمي المكي وتفقه به وسمع عليه الموطأ والصحيحين وقرأ عليه فن البيان، وحضر دروسه في التفسير القاضي والبغوي واجاز له لفظا وكتابة، وله من التآليف: كتاب سماه "تبيان الحكم بالنصوص الدالة على الشرف من الام"[1].

8- صالح بن إبراهيم الريّس (ت. 1240هـ/1824م):

محدّثٌ مفسّرٌ، حفظ القرآن الكريم صغيرًا، وحفظ مجموعة من المتون، واعتنى بطلب العلم وملازمة العلماء وأخذ عنهم. ومنهم السيد علي بن عبد البر بن عبد الفتاح اللونائي وغيره، وقد أُذن له بالتدريس، فدرس في التفسير والحديث والفقه والعربية وغيرها؛ كما أخذ عنه عدد من العلماء طلاب العلم، ومنهم السيد يوسف البطاح. كان الريّس بارعًا في علم الأصول والفروع، وقد توفاه الله بمكة المكرمة. من بين مؤلفاته له: "فتح المجيب ببلد الحبيب في جمع ما يتعلق بالرضيع"، وكتاب "فتح ذوي العزّة والكرم لأولي الهمم فيما يجب أن يعلم ويتعلّم في ربع العبادات"، وكتاب "فتح الرحمن فيما يغتفر للموافق من الأركان"، "وحاشية على المنهج فقه الشافعي"[2].

9- عبد الله مرداد (ت. 1271هـ/1854م):

---

[1] محمد خليل المرادي: سلك الدرر، المصدر السابق، ج3، ص49.

[2] عبد الله مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، المصدر السابق، ص ص214-215.

هو مُحَّد صالح بن سليمان بن مُحَّد صالح ابن مُحَّد مرداد الحنفي المكي، الإمام، المدرّس بالمسجد الحرام. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وأخذ عن علمائها[1]، وحفظ القرآن الكريم، حفظ مجموعة من المتون، وعرضها على مشايخ عصره.

اشتغل بطلب العلوم، فجد واجتهد، وأخذ عن السيد ياسين ميرغني ولازمه وبه تخرّج. كما أخذ عن الشيخ عبد الرحمن جمال (الكبير) وغيرهما. أخذ عن أساتذته الفقه والحديث والتفسير والفرائض ومصطلح الحديث، وأصول الفقه والعربية والمعاني والبيان والبديع والمنطق وعلم الحروف والأفاق والأسماء، وأجازوه بمروياتهم وبالتدريس، تصدّى للإقراء والتدريس والإفتاء بالمسجد الحرام، وأخذه عنه جماعة من العلماء، منهم الشيخ عبد الرحمن جمال، والمفتي السيد أحمد بن عبد الله الميرغني، والشيخ عبد القادر خوقير، وغيرهم.

كان أمين الفتوى عند السيد عبدالله الميرغني، وكان يقيمه وكيلاً عند سفره الى المدينة المنورة. تولى مشيخة الخطباء والأئمة بعد وفاة الشيخ مصطفى مرداد سنة 1264هـ ،ومكث فيها إلى أن توفي رحمه الله.كان ذا خطّ حسن، كتب بخطه كتباً كثيرة من أمهات الكتب[2].

سادسا: الدعوة الوهابية:

هي دعوة إصلاحية سلفية خالصة، غرضها إصلاح الخرق ونسخ الشبهات وابطال الأوهام، ونقص التفسير المختلفة والتعاليق المتضاربة، التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى، ظهرت في إقليم نجد في وسط شبه الجزيرة العربية، في أواخر القرن الثامن عشر، وقد نادت إلى دعوة المسلمين لحياة السلف في عهد الرسول صل الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، تعتبر الحركة الوهابية هي أول حركة دينية انفصالية في الحجاز وقفت ضد الدولة العثمانية، قادها المجدد مُحَّد بن عبد الوهاب

---

[1] عبد الله بن عبد الرحمن لمعلمي: **معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف**، مكتبة الملك فهد الوطنية، دط، الرياض، 1416هـ/1996م، ص 448.

[2] عبد الله مرداد أبو الخير: مختصر، المصدر السابق، ص ص 319-320.

أ) مؤسس الحركة الوهابية:

هو مُحَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي رحمه الله، ولد سنة (1115هـ/1703م) في بلدة العيينة من البلدان النجدية، تعلم القرآن وحفظه قبل بلوغه عشر سنين، كان حاد الفهم وقاد الذهن ذكى القلب، سريع الحفظ [1].

فقرأ الشيخ مُحَّد عن أبيه الفقه على مذهب الإمام بن حنبل، وكان كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد[2]، وانشغل بفكرة التوحيد حتى صار ينكر على الناس ما وقعوا فيه من البدع والشرك[3]، كما أحاط في حلقة أبيه بكتب السلف وخاصة بمؤلفات ابن تيمة الذي تأثر بها[4]

ترك الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب الكثير من المؤلفات، والتي يمكن حصرها فيما يلي: التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد، السيرة المختصرة، كشف الشبهات، أصول الإيمان مختصر صحيح البخاري، فضائل الإسلام، أحاديث الفتن، مختصر زاد المعاد، مسائل الجاهلية، مجموعة الحديث فيه كتاب للشيخ بعنوان نصيحة المسلمين وكتاب الكبائر، استنباط القران، وقد ترك رسائل عدة ذكرها ونقل بعضها حسن ابن غانم في كتابه تاريخ ابن غانم[5] .

توفي الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب سنة (1206هـ/1791م)، وذلك بعد أن انسلخ الشيخ عن أمور الناس والأموال، وتفرغ للعبادة وتعليم العلم[6].

---

[1] حسين بن أبي بكر بن غنام: **تاريخ ابن غانم المسمى (روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)**، اع به: سليمان بن صالح الخراشي، دار الثلوثية، ط1، الرياض، 2010م، ج1، ص 208.

[2] الالوسي محمود شكري: **تاريخ دول الخليج العربي والمشرق الإسلامي**، مكتبة ومطبعة الإشعار الفنية، دط، مصر، 1997م، ص106.

[3] ابن البشير عثمان بن عبد الله: **عنوان المجد في تاريخ النجد**، تح: عبد الرحمان بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط4، الرياض، 1402هـ/1982م، ج1، ص34.

[4] تاج السر أحمد حران: **حاضر العالم الإسلامي**، اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1422هـ/2001م، ص107.

[5] أمين الريحاني: **تاريخ نجد الحديث**، دار الجيل، ط6، بيروت، 1988م، ص32.

[6] الالوسي محمود شكري، المصدر السابق، ص 11.

ب) أصل تسمية الحركة الوهابية:

كان إتباع الشيخ محمد في بادئ الأمر يطلقون على أنفسهم لقب الموحدين لكن كثيرا من المسلمين المناوئين لهم ظنوا بأن مؤسس الدعوة إنما أتى بمذهب إسلامي جديد، فسموه المذهب الوهابي أو الوهابية نسبة إلى والد مؤسسها العالم الفقيه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان المشرف، وقد أخذ المؤرخون والباحثون الغربيون بهذه التسمية التي انتشرت فيما بعد وأصبحت هي الشائعة[1].

ج) تعريف الحركة الوهابية:

الوهابية هي دعوة إصلاحية دينية ظهرت في القرن 12هـ/18م، في شبه الجزيرة العربية على يد محمد بن عبد الوهاب (1703-1792م)؛ بغية تنقية عقائد المسلمين من الشركيات والبدع والعقائد الباطلة والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام[2]، فالوهابية هي مبدأ يدعو إلى العودة إلى أسس الإسلام الصحيحة (القرآن والسنة) والتي تقوم على توحيد الله سبحانه وتعالى[3].

لا شك أن رحلات الحج وطلب العلم كانت من المنافذ المباشرة التي انتشر من خلالها الفكر الوهابي نحو بقاع الأرض شرقا وغربا، لكن تأخر دخول الدعوة للحرمين، جعل علمائها يعتمدون وسائل أخرى لنشر دعوتهم وبيان عقيدتهم، فعمدوا إلى مناظرة العلماء في المناطق المجاورة، ومراسلة العلماء والأمراء في المناطق البعيدة بالجزيرة العربية وخارجها[4].

د) علاقة الدعوة الوهابية بالجزائريين:

---

[1] محمد حامد الفقي: **أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها**، مطبعة النهضة، دط، القاهرة، 1354هـ، ص ص 4-5.

[2] فاسيلي أ، تاريخ العربية السعودية، المرجع السابق، ص 87.

[3] Carsten Niebuhr, Description de l'Arabie, sans édition,1774,p298.

[4] محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي: **الرسائل الشخصية**، تح: صالح الفوزان ومحمد العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود، د ط، الرياض، د ت ن، رقم:17، ص110.

مع تلك التخوم التي تفصل بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة بدأت اشعاعات حركة الإصلاح في الجزيرة تنفذ إلى الجزائر عبر منافذ متعدّدة.

أول عالم جزائري صرح بموقفه من الدعوة الوهابية، هو الشيخ أبو راس الناصري (ت.1238هـ/1823م)، ويعتبر أول من حمل راية الدعوة الإصلاحية السلفية بالجزائر، وقد حج مرتين التقى خلالهما بطائفة من أشهر وقته بالجزائر وتونس، ومصر، والشام، والحجاز، حيث قدر له أن اجتمع بطائفة (من علماء الوهابية بالحرمين فناظرهم ... وظهر له منهم أنهم من حيث أصول الدين فهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأما من حيث الفروع فهم على غير ما ذهب إليه أئمة المذاهب الأربعة) حيث يقول لقيت علماء الوهابية وهم تسعة علماء أكابر جماهير، وأفضلهم الشيخ علي تاسعهم فوقع لي معهم مناظرة ومباحثة واعتراضات وسؤلات...وأحاديث مروية...ثم تناظرنا...وكان ظني فيهم أنهم حنابلة المذهب ففوظتهم...فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع...بخلاف شيخهم أبن تيمية فإنه حنفي الفروع والاعتقاد[1].

يبدو أنه ليس من خصومهم، فلم يهاجمهم، ولم يرد عليهم، واكتفى بالتنبيه على موافقتهم للحنابلة في الأصول، ومخالفتهم للمذاهب الأربعة في الفروع، فلم يؤيد مواقفهم المتشددة كمقاومة الطرق الصوفية وتهديم أضرحة الأولياء الصالحين ، فقد قاوم هؤلاء الذين يقولون بالخوارق من أجل تأكيد اشعريته، فهو الفقيه المالكي مذهبا والأشعري عقيدة.[2]

أما الشيخ علي بن مُحَّد الميلي الجمالي الجزائري[3] نزيل مصر، فقد كان من المنتقدين للوهابية، حيث الف عدة مؤلفات رد بها على الوهابية ومنهجها، نذكر منها: (السيوف المشرفية في الرد على

---

[1] أبو راس الناصري: فتح الإله، المصدر السابق، ص ص 118-119. أيضا: ابو راس الناصر: عجائب الاسفار، المصدر السابق، ج1، ص ص17-18.

[2] نفسه: ص ص18-19.

[3] **الشيخ علي بن مُحَّد الميلي الجمالي الجزائري (ت 1248 هـ 1833 م)**: مفسر، ومتكلم، وفقيه على المذهب المالكي، من أهل مدينة ميلة بالشرق الجزائري، استوطن مصر وتوفي به. له عدة كتب ورسائل بلغت أكثر من 24 مؤلفة، منها: "شمس العيان لأهل العرفان"، و"تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب"، و"حتوف السنان في نحر من فضل الرسول على حروف

القائلين بالجهة والجسمية. والعجالة متممة للسيوف المشرفية، والسيوف الهِندية لقطع أعناق النجدية، والصوارم والْسنة في نحر من تعقب أهل السنة، والحسام السمهري بقطع جيد الكاذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري غيرها[1].

هـ) الطريقة الدرقاوية وعلاقتها بالسنوسية :

قاد هذه الطريقة ابن الأحرش[2] ما بين (1804-1809م)، وكادت أن تقضي على السلطة العثمانية مع التأكيد أن ابن الأحراش شرع في حركته التمردية بعد العودة من أداء فريضة الحج[3]. ويبدو أن التأثيرات الخارجية قد لعبت دورا في الحركات التمردية ومن غير المستبعد أن يكون للحركة الوهابية أثر في تمرد الطريقة الدرقاوية وخاصة أن الحركة الوهابية هي الأخرى حاربت الدولة العثمانية ونجد أن الدرقاوية[4] دعت إلى العودة إلى السلف الصالح، ربما يدل على وجود تواصل بين حركتين متزامنتين ثم من عدم وجود أشارت إلى الحركة الوهابية في كتابات الدرقاوية، ولكن القوة والجرأة للحركة الوهابية ضد الدولة العثمانية ربما تكون من الأسباب المحفزة للطريقة الدرقاوية في تمردها، وقد ذهب روش إلى أن الدرقاوية ما هي إلا طريقة مقلدة للوهابيين[5].

القرآن"، وغيرها. ينظر: خير الدين الزركلي: الاعلام، المصدر السابق، ج5، ص 170. وإسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، المصدر السابق، ص 773.

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص 121.

[2] **مُحَمَّد ابن الأحرش:** هو مُحَمَّد بن عبد الله الشريف الملقب بـ "البودالي"، وهو رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء ملوك فاس، دخل وسط القبائل ووعدهم بأخذ الشرق الجزائري، حارب العثمانيين، وقد لعب دورا في حوادث مصر أثناء الحملة الفرنسية فقد جاء ابن الأحرش إلى الجزائر ونشر تعاليم الطريقة الدرقاوية في الظاهر، واتصل ببعض المرابطين الجزائريين أمثال عبد الله الزبوشي مقدم الطريقة الرحمانية بنواحي قسنطينة. ينظر:حنفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2009م. ص 23.أيضا: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 221.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية**، في مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، ع78،الجزائر، 1983م، ص202.

[4] **الدرقاوية:** تنسب إلى صاحبها مُحَمَّد العربي الدرقاوي وهي قد انتشرت في العهد العثماني في جهة الغرب وهي متفرعة عن شاذلية، ينتظر: أبو القاسم الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص517.

[5] أبو القاسم سعد الله: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص 340.

أما أكثر العلماء الجزائريين اشتهارا بمناصرته للدعوة الوهابية، فهو مُحَّد علي السنوسي السابق الذكر قيل بأنه احتك بأعلام الوهابية وتأثر بها، واعتنق مبادئها ثم عاد إلى الجزائر يبشر بها، ويؤسس طريقته الخاصة في بلاد المغرب[1]، ولهذا يعتبرونه أول من حمل الفكر الإصلاحي الوهابي إلى الجزائر. لكن على الرغم من وجود اتفاق بين الدعوتين في بعض القضايا، فإنه لم يصل الاتفاق إلى حد التطابق الكلي بينهما، حتى يصح القول بتبشير السنوسي بالوهابية[2].

وصف بوركهارت مبادئ الامام مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله " فلم تكن مبادئ ديانة جديدة بل كانت جهوده موجهة فقط لإصلاح المفاسد التي تفشت بين المسلمين ونشر العقيدة الصافية بين البدو الذين كانوا مسلمين إسميا، لكنهم جهلاء بالدين وغير مبالين بكل فروضه التي أوجبها. وكما هو الحال بالنسبة إلى كل المصلحين لم يُفهم مُحَّد بن عبد الوهاب من قبل أصدقائه ولا من قبل أعدائه. فأعداؤه حينما سمعوا بفرقته الجديدة التي تهاجم انحراف الأتراك وتنظر إلى نبيه مُحَّد بغير نظرتهم التقديسية اقتنعوا بسهولة أن عقيدة جديدة قد اعتنقت وأن الوهابيين لذلك ليسوا مجرد ضالين بل كافرين"[3].

ثم إن الاتفاق في القضايا الفكرية علامة أكيدة على تقارب الأفكار واستقائها من معين واحد وخاصة عندما تكون قضايا جوهرية، والاتفاق في القضايا لدى أي دعوتين لا يعد مؤشرا على تقليد إحداهما للأخرى أو تبشير إحداهما بالأخرى، لكن من قبيل عملية التأثر والتأثير، ومن باب الاتفاق على الحق والأصول والثوابت المشتركة[4].

---

[1] محمود براهم: المرجع السابق، ص ص58-59.

[2] وهبة الزحيلي: **تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ مُحَّد عبد الوهاب**، في مجلة بحوث اسبوع الشيخ مُحَّد عبد الوهاب، ع02، جامعة الامام مُحَّد بن سعود الاسلامية، السعودية، 1983م، ص ص 326-328.

[3] جوهان لودفيج بوركهارت: **مواد لتاريخ الوهابيين**، تر: عبد الله الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود، ط1، السعودية، د ت ن، ص14.

[4] علي مُحَّد مُحَّد: الثمار الزكية، المرجع السابق، ص167. أيضا: الحسيني الحسيني المعدي: **الملك مُحَّد إدريس السنوسي حياته وعصره**، دار كنوز للنشر والتزيع، دط، القاهرة، 2013م، ص 183.

- خاتمة الفصل:

من خلال ما تقّدم، يتضح جليًا بأن الحركة العلمية والفكرية والروحية في فترة الدراسة تميزت بوجود ما يشبه بشبكة معقدة من العلماء بين المشرق والمغرب، فقد أدى ذلك إلى تتأصيل الصلات الروحية بين مناطق بلاد المغارب، حيث نلاحظ أن علماء الحجاز كان لهم دورًا كبيرًا في التواصل الروحي بين الجزائر وهذه المناطق، نظرًا لسلسلة اللقاءات الشبة دورية التي كانت تتم بينهم وبين علماء الجزائر، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ عبد الحفيظ بن درويش العجيمي، الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول، الشيخ مُحَمَّد صالح الريس، إبراهيم الكوراني، الشيخ حسن العجيمي.

وكان لعلماء الجزائر دورًا كبيرًا في توطيد الصلات الروحية بين الجزائر والحجاز فجاء على رأسهم:

الشيخ أحمد التيجاني، الشيخ السنوسي وحركته الدينية والإصلاحية والسياسية، الشيخ الورثيلاني.

كما سجلت الباحثة أن لنشاطات وسلوكيات العلماء وركب الحج المتصوفة دورًا هامًا، في التأثير في نفوس أهالي الحجاز ومن ثم تأصيل وتوثيق الصلات الروحية بين الجزائر والحجاز، وجاءت من أهم تلك نسك المتصوفة التي كان له دورًا في ذلك: التبرك، الاحتفال بالمولد النبوي، صوفية التقرب من القبور، أو ما يطلق عليها في بعض الأدبيات الأخرى الصوفية القبورية.

خاتمة

وفي ختام هذه الدّراسة، يمكن حصر أهم الملاحظات والاستنتاجات التي تمّ التوصل إليها في الآتي:

- لاحظت الباحثة بأن العلاقات أو الصلات الثقافية والروحية بين الجزائر والمشرق العربي لم تنقطع منذ قرون بعيدة، حيث جمعت بين الطرفان حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط المختلفة؛ من فنقية، وقرطاجية، ووندالية؛ فضلا عن الحضارة الإسلامية (الوافد الجديد)، بل إن هذه الروابط التاريخية والحضارية، قد توطّدت منذ وصول الإسلام إلى الجزائر (المغرب الأوسط) مع طلائع الفتح الإسلامي لبلاد المغارب، بالإضافة إلى توالي الفتوحات الإسلامية وما واكبها من هجرات بشرية، في صيغة أفراد أو جماعات.

- ظل المذهب السني المالكي السائد في الجزائر وعموم بلاد المغارب، في حين ظل المشرق العربي بشكل عام وفياً للمذهب السني الشافعي أو الحنفي أو الحنبلي أو المالكي، مما يؤكّد بأن مجالي البحث (الجزائر والمشرق العربي)، يجتمعان في العديد من القواسم المشتركة، منها ذات البُعد الاقتصادي، ومنها المرتبطة بالجانب العلمي بحكم تبادل الخبرات.

- ساهمت الرحلات الحجازية لبلاد المغارب خلال فترة الدارسة من خلال ما حفلت به من علوم ومعارف وأسماء العلماء وأدباء في إبراز ملامح التواصل العلمي والروحي بين جناحي العالم الإسلامي المشرقي والمغربي، فقد شكّلت رحلة علماء الجزائر نحو المشرق في العهد العثماني آلية من آليات التواصل الثقافي ولغة تواصل حضاري من خلال أدب الإجازات العلمية، وعقد المناظرات والسجالات الفكرية والعلمية.

ولم تكن الرحلة هي فقط جزء من حياة العربي القديم، سواء قبل الإسلام أو بعده، بل كانت الرحلة هي أحد الدعائم التي قامت عليها الحضارة العربية والإسلامية وانتقل العرب بفضلها من قبائل لا تعرف الكتابة والقراءة وترعى في الصحراء مشتتة بين الفيافي والجبال، إلى أمة عظيمة ذات حضارة تسود العالم وتتحول إلى قاطرة للعلم والمعرفة في العصور الوسيطة والحديثة.

– ظل التواصل بين الجزائر وبلدان المشرق العربي من أهم الأسس التي حافظت على الهوية العربية والإسلامية للجزائر خلال فترة الدراسة، وعلى الرغم من مشاغل الكثير من علماء المشرق ومفكريه بالبحث في شؤون الدين واللغة أو الدعوة والإرشاد والتعليم وغيرها من شؤون الحياة، إلا أنّهم كانوا لا يتردّدون في استقبال علماء الجزائر الذين يقصدون بلدان المشرق العربي، ويُقدّمون لهم كلّ أنواع المساعدة من أجل مواصلة دراساتهم في المراكز العلمية المشرقية.

ومن جهة أخرى، لم يكن علماء ومشايخ الجزائري منغلقين على أنفسهم، ولكنهم استعملوا كلّ الوسائل التي أُتيحت لهم في سبيل الاتصال بالحواضر العلمية بالمشرق العربي، والاستفادة من القفزة النوعية التي كان يتمتّع بها هذا الجزء من البلاد العربية.

– لقد مكّنتني هذه التجربة من خلال هذا العمل الأكاديمي، من التعرف على عدد مهم من الرحلات الحجازية الجزائرية والمغربية، وعلى بعض جوانب من التواصل الثقافي والروحي، الذي لم ينقطع، وإن اعترته بعض التعثرات أحيانا لأسباب عديدة، واتخذ صيغاً وأشكالاً مختلفة، تمثلت فيما هو روحي وما هو فكري، اتخذ كل منهما مظاهر عديدة، بل هناك أشكال تواصل أخرى تتجاوز مجال اهتمام هذه الأطروحة كالمجال التجاري والاجتماعي وغيرهما.

– لاحظت الباحثة، ذلك الإحساس الذي يختلج نفسية الحاج منذ فراق الأهل والبلاد لأول مرة، وهو إحساس لا يخففه إلا الإقبال على الكعبة المشرفة وزيارة قبر الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، وزيارة شهداء الإسلام الأوائل، وأهل الخير والصلاح والعلم على امتداد طريق الحج. وقد تجلّى ذلك في جاذبية مكة المكرمة، بما حوته من معالم ميزها الله عن غيرها بها، منها الحرم المكي وباقي المناسك الأخرى في هذه المدينة، وفي محيطها القريب والبعيد.

– تأكّدت الباحثة، من خلال نصوص الرحلات الحجازية لعلماء بلاد المغارب الحضور الروحي بالنسبة للجزائري منذ بداية طريق الحج إلى حين عودته إلى مسقط رأسه، فكل محطة أو نزل إلا ورد بخصوصه قول مأثور أو فيه مدفن رجل صالح أو ولي من أهل الله أو عالم فقيه ...الخ، أما المحطات

الكبرى، خاصة منذ القاهرة؛ فإنها مبتغى كل مسلم ومطمح كل مؤمن، اجتمع فيها ما تفرق في غيرها، لدرجة أن أبا سالم العياشي قد قال عنها بأن دائرة الخيال عنها أوسع من دائرة الحقيقة، حيث نجد فيها ما لا يتصوّر؛ ناهيك عن مشاعر مكة المكرمة ومزارات المدينة المنورة.

- تضمنت نصوص الرحلات الحجازية الجزائرية والمغربية تسجيل معلومات حول لقاء الشيوخ، و الجلوس إليهم والأخذ عنهم، ولذلك ألّف العديد من الرحالة فهرسة خاصة لهؤلاء الشيوخ وتراجمهم وأسانيد الأخذ عنهم، فمثلا الرحالة الجزائري مُحَمَّد الحسين الورثيلاني لقي أكثر من خمسين شيخا غير رجال الصلاح والبركة أكثرهم في مصر والحجاز. ولم يكتف الرحالة بذكر رجال العلم، وإنما يتحدث عن أهل الصلاح والبركة، وما يتعلق بهم من زوايا وأضرحة...الخ وذكر لمناقبهم وكراماتهم؛ ففي نظر الرحالة، يعتبر هؤلاء الصالحين مصدر المدد والتواصل الروحي في مختلف الأزمنة والأمكنة.

- لاحظت الباحثة بأن علماء بلاد المشرق العربي الذين كانوا يقومون برحلاتهم العلمية إلى الجزائر أو العكس، ولم يكونوا خاضعين لأي نوع من الوصايا أو التأثيرات ، وإنما كانوا يقومون بهذه الرحلات بهدف الدراسة والتحصيل وتبادل الآراء والأفكار، ومن ثم العودة إلى بلادهم لنشر ما تلقوه من معارف وعلوم، والقيام بدورهم الثقافي والتعليمي المنوط بهم.

- أضحت حركة التصوف ظاهرة مميزة في الجزائر وبلدان المشرق العربي آنذاك، حيث عرفت الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً ، ومنها القادرية والشاذلية، ولكل واحدة فروعها وأتباعها ومريدوها في أوساط تلك المجتمعات، وقد ترك العديد من المتصوفة الجزائريون والمشارقة رصيداً صوفياً، حيث نقل متصوفة الجزائر إلى مصر والحجاز طريقتهم وأورادهم وتركوا أتباعا لهم. ولهذا فإنّ الطرق الصوفية ربطت بين سكانهما ربطا قويا، وساهمت في توطيد الصلات الروحية بين تلك البلدان. لكنّها من جهة أخرى نشرت أفكارا ومعتقدات غريبة ما أدّى إلى الانحطاط الفكري.

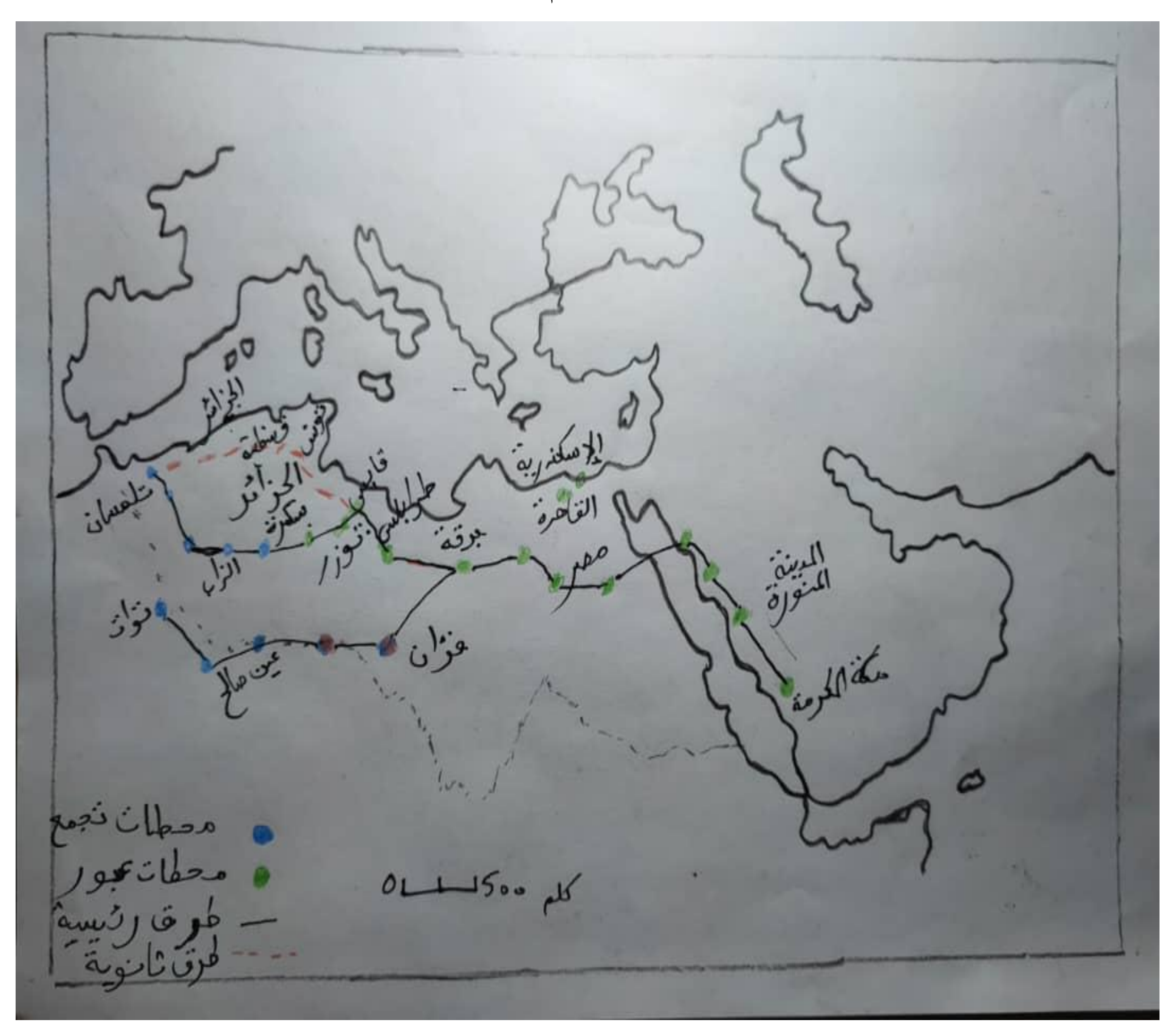
وكل ما أرجوه في ختام هذه الدراسة أن تكون لبنة تضاف إلى اللبنات التي سبق وضعها في مجال الدراسات التاريخية المتعلّقة بالتواصل الثقافي والروحي بين الجزائر وبلاد المشارق خلال العهد

العثماني؛ نتمنى أن نكون قد وضعت أحد لبناتها الأساسية، ونترك ما تبقّى منها إلى الباحثين المهتمّين والطّلاب الراغبين في البحث الأكاديمي.

والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً .

الملاحق

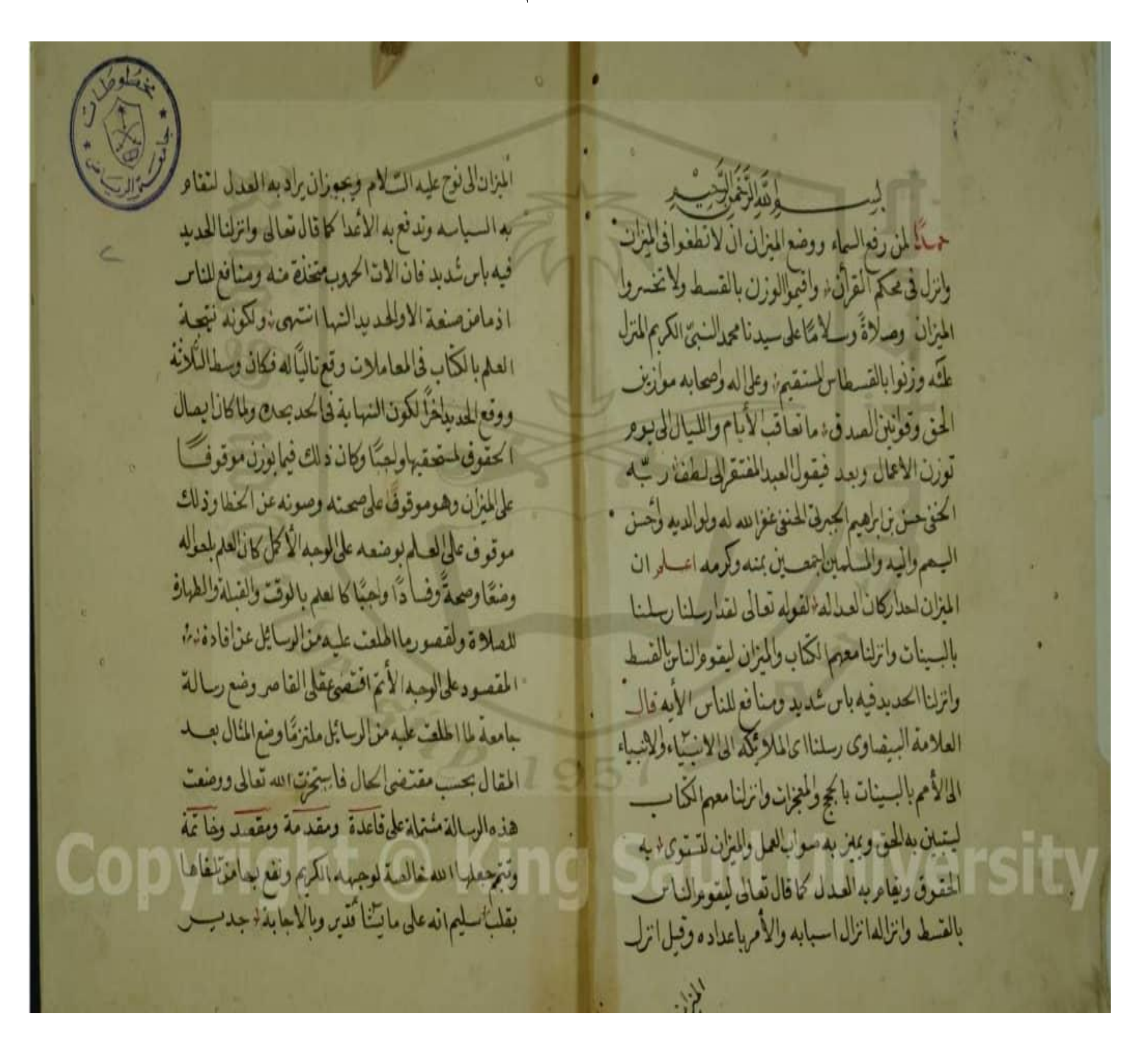
الملحق رقم 01



خرطة لمسار ركب الحج الجزائري

إعداد الباحثة

الملحق رقم 02



بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن رفع السماء ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان
وانزل في محكم القرآن: واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان، وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد النبي الكريم المنزل
عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم، وعلى آله واصحابه موازين
الحق وقوانين الصدق، ما تعاقب الايام والليالي الى يوم
توزن الاعمال. وبعد فيقول العبد المفتقر الى لطف ربه
الخفي حسن بن ابراهيم الجبرتي الحنفي غفر الله له ولوالديه واحسن
اليهم واليه والمسلمين اجمعين بمنه وكرمه. اعلم ان
الميزان احد اركان العدالة لقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس الآية. قال
العلامة البيضاوي رسلنا اي الملائكة الى الانبياء والانبياء
الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
ليتبين به الحق ويميز به صواب العمل والميزان لتسوى به
الحقوق ويقام به العدل كما قال تعالى ليقوم الناس
بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل

الميزان

الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل لتقام
به السياسة وتدفع به الاعداء كما قال تعالى وانزلنا الحديد
فيه باس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس
اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها انتهى. ولكونه نتيجة
العلم بالكتاب في المعاملات وقع تاليًا له فكان وسط الثلاثة
ووقع الحديد آخرًا لكون النهاية في الحد بحد ولما كان ايصال
الحقوق لمستحقيها واجبًا وكان ذلك فيما يوزن موقوفًا
على الميزان وهو موقوف على صحته وصونه عن الخطا وذلك
موقوف على العلم بوضعه على الوجه الاكمل كان العلم باحواله
وضعًا وصحةً وفسادًا واجبًا كالعلم بالوقت والقبلة والطهارة
للصلاة ولقصور ما اطلعت عليه من الرسائل عن افادة
المقصود على الوجه الاتم اقتضى عقلي القاصر وضع رسالة
جامعة لما اطلعت عليه من الرسائل ملتزمًا وضع المثال بعد
المقال بحسب مقتضى الحال فاستخرت الله تعالى ووضعت
هذه الرسالة مشتملة على قاعدة ومقدمة ومقصد وخاتمة
وتنم جعلها الله خالصة لوجهه الكريم ونفع بها من تلقاها
بقلب سليم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

الحسن الجبرتي: مخطوط العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين

المصدر: محمل من الانترنت

الملحق رقم 03


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
قال الشيخ الامام سيدي محمد الموفق
الشقيقي [illegible] التلمساني
رضي الله تعالى عنه آمين

المصدر : مخطوط تقييدعلى قراءة الامام نافع من رواية ورش

الملحق رقم 04

مشيخة زين الدين عبد السلام المغربي على رواق المغاربة

المصدر: دار الوثائق القومية، المحاكم الشرعية، تقارير النظر، السنة2،مجلد2064، بتاريخ جمادي الاول 1144-1731، ص188.

الملحق رقم 05

الشيخ شهاب الدين أحمد أبي العباس الجزائري المالكي ،مشتريا و واقفا على رواق المغاربة بالجامع الازهر

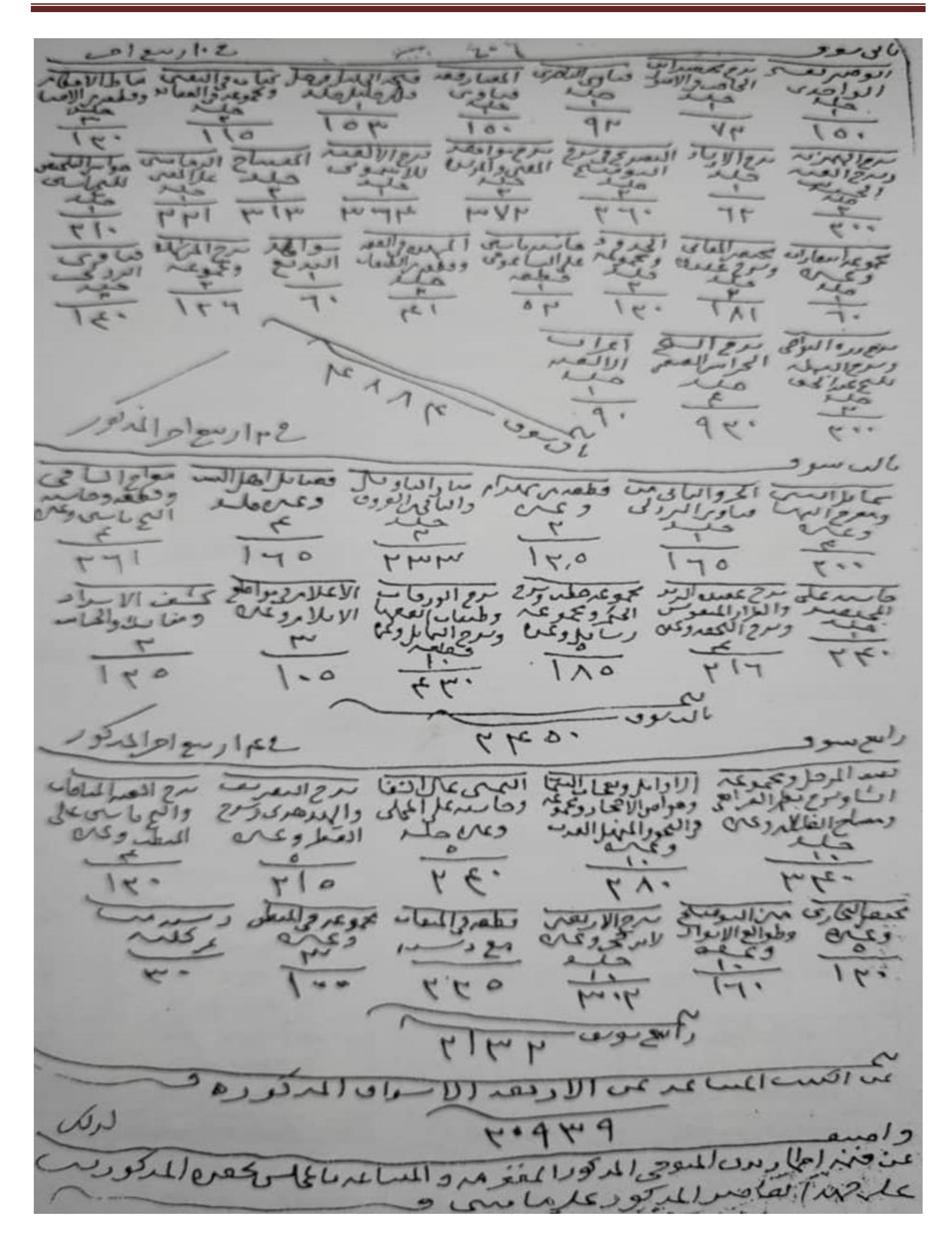
المصدر: دار الوثائق القومية، المحاكم الشرعية، محكمةالقسمة العسكرية، القاهرة، سنة207، م104، ذي القعدة 1782/1198، ص ص69-70.

الملحق رقم 06

النزاع على وقف مجاوري الرواق من مدينة تلمسان

المصدر :دار الوثائق القومية،المحاكم الشرعية،محكمة القسمة العسكرية ،القاهرة ،س02،م18،83 ربيع الاول 1778/1192،ص ص55،54.

الملحق رقم 07



دفتر حصر تركة وأوقاف الشيخ قاسم الجزائري

المصدر : در الوثائق القومية،المحاكم الشرعية،محكمة القسمة العسكرية ،س119،م1133،227هـ/ 1720م ،صص،405-406

الملحق رقم 08

مخطوط سند الشيخ ابن العنابي

رقم المخطوط 330804،الخزانة الازهرية القاهرة

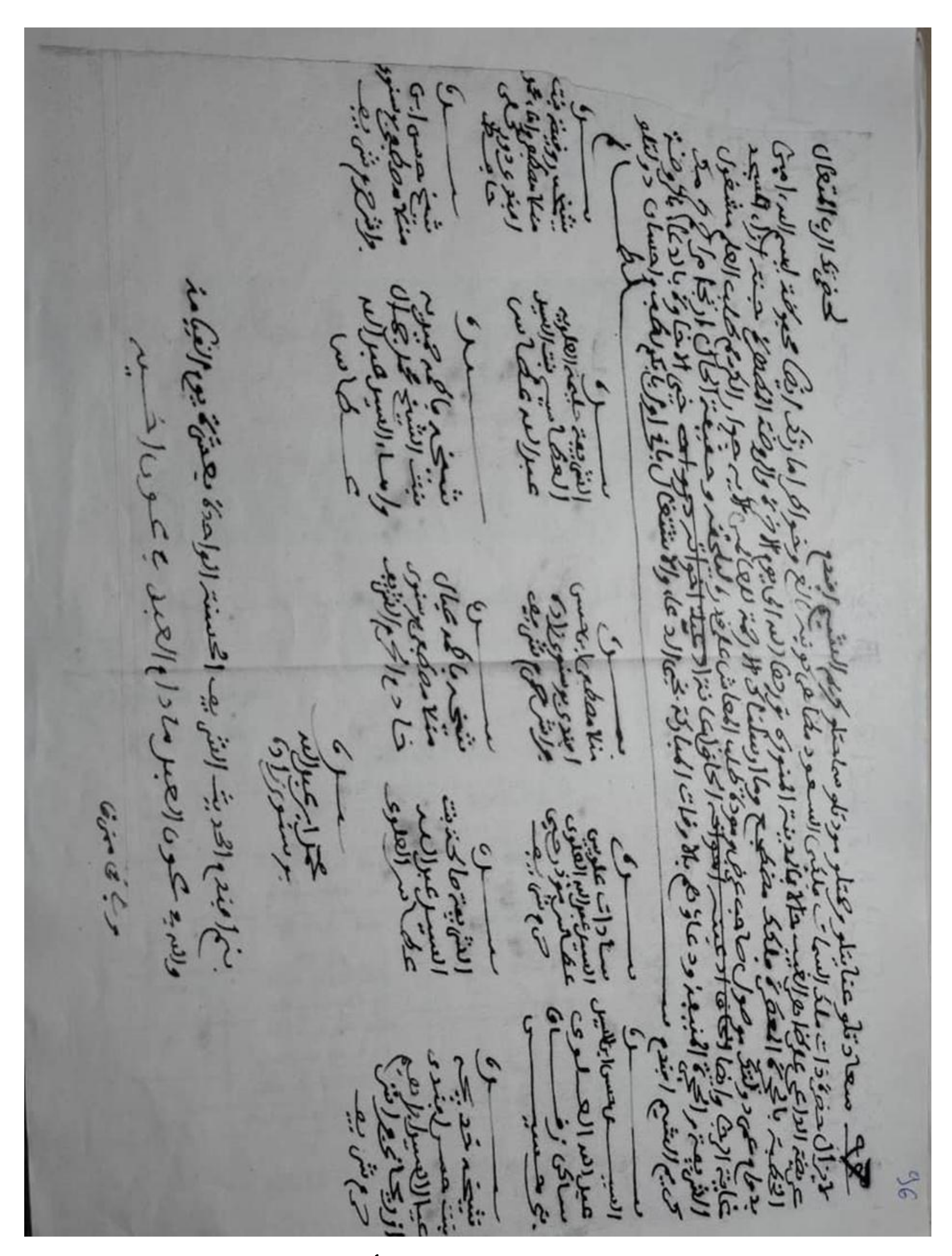
الملحق رقم 09



وقفية بكباشي باشا للحرمبن الشريفين

المصدر : مركزالارشيف الوطني ،المحاكم الشرعية ،العلبة1/10 رقم الوثيقة 74،الجزائر .

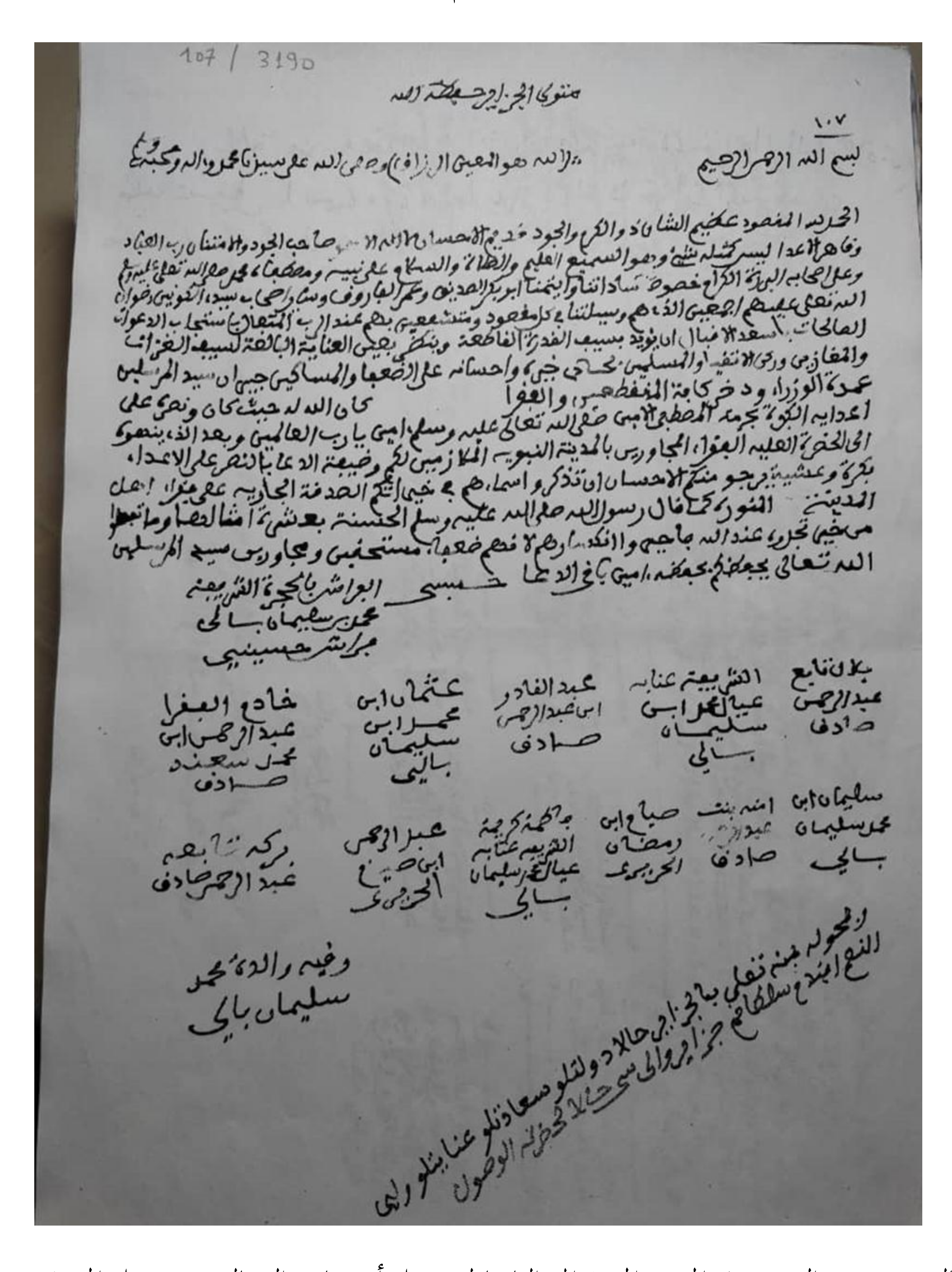
الملحق رقم 10



رسالة من بعض الشيوخ في المدينة المنورة الى الباشا لتسجيل أصحاب الرسالة من سجل المستفيدين من عوائد أوقاف الحرمين الشريفين

المصدر : وثائق المراسلات ،المكتبة الوطنية االحامة نقسم المخطوطات ، الملف رقم 3190ص96.

الملحق رقم 11



107 / 3190

١٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم ان الله هو المعين الرزاق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المقصود عظيم الشان ذو الكرم والجود قديم الاحسان لا اله الا هو صاحب الجود والامتنان رب العباد وقاهر الاعداء ليس كمثله شيء وهو السميع العليم والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى اصحابه البررة الكرام خصوصا ساداتنا وائمتنا ابو بكر الصديق وعمر الفاروق وسائر اصحاب سيد الكونين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الذين هم وسيلتنا في كل مقصود ومتشفعين بهم عند الرب المتعال مستجاب الدعوات الصالحات [illegible] اسعد الاقبال ان يؤيد بسيف القدرة القاطعة وينظر بعين العناية البالغة لسيف الغزات والمغازين [illegible] والمسلمين [illegible] واحسانه على الضعفا والمساكين جيران سيد المرسلين عمدة الوزراء وذخر كافة المنقطعين والفقرا كان الله له حيث كان ونصره على اعدائه الكفرة بجاه المصطفى الامين صلى الله تعالى عليه وسلم امين يا رب العالمين وبعد الذي ينهوه الى الحضرة العلية الفقراء المجاورين بالمدينة النبوية الملازمين لكم وظيفة الدعا بالنصر على الاعداء بكرة وعشية يرجو منكم الاحسان ان تذكروا اسماءهم [illegible] الصدقة الجارية على فقراء اهل المدينة المنورة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسنة بعشر امثالها وما تقدموا من خير تجدوه عند الله [illegible] ضعفاء مستحقين ومجاورين مسجد المرسلين الله تعالى يجعلكم بحفظه امين [illegible]

[illegible] الحجرة الشريفة
محمد بن سليمان بالي
[illegible]

بلال تابع عبد الرحمن صادق — الشريفة عنابه عيال محمد ابن سليمان بالي — عبد القادر ابن عبد الرحمن صادق — عثمان ابن محمد ابن سليمان بالي — خادم الفقرا عبد الرحمن ابن محمد سعد صادق

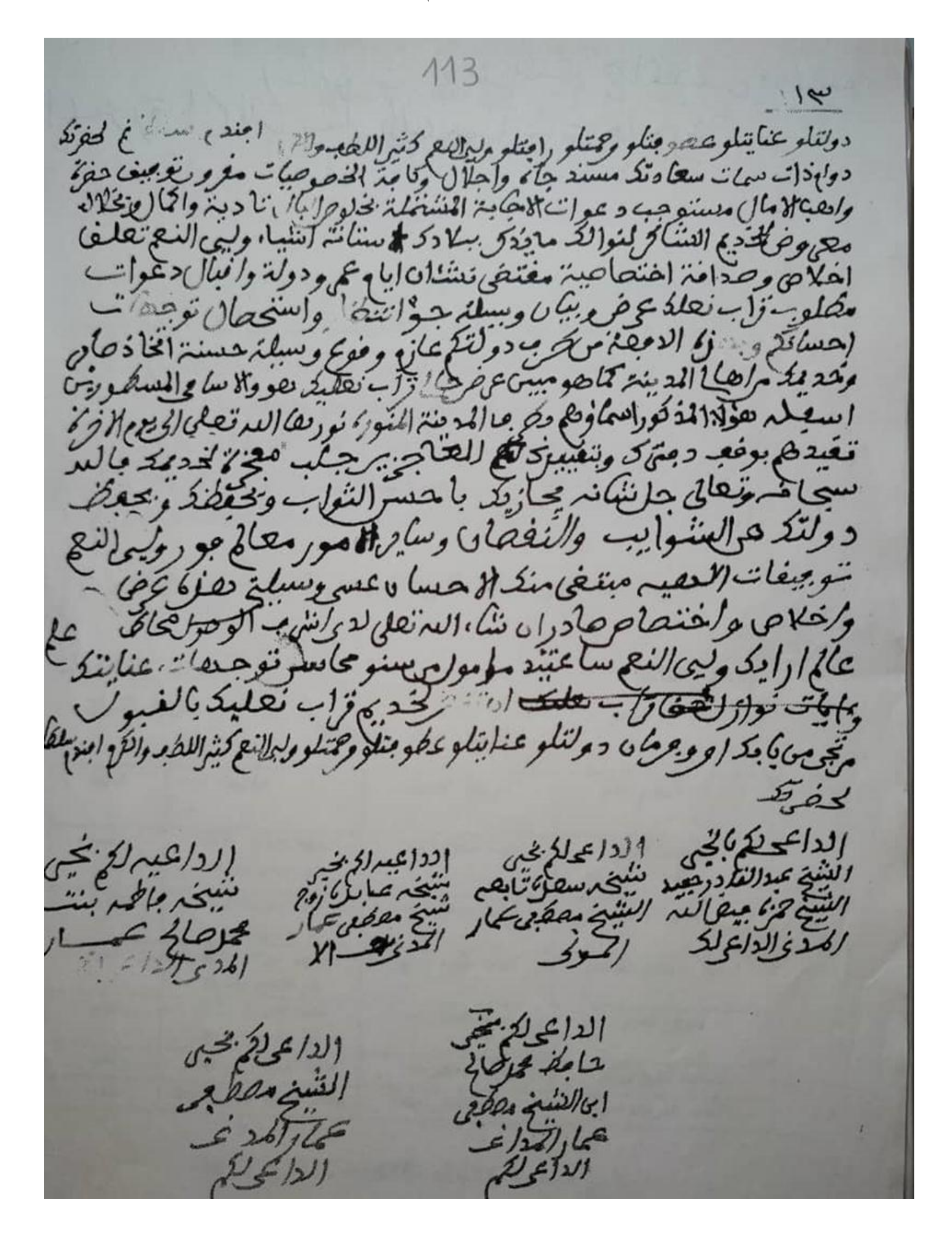
سليمان ابن محمد سليمان بالي — امنه بنت [illegible] صادق — صالح ابن رمضان الجزيري — [illegible] الشريفة عنابه عيال محمد سليمان بالي — عبد الرحمن ابن [illegible] الجزيري — [illegible] عبد الرحمن صادق

وغيره والده محمد سليمان بالي

رسالة من بعض الشيوخ في المدينة المنورة الى الباشا لتسجيل أصحاب الرسالة من سجل المستفيدين من عوائد أوقاف الحرمين الشريفين

المصدر : وثائق المراسلات ،المكتبة الوطنية االحامة نقسم المخطوطات ، الملف رقم 3190ص107

الملحق رقم12



113

١٣

دولتلو عنايتلو عطوفتلو مرحمتلو [illegible] ولي النعم كثير اللطف و[illegible] افندم سلطانم حضرتكم

دوام ذات سمات سعادتكم مسند جاه واجلال وكافة الخصوصيات معروض توجيهات حضرة

واهب الآمال مستوجب دعوات الاجابة المشتملة بخلوص البال نادبة واكمال واخلاص

معروض الخديم الشاكر لنوالكم ما يحدث ببلادكم سنانة اشياء ولي النعم تعلق

اخلاص وصداقة اختصاصية مقتضى نشان ايام عمر ودولة واقبال دعوات

مطلوب تراب نعلكم عرض وبيان وسيلة جو انتظار واستحصال توجهات

احسانكم و[illegible] الاوقفة من طرف دولتكم عازم وقوع وسيلة حسنة اتخاذ حامل

وخديمكم من اهالي المدينة كما هو مبين عرضحال تراب نعليكم هو والاسامي المسطور في

اسفله هؤلاء المذكور اسماؤهم وهم بالمدينة المنورة نورها الله تعالى الى يوم الآخرة

تقيدهم بوقف ذمتكم وتنفيذكم لهم العاجز [illegible] معجزة لخديمكم فالله

سبحانه وتعالى جل شانه يجازيكم باحسن الثواب ويحفظكم ويحفظ

دولتكم عن الشوايب والنقصان وساير الامور معالم جود ولي النعم

توجيهات الخصية مبتغى منك الاحسان عسى وسيلتي هذا عرض

واخلاص واختصاص صادر ان شاء الله تعالى لدى اشرف الوصول محاكم

عالم آرايكم ولي النعم ساعتيند مأمول من سنو محاسن توجهات عنايتكم

وبايات نوال [illegible] تراب نعليكم [illegible] لخديم تراب نعليكم بالقبول

مرتجى من بابكم امر وفرمان دولتلو عنايتلو عطوفتلو مرحمتلو ولي النعم كثير اللطف والكرم افندم سلطانم

حضرتكم

الداعي لكم بالخير
الشيخ عبد القادر [illegible]
الشيخ حمزة [illegible] الله
المدني الداعي لكم

الداعي لكم بالخير
شيخه [illegible] تابعة
الشيخ مصطفى عمار
[illegible]

الداعية لكم بالخير
شيخه عائشة زوج
شيخ مصطفى عمار
المدني [illegible]

الداعية لكم بالخير
شيخه فاطمة بنت
محمد صالح عمار
المدني الداعية

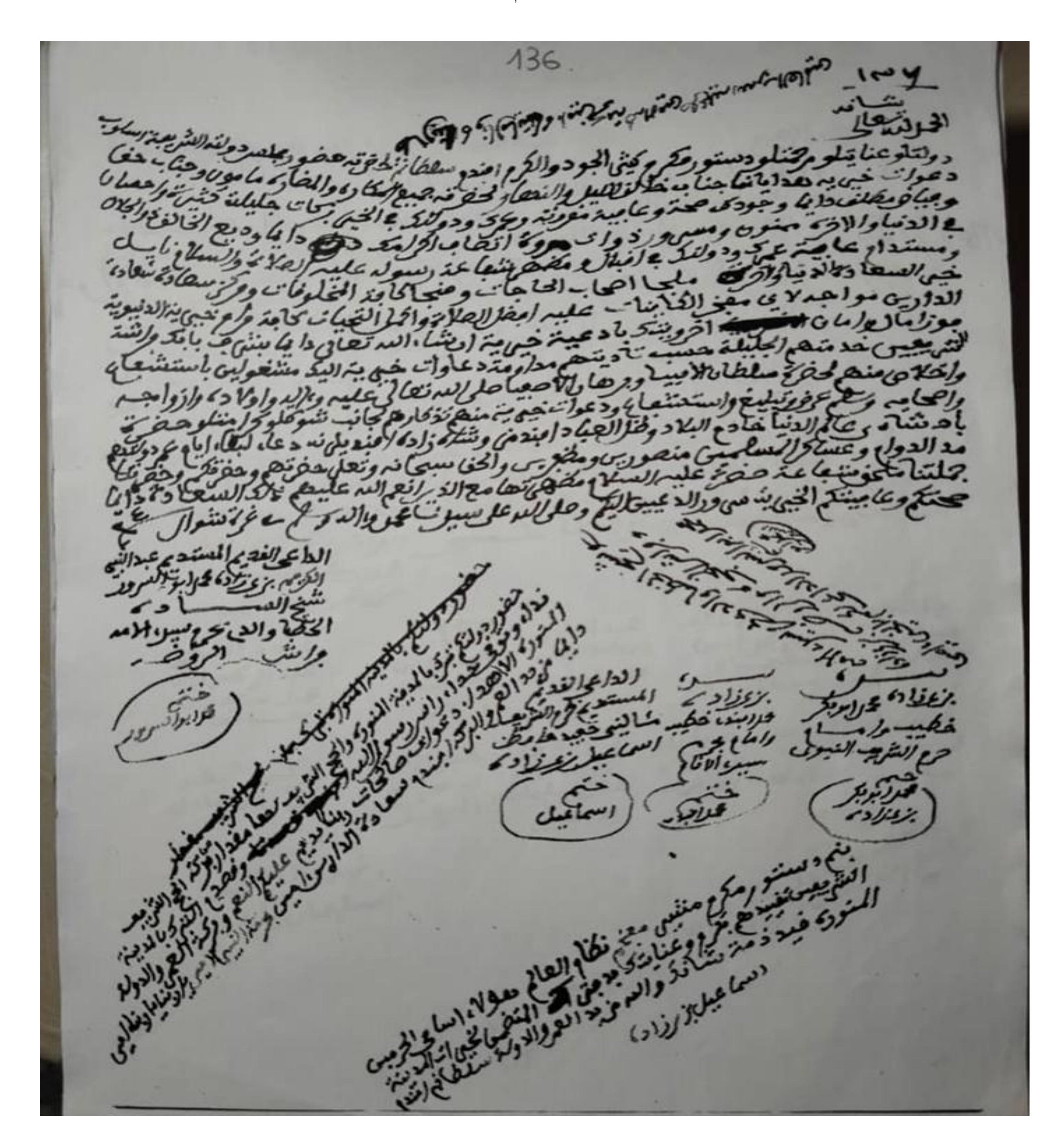
الداعي لكم بالخير
حافظ محمد [illegible]
ابن الشيخ مصطفى
عمار المدني
الداعي لكم

الداعي لكم بالخير
الشيخ مصطفى
عمار المدني
الداعي لكم

رسالة من بعض الشيوخ المقيمين في المدينة المنورة الى باشا الجزائر طلب مساعدة مادية

المصدر : وثائق المراسلات ،المكتبة الوطنية الحامة نقسم المخطوطات ، الملف رقم 3190ص113

الملحق رقم 13



رسالة من مُحَمَّد أبي سرور شيخ الخطباء بالمدينة المنورة الى أحمد باشا في شوال 1224هـ 08نوفمبر 1808 حول طلب تسجيل الشيوخ المقيمين في المدينة المنورة في سجل المستفيدين من صدقات الحرمين الشريفين

المصدر : وثائق المراسلات ،المكتبة الوطنية االحامة نقسم المخطوطات ، الملف رقم 3190ص136

الملحق رقم 14

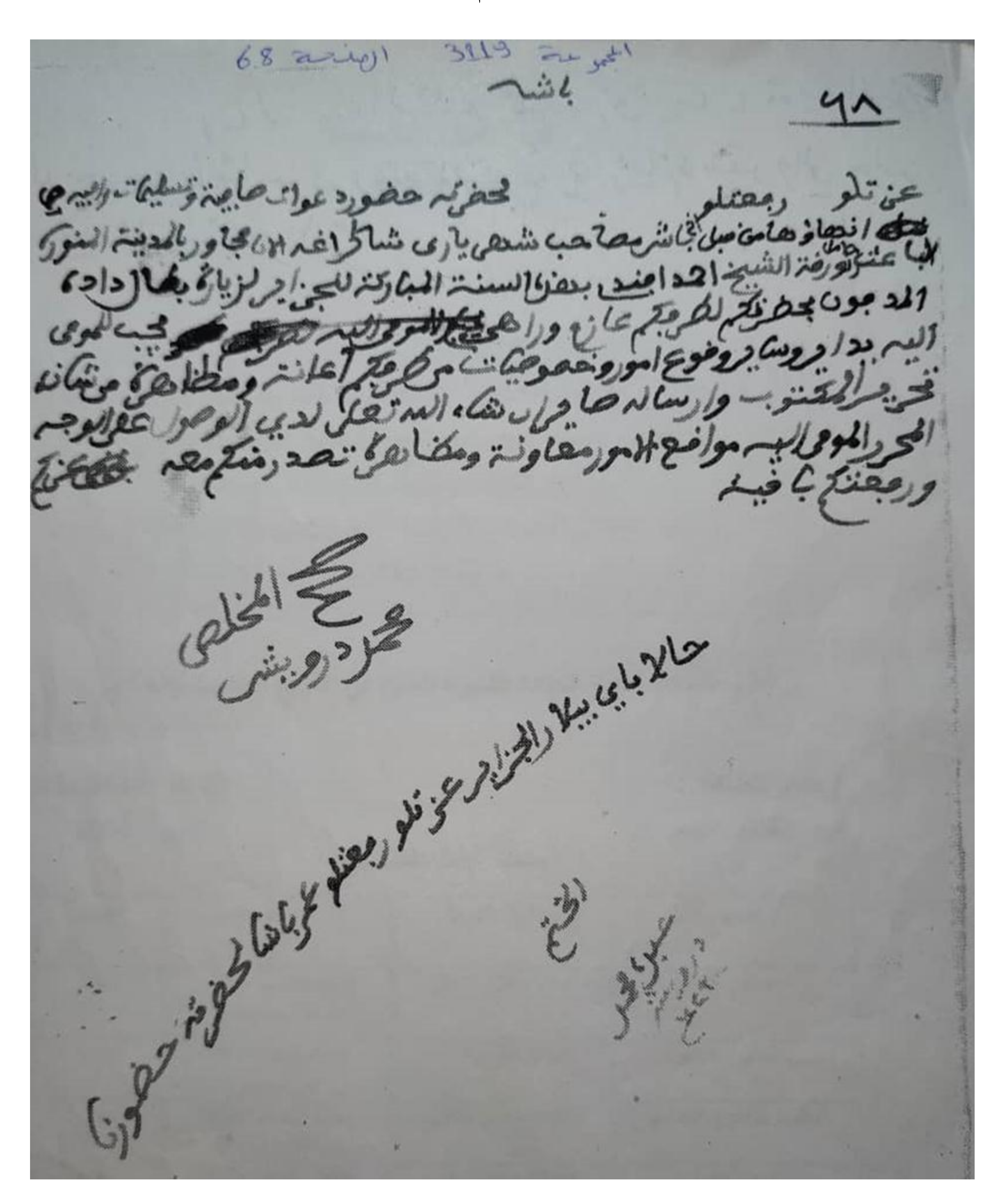
١٠٤

عالي الشأن

رسالة من والي مصر الى والي الجزائر ،دون تاريخ ، حول اعفاء الجزائريين المتوجهين الى الحج من أداء الرسوم الجمركية

المصدر : وثائق المراسلات ،المكتبة الوطنية الحامة نقسم المخطوطات ، الملف رقم 3190ص104

الملحق رقم 15



المجموعة 3219 الصفحة 68

باشه

68

عزتلو رفعتلو [illegible] حضورة عوائد [illegible] وتسليمات [illegible]

[illegible] انهاؤ [illegible] باش [illegible] شاكر اغه الان مجاور بالمدينة المنورة

[illegible] الشيخ احمد افندي [illegible] السنة المباركة للجزاير لزيارة [illegible] دادة

المدعو [illegible] بحضرتكم [illegible] وراهي [illegible] مجيب للموصى

اليه بدار درويش [illegible] امور وخصوصيات من [illegible] اعانته ومظاهرته من شانه

تحرير المكتوب وارساله [illegible] ان شاء الله تعالى لدى الوصول على الوجه

المحرر الموصى اليه [illegible] الامور معاونة ومظاهرة تصدر منكم معه

ورفعتكم باقية

المخلص محمد درويش

حالا باي بيلار الجزاير عزتلو رفعتلو محمد باشا حضرتلرينه حضورنا

رسالة من الشيخ مُحَمَّد درويش بالمدينة المنورة الى حسين باشا حول رغبة الشيخ في زيارة مقبر وضريح والي دادة في الجزائر

المصدر : وثائق المراسلات ،المكتبة الوطنية االحامة نقسم المخطوطات ، الملف رقم 3205 ص68..

الملحق رقم 16:



إشارة إلى ما اشتملت عليه هذه الثبت من أسانيد الطرق وبذكر
وأسندنا إليها إجمالا ثم ما تيسر منها تفصيلا لعله تقرع
جميعها من الطول بحسب استيعاب ذلك العمر ومع الحال الأصول فلا
علو بها إجمالا بالإجازة عن شيخنا بدر الدين محمد بن عبد ال
المستغانمي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن الشارف
المازوني وأشاركه فيه عن والده عن الشيخ حسن بن علي العجيمي
المكي بأسانيده المتصلة إلى أهل كل طريق من مناهج وعن شيخنا أبي
العباس العربي عن القطب التازي عن أبي سالم العياشي عن
الشيخ حسن المذكور ويشاركه فيه كما في رحلته وأصلها رسالة
رسالة الشيخ حسن المذكور وقد ظفرت بما تيسر رضي الله
عنه من طرق بقي خصها شيخنا أبو سليمان العجيمي أذا رضي الله عنه
عن شيخنا العلامة السيد المرتضى عن العلامة بن الطيب
الفاسي المدني عن جده الشيخ حسن المذكور وهو بن ... ونبهنا أيضا
من طرق عديدة غير ما في مرجعها عن شيخه محمد طاهر
سنبل عن الشيخ عمار ... عن جده الشيخ حسن المذكور
... أيضا عن شيخنا محمد ابن محمد بن عبد السلام عن والده عن
العلامة محمد بن عبد السلام البناني الفاسي عن الإمام
أبي سالم العياشي والإمام أبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي
كلاهما عنه ... تفصيلا ... منها ...
... لها بذكر شيء من ... تجاز بها ...
... ذلك لما ... شيخ شيوخنا أبي البقاء ... والعلامة

مخطوط لأسانيد الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي في التصوف .

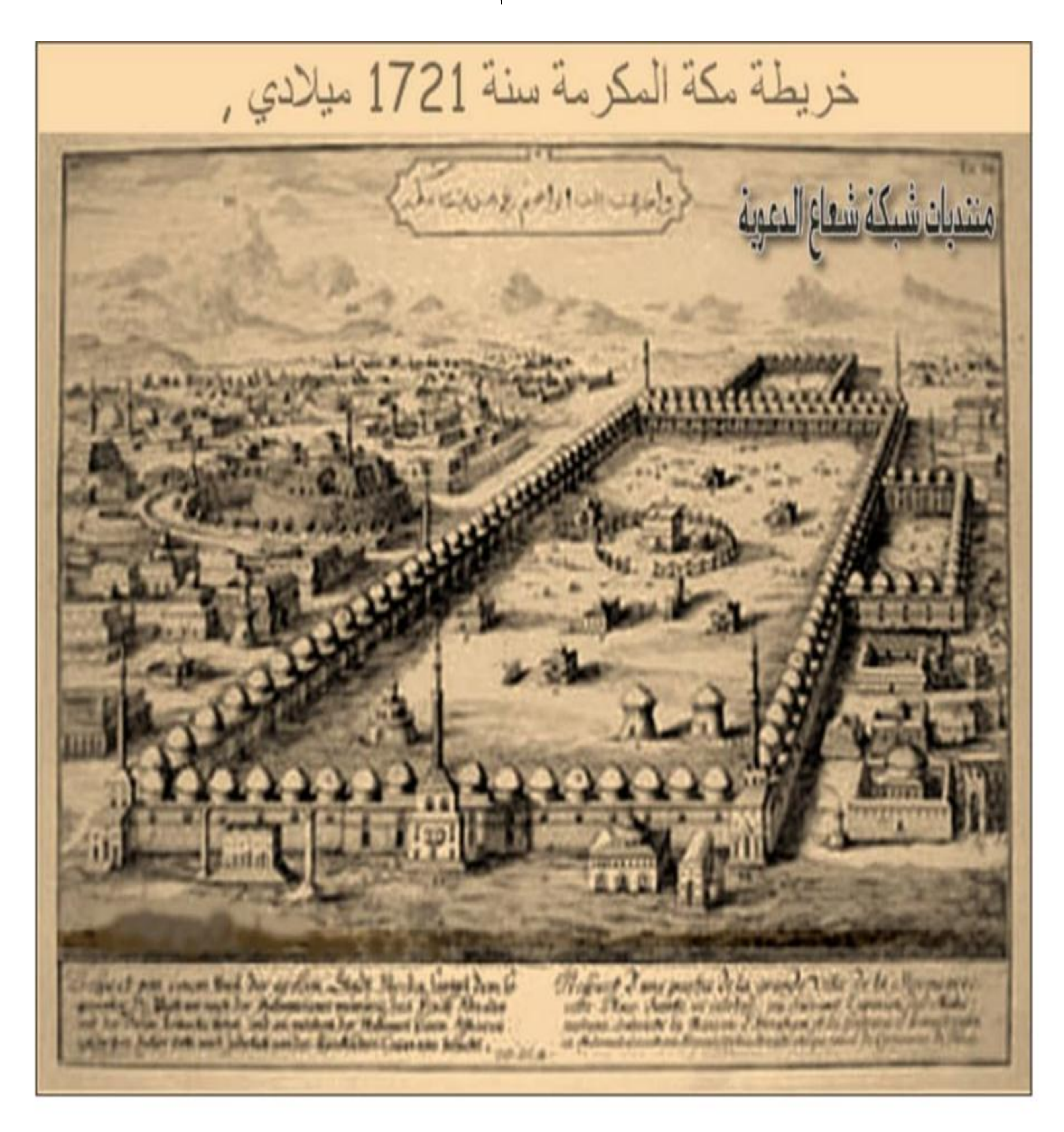
المصدر : قسم المخطوطات ،المكتبة الوطنية الحامة ،رقم المخوط 1815.

الملحق رقم 17 :

مخطوط خبايا الزوايا ، لحسن ين علي بن يحي العجيمي

المصدر :خزانة المكتبة الازهرية ،القاهرة رقم المحطوط 5349.

الملحق رقم 18



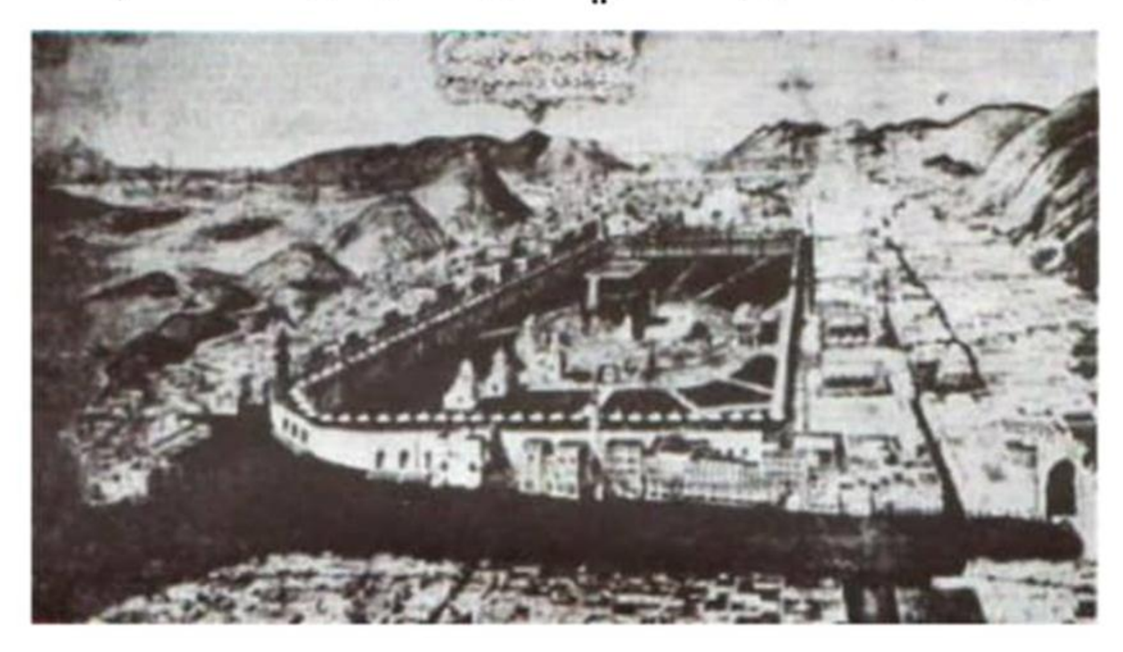
المصدر : الانترنت

الملحق رقم 19

مسجد نمرة في العهد العثماني



صورة أثرية للحرم المكي قبل أكثر من مئة عام



الملحق رقم 20





.





صور لرواق المغاربة وسكن الطلبة بجامع الازهر

المصدر : تصوير الباحثة يوم 25جانفي 2018

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش نافع.

أولا: المخطوطات.

- ابن العنابي مُحَّد بن محمود بن مُحَّد الجزائري (ت.1267 هـ/1851م): **السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود**، مخطوط، عدد الأوراق 78، مكتبة البلدية بالإسكندرية-4562 ج.

- الأزهري مُحَّد بن عبد الرحمن: **شرح على الريفاوي**: مخطوط بزاوية الهامل، نسخ في 1282هـ.

- الأزهري مُحَّد بن عبد الرحمن: **طي الأنفاس**، مخطوط بزاوية الهامل، نسخ سنة 1265هـ .

- بن توزينت أبو عبد الله مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن أحمد التلمساني (ت. 1118هـ/1707م): **تقييد على قراءة الامام نافع من رواية قالون و ورش**، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 1954.

- بن توزينت أبو عبد الله مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن أحمد التلمساني (ت. 1118هـ/1707م): **ثبت**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، تحت رقم: 367.

- الجبرتي حسن بن ابراهيم: **العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين**.

- الحريري كمال الدين مُحَّد بن عبد الرحمن الحلبي الحسيني(ت. 1297هـ): **تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق**، مخطوط مصور في ميكروفيلم، معهد المخطوطات العربية، ج2، ورقة 15.

- الدمنهوري أحمد بن عبد المنعم: **المنح الوفيّة في شرح الرياض الخُليفيّة**، مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة، تحت رقم 935، علم الكلام.

- العُجَيمي حسن بن علي بن يحي(ت.1113هـ/1702م): **خبايا الزوايا**، مخطوط، (ترجم به مشايخه ومن اجتمع بهم)، غ.م.

- الغمري عبد الوهاب بن مُحَّد الخطيب الأزهري: **العرف الندي في شرح لامية ابن الوردي**، مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة، تحت رقم 249.

ثانيا: الوثائق الأرشيفية المنشورة:

- المحاكم الشرعية، سجلات تقارير النظر، س 2، م 55 بتاريخ 18 محرم سنة 1142هـ/1729م.

- المحاكم الشرعية، محكمة الباب العالي، س 300،م 132بتاريخ 10 ذي القعدة سنة 1196هـ/1781م.

- المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س 202، م 83، 18 ربيع الأول 1192هـ/1887م.

- المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س 202، م83 بتاريخ 18 ربيع الأول سنة 1192هـ/1778م.

- المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س207، م 104 بتاريخ ذي القعدة سنة 1198هـ/1783م.

- حجاز ولاية سالمانة: **برنجى دفعة**، مطبعة سنده طبع اولنمشدر، سنة 1301هـ.

- دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، محكمة الجامع الطولوني، س216،م 712 بتاريخ 5 ربيع الأول سنة 1125هـ/1713م.

- دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، محكمة الصالحية النجمية، س 510، م 1064 بتاريخ 3 جمادى الأخر 1123هـ/1710م.

- دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، س 202، م، 119 بتاريخ 15 ربيع الآخر سنة 1192هـ/ 1778م.

- دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحاكم الشرعية، محكمة الباب العالي، س179، م335 بتاريخ 18 ربيع الأول سنة 1105هـ/1693م.

- دار الوثائق القومية بالقاهرة، المحكمة الصالحية النجمية، س510، م856 رمضان 1122هـ/1710م.

- دار الوثائق القومية بالقاهرة، والمحاكم الشرعية، محكمة الباب العالي، س 231، م 101، بتاريخ 19 شعبان 1158هـ-1745م.

- دار الوثائق القومية، المحاكم الشرعية محكمة، القسمة العسكرية، س202، م 119 بتاريخ 15 ربيع الآخر سنة 1192هـ/1778م.

- سالنامه: **ولاية الحجاز**، الطبعة الثانية، عام 1303هـ.

- سجلات الدشت: 236، س325 (1053هـ/1643م).

- سجلات محكمة القسمة العسكرية: 79، س127،226،(1212هـ/1797م).

- سلمانة الحجاز: سنة1303 هـ، رسالة دحلان .

ثالثا: المصادر العربية والمعرّبة:

- ابن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي: **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، د ط، بيروت، د س ن.

- ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل: **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن**، تح: مُحَّد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1396هـ/ 1976م.

- ابن الجزري مُحَّد بن علي: **تقريب النشر في القراءات العشر**، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، دط، القاهرة، د س ن.

- ابن الجوزي أبي الفرج: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ج3، تح: مُحَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1412هـ/ 1992م.

- ابن الجوزي عبد الرحمن: **صفة الصفوة**، مؤسسة الكتب الثقافية،ج1، ط2، بيروت، 1413هـ/1992م.

- ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر: **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، جامعة عين شمس، القاهرة، 1428هـ/ 2008م.

- ابن الوكيل يوسف الملواني الشهير: **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب**، تح: مُحَّد الششتاوى، الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1419هـ/1999م.

- ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تق وتح: الشيخ مُحَّد عبد المنعم العريان، ج1،دار احياء العلوم، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م.

- ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، د ط، القاهرة، د ت ن.

- ابن تيمية تقي الدين: **مجـموع الفتاوى**، ج9، تح: عبد الرحمن بن مُحَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د ع ط، المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م .

- ابن حمادوش عبد الرزاق: **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2011م.

- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، د ط، بيروت، 1992م.

- ابن خلدون عبد الرحمان: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: سهيل زكار،ج1،دار الفكر، د ط، بيروت، 2001م.

- ابن خلدون عبد الرحمان: **مقدمة ابن خلدون**، ضبط: خليل شحادة، مر: سهيل زكار،ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1431هـ/2001م .

- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، د ط، بيروت، د س ن.

- ابن ذبالة مُحَّد بن الحسن: **أخبار المدينة**، توثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز زين سلامة، ط1، 1424هـ/2003م.

- ابن زاكور الفاسي: **نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، تح: ضيف مصطفى بوكراع محفوظ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2011م.

- ابن طوير الجنة: **رحلة المنى والمنة**، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2013م.

- ابن عثمان المكناسي: **رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م**، تح: مُحَّد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2003م.

- ابن عجيبة: مجموعة **رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني**، تح: بسام مُحَّد بارود، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، 1999م.

- ابن عساكر أبو القاسم علي: **تاريخ دمشق**، ج4، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1415هـ/1995م.

- ابن عمار أبي العباس سيدي أحمد: "**نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب**"، مطبعة برفنتانة، دط، الجزائر، دس ن.

- ابن عمار أحمد: **اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، مطبعة فونتانة، د.ط، الجزائر، 1902م.

- ابن قدامة: **المغــني**، ج5، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي- عبد الفتاح مُحَّد الحلو، دار هجر للطباعة، ط1، القاهرة 1986م.

- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: **البداية والنهاية**،ج 11،تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1408 هـ/1988م.

- ابن مريم التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، دط، الجزائر، 1326هـ/ 1908م.

- ابن مليح القيسي الشهير بالسراج: **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040-1042هـ/1630-1633م**، تح: مُحَّد الفاسي، طبع في مطبعة مُحَّد الخامس الثقافة والجامعية بفاس،ط1، المغرب، 1390هـ/1970م.

- أبو الخير عبد الله مرداد: **المختصر من كتاب نشر النور والزهور في تراجم أفاضل مكة- من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر**،تح: مُحَّد سعيد العامودي وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط2، جدة، 1406هـ/1986م.

- أبو المحاسن ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مطبعة دار الكتب المصرية، دط، مصر،1375هـ/1956م، ج4.

- أبو حفص سراج الدين: **التدريب في الفقه الشافعي المسمى بـ "تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي"**، تح وتع: أبو يعقوب دار القبلتين، ط1، السعودية، 1433هـ/2012م.

- أبو زيد بكر: طبقات النسابين، دار الرشد، ط1، الرياض، 1407هـ/1987م.

- أبي راس الناصر أحمد: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**،ج1 ، تح: مُحَّد غالم، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط خ، الجزائر، 2005م.

- أعزام إبراهيم بن صالح: **غصن البان في تاريخ وارجلان**، تر وتح: إبراهيم بحاز وسليمان بو معقل، المطبعة العالمية، ط1، غرداية- الجزائر، 2013م.

- الأخضري عبد الرحمان: **السلم المرونق في علم المنطق**، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن الحزم، دط، الجزائر 2004م.

- الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم: المسالك والممالك، دار صادر، د ط، بيروت، 2004م.

- الأغواطي ابن الدين: **رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2011م.

- الإلبيري أبو عبد الله مُحَّد: **تفسير القرآن العزيز**، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - مُحَّد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، ط1، القاهرة، 1423هـ/ 2002م.

- الأمير مُحَّد الكبير: **ثبت الامير "المسمى شذ الادب في علوم الاسناد والنسب"**، تق: مُحَّد مطيع حافظ ومصطفى ابو زيد، دار الامام الرازي، ط1، مصر، 2013م.

- الأمير محمد: **ضوء الشموع وهو شرح المجموع في الفقه المالكي وبحاشية حجازي العدوي**، تح محمد محمود ، دار يوسف بن تاشفين والمكتبة الازهرية للتراث، ط1، مصر، 2005م.

- الأندلسي ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، تح وتع: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، د س ن.

- الأندلسي أبو عبد الله ابن مالك: **ألفية ابن مالك في النحو والتصريف المسماة الخلاصة في النحو**، تح: سليمان بن عبد العزيز العيوبي، مكتبة دار المنهاج، دط، الرياض، د س ن.

- الأنصاري الشيخ محمد بن إسماعيل الجعفي: **تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب**، تح: محمد العمروسي المطوي، المكتبة العتيقة،ط1، تونس، 1390هـ/ 1970م.

- الأنصاري عبد الرحمن: **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين في الأنساب**، تح: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة ، ط1، تونس، 1970م.

- البخاري محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، المكتبة الثقافية، د ط، بيروت، د س ن.

- البغدادي أبو عبد الله محمد بن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج3، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1410هـ/ 1990م

- البغدادي إسماعيل باشا: **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، دار احياء التراث العربي، دط، بيروت، دس ن.

- البغوي الحسين بن مسعود أبو محمد: **معالم التنزيل تفسير البغوي**، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون ، مج 08، دار الطيبة للنشر والتوزيع، د ط، الرياض، 1409هـ/1989م.

- البكري محمد: **المسالك والممالك**،ج1،تح: جمال طلبة، دار الكباب العلمية، ط1، بيروت، 2003م.

- البنتوني محمد لبيب: **الرحلة الحجازية**، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، 1415هـ.

- البيضاوي ناصر الدين الشيرازي: **تفسير البيضاوي**، مج01، دار الرشيد، ط1، دمشق، 1421هـ/2000م.

- التجاني محمد الحافظ: **الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية بغرب افريقيا**، الزاوية التجانية، مصر، د ط، 1383هـ.

- التمكروتي علي بن مُحَّد: **النفحة المسكية في السفارة التركية 1589م**، تح: مُحَّد الصالحي، دار السويدي، ط1، لبنان، 2007م.

- الثعلبي أحمد بن مُحَّد بن إبراهيم أبو إسحاق: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج 10،تح: الإمام أبي مُحَّد بن عاشور، مر وتد: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1422هـ/ 2002م.

- الجبرتي عبد الرحمان: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تح: حسن مُحَّد جوهر- عبد الفتاح السرنجاوي، ج1-2-3-4،مطبعة لجنة البيان العربي، ط1، القاهرة، 1958م.

- الجرجاني عبد القاهر: **كتاب دلائل الإعجاز**، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، ط3، القاهرة، 1992م.

- الجزائري ابن ميمون مُحَّد: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: مُحَّد بن عبد الكريم، شركة النشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

- الجزري مُحَّد ابن: **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1999م.

- الجوهري اسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية**، ج4، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، بيروت-لبنان، 1399هـ/1979م.

- الحضراوي أحمد الشيخ مُحَّد: **العقد الثمين في فضائل البلد الأمين**، مطبعة الميرية، دط، مكة المحمية، 1314هـ.

- الحضراوي أحمد بن مُحَّد: **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر**، ج1،تح: مُحَّد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دط، دمشق، 1996م.

- الحضيكي مُحَّد ابن أحمد: **الرحلة الحجازية**، ضبط وتع: عبد العالي لمدرابر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، د ط، الرباط، 2011م.

- الحضيكي مُحَّد بن أحمد: **طبقات الحضيكي**،ج1،تح: أحمد بومزكو، مطبعة النجا الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1427هـ/2006م.

- الحلبي عبد الواحد بن علي: **مراتب النحويين**،تح: مُحَّد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ط2، القاهرة، 1394هـ.

- الحنبلي الجزيري عبدالقادر بن مُحَّد الأنصاري: **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، ج1، تح وتع: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، دط، الرياض، 1403هـ/1983م.

- الحنبلي عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج5،تح: عبد القادر الأرناؤوط- محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت 1406هـ/ 1986.

- الحنفي عبد الملك الغازي المكي: **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، ج4،تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط1، مكة المكرمة، 1430هـ/2009م.

- الخفاجي شهاب الدين أحمد: **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، ضب وتع: مُحَّد عبد القدر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1421هـ/2001م.

- الدردير أبي البركات أحمد: **شرح تحفة الاخوان في علم المجاز**، دراسة وتح: عمرو رابحي، د د ن، دط، د س ن.

- الدردير أحمد بن مُحَّد بن أحمد: **أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك**، مكتبة أيوب، دط، نيجيريا، 1420هـ/2000م.

- الدردير أحمد: **الشرح الصغير على أقرب المسالك الى مذهب الإمام مالك**، أخرجه وفهرسه: مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، دط، القاهر، 1986م.

- الدرعي أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر: **الرحلة الناصرية1709–1710م**، ج1،تح: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، أبوظبي، 2011م.

- الدرعي أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر: **الرحلة الناصرية 1709–1710م**، ج1–2، تح وتق: عبد الحفيظ ملوك، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2011م.

- الذهبي شمس الدين مُحَمَّد: **تذكرة الحفاظ**، ج2،دار الكتب العلمية، د ط، بيروت.

- الذهبي شمس الدين: **معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار**، ج1، دار الكتب الحديثة، ط1، القاهرة ، د ت ن.

- الراشدي أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن سحنون: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013م.

- الزبادي عبد المجيد بن علي المنالي الحسني المرادي: **بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام**، ط01، تح: مُحَمَّد زينهم، الدار الثقافية للنشر ، الرباط2006م.

- الزبيدي أبي العباس الشرجي: **طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص**، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط1، صنعاء، 1406هـ/1986م.

- الزبيدي مُحَمَّد مرتضي: **ألفية السند**، تح: مُحَمَّد بن عزوز، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 2006م.

- الزياني أبو القاسم: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًا وبحرًا**، **تحقيق**: **عبد الكريم الفيلالي**، دار نشر المعرفة، ط2، الرباط، 1412هـ/ 1991م.

- الزياني أبو القاسم: **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تق وتح: رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، المطبعة الأمنية، ط1، الرباط، 1429هـ/2008م.

- الزياني مُحَمَّد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013م.

- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين: **طبقات الشافعية الكبرى**، ج3-5، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، ط2، مصر، 1383هـ/1964م.

- السخاوي تقي الدين: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**،ج2، در وتح: جميل المصري، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، مكة المكرمة، 1419هـ .

- السخاوي شمس الدين: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ج2، اعتنى بطبعه ونشره: أسعد طرازوني الحسيني، د د ن، د ط، 1979م.

- السخاوي شمس الدين: **التحية اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**،ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1414هـ.

- السخاوي علم الدين أبو الحسن: **جمال القراء وكمال الإقراء**، ج1،در وتح: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1419هـ/ 1999م.

- السمعاني عبد الكريم: **الأنساب**، تص وتع: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، 8ج، دار المعارف العثمانية، ط1، الهند، 1397هـ/1977م.

- السمهودي نورالدين علي بن عبد الله: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تح: قاسم السامرائي**، ج1،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي- فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط1، مكة المكرمة، 1422هـ/2001م.

- السنوسي محمد بن علي: **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، المطبعة الثعالبية، د ط، الجزائر، 1814م.

- السنوسي محمد: **شرح العقيدة الكبرى**، تح: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2006م.

- السهروردي شهاب الدين عمر: **عوارف المعارف من كتاب إحياء علوم الدين**،ج1-5،تح: عبد الحليم محمود- محمود بن الشريف، دار المعرفة، بيروت ، د ت ن.

- السيوطي جلال الدين: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ج1، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، مصر، 1387ه/1967م.

- الشامي مُحَمَّد بن فضل الله المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج4، دار صادر، بيروت، د ت ن.

- الشعراني عبد الوهاب: **الأنوار القدسية في بيان أداء العبودية**، المعهد العالي للفكر الاسلامي، دط، مصر، 1996م.

- الشعراني عبد الوهاب: **البحر المورود في المواثيق والعهود**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1424ه/2004م.

- الشعراني عبد الوهاب: **الجواهر والدرر مما استفاده سيدي عبد الوهاب الشعراني من شيخه سيد علي الخواص**، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1971م.

- الشعراني عبد الوهاب: **الطبقات الكبرى المسماة "لوافح الأنوار في طبقات الأخيار"**، ج2، مكتبة مُحَمَّد علي صبيح وأولاده، ط3، مصر، 1987.

- الشعراني عبد الوهاب: **الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق**، تح: حسن مُحَمَّد الشرقاوي، دار المعارف، دط، مصر، 1991م.

- الشعراني عبد الوهاب: **لاطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق**، اع: مطبعة بولاق، دط، مصر، د ت ن.

- الشيباني أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ج14، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1417ه/1997م.

- الصديقي عبد الستار بن عبد الوهاب البكري: **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، ج1، تح: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط 2، مكة المكرمة، د ت ن.

- الطبري علي بن عبد القادر: **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، تح: أشرف أحمد جمال، المكتبة التجارية، ط1، مكة المكرمة، 1416هـ/1996م.

- الطبري علي بن عبد القادر: **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، تح وتق: أحمد الجمال، المكتبة التجارية، ط1، مكة المكرمة، 1416هـ/1996م.

- الطبري مُحَّد بن جرير أبو جعفر: **جامع البيان في تأويل القرآن**،ج24،تح: أحمد مُحَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/ 2000م.

- العجيمي حسن بن علي بن يحيى: **إهداء اللطائف من اخبار الطائف** تح: علي مُحَّد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، دط، مصر،1996م .

- العسافي الأندلسي مُحَّد: **الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية**، تح: عبد الرحمن مودن، دار السويدي، ط1، الإمارات، 2003م.

- العسقلاني أحمد بن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، در وتح: عادل عبد الموجود وعلي مُحَّد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1995م.

- العسقلاني شهاب الدين: **تهذيب التهذيب**، دار الكتاب الإسلامي،ط1، القاهرة، 1414هـ/1993م.

- العطار أحمد بن المبارك: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع وتق: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، ط ج، قسنطينة، 2011م.

- العنتري مُحَّد صالح: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها**، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2009م.

- العياشي أبو سالم: **الرحلة العياشية 1661-1663م**،ج1،تح وتق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.

- العياشي عبد الله بن مُحَّد: **الرحلة العياشية (ماء الموائد)**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، ط1، الإمارات العربية، 2006م.

- الفاسي أبي عبد الله مُحَّد بن الطيب: **الرحلة الحجازية،** تح وتق: نور الدين شويد، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2014م.

- الفاسي تقي الدين أحمد: **العقد الثمين في تاريخ البلد الامين،** ج5،تح: فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1405هـ/1985م.

- الفاسي تقي الدين: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**،ج2،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ/2000م.

- الفكاهي مُحَّد بن اسحاق: **أخبار مكة في قديم الدهر وحدبثه،** تح: عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة، ط 2، بيروت، 1994م.

- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، د ط، بيروت،1994م.

- القاشاني عبد الرزاق: **لطائف الإعلام في إرشادات أهل الإلهام–معجم ألفبائي في الاصطلاحات والإرشادات الصوفية،** تح: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1996م.

- القاضي عياض بن موسى اليستي: **تركيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك،** ج1،تح: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، د ط، بيروت، 1967م.

- القاضي عياض: **تراجم أغلبية** ، تح: مُحَّد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د ط، تونس، 1968م.

- القزويني الخطيب: **الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع،** تح: حسين عبد القادر، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، 1416هـ/ 1996م.

- القسنطيني عبد القادر الراشدي: **تحفة الإخوان في تحريم الدخان،** تح: عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان،1997م.

- القشاشى احمد بن مُحَّد بن عبد النبي: **السمط المجيد في شأن البيعة والذكر وتلقينه وسلاسل أهل التوحيد،** مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ط1، الهند، 1323هـ.

- القشيري عبد الكريم: **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تح: معروف زريق وعلي أبو الخير، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق، 1995م.

- القلقشندي أبو العباس: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ج1،تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، ط2، بيروت، 1400هـ/ 1980م.

- القنوجي صديق بن حسن الهندي: **أبجد العلوم- الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، ج3،تح: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

- المالكي خليل بن إسحاق: **مختصر خليل في فقه إمام دار الهجرة**، تص وتع: طاهر أمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، ط2، لبنان، 2004م.

- المدني أحمد توفيق: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر1168-1246هـ/1754-1830م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1974م.

- المرادي مُحَمَّد خليل: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ضبط وتص: مُحَمَّد عبد القادر شاهين، ج1،دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1418هـ/1997م.

- المسعودي الحسن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مر: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2005م.

- المعافري عبد الملك بن هشام: **السيرة النبوية**،ج3،تح: مصطفي السقا، وآخرين، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، 1355هـ.

- المقري أحمد: **رحلة المقري الى المغرب والمشرق**، تح: مُحَمَّد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2004م.

- المقريزي تقي الدين: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، وضع حواشيه: خليل المنصق،ج4،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1418هـ/1998م.

- المقريزي تقي الدين: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**،ج4،وضع حواشيه: خليل المنصف، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1418هـ/1998م.

- الناصري أبو راس: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،** تح: مُحَّد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 1986م.

- النسائي أحمد أبو عبد الرحمن: **السنن الكبرى (سنن النسائي الكبرى)**،ج2،تح: عبد الغفار سليمان بالنداري، سيد كسراوي حسين، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1991م.

- النسائي أحمد بن شعيب: **السنن الكبرى،** ج2،تح: عبد الغفار سليمان، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ/1991م.

- النميري ابن الحاج: **فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،** در واع: مُحَّد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي،ط1، لبنان، 1990م.

- الوثيلاثي الحسين بن مُحَّد: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار،** تح: بن مهنا القسنطيني، دار المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2011م.

- الوزان الحسن بن مُحَّد الفاسي: **وصف إفريقيا**،ج2، تر: مُحَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983م.

- أمحزون مُحَّد: **المدينة المنورة في رحلة العياشي،** در وتح وتق: سامي الصقار، دار الأرقم الكويت، د ط، 1988م.

- بروكلمان كارل: **تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني،** تر: محمود فهمي حجازي- عمر صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة، 1995م.

- بروكلمان كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**،ج1،تر: منير البعلبكي ونبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968م.

- بروكهات جوهان لودفيدج: **مواد لتاريخ الوهابيين للرحالة جوهان لود فيدج بوركهارات،** تر: عبد الله الصالح العثيمين، د د ن، ط2، 1991م.

- بن الحاج إبراهيم مصطفى: **تاريخ وقائع مصر القاهرة المحروسة-كنانة الله في أرضه،** تح: صلاح أحمد هريدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط2، مصر، 2002م.

- بن بشر عثمان بن عبد الله: **عنوان المجد في تاريخ النجد**،ج1،تح: عبد الرحمان بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ط4، الرياض، 1402هـ/1982م.

- بن رمضان شاوش مُحَمَّد: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2011م.

- بن سحنون مُحَمَّد: **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسن عببد الرحمان، دار الكتب الشرقية، دط، تونس، 1972م.

- بن ميمون مُحَمَّد الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: مُحَمَّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م.

- حمدان بن عثمان خوجة: **المـــــرآة**، تح: مُحَمَّد العربي الزبيري، دار الحكمة للنشر، ط2، الجزائر، 2014م.

- رتشارد بيرتون: **رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز**،ج2، تح: عبد الله عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1991م.

- ستودارد لوثروب: **حاضر العالم الإسلامي**، ج2 ،تح: شكيب أرسلان- عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1391هـ/1971م.

- شالر وليام: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824م**، تع وتح وتق: إسماعيل العربي، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1982م.

- مبارك علي باشا: **الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، ط1، مصر، 1305هـ.

- مجهول: **تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن 12 الهجري**، تح: مُحَمَّد التونجي، دار الشروق ومكتبة الهلال، ط1، بيروت- جدة، 1404هـ/1984م.

- مجهول: **فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديويه**، ج3،مطبعة عثمان عبد الرزاق، دط، مصر، 1305هـ/1887م .

- هاثاواي جين وكارل ك بربير: **البلاد العربية في ظل الحكم العثماني 1516-1800م**، تر: مُحَمَّد شعبان صوان، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر،2018م.

رابعا: المراجع العربية والمعرّبة:

- ابراهيم محمود: **العلامة مُحَمَّد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا 1788-1859م**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2009م.

- ابن حجر الهيتمي: **حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي**، دار صادر، دط، بيروت، د س ن، ج6.

- ابن شهرة المهدي: **الطرائق الصوفية في الجزائر السنية**، دار الأديب للنشر والتوزيع، ط1، مصر، د س ن.

- أبو القاسم نبيل: **أعلام علماء مصر ونجومها**، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2018م.

- أبو داهش عبد الله: **الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية 1200-1351هـ/1785-1932م**، مطابع الفتراءدط، السعودية، 1423هـ.

- أبو زهرة مُحَمَّد: **أبو حنيفة حياته وعصره- آراؤه الفقهية**، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1366هـ/1947م.

- أبو زهرة مُحَمَّد: **تنظيم الإسلام للمجتمع**، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1975م.

- أبو زهرة مُحَمَّد: **محاضرات في الوقف**، معهد الدراسات الاسلامية، د ط، القاهرة، 1959م.

- أبو سليمان عبد الوهاب بن إبراهيم: **الحرم الشريف والجامع والجامعة**، نادي مكة الثقافي الأدبي، ط2، مكة، 1417هـ/1997م.

- أبي القاسم عبد الرحمان: **فتوح مصر وأخبارها**، مكتبة مدبولي، دط، القاهرة، د س ن.

- أحمد رمضان أحمد: **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي للطباعة والنشر، د ط، جدة، د س ن.

- أحمد علي مُحَمَّد ابراهيم وعلي بن مُحَمَّد بن عبد العزيز الهندي الحنبلي: **المذهب عند الحنفية – المالكية– الشافعية– الحنبلية، الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطاع الشؤون الثقافية، ط1، الكويت، 1433هـ/2012م.

- اعراب سعيد: **القراء والقراءات بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1410 هـ/ 1990م.

- الإدريسي مُحَمَّد بن جعفر الكتاني: **الدخان ما بين القديم والحديث** ، دار الفيحاء، دط، دمشق، 1997م.

- الإسناوي أبو الفضل: **الطرق الصوفية في مصر وموقف الشارع المصري منها**، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتجية، دط، مصر، 2004م.

- الأصفهاني أحمد بن عبد الله أبو نعيم: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج9،دار الفكر، دط، لبنان، 1416هـ/1996م.

- الالوسي محمود شكري: **تاريخ دول الخليج العربي والمشرق الإسلامي**، مكتبة ومطبعة الإشعار الفنية، دط، مصر، 1997م.

- الأنصاري عبد القدوس: **آثار المدينة المنورة**، المكتبة السلفية، ط3، المدينة المنورة، 1393هـ/1973م.

- الأهواني أحمد فؤاد: **التربية في الإسلام**، دار المعارف، ط 6، مصر، 2002م.

- البرماوي إلياس بن أحمد حسين بن سليمان: **إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري**، ج2،دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1421هـ/ 2000م.

- البروسوي اسماعيل حقي: **تفسير روح البيان**، المطبعة العثمانية، دط، استانبول، 1926م، مج09.

- البغا مصطفى ديب ومحي الدين ديب مستو: **الواضح في علوم القرآن**، دار الكلم الطيب- دار العلوم الإنسانية، ط2، دمشق، 1998م.

- البقلي مُحَمَّد قنديل: **آداب الدراويش**، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، القاهرة 1970م.

- البلادي عاتق بن غيث: **معالم مكة التاريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، مكة المكرمة، 1400هـ/1980م.

- البلادي عاتق بن غيث: **معالم مكة التاريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، 1400هـ/1980م.

- التازي عبد الهادي: **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، تح: عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، د ط، الرياض، ج1، 1426هـ/2005م.

- التر عزيز سامح: **الاتراك العثمانيون**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية ، ط1، 1989م.

- الترابي البشير علي حمد: **القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث- رواية ودراية-**، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 1418هـ/1997م.

- التفتازاني أبو الوفا: **مدخل الى التصوف الاسلامي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 1983م.

- التكلة مُحَمَّد زياد بن عمر: **مجموع فيه اجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري 1189هـ/1267م**، شركة دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 2008م.

- التكلة مُحَمَّد زياد بن عمر: **مجموع فيه من إجازات علامة الجزائر ابن العنابي الاثري**، دار البشائر الاسلامية، ط1، لبنان، 2008م.

- التويم ناصر بن إبراهيم بن عبد الله: **الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)**، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض 1423هـ.

- الجالودي عليان: **التحولات الفكرية في العالم الإسلامي، أعلام وكتب وحركات وأفكار، من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دط، الأردن، 1435هـ/2014م.

- الجيدي عمر: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعرف الجديدة، ط1، الرباط، 1993م.

- الجيلالي عبد الرحمن: **تاريخ الجزائر العام**، ج4،دار الثقافة،ط6،بيروت، 1403هـ/1983م.

- الحسني أسامه بن مُحَمَّد آل عز الدين الرسي: **مكـــة وشعــابـها**، وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية، دط، السعودية، 1439هـ/2018م.

- الحلواني سعد بدير: **العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن 19م**، دار الكتب المصرية، ط2، مصر، 1995م.

- الحنفي أبي سعيد الخادمي: **مجامع الحقائق والقواعد وجوامع الروائق والفوائد في أصول الفقه والقواعد الفقهية**، ط1،مؤسسة الرسالة ناشرون، مصر، 2000م.

- الخياري أحمد ياسين أحمد: **تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا**، تع: عبيد الله ممد أمين كردي، مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط1، المدينة المنورة، 1410هـ/1990م.

- الدالي مُحَمَّد صبري: **التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث**، دار الكتب والوثائق القومية، د ط، القاهرة، 2012م.

- الدالي مُحَمَّد صبري: **فقهاء و فقراء اتجاهات سياسية و فكرية في مصر العثمانية**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.

- الدجاني أحمد صدقي: **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار لبنان للطباعة، ط1، القاهرة، 1967م.

- الدراجي بوزياني: **عبد الرحمان الأخضري–العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، وزارة الثقافة الجزائرية، ط2، الجزائر، 2009م.

- الدمرداش حمزة: **نشأة الفنون البلاغية**، مطبعة لطفي، ط1، القاهرة، 1981م.

- الذهبي مُحَّد حسين: **علم التفسير**، دار المعارف، د ع ط، القاهرة، د س ن.

- الرقاني عبد الله: **النسمة الزكية لمشايخ الطريقة الرقانية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، وهران، 2007م.

- الريحاني أمين: **تاريخ نجد الحديث وملحقاته**، المطبعة العلمية ليوسف صادر، ط1، 1928م.

- الزبيدي عمر ابرهيم: **الفسيفساء السعودية**، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، ج1، 1432هـ.

- الزحيلي وهيبة بن مُحَّد: **تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ مُحَّد عبد الوهاب**، ج2، جامعة الامام مُحَّد بن سعود الاسلامية، دط، الرياض، 1983م.

- السامرائي يونس: **علماء العرب في شبه القارة الهندية**، المكتبة الوطنية، دط، بغداد، 1986م.

- السباعي أحمد: **تاريخ مكة– دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران**، ج1،مطبوعات نادي مكة الثقافي، ط4، 1999م، مكة المكرمة،

- السبحي صالح باقارش وعبد الله محمود: **أصول التربية**، دار الثقة للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ.

- السبيعي عبد الله ناصر: **الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية 1350– 1380هـ**، دار الوطنية الجديدة، ط1، 1407هـ.

- السعدني أبو وردة: **المؤرخون في مصر في العصر العثماني الى ظهور عبد الرحمن الجبرتي 1170/963هـ**، مركز التاريخ العربي للنشر، ط1، اسطنبول، 2020م.

- السقاف عبدالقادر بن أحمد: **جني القطاف من مناقب وأحوال الإمام العلامة**، دار المهاجر للنشر والتوزيع، ط1، المدينة المنورة، 1419هـ/1998م.

- السلوم حمد بن إبراهيم: **التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية بين السياسة والنظرية والتطبيق– نظرة تقويمية**، ج2،د د ن، ط1، 1416هـ/1996م.

- السليمان مُحَّد بن عبدالله :**دعوة الشيخ مُحَّد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي**، الرياض، وزارة الشئون الإسلامية والاوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، السعودية، 1422هـ.

- السنيدي عبد العزيز ابن راشد: **الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1424هـ.

- الشجاع عبد الرحمن عبد الواحد: **ملامح الرحلة العلمية اليمانية إلى مكة المكرمة في القرون الخمسة الهجرية الأولى**، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية، ط1، مكة المكرمة، 1426هـ.

- الشريف مسعود مُحَّد آل زيد: **تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد(1041–1299هـ/1631–1881م)**، دار القاهرة، ط1، مصر، 2005م.

- الشطي عبد القادر: **السلفية الوفية مذهب أهل الحق الصوفية**، دار هومة، دط، الجزائر، 2002م.

- الشنطي مُحَّد صالح: **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط5، بيروت، 1422هـ/2001م.

- الصعيدي عبد الحكم عبد اللطيف: **الرحلة في الاسلام – انواعها وآدابها**، مكتبة الدر العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1992م.

- الصلابي علي مُحَّد: **الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا**، مكتبة التابعين، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م.

- الصلابي علي مُحَّد: **الحركة السنوسية في ليبيا**، دار البيارق، دط، ليبيا، د س ن.

- الصلابي علي مُحَّد: **تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا**، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1430هـ/2009م.

- الطنطاوي الشيخ مُحَّد: **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، مطبعة وادي الملوك، ط4، مصر، 1374هـ/1954م.

- الطويل توفيق: **التصوف في مصر إبان العصر العثماني**، مكتبة الآداب بالجماميز، د ط، مصر، 1946م.

- العثيمين عبد الله الصالح: **الشيخ مُحَّد بن عبدالوهاب– حياته وفكره**، دار العلوم، دط، الرياض، 1986م.

- العربي اسماعيل: **معجم الفرق والمذاهب الإسلامية**، دار الآفاق الجديدة، دط، المغرب، د ت ن.

- العسيري أحمد معمور: **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417 هـ/96 – 97م**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1417هـ/ 1996م.

- العصفور عبد العزيز: **فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم**،ج2،دار البشائر الاسلامية، دط، بيروت، 2001م.

- العلوي أبوبكر بن مُحَّد بن حسين: **الدليل المشير إلى ذلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير**، المكتبة المكية، ط 1، مكة المكرمة، 1418 هـ.

- العمري شهاب الدين: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج3،المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1423هـ.

- العيسي مي: **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، دارة الملك عبد العزيز، د ط، المملكة العربية السعودية، 1996م.

- الغاشي مصطفى: **الرحلة المغربية والشرق العثماني– محاولة لبناء الصورة–**، دار الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2015م.

- الفاسي ابن قاسم الكهن: **الطبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرمات العلية في طبقات السادة الشاذلية**، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 2005م.

- الفاسي أبو عبد الله مُحَّد بن كنون: **قرة العيون بشرح نظم ابن يامون**، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 1425هـ /2004م.

- الفاسي تقي الدين مُحَمَّد: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، ج1،دار إحياء الكتب العربية، ط1، مكة المكرمة، 1956م.

- الفضلي عبد الهادي: **القراءات القرآنية– تاريخ وتعرف**، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، لبنان 1430هـ/2009م.

- ألفقي مُحَمَّد حامد: **أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها**، مطبعة النهضة، دط، القاهرة، 1354هـ.

- القزويني زكرياء بن مُحَمَّد بن محمود: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، د ط، بيروت، 1978م.

- الكردي المكي مُحَمَّد طاهر: **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**،ج3، دار خضر، ط1،بيروت، 1420هـ/2000م.

- المرادي مُحَمَّد خليل بن علي: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دار حزم، ط3، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1. طبعة اخرى.

- المصعبي فاطمة بنت عبد الله: **الصـــرة– دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام 1171هـ/1758م**، مركز تاريخ مكة المكرمة، دط، مكة المكرمة، 2018م.

- المعدي الحسيني الحسيني: **الملك الإدريس السنوسي**، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2012م.

- المعملي عبد الله بن عبد الرحمن: **أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،ج1، ط1، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م.

- المقدسي البشاري مُحَمَّد بن أحمد: **أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة المدبولي، ط3، القاهرة، 1991م.

- المناوي عبد الرؤوف: **الكواكب الدرية في تراجم السّادة الصوفية**،ج1،مطبعة الأنوار المحمدية، ط1، القاهرة، 1938م.

- المنوني مُحَّد: **ورقات عن حضارة المرينيين**، جامعة مُحَّد الخامس، الرباط- المغرب، 1996م.

- الموافي ناصر عبد الرزاق: **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار النشر للجامعات المصرية، ط1، القاهرة، 1995م.

- الموسوي العباس الحسيني: **نزهة الجليس ومنية الاديب الأنيس، المطبعة الحيدرية**، ج1،ط1، العراق، 1417هـ.

- الميلي مبارك بن مُحَّد الجزائري: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، د ط، الجزائر، 1406هـ/ 1986م، ج2.

- النجار عامر: **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها**، دار المعارف، ط5، مصر، 2007م.

- الهيلة مُحَّد الحبيب: **التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري الى القرن الثالث عشر**، مؤسسة الفرقان للثرات الإسلامي، ط1، مكة المكرمة، 1994م.

- الهيلة مُحَّد حبيب: **التاريخ والمؤرخون بمكة- من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر(جمع وعرض وتعريف)**، مؤسسة الفرقان للثراث الإسلامي، ط1، المملكة العربية السعودية، 1994م.

- اليكسي فاسيلييف: **تاريخ العربية السعودية**، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1995م.

- أندريه ريمون: **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993م.

- أنساعد سميرة: **الرحلات الجزائرية إلى المشرق، دراسة في النشأة والتطور والبنية**، دار السويدي، ط1، الإمارات، 2011م.

- أوجرتني محمد: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830م**، دار الأيام للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2018م.

- أوزون إسماعيل حقي: **أمراء مكة في العصر العثماني**، تر: خليل مراد، مركز دراسات الخليج العربي، د ط، البصرة، 1989م.

- باسلامة حسين عبد الله: **تاريخ عمارة المسجد الحرام**،تهامة للنشر،ط4،جدة، 1984/1405م.

- باشا أحمد تيمور: **المذاهب الفقهية الأربعة- الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين**، دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة، 1421هـ/2001م.

- بالحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م .

- براده على حرازم بن العربي: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، ضبط وتص: عبد اللطيف عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، ج1، 1997م.

- بسكر محمد: **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة**،ج1،دار كرداده، ط1، الجزائر، 2013م.

- بطاش كبرى زادة: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1405هـ/1985م، مج01.

- بلعالم محمد باي: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**،ج1،دار هومة، دط، الجزائر، 2005م.

- بن الصغير محفوظ وعبد الكريم حامدي: **الفتوى في الإسلام الواقع والأفاق**، اصدار وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، 2015م.

- بن بدر عبد الباسط: **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**،ج3،ط1، المدينة المنورة، 1414هـ/ 1993م.

- بن بريكة مُحَّد البوزيدي الحسني: **موسوعة الطرق الصوفية**، مج 11، ج2،دار الحكمة، د ط، الجزائر، 2009م.

- بن حموش مصطفى أحمد: **فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 956هـ/1549م- 1246هـ/1830م**، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، دبي، 1421هـ/2000م.

- بن حموش مصطفى: **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولوكس والوثائق العثمانية**، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2011م.

- بن خليل بيك عبد الحميد: **اعيان من المشارقة والمغاربة- تاريخ عبد الحميد بيك المتوفي سنة 1280هـ-1863م** ، تع: ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 2000م.

- بن دهش عبد الملك بن عبد الله: **الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به -دراسة تاريخية وميدانية-**، د م ن، دط، مكة المكرمة، 1415هـ/1995م.

- بن دهيش عبد اللطيف عبد الله: **الكتاتيب في الحرمين الشريفين وماحولهما**، مطبعة النهظة الحديثة، ط1، مكة المكرة، 1986م.

- بن دهيش عبد اللطيف: **الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة في مطلع القرن العشرين**، بحث ضمن كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتق: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية، د ط، زغوان-تونس 1988م.

- بن دهيش عبد اللطيف: **نظرة علي تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى عام 1303هـ/ 1885م**، ج1، بحث ضمن كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتق: عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث العثمانية، ط1، 1990م .

- بن رمضان مُحَّد شاوش والغوث بن مدان: **الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، أو ارشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**، دار البصائر، د ط، الجزائر، 2002م، مج2.

- بن زاحم عبد الله بن مُحَّد: **كتاب قضاة المدينة المنورة من عام 963 ه إلى عام 1418ه**، مكتبة العلوم والحكم، ج2، ط1، المدينة المنورة، 1418ه/1998م.

- بن سلم أحمد سعيد: **المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري**، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1414ه/1993م.

- بن عبد الرحمان عثمان: **أدب المفتى والمستفتي**، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1986م.

- بن عبد الكريم مُحَّد: **التصوف في ميزان الإسلام**، مطبعة النهضة، وهران ، د ت ن.

- بن عبد الوهاب مُحَّد بن سليمان التميمي: **الرسائل الشخصية**، تص: صالح الفوزان، ومُحَّد العيلقي، موقع مشكاة الاسلامية، ط1، 1427ه/2006م.

- بن عربي محي الدين: **رسائل ابن العربي– إصطلاح الصوفية**، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت، د ت ن.

- بن علي أحمد بن حجر: **الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه**، الدار السلفية، ط3، السعودية، 1395ه.

- بن علي عبد المالك عبد القادر: **مختصر(الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية)**،ج1، دار الجزائر العربية، دمشق، د ت.

- بن عودة حسين: **الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب السنة المطهرة** ،ج1،دار بن حزم، ط 1، الأردن، 2002م.

- بن غانم حسين بن أبي بكر: **تاريخ ابن غانم المسمى "روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"**، اع: سليمان بن صالح الخراشي، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، ج1، 2010م.

- بن قينة عمر: **في الأدب الجزائري الحديث تأريخًا... وأنواعًا، وقضايًا... وأعلامًا**، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 1995م.

- بن محمَّد عبد الحميد قدس: **الفتوحات القدسية في شرح التوسلات السمانية**، المطبعة الحميدية، د ط، القاهرة ، 1405هـ.

- بن موسى علي: **وصف المدينة المنورة**، مطبعة النهضة العربية، دط، مصر، 1303هـ/1885م.

- بوجلة عبد المجيد: رحلة الورثيلاني إلى مصر – الشرق والغرب في مكونات الرحالة العرب والمسلمين اكتشاف الذات والآخر، أبحاث أدوات الرحالة العرب، المكتبة الوطنية الجزائر، دط، 2005م.

- بودواية بلحيا: **التصوف في بلاد المغرب العربي**، دار القدس العربي، ط1، الجزائر، 2009م.

- بوعزيز يحي: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج1،دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995م،.

- بوعزيز يحي: **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 1985م.

- بوعزيز يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1999م.

- بيومي محمَّد علي فهيم: **الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي**، دار القاهرة، ط1، جمهورية مصر العربية، 2007م.

- بيومي محمَّد علي فهيم: **المغاربة في المدينة المنورة**، دار القاهرة، ط1، القاهرة، 1427هـ/ 2006م.

- بيومي محمَّد علي فهيم: **دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني** (923-1220هـ/1517-1805م)، دار القاهرة، ط1، جمهورية مصر العربية، 2006م.

- بيومي محمَّد علي فهيم: **قضاة مكة المكرمة إبان الفترة 1220-1366هـ/1805-1848م**- دراسة وثائقية من واقع أرشيف، دار الوثائق القومية، القاهرة، جامعة الأزهر.

- بيومي محمَّد: **مخصّصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من 923-1220هـ/1517-1805م**، دار القاهرة للكتاب، ط1، القاهرة، 2001م.

- تابليت علي: **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، منشورات ثالة، الجزائر، د ط، الجزائر، 2010م.

- تاج السر أحمد حران: **حاضر العالم الإسلامي**، مكتبة الملك فهد الوطنية أشناء النشر، ط1، الرياض، 1422هـ/2001م.

- جارشلي اسماعيل حقي: **أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني**، تر: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، ط1، لبنان، 1424هـ/2003م.

- جاغلار يوسف – صالح كولبن: **المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين**، تر: حازم سعيد منتصر و أحمد كمال، دار النيل للطباعة والنشر، دط، القاهرة، 2015م.

- جعفر مُحَّد كمال: **التصوف طريقًا وتجربة ومذهبًا**، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 1980م.

- جمعة مُحَّد كمال: **انتشار دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية**، دارة الملك عبد العزيز، دط، الرياض، 1981م.

- جورجي زيدان: **مصر العثمانية**، تح: مُحَّد حرب، دار الهلال، دط، مصر، 1994م.

- حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء الثرات العربي، دط، بيروت، 1941م.

- حافظ علي: **فصول من تاريخ المدينة المنورة**، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ط3، السعودية، 1417هـ/1996م.

- حسام مُحَّد عبد المعطي: **العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1999م.

- حسين محمود حسين: **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، ط2، لبنان، 1983م.

- حليفي شعيب: **الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل**، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د ط، القاهرة، 2002م.

- حوتية مُحَّد الصالح: **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة/ الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي-دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر، ج1، 2007م.

- حوى أحمد سعيد: **المدخل الى المذهب الإمام أبي حنيفة النعمان**، دار الأندلس الخضراء، ط1، جدة، 1423هـ/ 2002م.

- خالد بن علي بن حسين صباغ: **لإصابة في معرفة مساجد طابة**، مطابع الرشيد،ط1، المدينة المنورة،1421هـ.

- خالد بن ناصر العتبي: **الطريقة الشاذلية عرض ونقد**، مكتبة الرشد، مج1، ط1، الرياض، 2011م.

- خالد مرغوب: **مكانة الإجازة عند المحدثين بين الإفراط والتفريط الحاصلين فيها من بعض المعاصرين**، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 2009م.

- خفاجي مُحَّد عبد المنعم وعلي علي صبح: **الأزهر في ألف عام**، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، القاهرة، 2011م، ج1.

- خليل إبراهيم السامرائي وأخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2000م.

- خيثر عبدالنور وآخرون: **منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1954**، وزارة المجاهدين، ط خ، الجزائر، د ت ن.

- دحلان الملكي احمد زيني: **تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية**، المطبعة البهية، د ط، مصر، 1306هـ.

- رابح خدوسي: **موسوعة العلماء والادباء الجزائريين**،ج1، دار الحضارة للنشر، دط، لجزائر، 2014م

- رفعت فوزي عبد المطلب: **توثيق السنة في القرن الثاني الهجري**، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1400هـ/1981م.

- زكي مبارك: **المدائح النبوية في الأدب العربي**، دار المحجة البيضاء، دط، القاهرة، 1354هـ/ 1935م.

- زكي مُحَمَّد حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د ط، مصر، 2012م.

- زيد علي الفضيل: **أوراق مبعثرة** (سلسلة 2)، سيبويه للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، د ت ن.

- زيدان يوسف مُحَمَّد طه: **الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر**، دار الجيل، ط1، بيروت، 1994م.

- سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1140هـ/1981، ق1.

- سعد الله أبو القاسم: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 2003م.

- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م. ج1-2-3-4.

- سعد الله أبو القاسم: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1983م.

- سعد الله أبو القاسم: **رائد التجديد الاسلامي ابن العنابي**، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1990م.

- سعيدوني ناصر الدين: **الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات لواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، دار الغرب الإسلامي، ط1، ، بيروت، لبان، 2000م.

- سعيدوني ناصر الدين: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية(1800-1830م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-مطبعة أحمد زبانة، دط، الجزائر، 1979م.

- سعيدوني ناصر الدين: **الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 الى القرن 19**، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2013م.

- سعيدوني ناصر الدين: **الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني**، مجموعة دراسات أكاديمية وبحوث علمية، البصائر، ط خ، الجزائر، 2013م.

- سعيدوني ناصر الدين: **الوقف في الجزائر أثناء القرن 18 والقرن 19**: معالجة مصادره، إشكالية البحث فيه، البصائر، د ط، الجزائر، 2001م.

- سعيدوني ناصر الدين: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001م.

- سعيدوني ناصر الدين: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000م.

- سنوسي علي أحمد: **المسجد النبوي تاريخه، فضائله-أحكامه**، سلسلة أبحاث الحرمين العلمية، ط2، المملكة العربية السعودية، 1434هـ.

- سنوك هورخونية: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ج2، تر: محمد محمود السرياني-معراج نواب مرزا، نقله الى العربية: علي عودة الشيوخ، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1419هـ.

- شهاب الدين احمد بن حجر التميمي الشافعي: **النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد أدم**، مكتبة الحقيقة، دط، تركيا، 1389هـ/2011م.

- شواط الحسين بن محمد: **علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية-سيرة المصطلح وحده ومفهومه**، مكتبة الألوكة، د ط، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/2015م .

- شوقي ضيف: **الرحلات**، دار المعارف، ط4، مصر، 1956م.

- شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي**، ج1،دار المعارف، ط11، مصر، د س ن.

- شوقي عطاالله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)** مكتبة انجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1977م.

- صباغ محمود عبدالغني وآخرون: **التصوف في السعودية والخليج**، مركز المسبار للدراسات، ط2، دبي، 2011م.

- صحراوي عبد القادر: **الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني1520-1830م**، دار هومه، ط1، الجزائر، 2016م.

- صلاح الدين الشامي: **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف**، د.ط، الإسكندرية، 1982م.

- طرفة ابن العبد وآخرون: **فتاوى الشبكة الإسلامية**، قياس الاحتفال بالمولد النبوي، المكتبة الشاملة الحديثة، نوفمبر 2009م.

- طرفة عبد العزيز العبيكان: **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة**، مكتبة الملك الوطنية، الرياض، 1416ه/1966م.

- طرهوني مُحَّد بن رزق: **التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا**، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 1426ه/2005م.

- ظافر أزهري مُحَّد البشير: **كتاب اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة**، ج1،مطبعة الملاجئ العباسية، دط، القاهرة، 1325ه.

- عاشور سعيد عبد الفتاح: **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، ط خ، القاهرة 1992م.

- عبد الجبار عمر: **دروس في ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام**، دار نفيس، ط1، مصر، 1379ه.

- عبد الجواد صابر اسماعيل: **مجتمع علماء الأزهر ابان الحكم العثماني1517-1797م**، دار الكتب والوثائق القومية، دط، القاهرة، 2016م.

- عبد الحليم محمود: **أبو البركات سيدي أحمد الدردير**، دار المعارف، ط1، مصر، 1974م.

- عبد الحليم محمود: **أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد والعرف بالله**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، القاهرة، 1967م.

- عبد الحليم محمود: **قضية التصوف- المدرسة الشاذلية**، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1983م.

- عبد الدائم عبد الله: **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1981م.

- عبد الرحمان صالح عبد الله: **تاريخ التعليم في مكة المكرمة**، دار الشروق، د ط، جدة، 1403هـ/1982م.

- عبد الرحمن بن مُحَمَّد ممتاز: **النسائم اللطيفة في فضائل المدينة الشريفة**، مركز البحث العلمي واحياء الثراث الإسلامي، ط2، مكة المكرمة، 1434هـ.

- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **المغاربة في مصر في العصر العثماني1517-1798م- دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية**، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط، تونس، 1982م.

- عبد الستار فتح الله سعيد: **فتوى في دار علماء أزهر الشريف حول الأضرحة والقبور والمواليد والنذور**، دار اليسر، ط5، القاهرة، 2010م.

- عبد الغني مُحَمَّد الياس: **المساجد الأثرية في المدينة المنورة**، مطابه الرشيد بالمدينة المنورة، ط2، السعودية، 1419هـ/1999م.

- عبد الغني مُحَمَّد الياس: **تاريخ المدينة المنورة-قسم المساجد-**، بالعربية والأردية والانجلزية، مجمع الملك فهد لطلاعة المصحف الشريف، ط1، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م.

- عبد الفتاح السيد عجمي: **هداية القارئ الى تجويد كلام البارئ**، مكتبة طيبة، ط2، المدينة المنورة، د س ن.

- عبد اللطيف ليلي: **المجتمع المصري في العصر العثماني**، دار الكتاب الجامعي، د ط، القاهرة، 1987م.

- عبد المتجلي ناصرة إبراهيم: **الإسكندرية في العصر العثماني الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، تق: لطيفة سالم، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، القاهرة، 2013م.

- عبد المعطي حسام مُحَمَّد: **المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر**، تق: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، د ط، مصر، 2015م.

- عزباوي عبد الله: **الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2006م.

- عزباوي عبد الله: **المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر**، الهيئة المصرية للكتاب، دط، مصر، 1997م.

- عوف أحمد مُحَمَّد: **الأزهر في ألف عام– إبريل سنة 970هـ– أبريل سنة 1970م**، مجمع البحوث الإسلامية، د ط، مصر، 1970م.

- غربي كمال: **المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دط، تلمسان، 2011م.

- غطاس عائشة: **الحرف والحرفييون بمدينة الجزائر 1700–1830م-مقاربة اجتماعية اقتصادية**، منشورات ANAP، ط1، الجزائر، 2007م.

- غنيمي الشيخ رأفت: **دراسات إفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر**، دار الكلمة للنشر والتوزيع ط1، مصر، 2011م.

- فاروق أحمد مصطفى: **دراسات في المجتمع المصري الموالد– دراسة للعادات والتقاليد بمصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، الاسكندرية، 1980م.

- فاسيلي. أ.: **تاريخ العربية السعودية**، دار التقدم للنشر والتوزيع، دط، دمشق، 1956م.

- فركوس صالح: **تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق م/1962م)**، ج1،إيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013م.

- فهيم حسين مُحَّد: **أدب الرحلة**، دار عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1978م.

- فهيم مُحَّد إبراهيم: **ملامح النشاط الاجتماعي في مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري – الثامن عشر الميلادي**، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2009م.

- فوازان ابراهيم: **إقليم الحجازر وعوامل نهضته الحديثة**، مطابع الفرزدق، ط1، الرياض، 1408هـ/1981م.

- فويال سعاد: **المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة، د ط، الجزائر، 2010م.

- فياض عبد الله: **الإجازات العلمية عند المسلمين**، مطبعة الارشاد، ط1، بغداد، 1967م.

- فيلالي عبد العزيز: **مجمل تاريخ قسنطينة– السياسي، العمراني، الثقافي، الاقتصادي**، دار الهدى، دط، عين مليلة، 2017م.

- فيلالي مختار الطاهر: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في للجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكي، ط1، باتنة، د س ن.

- قحف منذر: **الوقف الإسلامي– تطوره، إدارته تنميته**، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 2000م.

- قشى فاطمة الزهراء: **سجل صالح باي للأوقاف 185–207هـ/1771–1792م**، دار بهاء الدين، دط، الجزائر، 2009م.

- قنديل فؤاد: **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1 وط2، القاهرة، 1423هـ/2002م .

- كي مبارك: **التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق**،ج1،مطبعة الاعتماد، ط1، القاهرة، 1938م.

- لزغم فوزية: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر**، دار سنجاق الدين للكتاب، ط1، الجزائر، 2009م.

- ماسينيون ومصطفى عبد الرازق: **التـــصـــوف**، لجنة الترجمة: دائرة المعارف، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، ط1، بيروت، 1984م.

- ماكمان مُحَّد: **الرحلات المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري/ السابع عشر الثامن عشر الميلادي** ،كلية الاداب والعلوم الانسانية، ط1،الرباط، 2014م.

- ماهر سعاد: **الأزهر أثر وثقافة**، المجاس الأعلى للشؤون الإسلامية، د ط، مصر 1962م.

- مريوش أحمد: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، ط خ، الجزائر، 2007م.

- مغيث كمال حامد: **مصر في العصر العثماني 1517-1798م- المجتمع والتعليم**، تق: رؤوف عباس، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الانسان، ط1، مصر، 1997م.

- مفتاح عبد القادر: **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعة**، دار الكتب العلمية، د ت ن،

- مفلح القضاة مُحَّد أحمد وآخرون: **مقدمات في علم القراءات**، دار عمار، ط1، الأردن، 1422هـ/ 2001م.

- ميكل ونتر: **المجتمع مصري تحت الحكم العثماني**، تر: إبراهيم مُحَّد إبراهيم، مر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، مصر، 2001م.

- نسيب مُحَّد: **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر، 1989م.

- نللى حنا: **ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية ق 16م- 18م**، دار المصرية العثمانية، د ط، 2004م.

- نواب عواطف مُحَّد يوسف: **الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين. -دراسة تحليلية مقارنة-**، مكتبة الملك فهد الوطنية، دط، الرياض، 1417هـ/1997م.

- نواب عواطف محمد يوسف: **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (دراسة تحليلية مقارنة)**، إدارة الملك عبد العزيز، د ط، الرياض، 1429هـ.

- هلال عمار: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3هـ-14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1995م.

- همام عبد الرحمن سعيد: **الفكر المنهجي عند المحدثين، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية**، ط1، قطر، 1408هـ.

- وافي علي عبد الواحد: **لمحة في تاريخ الأزهر**، دار الفتوح للنشر والتوزيع، ط2، مصر، 1355هـ/ 1936م.

- وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء: **المذاهب الفقهية الأربعة- أئمتها- أطوارها- أصولها- آثاره**، راجعه: بومية بن محمد السعيد وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، الكويت، 1436هـ/2015م.

- يالجن مقداد: **فلسفة الحياة الروحية – منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية**، دار الشروق، ط1، 1985م.

خامساً: الأطروحات والرسائل والمذكرات الجامعية:

- بلغيث محمد الأمين: **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي، اشراف: عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1406-1407هـ/ 1986-1987م.

- بوسعيد أحمد: **ركبُ الحج الجزائري خلالَ العهدِ العثماني دراسةٌ تاريخيةٌ من خلالِ الرّحلات الحجازية**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، كلية

العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة العقيد أحمد دراية بأدرار، السنة الجامعية 2017-2018م.

- بوسعيد عبد الرحمان: **الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر**، مذكرة ماجستير في التاريخ: دحو فغرور، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية2011-2012م.

- بيومي مُحَّد فهيم: **دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني**، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة، 2002م.

- تلمساني بن يوسف: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم الثعثماني/ الأمير عبد القادر/ الإدارة الإستعماري)1782–1900م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، الجزائر، السنة الجامعية 1997-1998م.

- تؤدة بنت مُحَّد علي الشريف: **العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب في العصر العباسي الأول**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1999م.

- التونسي حمادى علي مُحَّد: **المكتبات العامة في المدينة المنورة ماضيها وحاضرها**، رسالة ماجستير، تخصص: علم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك عبد العزيز، جدة– المملكة العربية السعودية، 1401هـ/1981م.

- الحسني عبد المنعم القاسمي: **الطريقة الخلوتية الرحمانية: الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، رسالة دكتوراه، في العلوم الإسلامية ، تخصص: عقيدة، اشراف: عمار جيدل، جامعة الجزائر1، السنة الجامعية 2008-2009م.

- حسيني الطاهر : **الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني؛ أنواعها وخصائصها** "، قسم اللغة و الأدب العربي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، السنة الجامعية 2014-2015م.

- حفظ الدين عبد الرحمن أحمد المصنف: **الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي وحضارته، جامعة صنعاء، كلية الآداب، 1424هـ/2003م.

- دحدي سعود: **البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931)**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر ، السنة الجامعية 2009-2010م.

- دحروج الهام حسين: **مدينة قابس منذ الغزو الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، اشراف: مُحَمَّد بركات البيلي، جامعة القاهرة، مصر، 1421هـ/2000م.

- دواس أحسن: **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، مقاربة سوسيو ثقافية**، مذكرة ماجستير في الأدب المقارن، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية2007-2008م.

- رمضان آمال عبد الحميد صديق: **الحياة العلمية في مكة 1115-1334هـ 1703-1916م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2006م.

- روباش جميلة: **أدب الرحلة في المغرب العربي**، رسالة دكتوراه، تخصص: العلوم في الأدب الجزائري القديم، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة- الجزائر، السنة الجامعية 2014-2015م.

- زردومي إسماعيل: **فن الرحلة في الأدب المغربي القديم**، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب القديم، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2004-2005م.

- سفيان موسى ابراهيم خليل: **القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسير الرازي**، رسالة ماجستير في التفسير، اشراف: أحمد خالد شكري، الجامعة الأردنية، 1422هـ/2003م.

- شاكر مُحَمَّد فؤاد: **الأحاديث الموضوعة عند الصوفية في القرن السابع الهجري**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، كلية الآداب سوهاج، مصر، 1410هـ/ 1989م.

- شقرون عبد الجليل : **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد؛ دراسة تحقيق"**، رسالة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، قسم الثقافة الشعبية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 2016-2017م.

- العابد زكريا: **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوربية،** رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية 2006-2007م.

- عايض مشعل نايف الدهاس: **الحجاز من خلال كتب الرحلة المشارفة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين- دراسة تاريخية حضارية،** رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أم القري، مكة المكرمة، 2008م.

- عبد المعز فضل: **التعليم في محافظة قنافي عصر المماليك،** رسالة ماجستير في التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1997م.

- عز الدين مُحَّد كمال الدين: **الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة: دراسة في التاريخ والمؤرخين- 784-922ه/1382-1517م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة عين شمس، مصر، 1409ه/1989م.

- غويني ليلى : **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية،** مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة 02، السنة الجامعية 2010-2011م.

- فائقة ادريس عبد الله: **التفسير في القرن الأول الهجري،** رسالة ماجستير في الدراسات القرآنية، جامعة القرى-مصر، 1404ه.

- مرتاض عبد الحكيم: **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني(924-1246ه/1518-1830م)**، رسالة دكتوراه، علوم في التاريخ جامعة أحمد بن بلة، وهران، السنة الجامعية 1436-1437ه/2015-2016م.

- مطر فوزية حسين: **تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتي العصر العثماني،** رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى،مكة المكرمة، 1406هـ/1986م.

- نواب عواطف مُحَّد يوسف: **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين؛ دراسة تحليلية نقدية مقارنة**"، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، السنة الجامعية 1420هـ/1999م.

سادساً: المجلات والدوريات:

- بليغ راندا: **ارتباط الطب في مصر القديمة بما يعرف بالطب البديل أو التكميلي**، في حولية الأثرين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، ع08، القاهرة، 2005م.

- بن رية مليكة: الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ومنهجه في **اصلاح التصوف**، في مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية، مج13، ع01، جامعة زيان عاشور- الجلفة، 2021م.

- بن عبد العزيز مُحَّد الدباغ: **جولة مع ابن بطوطة في رحلته**، في مجلة المناهل، ع 59، المغرب، 1999م .

- بن عتو بلبروات: **الداي مُحَّد عثمان باشا وسياسته 1766-1791م**، في مجلة عصور، جامعة وهران1، ع06-07، ديسمبر 2005م.

- بن علي طاهر: **المكون السيسيو ثقافي لإنسان الصحراء- مقاربة مؤرخ في نصوص الرحلة**، في مجلة دراسات تاريخية، ع1، الجزائر، 2013م.

- بوركنة علي: **التجاني عمر بن سعيد تال الفوتي**، في مجلة المفكر، جامعة الجزائر02، مج04، ع02، ديسمبر 2020م.

- بوسعد الطيب: **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني**، في مجلة الواحات، ع 15، جامعة غرداية، 2011م.

- بوسَليم صالح وميلود قاسم: **الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى(دراسة تاريخية)**، مقال بمجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن المركز الجامعي غرداية- الجزائر، العدد15، المطبعة العربية ، غرداية، 2006م.

- بوسَليم صالح والزين مُحَمَّد :**ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني**، في مجلة الحوار المتوسطي، مج 6،ع2،جامعة سيدي بلعباس، الجزائر2015م.

- بوسَليم صالح: **مؤسسة الزوايا في إقليم توات بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي**، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن المركز الجامعي غرداية- الجزائر، العدد09، المطبعة العربية ، غرداية، 2010م

- بوعزيز يحي: **أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين**، في مجلة الثقافة، السنة 11، ع63، 1981م.

- جاب الله طيب: **دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري**، في مجلة معارف، ع14، مج8، جامعة البويرة، 2013م.

- الجيلالي عبد الرحمن: **الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا**، في مجلة الأصالة، وزارة الثقافة، الجزائر، ع8، 1972م.

- حافظ اسماعيل أحمد اسماعيل: **أسماء مكة المكرمة في القرآن الكريم وكتب السيرة والأدب والتاريخ والآثار**، في مجلة الدارة، داره الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، س4، ع04، 1399هـ-1978م.

- حجازي مُحَمَّد فهمي: **دور رحلة مُحَمَّد بن يحي الرباحي**، في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مصر، ع7، مج 2، 1995م.

- حساني مختار: عبد الرحمان بن مُحَمَّد الثعالبي، في مجلة بحوث، جامعة الجزائر1، مج07، ع01، 2007م، ص ص 77-82.

- حماش خليفة: **صرة الحرمين الشريفين الجزائرية أحد مظاهر إدارة المال العام وانتقاله بين الجزائر والجزيرة العربية في العهد العثماني**، نسخة الكترونية بمناسبة عيد الطالب 19ماي 2021م، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة.

- زيزاح سعيدة: **ظاهرة الطرق الصوفية والتغير الإجتماعي في المجتمع الجزائري**، في مجلة الباحث، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع 11، ديسمبر 2012م.

- السعداوي أحمد: **التواصل بين ايالتي تونس والجزائر، في مجلة السبيل**، في مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، ع1، تونس 2016م.

- شارف مُحَمَّد: **ابن حمادوش، طبيب جزائري من القرن الثامن عشر**، في مجلة الفضاء المغاربي، مج04، ع01، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2020م.

- الصادقي حسن: **الوجود المغربي في المشرق من خلال كتب التراجم المشرقية**، في مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، ع32، المغرب، 1989م.

- صبان سهيل: **جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية 1039هـ-1336هـ**، في مجلة الدرعية، السنة 01، ع01، ماي 1998م، المملكة العربية السعودية.

- الطويل توفيق: **في تراثنا العربي الاسلامي**، في مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، ع87، الكويت، 1985م.

- عبو ابراهيم: **مدرسة مازونة الفقهية ودورها التاريخي والحضاري**، في مجلة الحوار الثقافي، ع01، مج7، جامعة معسكر.

- عزيز أحمد: **الطرق الصوفية بالجزائر... امتداد في التاريخ**، تقرير منشور لدى جريدة هسبيريس، بتاريخ 2017/01/5م.

- عطابي جمال: **معالم وأعلام مدينة مازونة التاريخية**، في مجلة الدراسات التاريخية، ع10، مج05، جامعة أحمد زبانة- غليزان، 2007م.

- عقيل نمير: **حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر «أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية »**، في مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج1، ع2.

- عليوان أسعد: **أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية**، في مجلة الإحياء، مج9، ع01.

- غالم فاطمة ،عبد القادر بوباية: **مدرسة مازونة ودورها في الحركة العلمية والثقافية**، في مجلة عصور الجديدة، مج6، ع23، أوت 1437هـ/2016م.

- فهمي توفيق مُحَّد مقبل: **تاريخ مكة المكرمة عبر العصور**، في مجلة الدرعية، المملكة العربية السعودية، ع 43/42، 1429هـ/2008م.

- فهيم حسين مُحَّد: **أدب الرحلات**، في مجلة عالم المعرفة، ع 138، الكويت، 1923-1990م.

- القرشي سليمان: **دور الرحلات الحجية في نشر الكب وتداولها بين المشرق والمغرب**، في مجلة رحال، دار مثقفون بلا حدود، ع1، قبرص، 2008م .

- القشاعي فلة موساوي: **أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني**، في مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر02، مج1، ع2، ديسمير 2001م

- مسعود العيد: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة، ع1، الجزائر، 1980م.

- منصور ماجدة: **أثر الطرق الصوفية في الحياة السياسية والإجتماعية في مصر العثماني**، في المجلة التاريخية المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، مج50، القاهرة، 1438هـ/2016م.

- منصوري كمال، فارس مسدور: **الأوقاف الجزائرية: نظرة في الماضي والحاضر، أوقاف، مجلة علمية نصف سنوية تصدر عن الأمانة العامة** للأوقاف (الكويت)، العدد2008.

- الندوي صاحب علم الأعظمي: **الحياة الدينة والعلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري- دراسة تاريخية في ضوء كتاب زاد المتقين في سلوك الطريق اليقين**، في مجلة الدراسات الاسلامية، ع03-04، الجامعة الاسلامية العالمية باكستان، 2019م.

ثامنا: القواميس والمعاجم والأطالس:

- البستاني بطرس: **دائرة المعارف**، ج10،مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، د ط، تهران، 1870م.

- البغدادي اسماعيل باشا: **هدية العارفين في أسماء المعرفين وآثار المصنفين**،ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م.

- الجاسر حمد: **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية "معجم مختصر"**، ج2،دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، دط، السعودية، د ت ن.

- الجمل حسين اسماعيل وسليمان مسلم الحرشي: **معجم مصطلحات الحديث**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، الرياض، 1412هـ/1991م.

- الحسني عبد المنعم القاسمي: **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي، ط1، الجزائر، 2005م.

- الحموي ياقوت: **معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ج5،تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1414هـ/1993م.

- الحموي ياقوت: **معجم البلدان**،ج2،دار صادر، ط2، بيروت، 1995م.

- الحنفي عبد المنعم: **معجم مصطلحات الصوفية**، دار الميسرة، بيروت، 1980م.

- الذهبي شمس الدين: **سير أعلام النبلاء**، ج8-27،دار الحديث، د ط، القاهرة، 1427هـ/ 2006م.

- الذهبي مُحَّد بن أحمد بن عثمان : **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنوؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ/1991م.

- الزركلي خير الدين فارس: **الأعلام**، ج6،دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م.

- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، ج19، اع: رضوان السيد، مطبوعة المتوسط، دط، بيروت، 1413هـ/1993م.

- الغزي نجم الدين مُحَّد: **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**،ج1،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1997م- 1418هـ/1997م.

- الفيروز آبادي مجد الدين مُحَّد بن يعقوب: **القاموس المحيط،** مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، لبنان، 2008م.

- الفيروز آبادي مُحَّد بن يعقوب: **القاموس المحيط**،ج4،مؤسسة الرسالة، 1415هـ/ 1994م.

- الميداني الدمشقي: **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،** تح وتع: مُحَّد بهجة البيطار، دار صادر، ط2، بيروت، 1413هـ/ 1993م.

- بن شاكر مُحَّد الكتبي: فوات الوفيات،ج3، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت.

- بن مخلوف مُحَّد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،** دار الكتاب العربي، د ط، بيروت، 1325هـ.

- جبل مُحَّد حسن: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم –مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها،** ج2،مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010م.

- خدوسي رابح وآخرون: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين،** منشورات الحضارة، الجزائر، دط، الجزائر، 2014م.

- رضا أحمد: **معجم متن اللغة –موسوعة لغوية حديثة–،** ج2، دار مكتبة الحياة، د ط، بيروت، 1377هـ/1958م.

- كحالة عمر رضا: **معجم المؤلفين،** ج12، مكتبة المثني، دار إحياء التراث العرب، د ط، بيروت، 1376هـ-1957م.

- مصطفى ابراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط،** ج1، دار الدعوة، دط، القاهرة، 1989م.

- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتي العصر الحاضر،** مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980م-1400هـ.

- هلال حسن مُحَّد عبد الغني: **التراجم والسيرة،** دار المعارف، ط1، مصر، 1955م.

- هوتسما م.ت. وآخرون: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج7، تح: ابراهيم زاكي خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1،الإمارات العربية المتحدة، 1418هـ/ 1998م.

تاسعا: المراجع باللغة الأجنبية:

- BUSSON DE JANSSENS **: Contribution à l'étude des Habous publics algériens**, Alger, 1950.
- Louis RINN :**Marabouts et Khouan: Étude sur l'islam en Algérie**. Avec une carte indiquant la marche, la situation et l'importance des ordres religieux musulma,Adolphe jourdan, Alger,1884.
- Shaler,W. : **Esquisse de l'État d'Alger**, traduction M.X, Blancher, Paris, 1830 .
- Shaw: S, T: The **Finincial and Administrative Organization and Development of Ottoman**, Egypt(1517-1798) Princeton .New Jersey, 1964.
- Lewis, B., K͟hādim al-Ḥaramayn, in: Encyclopaedia of Islam, t.03, éd. 1990.
- **Gerald** ,de Gaury**: Rulers of Mecca,** Published by George G. Harrap & Co. LTD (1951), London, 1951.
- DEPONT OCTAVE /COPPOLANI XAVIER, **LES CONFRÉRIES RELIGIEUSES. MUSULMANES**. Adolphe jourdan. 1897.
- Carsten Niebuhr, **Description de l'Arabie faite sur des observations propres et des avis recueillis dans les lieux mêmes**, sans édition,1774.

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد تاريخي لمسيرة التواصل الفكري والروحي بين الجزائر والمشرق العربي (مصر والحجاز) خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين، من خلال أقطاب التصوف، ورجال رحلات الحج إلى الديار المقدّسة، وما تمخض عنها من آثار كان لها الأثر المتبادل بين المجتمع الجزائري وبلدان المشرق العربي.

كما حاولت الباحثة تفحص المراسلات بين حكام تلك البلدان، فيما كانوا يهدفون إليه من تأمين سلامة الحجاج الوافدين من بلاد المغارب عامة والجزائر بصفة خاصة، أثناء وصولهم إلى مصر والحجاز. كما أسهمت الرحلات الحجازية التي أسندت سفارتها إلى كبار العلماء في تدعيم التواصل الفكري والروحي بين رعايا الأقطار الإسلامية، مما جادت به قرائحهم من رسائل متبادلة، ما جعلها عنصراً فاعلاً في التلاقح الفكري ، وإسهاماً ناجعاً بين الجهتين؛ للمحافظة على نشر تعاليم الإسلام الصحيحة، وتمتين أواصر التواصل الفكري والروحي والاجتماعي بين مجتمعات تلك البلدان.

الكلمات الدالة: التواصل الفكري؛ الجزائر؛ العهد العثماني؛ التواصل الروحي؛ مصر؛ بلاد الحجاز؛ الرحلات الحجازية؛ بلاد المغارب؛ المشرق العربي.

Abstract :

This paper lies in the historical monitoring of the spiritual and intellectual communication between Algeria and the Arab Mashreq (Egypt and El-Hedjaz) during the Eighteenth and early Nineteenth centuries AD. through the Sufi Poles and the pilgrims throughout their journey to the Holy Land of Mecca. It aims at highlighting the resulting effects that had a mutual impact on both the Algerian society and the Arab countries. Effectively, the correspondence between the rulers of those countries was examined because of their contribution to securing the safety of the pilgrims coming from the Maghreb Countries, in general, and Algeria, in particular, during the arrival in Egypt and El-Hedjaz. Evidently, El-Hedjaz trips, whose embassy was led by senior scholars, also contributed to strengthening both the spiritual and intellectual communication between the people of the Islamic countries throughout the exchanged messages. The latter was an active element for the intellectual cross-fertilization and a successful contribution between the two sides. It was also to maintain the dissemination of the correct teachings of Islam, and strengthen the bonds of intellectual, spiritual and social communication between these societies.

Key Word:Intellectual Communication; Algeria; Ottoman Era; Spiritual Communication; E-Hidjaz; El-Hidjazi Trips; Maghrebin land; Arab Mashreq

Résume :

Cette étude a pour objectif le suivi historique du processus intellectuel et spirituel entre l'Algerie et l'orient arabe (l'Egypte et le Hidjaz) durant le 18 éme et 19 éme siècle, par l'intermédiaire des pôles du mysticisme (tassawouf) et les caravaniers vers les lieux saints, ce qui a engendré la mutualité entre la société Algérienne et les pays de l'orient arabe

La chercheuse a aussi essayée de fouiller dans les correspondances entre les chefs de ces états dans ce qui assure la sécurité des pelerins venants du grand Maghreb et plus particulièrement de l'Algérie quand ils arrivaient en Egypte et au Hidjaz les voyages vers le Hidjaz ont étaient guidées par les Ulemas qui ont contribuer à renforcer le processus intellectuel et spirituel entre les peuples des pays Islamiques, à la suite des correspondances et relations et qui a tisse les échanges surtout intellectuelles (culture générale) et maintenir les liens de Communication entre eux.

Mots clés : communication, intellectuel, Algérie, époque ottomane Hidjaz, voyage hidjazis, Communication spirituelle, Egypte, pays du Maghreb, l'orient arabe.